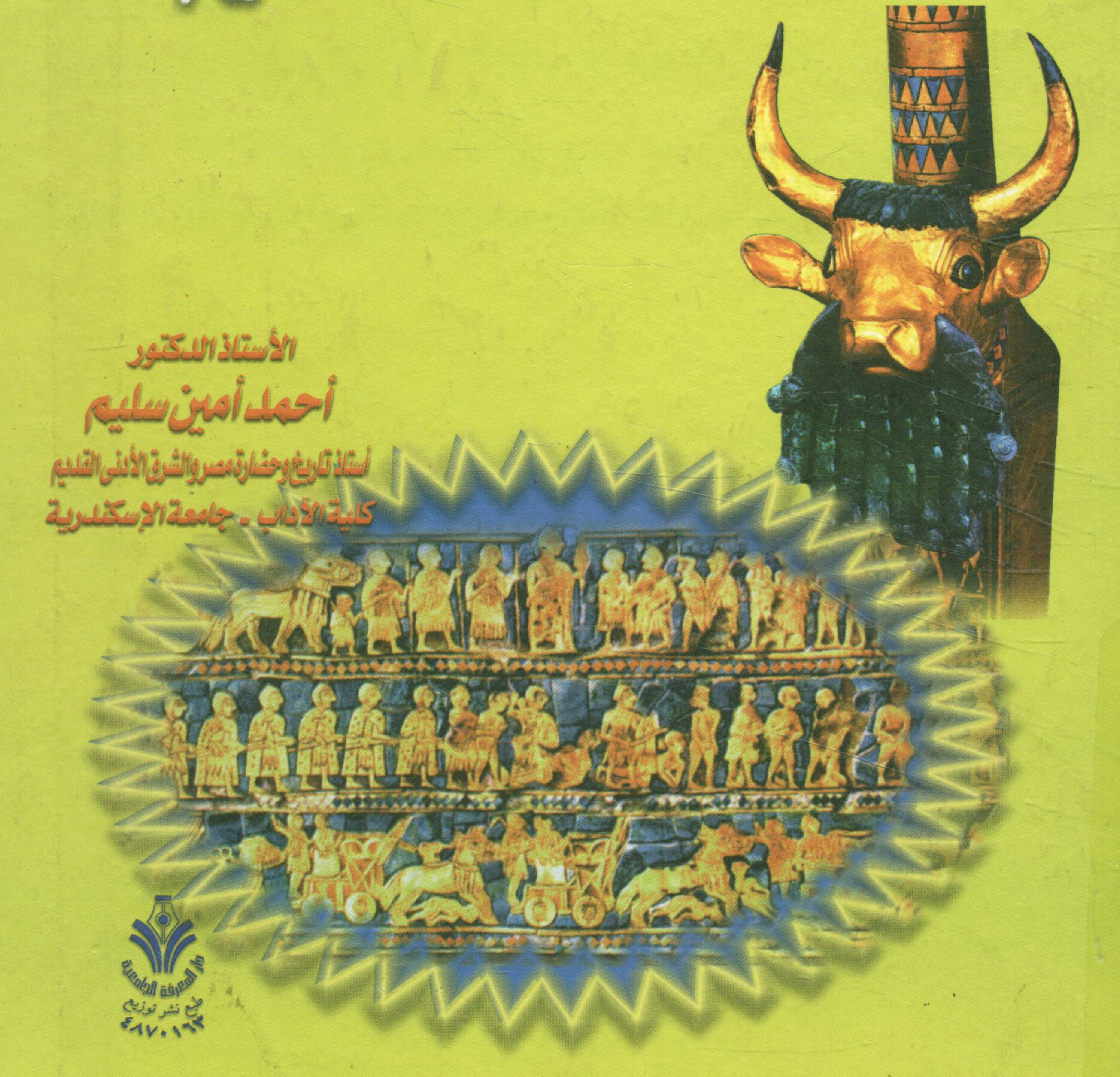
دراسات فى تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم ٦

حضارة العراق القديم

الأستاذ الدكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع
٤٨٧٠١٦٣

دراسات فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم ٦

حضارة العراق القديم

دارسات فى تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم (٦)

حضارة العراق القديم

دكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

2011



عدد الصفحات :- ٤٨٠

المؤلف :- أحمد أمين سليم

عنوان الكتاب :- دراسات في تاريخ العراق القديم

رقم الايداع :-

٢٠١١م



الاداره :- ٣٦ ش سوتير - الازريطة - أمام كلية الحقوق – جامعة الاسكندرية – جمهورية مصر العربيه
تليفاكس :- ٠٠٢٠٣٤٨٧٠١٦٣
محمول :- ٠٠٢٠١٢١٦٦٦٩١٣
الفرع الثاني :- ٣٨٧ ش قنال السويس – الشاطبي – الاسكندريه
Email: - darelmaarefa@gmail.com ,
d_maarefa@yahoo.com
Web site: - www.darelmaarefa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾

[سورة الممتحنة، آية : ٤]



إلى روح أستاذى

الدكتور/ محمد حسان عمار

تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته



المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحابته أجمعين وبعد.

فيحسن بنا في هذه المقدمة الخاصة بكتاب حضارة العراق القديم أن نشير في البداية في عجالة إلي معني مُصطلح «حضارة» ودلالاته المتعددة ومشتقاته وما يشير إليه من معان، وسنشير كذلك إلي دلالة التعبير بين «ثقافة» و«مدنية» ونبدأ بكلمة «حضارة».

فلقد ورد في قواميس اللغة العربية[1] الدلات الآتية لاشتقاقات كلمة الحضارة:

تَحَضَّرَ: تخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم.

الحَاضِرُ: المقيم في الحَضَر (جمع) حُضُوُر وحُضَّار.

الحَاضِرة: خلاف البادية.

حاضِره الشئ: القريبة منه.

الحَضَارةُ: الإقامة في الحَضَر وهي ضد البداوه

وهي مظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي.

ويذكر «ول ديورانت»[2] أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان علي

---

(١) المعجم الوجيز، بيروت، ١٩٨٠، ص١٥٧.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، جـ١، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧١، ص٣ - ٥.

الزيادة من انتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من أربعة عناصر هي الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما آمنَ الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعد ذلك لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلي فهم الحياة وازدهارها. ثم يذكر أن الحضارة مشروطة بعدة عوامل تساعد علي تقدمها أو تعطل خطاها، ومن هذه العوامل، الظروف الجيولوجية، والعوامل الجغرافية، من مظاهر سطح ومناخ وثروات طبيعية وموقع جغرافي، والظروف الاقتصادية.

وفيما يتصل بما يقابل مصطلح «الحضارة» باللغة العربية في اللغات الأوربية، فيلاحظ أن هناك من يري في كلمة "Civilization" ما يقابل الحضارة في اللغة العربية، بينما يري آخرون أن الكلمة المقابلة للحضارة هي "Culture" وأدي وجود هذين الاصطلاحين إلي وجود نوع من الاضطراب، حيث ظهر لهذين المفهومين الاوربيين ثلاثة ألفاظ عربية هي «الحضارة» و«الثقافة» و«المدنية»، فمن ترجم "Culture" إلي «ثقافة» فقد ترجم "Civilization" إلي «حضارة»، ومن ترجم "Culture" إلي «حضارة» ترجم "Civilization" إلي «مدنية»، وفي كل حالة يختلف تعريف المفهوم العربي عن الآخر(١).

ويلاحظ أن كلمة "Culture" تعود في جذورها إلي اللفظ اللاتيني "Culture" الذي يعني حرث الأرض وزراعتها، وظلت هذه اللفظة مقترنة بهذا المعني طوال العصرين اليوناني والروماني، حيث استخدمها شيشرون مجازا بالدلالات نفسها، فقد أطلق علي الفلسفة "Mentis Culture" أي «زراعة العقل وتنميته»، مؤكدا أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس علي تكريم الآلهة،

---

(١) نصر محمد عارف: الحضارة - الثقافة - المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم»، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٩.

وأطلقت في فرنسا خلال العصور الوسطي علي الطقوس الدينية "Culture" واقتصر مفهوم "Culture" في عصر النهضة علي مدلوله الفني والأزلي، وفي العصر الحديث توسع مدلول اللفظ فأصبح يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخري التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في مجتمع[1].

ومما جاء في قاموس: Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary في تعريف كلمة "Culture" نذكر[2]:

١- الصفات الموجودة في الشخص أو المجتمع والتي تنشأ فيه وتميزه في الفنون والآداب والعادات وغيرها.
٢- التقدم في الفنون والآداب.
٣- مرحلة من الـ Civilization لشعب معين أو فترة زمنية معينة.
٤- مجموعة من طرق الحياة التي تأسست بواسطة مجموعة بشرية وانتقلت من جيل لآخر.
٥- عمل أو ممارسة زراعة الأرض.

وظهر استخدام اللفظ العربي «حضارة» مقابل الكلمة الانجليزية "Culture" في كتابات علماء الاجتماع والانثروبولوجيا العرب، ويلاحظ أن هؤلاء العلماء عندما يتعرضون لكلمة Civilization يترجمونها «مدنية».

أما ترجمة مفهوم كلمة Culture إلي اللفظ العربي ثقافة، فلقد أخذ في الظهور منذ النصف الأول من القرن العشرين، ومن أوائل الذين استخدموه سلامه

---

(١) نفس المرجع السابق، ص١٩ - ٢٠.
(٢) Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, New York, 1994, pp. 352 - 353.

موسي، حيث عرف الثقافة بأنها هي المعارف والآداب والفنون يتعلمها الناس ويتثقفون بها، وقد تحتويها الكتب، ومع ذلك هي خاصة بالذهن[1].

أما الكلمة الأوروبية "Civilization" فهي تعود إلي الجذر اللاتيني "Civites" بمعني «مدنية» وجاء منها: "Citizen" وهو «ساكن المدينة» و "Citizenry" وهم لجماعة المواطنين و "Citizenship" وتعني «المواطن» و "Civic" «المدني» و "Civil" «متمدن».

ومما أورده قاموس Webstern's في تعريف كلمة Civilization نذكر[2]:

١- تمثل حالة تقدم المجتمع الانساني، إلي مستوي عال من الـ Culture والعلوم والصناعات والتقدم في النظم الحكومية.

٢- نمط من الـ Culture والحياة الاجتماعية في مكان محدد وفي وقت محدد أو مجموعة محددة.

ولقد أخذت المعاجم والقواميس التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين بترجمة مصطلح "Civilization" إلي «حضارة» وفسرت الحضارة علي أنها جملة الظواهر الاجتماعية ذات الطابع المادي والعلمي والفني والتكنيكي الموجودة في المجتمع، وأنها تمثل المرحلة الراقية في التطور الإنساني[3].

وتجدر الاشارة إلي أن المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ والذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قد ترجم كلمة Civilization علي أنها تعني «حضارة»، كما ترجم أيضا كلمة "Culture" علي أنها تعني أيضا «حضارة»[4].

---

(١) نصر محمد عارف: المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary, P. 270 - 271.

(٣) نصر محمد عارف: المرجع السابق، ص٤٨.

(٤) المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ، تونس، ١٩٩٣، مادة رقم ٦٩٧، ٨٥٨.

ولقد اختلف العلماء في تعريفهم للحضارة كل حسب وجهة نظره التاريخية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الانثروبولوجية أو الفلسفية، ويمكن القول أن الحضارة تمثل فى الحقيقة مجموعة النشاط الإنسانى بمختلف مظاهره المادية والمعنوية، وهى نتيجة مباشرة لمجهوداته وعاداته وتقاليده وسلوكه وتفكيره واستجابته، وترتبط فى نشأتها وتطورها بحياة صانعها الانسان ومدى تطور تجاربه المتوارثة والمحلية بالإضافة إلى المؤثرات الخارجية(١).

وعلي أساس هذا التعريف فإن الانتاج الحضاري ما هو إلا مجمل النشاط الإنساني في جميع مظاهره المادية والفكرية، ومن الصعوبة بمكان دراسة جميع أوجه النشاط الإنساني في منطقة معينة أو مناطق متعددة في مؤلف واحد، وعلي ذلك فسوف أقوم في هذا المؤلف عن حضارة العراق القديم بدراسة بعض أوجه النشاط الإنساني في هذه المنطقة الهامة من الشرق القديم.

وبدأت الدراسة بالفصل الأول وهو يتصل بالبيئة العراقية وأثرها في طبيعة الانتاج الحضاري في العراق القديم وتناولت فيه طبيعة الموقع الجغرافي للعراق حيث يقع ضمن منطقة التقاء قارات العالم القديم إفريقيا وآسيا وأوروبا، كما كانت تمر بأراضيه طرق القوافل التجارية المتجهة من وإلي أقطار الشرق الأقصي وبلدان البحر المتوسط، وتميز موقعه وثروات أرضه بالنسبة لجيرانه المحيطين به، وأثر ذلك علي طبيعة الانتاج الحضاري للعراق خلال العصور القديمة. وتناولت مظاهر السطح واثرها في التوزيع السكاني وظهور التجمعات البشرية ونشأة المدن الأولي، وتناولت بالتفصيل دور نهري دجلة والفرات في التطور الحضاري لسكان العراق القديم، كما تناولت الأحوال المناخية ودورها في

---

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧، ص٨٧ - ٨٨.

تنوع النباتات الطبيعية، وتأثيرها علي النشاط الإنساني، ثم تناولت أثر هذه العوامل البيئية المتعددة علي الفكر العراقي القديم في مجالاته المتعددة.

وتناولت في الفصل الثاني الحياة الاجتماعية في العراق القديم وناقشت فيه عدة موضوعات رئيسية كان الأول منها الزواج وتناولت فيه نظرة المجتمع العراقي القديم للشخص العزب، ووجود نوع من حرية الاختيار بين الفتي والفتاة، والعواطف المتبادلة قبل الزواج، واجراءات الخطبة وما يتصل بها من الأوضاع القانونية التي نشأت نتيجة عنها، ثم عقد الزواج وشروطه والمهر وأنواعه، وناقشت موضوع تعدد الزوجات في العراق القديم والاحوال التي كانت تدعو إليه والاوضاع القانونية التي نشأت من تعدد الزوجات، وكذلك الزواج بالإماء، والتحذير من الزواج ببعض أنواع النسوة، ثم تناولت حقوق الزوجة وواجباتها في العراق القديم، والزواج من الخادم في العراق القديم والحالات التي كانت تجيز الطلاق بالنسبة للرجل وكذلك المرأة والحقوق المترتبة علي الطلاق.

ثم تناولت الأطفال وتربيتهم في المجتمع العراقي القديم واهتمام الانسان العراقي بالانجاب وتقديره للمرأة المنجبة، وحالات التبني في العراق القديم، والميراث والوصية وحقوق كل من الرجل والمرأة في الميراث والوصية، وأشرت بعد ذلك إلي طبيعة العلاقات الاسرية حيث كانت الطاعة هي الفضيلة الكبري وكانت الحياة الفاضلة في العراق القديم هي «الحياة المطيعة» وظهر ذلك بشكل واضح في طبيعة العلاقات بين أفراد الاسرة العراقية.

واشرت إلي طبيعة الحياة المنزلية في العراق القديم، من حيث تصميم المنازل والاثاث والمفروشات، وملابس الرجال والنساء وأدوات الزينة الخاصة بالنساء والرجال، وتناولت اخيرا وسائل التسلية والترفية في الاسرة العراقية القديمة.

وتناولت في الفصل الثالث موضوع «القيم الاخلاقية والسلوكية في العراق القديم» وناقشت فيه سبع موضوعات رئيسية أثرت في القيم الاخلاقية والسلوكية للانسان العراقي القديم، وهي الحافز إلي البروز والشهرة، وعمل الخير والحض علي القيام به، والنهي عن القيام بالأعمال الشريرة، والحض علي التمسك بالصدق والأمانة، والعدالة، والتمسك بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك واخيراً اتقان العمل.

ويتصل الفصل الرابع بموضوع «التنظيم السياسي والإداري» وتناولت فيه تطور السلطة الملكية في العراق القديم منذ نظام دولة المدينة وقيام شبه ديمقراطية في الفترة الشبيهة بالكتابة في النصف الثاني من عصر حضارة الوركاء، وأشرت إلي الاسباب التي أدت إلي عدم تطور هذا النظام كما تطور فيما بعد في بلاد اليونان، ثم تناولت تطور السلطة الملكية في العراق القديم، والألقاب الملكية، والمهام التي كان يقوم بها الملك سواء كانت الدينية أو المدنية، ثم تناولت مسألة ولاية العهد في العراق القديم وشروطها وحدودها وحالات الخروج عليها، وبعد ذلك أشرت إلي عملية تتويج الملك، وهي من المسائل المعقدة في العراق القديم شأنه في ذلك شأن العديد من المجتمعات في الشرق القديم، ثم تناولت البلاط الملكي والجهاز الإداري في الدولة.

وتناولت في الفصل الخامس «الجيش» في العراق القديم، وذلك من حيث بداية تكوينه منذ العصر السومري القديم والأسلحة التي يتسلح بها، وتطور هذا التنظيم والتسليح خلال العصور التاريخية التالية أيام الأكديين والبابليين والأشوريين، وتناولت الحقوق التي حصل عليها المحاربون وأوردت القوانين المتعددة التي قننت أوضاع هؤلاء المحاربين وحقوقهم وكذلك واجباتهم، كما تناولت كذلك الرتب العسكرية في الجيش.

أما الفصل السادس فلقد خصصته لدراسة الشرائع والقوانين العراقية

القديمة، حيث اشتهرت بلاد النهرين بما عثر عليه فيها من قوانين تعد أقدم ما عرف حتي الآن في العالم القديم، ومن أوائل التشريعات القانونية التي وصلتنا من العراق القديم كانت تشريعات الملك «اوركاجينا» أحد ملوك أسرة لجش (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) الذي يمكن أن يعتبر من أوائل المشرعين في تاريخ البشر، وتتضح منها وجود بعض التشريعات القانونية المتصلة بالنواحي الإدارية.

ومن القوانين الهامة التي وصلتنا من بعده «قانون أورنمو» وهو الملك الذي أسس أسرة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م)، ولقد اهتم في قانونه بشكل كبير بتثبيت المكاييل ،والأوزان، كما تعرض لبعض حالات في قانون الأحوال الشخصية، وبعض قوانين العقوبات ويتميز قانونه بوجود مبدأ التعويض في الإصابات التي لا تؤدي إلي الموت، ويوجد في قانونه أيضا استظهار نية الشاهد قبل حضوره المحكمة في قضية قانونية، ووجود نظام التجربة أو الامتحان أو الاختبار.

ويلي قانون أورنمو، قانون مملكة أشنونا الذي بقيت منه احدي وستون مادة، ويلاحظ أن العقوبات في قانون أشنونا قد جمعت بين القصاص والديه، فأقرت القتل عقابا للقاتل، ولكنها أقرت مبدأ الديه علي الجروح التي لا تؤدي إلي الموت، كما اهتمت هذه القوانين بتنظيم الشئون الأسرية وعقود الزواج والمهور والطلاق، وأقرت هذه القوانين مبدأ الشفعة، فقررت حق الأخوة في شراء نصيب أخيهم من الميراث إذا رغب في بيعه.

وجاء بعده «قانون لبت عشتار» الذي ينسب إلي الملك «لبت عشتار» (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) خامس ملوك أسرة أيسين، ويتكون هذا القانون من مقدمة ونصوص قانونية وخاتمة، ولم يتمكن العلماء من استعادة سوي ثمانية وثلاثين بنداً فقط من بنود القانون، والمواد التي أمكن معرفتها تعالج شئون الأراضي الزراعية والحدائق والعبيد وحالات الاعتداء علي الآخرين وشئون

الضرائب والأحوال الشخصية، ولقد قررت مواد القانون مبدأ التعويض، كما يمكننا أن نستدل علي وجود مبدأ الثقة في هذا القانون.

ويلي قانون لبت عشتار «قوانين حمورابي» (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) ويعتبر هذا القانون، هو الاكتشاف الأكبر في ميدان القانون في العراق القديم، ولقد خضع قانون حمورابي للعديد من أعمال الترجمة وذلك منذ عام ١٩٣٠م.

وتتألف قوانين حمورابي من ثلاثة أقسام رئيسية وهي المقدمة التي أشار فيها إلي ألقابه واعماله، أما المواد القانونية فتبلغ ٢٨٢ مادة، قسمها العلماء حسب موادها إلي عدة أقسام، فمنهم من قسمها إلي عشرة أقسام، وهناك من قسمها إلي ثلاثة عشر قسما.

ويلاحظ بصفة عامة أن قانون حمورابي كان قاسيا في توقيع العقوبات علي كل من يخرج علي العرف السائد أو يقترف إثما لا يتفق مع الأخلاق العامة، ولم يعترف قانون حمورابي للفرد بأية حقوق قبل الدولة، كما كان المجتمع مقسما في هذا القانون إلي ثلاث طبقات، الاشراف والمواطنين والعبيد، فكان الناس غير متساوين بحكم القانون، ولقد تضمن القانون العديد من الأحكام الراقية التي يتطلبها المنطق في كل عصر، وان كانت هناك بعض أحكامه التي يصعب علينا قبولها إلا بمنطق الحياة في عصرها. وأحاطت تشريعات حمورابي افراد الأسرة وتقاليدها بالكثير من الضمانات، وعنيت التشريعات بأمور المعاملات التجارية، ولقد اصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابي بالقسوة في مواجهة الاعتداءات علي النفس والمال والإضرار بمصالح الدولة. وأشار حمورابي في خاتمة قوانينه إلي أنها قوانين العدالة التي وضعها «حمورابي» الملك المجتهد وأقام بواسطتها للبلاد قيادة رشيدة وحكومة عادلة.

ووصلتنا بعد حمورابي العديد من القوانين من خلال العصر البابلي ومنها قانون «أميصا دوقا» وهو الملك العاشر من أسرة حمورابي في بابل.

وجاءنا من العصر الآشوري العديد من نماذج القوانين التي كانت تنظم أحوال المجتمع الآشوري، ومما يقال عن هذه القوانين أنها مجموعة مواد، ويمكننا أن نقسم هذه النماذج من حيث زمنها إلي مجموعتين تشتمل المجموعة الأولي، علي ما يسمي بالقوانين الأشورية القديمة، وهي اجزاء غير كاملة وترجع إلي العهد الآشوري القديم منذ آواخر الألف الثالث قبل الميلاد، أما المجموعة الثانية، فهي تعرف باسم «القوانين الآشورية المتوسطة» وقد عثر عليها مدونة في عدة الواح من الطين، ويمكن تأريخها علي وجه التقريب بين ١٤٥٠ و١٢٥٠ ق.م، فهي بذلك تعود إلي العهد الآشوري الوسيط.

ثم تناولت المحاكم والقضاة في العراق القديم، حيث كان الملوك يحيلون إلي ولاتهم في الأقاليم بعض القضايا أو إلي محكمة خاصة، وكانت قرارات الملك أو من ينيبهم عنه نهائية، ورغم ذلك فقد كان بإمكان الناس تقديم التماس للملك للنظر في شكاويهم، وكانت توجد محاكم الاستئناف ولكنها ليست بصورة منتظمة.

وتناولت في الفصل السابع «الفكر الديني» في العراق القديم وأشرت فيه إلي تأثير الأحوال البيئية في العراق علي فكره الديني ومعبوداته ومعتقداته، فلقد كان للبيئة العراقية أثرها في دفع الانسان السومري إلي محاولة البحث والتعمق في دوافع تلك الاشكالات البيئية والوسائل التي تمكنه من التحكم فيها، واحلال الخير والمنفعة العامة والطمأنينة الإقتصادية والنفسية مكان الجوانب الضارة والشريرة في حاضر الانسان ومستقبله.

ونسب السومريون إلي معبوداتهم فضائل وعواطف إنسانية، واصبغوا عليهم نفس طريقة الحياة، وإن رفعوهم عن الجنس البشري بأن منحوهم الخلود وأمنوا بهم.

ولقد تناولت في هذا الفصل فكرة نشأة الكون عند الإنسان العراقي

القديم، ثم أشرت إلي المعبودات التي آمن بها الانسان العراقي، وبدأت بالآلهه الكونية وهي آنو، وانليل، وانكي، وسين، وشمش، وعشتار، ثم أشرت إلي المعبودات الممثلة للسلطة السياسية في العراق وهي ننجرسو، ومردوخ، وآشور، ثم أشرت إلي الكهنة ونظامهم ودرجاتهم وكذلك المنجمون والعرافون، والكاهنات، وبعد ذلك تناولت طقوس الجنس المقدس في العراق القديم، والمعابد، ثم نظرة الانسان العراقي إلي عالم ما بعد الموت.

أما الفصل الثامن والأخير فلقد تناولت فيه الأدب في العراق القديم، وتناولت في هذا الفصل بعض النماذج الأدبية مثل الشعر والاساطير الدينية والقصص، ثم أدب الحكمة والنصائح.

وأخيراً فإنه لا يسعني في نهاية هذا التقديم، إلا أن أدعوا الله مخلصا أن أكون قد وفقت فيما هدفت اليه من عرض بعض جوانب من حضارة العراق القديم، فإن جميع المظاهر الحضارية للعراق القديم لا يمكن حصرها جميعا في مؤلف واحد، واتمني من الله العلي القدير أن يوفقني في عرض باقي المظاهر الحضارية في مؤلف آخر إن شاء الله تعالي، وأنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من عاونني في إنجاز هذا الكتاب حتي ظهر بهذا الشكل، وادعوا الله أن يحقق منه الفائدة المرجوة، وعلي الله قصد السبيل، وخير ما اختم به هذه المقدمة قوله جل من علا: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقه لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علي القوم الكافرين».

صدق الله العظيم

(سورة البقرة، الآية ٢٨٦)

الاسكندرية في العاشر من ذي الحجة ١٤٢١هـ
الموافق الخامس من مارس ٢٠٠١م

الفصل الأول
البيئة العراقية وأثرها
فى طبيعة الإنتاج الحضارى

تمثل الظروف البيئية عاملاً رئيسياً في الإنتاج الحضارى للإنسان، فالإنتاج الحضارى فى مظاهره المتعددة سواء كان انتاجا ماديا أم فكرياً ما هو إلا نتاج لتفاعل الإنسان مع ظروف بيئته الطبيعية ومقدرته على استخدامها والاستجابة لها وكذلك هيمنة الظروف البيئية على إمكانات الإنسان وتوجيهاتها لأفكاره ومعتقداته، ونتيجة لذلك يتباين الإنتاج الحضارى للإنسان من منطقة لأخرى، ومن هنا كانت دراسة الظروف البيئية بداية ضرورية وهامة لمحاولة فهم طبيعة الانتاج الحضارى للإنسان فى أى منطقة من المناطق وأى بلد من البلدان.

ويعتبر الموقع الجغرافي من العوامل الهامة المؤثرة فى طبيعة الانتاج الحضارى وذلك لما يتميز به من أمكانية الاتصال بالأقوام والشعوب المجاورة وما يوجد به من طرق مواصلات تربطه بالعالم الخارجى المحيط به، ومدى نصيبه من الثروات الطبيعية ونصيب البلدان المحيطة به ، وكذلك أهمية المنطقة العسكرية ، كل هذه العوامل تحدد أهمية الموقع فى التطور الحضارى الإنسانى .

وبالنسبة للموقع الجغرافي للعراق، فيلاحظ أن العراق يقع ضمن منطقة التقاء قارات العالم القديم افريقيا وآسيا وأوروبا، وكان الطريق الذى يربط آسيا بأوروبا يمر عبر أراضيه، حيث كان يمر به القوافل التجارية المتجهة من وإلى أقطار الشرق الأقصى وبلدان البحر المتوسط .

وكان لقلة الموارد الاقتصادية لجيران العراق بالنسبة لما تتمتع به أراضيه من ثراء أثر كبير فى تركيب سكانه ، فيلاحظ أن العراق يقع بين منطقتين تقل فيهما الموارد الطبيعية، وتتمثل المنطقة الأولى فى المناطق الجبلية التى تحده من الشمال والشمال الشرقى ، والمنطقة الثانية توجد فى الغرب والجنوب وهى منطقة صحراوية فقيرة فى مواردها الزراعية والمائية وهى جزء من شبه الجزيرة العربية فى اقسامها الشمالية والشمالية الغربية وهى التى تعرف باسم «بادية الشام» .

ونتيجة لهذا الموقع الجغرافى ، فلقد كان العراق منذ أقدم عصوره التاريخية محطا للهجرات البشرية من هاتين المنطقتين على وجه الخصوص وإن لم تقتصر الهجرات والتسللات البشرية عليهما فقط ، فلقد جاءت من الأقاليم

الشرقية والشمالية الشرقية العديد من الهجرات ذات الأصول الهندية أوروبية ، ومن شبه الجزيرة العربية وبادية الشام وفدت إلى العراق العديد من الهجرات والتحركات السامية التي استمرت بدون انقطاع منذ فجر التاريخ، وكان لها دورها الحاسم فى التاريخ السياسى والحضارى للعراق القديم ، وظهر ذلك خافتا منذ عصر فجر الأسرات السومرية، ثم أخذ فى الوضوح منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ببزوغ نجم الدولة الأكدية، وازداد هذا الدور تألقا بعد ذلك فى الدول التى أسسها الأموريون فى العراق ، وتلى ذلك الدولة البابلية، ومنذ النصف الثانى من الألف الثاني قبل الميلاد (وبخاصة فيما بين القرن الرابع عشر والثانى عشر قبل الميلاد) انتشرت القبائل الآرامية فى كثير من مناطق العراق، ودخلت فى صراع عنيف مع الأشوريين، وأنتشرت القبائل العربية منذ الألف الأول قبل الميلاد فى وادى الرافدين حيث أخذ اسم العرب يظهر فى أخبار الملوك الأشوريين وحروبهم مع بعض تلك القبائل فى بوادى الشام والعراق وشمالى الحجاز (١).

ومن ناحية أخرى ، فلقد ساعد موقع العراق على اتصال سكان هذه المنطقة منذ أقدم العصور بالأقوام والشعوب المجاورة لهم ، وتغلغلت بعض هذه الأقوام

(١) انظر فى ذلك :
- السيد عبدالعزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الاسكندرية ، ص ٤٤ - ٥٤ ، ٢٧٠ - ٢٧١ وكذلك:
- جواد علي : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، جـ ١ ، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٩٣، ص ١٦-٢٥ ، ٥٨٧ وما يليها، وكذلك :
- رضا جواد الهاشمي : العرب فى ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٢، شباط ١٩٧٨، وكذلك :
- عبدالعزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، القاهرة ١٩٩٢، وكذلك:
- عادل سيد مصطفى : عروبة العرب فى النصوص الأشورية وأسفار العهد القديم، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، العدد (٣٠) أغسطس ١٩٩٧ وكذلك :
- لطفى عبدالوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة ، بيروت، ١٩٧٩، وكذلك :
- محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، الاسكندرية ، ١٩٨٨، وكذلك :
- R. Campbell., and Others, "The Pritish Museum Excavations at Nineveh, 1931-1932", in Archaiologika analekta et Athenon (Athenes), 20, 1933.
==

فى العراق وأصبحت جزءا من نسيج تركيب السكان، كما استوطنت جماعات أخرى فى مناطق العراق الشمالية ذات الطبيعة الجبلية مثل الجوتيون ، واللولوبيون ، والميديون ، والكاشيون والحوريون .

ومن ناحية البناء الجيولوجى فيلاحظ أن أرض العراق تتركب من صخور مختلفة الأعمار، وتظهر أقدم صخور العراق في أقصي شمالها الشرقي وهي صخور نارية من الجرانيت ومتحولة من الشست والإردواز وهي تكون معظم المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء.

وكانت أراضي العراق العالية خلال العصر الكريتاسي مغطاه ببحر تيشس حيث ترسبت تكوينات كثيرة تظهر الآن في مساحات واسعة في جبال العراق في الشمال الشرقي وفي منطقة الهضبة الغربية.

ويبدو أن الثنية المقعرة الطولية التي يشغلها السهل الرسوبي الفيضي كانت آخذه في الهبوط أثناء القسم الأول من الزمن الثالث وفيها ترسبت كميات هائلة من الرواسب ترجع لمختلف عصور ذلك الزمن ظهرت أسفل الرواسب الأحدث ولا يبدو من أقدمها سوي مساحات محدودة للغاية في الجنوب في منطقة جبل سنار.

وتنتشر صخور أوائل الميوسين في شريط طويل غرب نهر الفرات، وفي هوامش الهضبة الغربية، وفي أقليم الجزيرة وجبل حمرين، وهي تتألف من صخور جيرية ومارل وعدسات من الجبس.

وفي عصر الميوسين وأوائل البلايوسين حدثت الحركات التكتونية البانية للجبال فالتوت الصخور الرسوبية التي كانت تغطي الهوامش الشمالية الشرقية للكتلة الغربية مكونة لمرتفعات شمال العراق، وقد صاحب عملية تشكيل الجبال

== J.B. Pritchard., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1969, pp. 284 - 286, 292, 297, 262, 564, 626.,

Weiss Rosmarin, Aribi und Arabien in den Babylonishch Assyrischen Quellen, JSOR, 16, 1932.

عدد كثير من الانكسارات التي انبثقت من خلالها طفوح بركانية بازلتية في شمال العراق وفي الغرب حول الحدود العراقية الأردنية، وقد استمر النشاط البركاني حتي الزمن الرابع.

ونظراً لغزارة الامطار خلال عصر البلايوستوسين فلقد تمكنت الانهار في اكتساح كميات هائلة من الحصي والرمال وأرسبتها في الحوض العراقي البحري وملأته مكونه للسهل الرسوبي وتقدر كمية الرواسب التي كانت ترد إلي الحوض سنويا حينئذ بحوالي عشرة مليارات طن، ويبلغ سمك هذه الرواسب عدة مئات من الامطار، وتظهر رواسب البلايوستوسين فوق السطح في القسم الشمالي من السهل الرسوبي وفي شمال العراق.

وتمكنت الانهار من ترسيب كميات ضخمة من الحصي والرمال والغرين في أثناء عصر الهولوسين وذلك فوق رواسب البلايوستوسين، وما زال السهل الرسوبي الفيضي ينمو صوب الجنوب علي حساب الخليج العربي بمعدل يصل إلي ٢,٢ مترا كل عام، وقد ساهم في ردم الحوض العراقي وتشكيل السهل الرسوبي نهرا دجلة والفرات وروافدهما.

ويبدو أن مياه الخليج العربي كانت حتي حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م. تمتد شمالا لتصل إلي بلده دجلة الواقعة شمال بغداد بنحو ٦٤كم، وفي العهد السومري كان يصل إلي موقع بلذة العمارة علي نهر دجلة وإلي بلدة الناصرية علي نهر الفرات، وكانت اور تقع علي ساحل الخليج حينذاك ويبدو أن تقدم دلتا شط العرب لم يكن مضطردا علي الدوام، وانما كانت تتقدم تارة وتتراجع أخري بطغيان مياه الخليج عليها، ويدل علي ذلك العثور علي كثير من مظاهر العمران المطمورة تحت مياه المناقع والأهوار وتحت مياه الخليج نفسه[1].

وفيما يتصل بمظاهر السطح فى العراق (خريطة ١)، فيلاحظ بشكل عام امتداد الجبال الإلتوائية التكوين فى الشمال والشمال الشرقى ، وهى امتداد

---

(١) جوده حسنين جوده: جغرافية أسيا الإقليمية، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص٥٦٤ - ٥٦٦.

لسلسلة الجبال التى تخترق قارة أوروبا وآسيا اعتبارا من جبال برانس فى شمال أسبانيا إلى جبال الهيملايا فى شمال الهند، ويوجد فى الغرب الامتداد الشمالى لهضبة شبه الجزيرة العربية، وهى هضبة صحراوية، وبين هاتين المنطقتين يقع سهل العراق وهو وادى دجلة والفرات ، والقسم الجنوبى من هذا السهل أرض منخفضة، أو التواء مقعر مفتوح تكون فى أحدث العصور الجيولوجية، ولا يزال فى دور التكوين (١).

وتشغل المنطقة الجبلية حوالى خمس مساحة العراق، وهي تصنع قوسا يمتد في الشمال من الغرب إلي الشرق ويمتد إلي وراء الحدود المشتركة مع سورية في الشمال الغربي وتركيا في الشمال وايران في الشرق، ويتمثل هذا القوس في سلسلة جبال سنجار، ثم ينحرف في شرق دجلة، فيصبح امتداده من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي(٢) (خريطة ١)، وتكسو الثلوج قمم الجبال الواقعة على حدود العراق مع كل من تركيا وايران ، وذلك طوال العام وترجع أهمية هذه الجبال إلى كونها المصدر الرئيسى الذى تنبع منه جميع روافد نهر دجلة وهى الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالي، وتمد هذه الروافد نهر دجلة بحوالى ٧٠٪ من مياهه ، وتجرى هذه الروافد باتجاه الانحدار العام للأراضى التى تسير فوقها أى نحو الجنوب الغربى عابرة السلاسل الجبلية بصورة عمودية (٣) ، وتوجد العديد من السهول فى هذه المنطقة الجبلية مثل سهل كركوك وسهل أربيل وسهل مخمور ، ولقد كانت هذه المنطقة هى المهد الذى تمكن فيه الانسان العراقى من انتاج أدواته وظهر فيها انتاجه الحضارى خلال العصور الحجرية القديمة .

---

(١) انظر : تقى الدباغ : «البيئة الطبيعية والأنسان» مجلد حضارة العراق، جـ ١ ، بغداد ، ١٩٨٥، ص ٢٨ وما يليها .

(٢) جودة حسنين جوده: المرجع السابق، ص٥٧٥.

(٣) تقي الدباغ: المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

فلقد أسفرت الحفائر التى أجريت فى سفوح جبال زاجروس فى المنطقة الواقعة على الحدود بين العراق وايران وقامت بها العديد من البعثات الأثرية المتتالية برعاية المعهد الشرقى بشيكاغو، حيث قام كل من R.J. Braidwood و L.S. Braid wood و B. Home ومعهم فريق من الآثاريين وعلماء الطبيعة، بالبحث فى هذه المنطقة عن آثار الانسان فى الدهور الحجرية حيث تمكنوا من الكشف عن العديد من المواقع الأثرية إلى ترجع إلى مرحلة العصر الحجرى القديم[١] .

أما الهضبة الصحراوية فى غرب العراق فهي تمثل حوالي ٦٠٪ من مساحته حيث يبلغ مساحتها حوالي ٢٧٠ ألف كيلو متر مربع ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠ - ١٠٠٠ متر[٢]. وهى من حيث التضاريس جزء من هضبة شبه الجزيرة العربية، وينحدر سطح الهضبة نحو الشرق باتجاه السهل الرسوبي لوادي الفرات وتتجه مجاري الوديان من الغرب إلي الشرق تبعا لذلك، وكميات الأمطار الساقطة على هذه المنطقة قليلة وهى فى الشمال اكثر منها فى الجنوب ، ونتج عن ذلك كثرة الوديان فى الشمال وقلتها فى الجنوب، ولقد أدى تباين الصخور والتربة والنبات الطبيعى وكميات الأمطار الساقطة إلى تقسيم هذه الهضبة إلى قسمين متمايزين وهما هضبة الجزيرة وهضبة البادية الغربية .

وفيما يتصل **بهضبة الجزيرة** ، فهى تمتد ما بين جبال مكحول - سنجار شمالا والسهل الرسوبى جنوبا ومجرى نهر الفرات والحدود السورية غربا وجبل حمرين شرقا ، والجزيرة عبارة عن سهل مرتفع أخذ شكل حوض ضحل ينحدر نحو الجنوب، ونحو الشرق والغرب، ويتكون سطح الجزيرة من أرض منبسطة تتخللها هضاب وروابى وكثبان رملية وبحيرات وأودية، وأكبر منخفضات هضبة الجزيرة،

---

(١) J. Mellaart, "The Earliest settlements in Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium B.C.", in CAH, vol. I, part I, Cambridge, 1976, p. 254.

(٢) جوده حسنين جوده: المرجع السابق، ص٥٧١.

منخفض الثرثار ، وتتمتع الجزيرة بمياه دجلة بالإضافة إلى سقوط الأمطار ، وأدت وفرة الموارد المائية بها إلى أزدهار هذه المنطقة منذ العصور الحجرية، كما كانت هذه المنطقة من مناطق الاتصال الهامة التى تربط العراق بسورية وموانىء البحر المتوسط وبلاد الأناضول .

أما هضبة البادية الغربية ، فهى تجاور نهر الفرات من الشرق وتشترك مع بادية الشام وتمتد إلى داخل شبه الجزيرة العربية ، ويتخللها عدد من الأودية التى تجرى فيها مياه الأمطار، ومن أهم المنخفضات الموجودة بها ، منخفض الحبانية ومنخفض أبو دبس، وتجرى فيها شبكة كبيرة ومعقدة من الوديان، وأمطار هذه المنطقة قليلة ، مما أدى إلى قلة المراعى بها ، مما جعل حركة السكان بها محدودة، وكانت هى المنطقة التى عبر منها العديد من الهجرات فى طريقها إلى قلب العراق .

ويشغل السهل الرسوبى الذى يمثل ثالث مظاهر السطح فى العراق حوالى خمس مساحة العراق، وهو يمتد على شكل مستطيل في اتجاه عام من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرق بين مدينة تكريت على نهر دجلة ومدينة الرمادي على الفرات من جهة الشمال، وجبال زاجروس من جهة الشرق والهضبة الصحراوية من جهة الغرب والبادية الجنوبية والخليج العربى من ناحية الجنوب، ويبلغ طوله حوالى ٦٥٠ كم وعرضه ٢٥٠ كم. ويتراوح ارتفاع السهل بين مستوي سطح البحر و ١٠٠ متر، ولا يزيد ارتفاعه في موضع بغداد، التي تبعد عن مياه الخليج مسافة ٥٥٠كم عن ٣٢ مترا، كما لا يكاد يصل ارتفاعه ٥٠ مترا عند موقع بلده الرمادي، والسهل عظيم الاستواء والانبساط، ولا يقطع هذا النسق سوي بعض التلال الصغيرة المتناثرة، والضفات النهرية القديمة التي تبدو بشكل ضلوع تلالية طويلة، وكلها تتفاوت في ارتفاعاتها، ولكن لا يزيد ارتفاعها عن ستة أمتار، وهذا مما يجعل نهر دجلة والفرات يبطئان في جريانهما عبر السهل نحو الخليج[1].

---

(١) جوده حسنين جوده: المرجع السابق، ص٥٦٧.

وترتب علي قلة درجة انحدار السهل الذي لا يزيد عن ٤ سنتميتر في الكيلو متر الواحد، تفرع نهر الفرات إلي عدد من الشطوط أهمها شط الهندية وشط الحلة، وكذلك أدي الاستواء الشديد إلي فيضان مياه النهرين علي الجانبين مغرقة مساحات واسعة تحولت إلي مستنقعات دائمة تعرف باسم «الأهوار» أهمها هو «هور الحمار» و«هور السعدية» ويقدر أن حوالي ٨٠٪ من مياه نهر دجلة تضيع في هذا الجزء الجنوبي من العراق[١].

وقد كان هذا السهل حتي عصر البلايوستوسين يمثل قسما من الخليج العربي، ثم ملأته الرواسب التي جلبتها الأنهار الكبيرة والجداول والمسيلات التي كانت تنحدر إليه من الأراضي المرتفعة التي تكتنفه.

ولقد جاء التقاء نهري دجلة والفرات واتحادهما في مجري واحد نتيجة طبيعية لعاملين هما: بطء جريانهما في السهل الجنوبي المنبسط القليل الارتفاع والانحدار، ثم رفع الرواسب التي تأتي بها المجاري المائية من كلتا الجهتين المتقابلتين: الشرق والغرب، مما الزمهما إرسال مياههما إلي الأهوار التي تشغل المنخفضات، ومنها تهبط المياه في مجري هو شط العرب، الذي تجري به المياه بطيئة إلي الخليج العربي حاملة أقل كمية من المواد العالقة البالغة الدقة[٢].

ونظراً لكون واديا دجلة والفرات شريان الحياة الرئيسى فى هذه المنطقة فلقد قام الإنسان العراقي القديم بتأليههما وعرفهما بالنهرين الأخوين [٣]، وفى أساطير الخليقة ذكر أن دجلة والفرات ينبعان من عين تيامة وهى الإلهة التى تمثل عنصر الماء المالح أى البحر.

ويقع جزء كبير من حوض دجلة والفرات وروافدهما خارج العراق ويشمل رقعة جغرافية واسعة ما بين بلاد الشام وجبال طوروس وارارات وزاجروس ، ومع

---

(١) فتحي محمد ابو عيانه: جغرافية العالم العربي، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٢٢٣ - ٢٢٤.
(٢) جوده حسنين جوده: المرجع السابق، ص٥٦٧ - ٥٦٨.
(٣) أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم ، جـ ٥ ، تاريخ العراق - ايران - أسيا الصغرى ، الاسكندرية ، ١٩٩٧، ص ٢٣ .

أن الجزء الأكبر من مجرى النهرين يقع داخل الأراضي العراقية إلا أن جزءا غير قليل منهما يتوزع ما بين تركيا وسورية.

وورد اسم دجلة في النصوص السومرية تحت اسم «ادجنا Idigna» وفي النصوص الأكدية «ادجلات» أو «ادقلات» Idiglat والتى تفيد معنى «الجارى» أو «الراوى» [(١)]، وجاء منه الاسم العربى «دجلة» ويبلغ طول نهر دجلة نحو ١٩٢٠ كم [(٢)] . وتقع منابعه فى مرتفعات تركيا الجنوبية والشرقية، وتتألف من عدة روافد تلتقى مع بعضها لتكوين المجرى الرئيسى للنهر الذى يدخل الأراضي العراقية عند بلدة فيشخابور، حيث يصب فيه أول روافده الخابور، ويمر النهر بعد ذلك فى مدينة الموصل ثم يلتقى به رافده الثانى الزاب، الكبير جنوب مدينة كالح القديمة (نمرود) التى كانت تقع عليه، إلا أنها حاليا تبعد عنه بمقدار خمسة كيلومترات، مما يشير إلى تغيير النهر لمجراه فى هذه المنطقة ناحية الغرب، ويلتقى دجلة جنوب مدينة أشور برافد آخر وهو الزاب الصغير، ثم يسير النهر ناحية الجنوب، حيث يقطع جبال حمرين، ثم يستمر فى طريقة إلى السهل الرسوبى فيمر فى تكريت ثم فى سامراء، وفى منتصف الطريق بين بلد وبغداد يتلقى به رافد آخر وهو «رافد العظيم» ، وعند مدينة بغداد يقترب نهر دجلة من نهر الفرات ، بحيث لا تتجاوز المسافة بينهما أكثر من ٣٤ كم، ولكنه ينحرف بعد ذلك ما بين بغداد والكوت باتجاه جنوبى شرقى، وفى شمال مدينة المدائن يلتقى بنهر ديالى [(٣)].

ولقد ورد اسم «الفرات» فى النصوص المسمارية بمجموعة من العلامات تنطق «بورانن Buranun» ويرادف ذلك في الأكدية «بوراتىPurati» و

---

(١) عيد مرعى : تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق . م، دمشق ، ١٩٩١، ص ١٤.

(٢) سامى مخيمر، خالد حجازى : أزمة المياه فى المنطقة العربية، الحقائق والبدائل الممكنة ، عالم المعرفة، العدد ٢٠٩ ، الكويت ، ١٩٩٦، ص ٣٣ .

(٣) تقى الدباغ : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

« بوراتوم Buratum » ومنها الصيغة العربية « فرات » وهى تعنى الرافد أو الماء العذب » [1].

ويبلغ طول نهر الفرات من منبع أطول روافده « مرادصو » وحتى التقائه بنهر دجلة حوالى ٢٩٤٠ كم ، وتبلغ مساحة حوضه حوالى ٣٨٨ ألف كيلومتر مربع [2]. وينبع نهر الفرات من السلاسل الجبلية فى شرق الأناضول، ويقطع الفرات الحدود التركية السورية عند مدينة طرابلس، وبعدها يلتقى برافده الساحور ثم يسير غربا وبعد ذلك شرقا فى مسار جنوبى حتى يدخل سهول سورية ومنطقة الجزيرة ، حيث يتصل فى هذه السهول بنهرى الباليخ والخابور، ويمر الفرات قبل دخوله الأراضى العراقية بعدة مدن منها مدينة البوكمال وبالقرب منها مدينة مارى (تل الحريرى) ، وبعد البوكمال بمسافة قليلة يدخل الفرات الأراضى العراقية عند قرية الحصيبة ، ثم يمر بعد ذلك فى مدينة عانه ، وكانت هذه المنطقة مركزا مهما للأموريين ، ويقترب الفرات من دجلة جنوبى الفلوجة بقليل، ويرتفع وادى الفرات فى هذه المنطقة على وادى دجلة بمقدار يتراوح ما بين ٧ - ١٠ أمتار، واستغلت هذه الظاهرة فى شق مشاريع الرى من الفرات إلى دجلة فى العصور القديمة ، ويصب نهر الفرات فى نهر دجلة عند كرمه على التى تقع على معبده عشرة كيلومترات شمال البصرة [3].

ومن الظواهر الطبيعية المميزة لأنهار العراق كميات الغرين الهائلة التى تنقلها من منابعها وأثناء جريانها، وأدت ترسيبات هذا الغرين فى قيعان نهرى دجلة والفرات إلى تبديل الأنهار لمجاريها فى فترات زمنية مختلفة، الأمر الذى أدى إلي هجرة المدن التى كانت قائمة على مجارى النهرين وإقامة مدن جديدة على المجارى المستحدثة ، وظهر ذلك فى السهل الرسوبى ، أما المناطق الشمالية فنظرا لكونها منطقة صخرية فلم تتغير مجارى النهرين فيها إلا قليلا.

---

(١) عيد مرعى : المرجع السابق ، ص ١٤.
(٢) سامى مخيمر ، خالد حجازى : المرجع السابق ، ص ٢٧.
(٣) تقى الدباغ : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٥٠ .

ونظراً لوقوع معظم المدن العراقية على مجارى الأنهار، فلقد استخدمت مجارى الأنهار في أغراض الملاحة ونقل السلع والبضائع التجارية والمسافرين والصيد، ومما زاد من اعتماد العراقيين القدامى على النقل النهرى فى السهل الرسوبى أن انتشار قنوات الرى وسعة الأراضى المزروعة والفيضانات الموسمية جعلت المواصلات البرية أكثر تكلفة وأقل أهمية، بينما كان النقل النهرى أيسر وأسهل وأرخص ، وتعددت وسائل النقل النهرى وأحجامها ومواد صناعتها وأساليب بنائها ، فكانت هناك سفن خاصة بنقل المسافرين وأخرى خاصة بالبضائع، كما كانت هناك قوارب خاصة بالصيد، وساهمت وسائل النقل النهرى، فى نقل البضائع بين مدن العراق، كما ساعدت على تطور العلاقات الخارجية التجارية مع مناطق الخليج العربى وسورية[1] .

وفيما يتصل بأحوال **المناخ** فى العراق القديم، فلقد كان العراق القديم أثناء العصور الجليدية أكثر رطوبة مما هو عليه الآن وذلك نظراً لسقوط الأمطار بغزارة فى فصل الصيف وكذلك الشتاء، ومن الآثار التى ترتبت على تعاقب العصور المطيرة والجافة فى العراق، وجود مدرجات الانهار القديمة ويظهر ذلك فى بعض الأودية فى شمال العراق مثل وادى سنكه سر وكذلك فى حوض نهر دجلة في منطقة سامراء - بلد .

ومنذ حوالى عشرة الآف عام استقر المناخ ولم يطرأ عليه تغييرات أساسية، فالمناخ الحالى لا يختلف كثيرا عما كان سائداً فى هذه الفترة [2]ويتميز مناخ العراق فى الوقت الحاضر بأنه من نوع مناطق الانتقال بين المناح الصحراوى الحار ومناخ حوض البحر المتوسط المعتدل، ففى المنطقة الوسطى والجنوبية تصل درجة الحرارة فى فصل الصيف إلى ما يقرب من ٥٠ درجة مئوية، ومما يزيد من حرارة

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) فؤاد سفر : «البيئة الطبيعية القديمة فى العراق» ، مجلة سومر، الجزء الأول والثانى ، المجلد الثلاثون ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٥.

المناخ جنوبا ارتفاع نسبة الرطوبة ، إلا أن الرياح الشمالية الشرقية القادمة من أعالي جبال زاجروس تلطف من حرارة المناخ (١)، أما في فصل الشتاء ، فإن درجة الحرارة لا تصل إلى درجة التجمد ويكون الجو دافئا. أما في المنطقة الشمالية ، وخصوصا الجبلية فإن درجة الحرارة تنخفض إلى ما دون التجمد لفترة طويلة من شهور السنة ، وفي فصل الصيف لا ترتفع درجة الحرارة أكثر من ٣٥ درجة مئوية . (خريطة ٢)

ويتأثر مناخ العراق بموقعه علي حافة الصحراء العربية من ناحية وعلي الاطراف الجنوبية للمنطقة المعتدلة، ويمكن تمييز فصلين واضحين وهما فصل الصيف، وفصل الشتاء، أما الخريف والربيع فهما فصلان قصيران يتراوح طول كل منهما ما بين شهر وشهرين في جنوب ووسط العراق، ويزداد طولهما في الشمال.

ويعد فصل الصيف أطول فصول السنة حيث يستمر حوالي خمسة شهور، ويلاحظ أن المدي الحراري اليومي كبير مما يجعل من السهل علي الليل تعويض السكان عن حرارة النهار، وتثير الرياح الشمالية التي يتعرض لها العراق خلال هذا الموسم في بعض الاحيان عواصف ترابية تأتي من الصحراء وخاصة بعد الظهر، أما فصل الشتاء فهو قصير يصل إلي حوالي ثلاثة شهور، وتنخفض الحرارة بصفة عامة، وان كان هناك اختلاف بين شمال العراق وجنوبه، فبينما تصل درجة الحرارة في الجنوب خلال شهر يناير حوالي ١١مْ، فإنها تصل إلي حوالي ٥مْ في الشمال في نفس الفترة، ويرجع ذلك إلي وجود المرتفعات التي تحيط بهذه المنطقة، كما أن هذه المرتفعات تغطيها الثلوج خلال فصل الشتاء. (خريطة ٣)

وتسقط الأمطار نتيجة أعاصير البحر المتوسط، التي تصل ضعيفة بعد أن

---

(١) Badawy (Alexander), Architecture in Ancient Egypt and the Near East, U.S.A, 1966, p. 75.

تكون قد مرت علي بلاد الشام وآسيا الصغري، ومن ثم تكون الرياح قد فقدت الكثير من رطوبتها[1].

وتسقط الأمطار خلال فصول الخريف والشتاء والربيع، ويبلغ أعلى متوسط للمياه فى المنطقة الشمالية الشرقية، وتقل كمية مياه الأمطار كلما اتجهنا جنوبا، ويظهر الفارق شديدا حيث تبلغ كمية الامطار فى أقصى الجنوب حوالى خمسة سنتيمترات بينما يبلغ أعلى معدل لها شمالا حوالى مائة سنتيمتر فى السنة. ويلاحظ أن كمية الأمطار الساقطة تتفاوت من عام لآخر مما يؤثر بشكل كبير على المناطق التى تعتمد فى انتاجها الزراعى على مياه الأمطار، ومن ناحية أخرى فان السهل الرسوبى الذى يكون الجزء الأكبر من الأراضى الصالحة للزراعة فى العراق لا يسقط عليه إلا كميات قليلة من الأمطار، لذلك اعتمد الانسان فى هذه المنطقة فى انتاجه الزراعى على مياه الأنهار . ومعظم أمطار العراق تسقط على شكل رخات رعدية تدوم لفترة قصيرة ، وإلى جانب الأمطار الإعصارية توجد فى العراق أمطار تصاعدية إلا أنها نادرة الحدوث، وينشأ هذا النوع من المطر بسبب تبخر الماء من سطح الأرض وصعوده إلى أعلى وتكاثفه وسقوطه على هيئة مطر فى نفس الأماكن التى تبخر منها تقريبا، ويحدث هذا النوع من المطر بشكل عام خلال فصل الربيع [2] .

وكان لمناخ العراق تأثير مباشر على الانتاج الزراعى ، فانخفاض درجة الحرارة وسقوط الصقيع فى فصل الشتاء يؤدى إلى تلف كثير من الحاصلات الزراعية، كما أن ارتفاع درجات الحرارة فى فصل الصيف يزيد من نسبة التبخر من الاشجار والنباتات مما يؤدى إلى موتها، كما يؤدى تفاوت كميات مياه الأمطار وعدم انتظام سقوطها إلى تذبذب الانتاج الزراعى فى المناطق التى تعتمد على مياه الامطار فى الزراعة .

---

(١) فتحي أبو عيانه: المرجع السابق، ص٢٢٤ - ٢٢٥.
(٢) تقى الدباغ : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢٧.

وأثر اختلاف التضاريس وأحوال المناخ والتربة على تنوع النباتات الطبيعية [1] في العراق ، وذلك منذ استقرار الأحوال المناخية بعد عصر الجليد، ويظهر هذا الاختلاف واضحا اليوم بين نباتات الصحارى القليلة ونباتات الأهوار الكثيفة، وكذلك بين غابات الجبال وحشائش السهول، ويزداد النبات كثافة كلما انتقلنا من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق حسب ازدياد كميات الأمطار والمياه.

وتنتشر النباتات الصحراوية في السهل الرسوبي والهضبة حيث تتفاوت درجات الحرارة تفاوتا كبيرا بين الصيف والشتاء وبين الليل والنهار ، كما تتفاوت الأمطار السنوية ما بين ٥ - ٢٠ سنتيمترات في السنة، ويبلغ عدد أنواع النباتات الصحراوية حوالى ٤٥٠ نوعا من مجموع أنواع نباتات العراق البالغ عددها ٢٥٠٠ نوع، ويعتمد سكان هذه المناطق على هذه النباتات في اطعام حيواناتهم ويستخدمونها كذلك كوقود ، كما أنها تحافظ على التربة من الجرف وتقلل من حدة العواصف الرملية .

ومن أهم نباتات هذه المنطقة النباتات الحولية والنباتات المعمرة، وبالنسبة للنباتات الحولية فهي تمثل حوالي ٧٥٪ من مجموع نباتات العراق الصحراوية وأهم أنواعها: الصمعة، الخباز، الفصفصه، الحلبه، البابونيك البري، الشعير البري، الخردل، وأما النبات المعمر، فهو نبات دائم تأقلم بظروف البيئة وتمكن من الاحتفاظ بنموه بصفة مستمرة، وأهم أنواعه: الاثل، الغضا، الرمث، الشيح، الكبه، السندر، الشوك، الطلح والسنط[2].

وتعتبر الحشائش والنباتات البصلية والشوكية من أكثر نباتات المنطقة شبه الجبلية التى لا يوجد حد فاصل واضح بينها وبين المنطقة الصحراوية وتعتبر هذه المنطقة السهوبية مهمة جدا لرعى الحيوانات لاحتوائها على حشائش ملائمة لغذائها . وتشغل هذه المنطقة نحو ١٥٪ من مساحة العراق، وهي تتوزع

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٦.
(٢) جوده حسنين جوده: المرجع السابق، ص٥٨٥ - ٥٨٦.

في نطاق التلال والجبال الواطئة، وكانت في الماضي اكثر اخضرارا وغني، ولكن الرعي المفرط، والزراعة غير المناسبة قد اضرتا بالاقليم نباتيا، كما تسببا في جرف التربة(١).

وتوجد منطقة الغابات فى أقصى شمال وشمال شرق العراق ضمن حدود المنطقة الجبلية العالية التى تتمتع بمناخ البحر المتوسط ، وتكون النباتات اكثر كثافة في السفوح الشمالية الشرقية، ومعظم غابات العراق من اشجار البلوط الذي يمثل نحو ٩٦٪، والقليل جدا منها من أشجار الصنوبر الذي يمثل نحو٤٪.

أما منطقة الأهوار ، فهى تتميز بكثافة نباتاتها وتعدد أنواعها، وأهم نباتاتها وأوسعها انتشاراً وأكثرها فائدة القصب والبردى، ويوجد القصب على شكل غابات صغيرة تؤلف جزرا فى وسط الأهوار ويصل ارتفاع القصب إلى ٢٤ قدما والبردى إلى ثمانية أقدام، ويستعمل سكان هذه المنطقة القصب والبردى لبناء منازلهم وكذلك للوقود ، وتستخدم سيقان القصب الغليظة في تسيير القوارب في الأهوار، كما يستخدم القصب فى صناعة الحصر وكذلك علفا للمواشى، أما البردى، فإنه يستخدم علفا للمواشى ، كما يأكل أهل الهور جذور البردى فى بدء نموه ويجمعون من رؤوسه المتفتحه خلال موسم الربيع مادة صفراء اللون تشبه الطحين يصنعون منها الحلوى .

وفيما يتصل بالمحاصيل الزراعية فلقد كان الشعير والقمح من أقدم النباتات التى تم زراعتها على شواطىء الأنهار، وكانوا يزرعون أيضا الدخن (الذرة البيضاء) ، واهتموا اهتماما كبيرا بزراعة السمسم وذلك لحاجتهم إلى زيته الجيد وإلى شراب كانوا يستخرجونه منه، وعرفوا العنب الذى إستخرجوا منه النبيذ واستخدموه كزبيب. أما شجر التين والرمان فلقد ورد فى النصوص السابقة على عصر سرجون ، وبعد ذلك أشار الملك «جوديا» ثانى ملوك اسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق.م) بأن ثمرهما خليقا بأن يقدم إلى الآلهة(٢). وكانوا يزرعون فى الحدائق البصل والخيار وكثيرا من النباتات الأخرى التى لم

(١) نفس المرجع السابق، ص٥٨٦ - ٥٨٧.

(٢) F. Thureau - dangien, Les Inscriptions de Sumer et d' Akkad, 1905, p. 123.

تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق. ولقد كانت أشجار النخيل من أهم مصادر الثروة الزراعية، فهى كانت تكفى لسد معظم حاجات السكان ، فلقد أتخذوا منها نوعا من الخبز ، واستخرجوا منه النبيذ والخل والعسل، كما استخدمت فى صناعة بعض أنواع النسيج، واستخدم نوى البلح غذاء للمواشى[1] .

واستأنس الانسان العراقى القديم العديد من الحيوانات مثل الأبقار والثيران والأغنام والماعز والحمير والخنايز والكلاب والدواجن، كما عرفوا تربية النحل وذلك فى الوادى الأسفل للفرات[2].

ويتضح من العرض السابق للأحوال البيئية فى العراق، أنها تتميز بعدم الانتظام ، ووجود نوع من العنف فى بعض مظاهرها ، فنهرا دجلة والفرات وإن كانا قد حققا للإنسان العراقى قدراً كبيراً من الاستقرار المعيشى مكنه من صنع حضارته فى عصور مبكرة لا تبعد كثيرا عن العصور التى نضجت فيها الحضارة المصرية، الا أنهما فى الوقت ذاته قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام، فيحطمان السدود ويغرقان الأرض، وقد يفيضان في غير أوقات الحاجة الملحة إليهما مثل مواسم الحصاد أو أوائل الصيف .

وإذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم، إلا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائما، وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما فى اجزائهما العليا وبطء جريانهما وكثرة مستنقعاتهما في أجزائهما الدنيا، وبالاضافة إلى فيضانات دجلة والفرات، فالأمطار - كما أشرنا - رعدية تحول الأرض إلى بحر من الطين يسلب الانسان حرية الحركة .

وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادى واسعه فقيرة فى مواردها الطبيعية من المعادن والأحجار ، وسببت هذه الصحراوات والبوادى للانسان العراقى القديم الكثير من المتاعب والمشاكل ، إلا أنها فى الوقت ذاته لم

---

(١) ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، ومراجعة عبدالمنعم ابو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص١٩.
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

تكن شرا كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل فى قيام أسواق تجارية على أطرافها ، كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت فى ضم شملهم وتوسيع حدودهم ، كما فعل الاكديون الساميون، وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

واذا كانت المرتفعات الشمالية، والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الأولية وبخاصة الأحجار، إلا أنها فى الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لأهل العراق، إذ كثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة، وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتابنيين ، وغيرهم .

وأدت هذه الظواهر البيئية التى يغلب عليها المتاعب والمشاكل إزاء المنافع إلى التحكم فى إرادة الإنسان ودفعته إلى الشعور بضآلته تجاهها، كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر[1] .

وأدى عدم استقرار الأحوال البيئية إلى شعور الانسان العراقى القديم بعدم الأمان والاطمئنان على مستقبله، وظهر ذلك فى انتشار نصوص التشاؤم والنغمة التشاؤمية فى آدبه وظهر ذلك واضحا فى نصوص الفأل .

وساعدت طبيعة العراق القديم على الانفصال وتدعيم النزعات اللامركزية فظهرت المستوطنات الصغيرة فى الأزمنة المبكرة فى السهل الواسع، وظلت هذه المستوطنات وحدات منعزلة، كل منها محاط بشبكات المياه سواء كانت خاصة بالرى أو الصرف ، ويفصل هذه المستوطنات كل عن الأخرى مستنقعات المياه أو الصحراء، إلا أنه نتيجة لزيادة الترسيبات وازدياد عدد السكان وتمكن الانسان من التحكم فى مجارى المياه بانشاء شبكات للرى والصرف، كل ذلك أدى إلى تجاور المستوطنات (خريطة ٤، ٥) مما أدى إلى نشوب الحروب بينها على أقل الأسباب[2].

---

(١) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٩ - ١١ ، وكذلك :
- أحمد أمين سليم : القيم الاخلاقية والسلوكية فى العراق القديم، بيروت ، ١٩٨٤، ص ٩-١١.

(٢) JAOS, Vol, 89, no. 2, (1969) pp. 392 - 398.

وانعكس عنف البيئة العراقية على الفكر الديني للإنسان العراقي القديم، فاتجه الانسان نحو القوى الكونية المؤثرة في حياته وانتاجه الزراعي ، كما ظهر هذا العنف البيئي واضحا في قصص الخلق والتكوين العراقية والتي تتميز بالصراع العنيف، وظهر أيضا في صراع الأبطال الأسطوريين مع الآلهة أو مخلوقاتها مثل صراع «جلجامش» و «انكيدو» مع «هواو» ثور السماء الذي خلقه الإله آنو وانزله من السماء استجابة لطلب المعبودة عشتار للإنتقام من جلجامش»[1] .

وأرجع الإنسان العراقي القديم ظاهرة الطوفانات التي كانت كثيرة الحدوث نتيجة فيضانات نهري دجلة والفرات إلى غضب الآلهه، وعلى وجه الخصوص الإله انليل ، من البشر ، وعلى ذلك فلقد عمل القوم دوما على محاولة ارضاء الألهة خوفا من غضبها وبطشها.

ويذكر أستاذنا العالم الجليل الاستاذ الدكتور رشيد الناضوري[2] - يرحمه الله ويتغمده برحمته - أن الفكر الديني في العراق القديم خلال عصور ما قبل الأسرات وهي المتضمنة لحضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر كان ذا نمط معين اختلف اختلافا كليا عن الفكر الديني في المناطق الأخرى المعاصرة له، حيث اعتمد الفكر الديني في العراق على المقومات البيئية والبشرية الخاصة والمميزة له، والتي تتميز بعدم الانتظام، فنهري دجلة والفرات وروافدهما غير موحدة التوقيت بالنسبة لفيضانهما، ويتعرض جنوب العراق إلى زوابع تثير عدم الاستقرار البيئي بالإضافة الى تعرضه لتقدم مياه الخليج العربي نحو الشمال مما يهدد أمن وحياة الانسان القاطن في القرى المقامة على ضفاف المجاري المائية، ومن ناحية ثالثة فلقد كان الجنوب معرضا لتسلل وهجرات وغزوات العناصر

---

(١) S.N. Kramer, "The Sumerian Deluge Myth", in Anatolian Studies, no. 33 (1993), pp. 115 - 121.

(٢) رشيد الناضوري : المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكرالديني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩، ص ٤٦ - ٤٨.

السومرية والسامية والعيلامية مما أدى إلى عدم تواجد وحدة سياسية مبكرة فى تلك الفترة .

ويذكر الأستاذ الدكتور رشيد الناضورى أن هذه العوامل البيئية قد أثرت على نوعية الفكر الدينى العراقى القديم، فبينما اتجه الانسان المصرى القديم إلى عقيدة الخلود للإنسان والآلهة، فقد كرس الانسان العراقى القديم تلك الصفة على الآلهة فقط، لأنه لم يكن من اليسير على الانسان العراقى القديم غير المطمئن على حاضره ومستقبله بسبب عدم انتظام بيئته المحيطة به أن يؤمن بالخلود والأبدية بل ترك ذلك للآلهة فقط، ويشير أ.د. الناضورى إلى أن ذلك قد انعكس على المخلفات الأثرية حيث لم يوجه الانسان العراقى القديم اهتماما بالمقابر بل وجه اهتمامه لمنازل الآلهة ، أى المعابد، التى اعتقد انها تستطيع توفير الأمن والطمأنينة له، إلا أن اهتمامه بالمعابد لم يمنعه من بناء المقابر لإيواء جثث الموتى[1].

أما عن موقف الأنسان العراقى القديم من الظواهر البيئية المحيطة به، فيذكر ثوركلد جاكوبسن[2] أن الانسان البدائى قد نظر إلى الدنيا على أنها عارمة بالحياة، وأن جميع الظواهر البيئية المحيطة به تموج بالحياه ولكل منها ارادتها الخاصة وشخصيتها المحددة، فكان على الانسان إذا أراد فهم الطبيعة، أى فهم الظواهر العديدة المتباينة حوله ، أن يفهم الشخصيات الكامنة في هذه الظواهر، وأن يعرف طبائعها واتجاه ارادتها ومدى قواها ، وذلك أشبه بفهم الناس الآخرين ومعرفة طبائعهم وارادتهم ومدى قوتهم ونفوذهم ، ويتضح ذلك فيما قام به الانسان البابلى من تطبيق تجربته للمجتمع الانسان على الطبيعة .

ومن الأمثلة التى توضح القوى الكامنة فى بعض الظواهر البيئية المحيطة به، نظرته إلى القصب الذى يملأ أهوار العراق والذى استخدمه الإنسان العراقى

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢)- T. Jacobsen, in Before Philosophy, Pelican Books, 1949, pp. 142 - 148

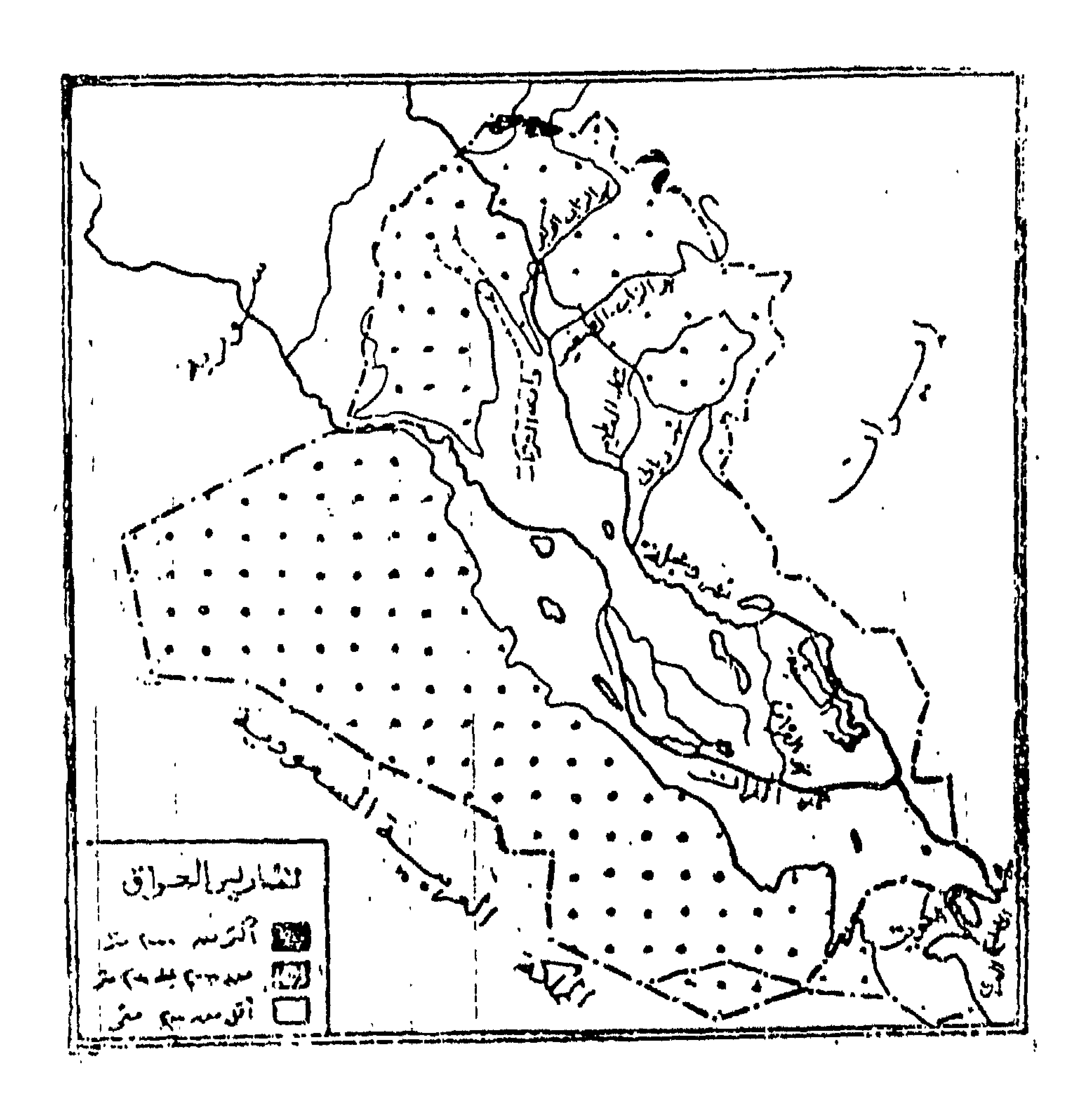
القديم فى العديد من مظاهر حياته، فقد عبر عنه فى شخصية إلهية هى الإلهة «نيدابه» التى صورت فى شكل انسانى تنمو الاقصاب من كتفيها، أى أنها متحدة بها جسديا، وتستمد حياتها منها مباشرة .

ونظر الإنسان العراقى القديم إلى الملح على أنه كائن حى يلجأ إليه إذا وقع ضحية للسحر، وهو هنا يخاطب الملح قائلا له :

أيها الملح ، يا من خلقت فى مكان نظيف ،
طعاما للآلهة ، جعلك «انليل»
بدونك لا تمد مائدة في «ايكور»
بدونك لا ينشق إله أو ملك أو سيد أو أمير البخور
أنا فلان بن فلان
وقعت فيه فريسة للحمى
أيها الملح ، حل العقدة عنى ،
ارفع السحر عنى ! يا خالقى
أرفع المجد والتسبيح لك[1] .

وتأثر سكان العراق القديم بالكون المحيط بهم أيضا فى الفؤول الخاصة بالصعود إلى السماء والنزول إلى العالم الآخر الكائن تحت الأرض من وجهة نظرهم، وعلى أساس ذلك ظهر علم التنجيم القائم على أساس ملاحظة الشمس والقمر والنجوم والكواكب التى تظهر للمنجم أثناء الليل ، وما يحدث لهذه النجوم والكواكب من تغيرات، وعلاقتها مع بعضها ، ويرتبط ذلك أيضا بملاحظة حركة الرياح والسحب والأعاصير وغيرها من الظواهر الطبيعية المؤثرة فى حياة الانسان .

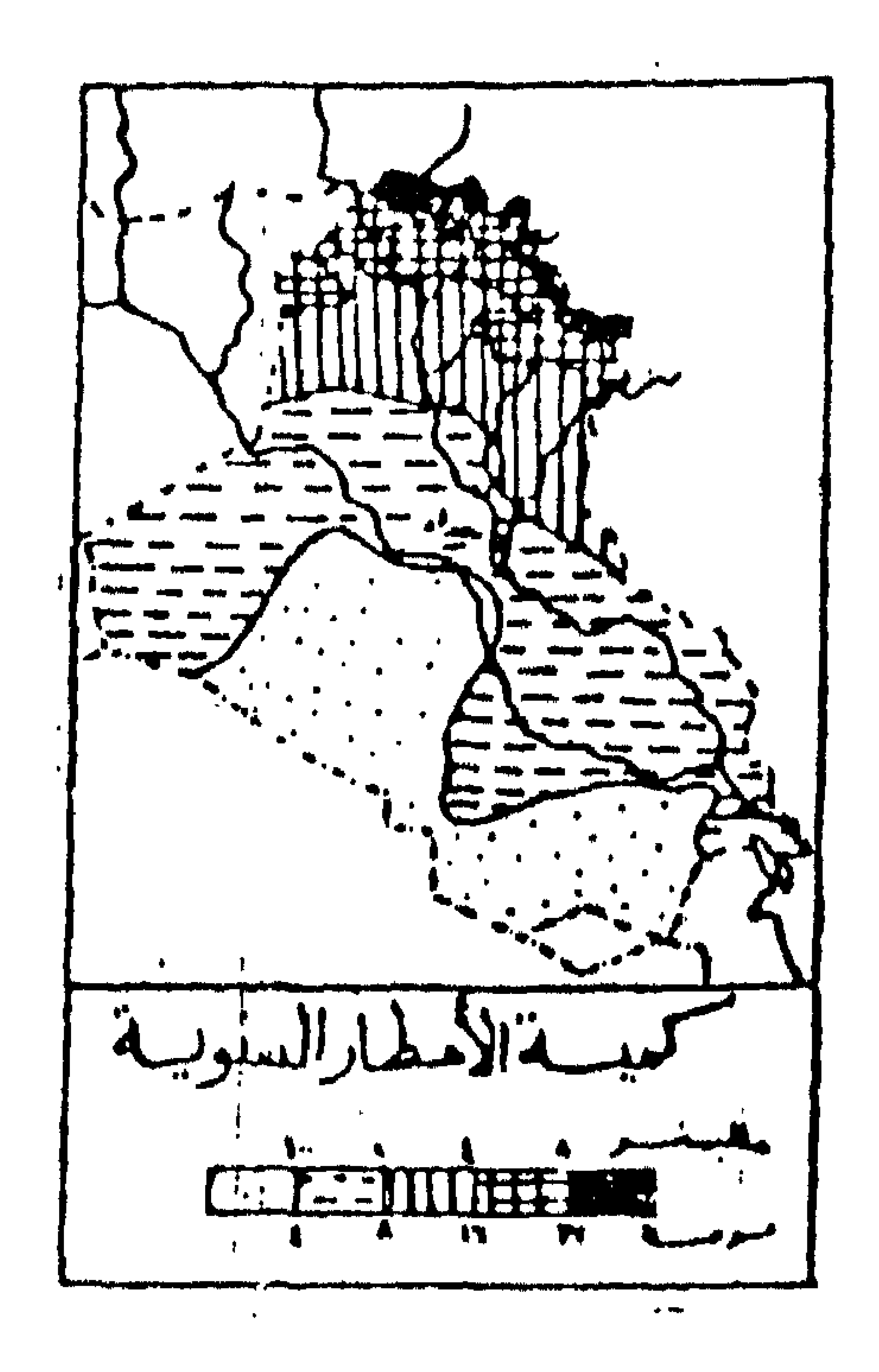
(١) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، تعريب السيد يعقوب بكر، بيروت ، ١٩٨٦، ص ٧٩ .



خريطة (١) تضاريس العراق



(خريطة ٢) الأقاليم المناخية في العراق



(خريطة ٣) كمية الأمطار السنوية في العراق

كركيش
تل حلف
تل الخويرة
الموصل
تل حسونة
نمرود (كالح)
نينوى
دور شروكين
الزاب الأعلى
دجلة
جرمو
الزاب الأسفل
نوزي
آشور
الحضر
الفرات
حلب
إيبلا
أوغاريت
قادش
ماري
سامراء
تل الصوان
ديالى
أشنونة
خفاجي
بغداد
جمدة نصر
كيش
بابل
إيسن
نفر
لجش
لارسا
أوروك " الوركاء "
أور
العبيد
أريدو
شط العرب
الخليج العربي
سوسة
صيدون
صور
دمشق
مجدو
السامرة
القدس
بحر الملح " البحر الميت "
البحر المتوسط
مصر السفلى
ممفيس
النيل
سيناء

(خريطة ٤) المدن الأولى في العراق القديم



(خريطة ٥) المواقع الاثرية بالعراق

الفصل الثانى
الحياة الاجتماعية

تمثل الاسرة أساس البناء الإجتماعي للمجتمع، وتعبر القيم والعادات والتقاليد والمثل الخلقية والسلوكية التي تسود الأسرة عن طبيعة الحياة الاجتماعية لأي مجتمع من المجتمعات، والتي على أساسها تتشكل مفاهيم هذا المجتمع وعلاقة أفراده بعضهم ببعض وكذلك علاقتهم بالمجتمعات الأخري المحيطة بهم أو البعيدة عنهم.

ونظراً لأهمية البناء الاجتماعي للأسرة، فقد اهتمت القوانين والإصلاحات الإجتماعية والفكر الديني بوضع الضوابط والقواعد لأشكال العلاقة التي تربط بين أفراد الأسرة، وذلك نظراً لأهمية قيام العلاقات بين أفراد الأسرة على أسس سليمة، لأنه على أساس هذه العلاقات تتطور العلاقات الاجتماعية في المجتمع بأسره في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والفكرية وغيرها، ولقد عبر أدب الحكم والنصائح عن الأحوال الإجتماعية التي سادت المجتمع العراقي القديم بشكل واضح وفي جميع المجالات.

وسنقوم فيما يلي بدراسة الحياة الإجتماعية في العراق القديم، ونبدأ الحياة الإجتماعية بدراسة الأسرة، وتبدأ أولي مراحل تكوين الأسرة بالزواج.

١- الزواج

اهتمت القوانين والشرائع العراقية القديمة بتنظيم العلاقات الأسرية وأولت هذا الموضوع أهمية كبيرة، وذلك نظراً لتعدد أشكال العلاقات الأسرية، فهي روابط إجتماعية واقتصادية تنشأ بسبب بناء الأسرة وتكوينها، وينسحب أثرها علي المستقبل، وتنتقل بتأثيرها إلي عدد من الأسر من ذوي أصحاب العلاقة المباشرة وهما الزوج والزوجة، وتبدأ هذه العلاقة بالشروع في الزواج وقيام العلاقة الزوجية وتستمر بعد ذلك سواء إلي حدوث وفاة أحد الطرفين أو حدوث خلافات زوجية وأنتهاء هذه العلاقة بالطلاق.

ويتمثل الركنان الأساسيان في بناء الأسرة في الرجل والمرأة اللذين يصبحان بعد تسجيل اتفاقهما علي الزواج في عقد قانوني، زوجا وزوجه،

وتضمن هذه النقطة الجوهرية للمرأة مجموعة من الحقوق الاجتماعية كزوجة وكأم، وكعضو فاعل ومؤثر في المجتمع، ويؤكد هذا الإدراك السليم للعلاقات الزوجية، أن الإنسان العراقي القديم قد أدرك اهمية الزواج في بناء الخلية الاجتماعية الصغيرة المتمثلة أساسا بالزوجين وما ينجم عنهما من أبناء، لذلك كان إنجاب الأولاد وتربيتهم وتنشأتهم وتزويجهم بعد بلوغ سن الزواج من المهام التي لم يهملها المشرع العراقي القديم، والتي كانت ولا تزال من مسئولية الأبوين الرئيسية[1].

ونظراً لأهمية الزواج في نظر المجتمع العراقي القديم، وحرص المجتمع علي قيام هذه الرابطة، فلقد عبر أدب الحكم والنصائح في العراق القديم عن رفض المجتمع للشخص الذي يرفض الزواج سواء كان رجلا أو امرأة ومن هذه الحكم ما عبر عنه الحكيم السومري عن الشخص العزب الذي لا يرغب في الزواج عزوفا أو خوفا من المسئوليات الأسرية بقوله:

«إن الذى ليس له زوجه أو ولد لا تحتمل أنفه القيد»[2].

وعلي الرغم من أن هذه الحكمة يبدو منها أنها توجه النقد للشخص العزب، إلا أن الكناية الواردة فيها تثير تناقضا ملحوظا في الهدف منها، فقد شبهت الشخص المتزوج بالأسير المشدود وثاقه، وكأن المسئوليات الأسرية من وجهة نظره كالأغلال التي يرسف فيها المتزوج، ولا يستطيع أن يتحملها العزب، إلا أنها في الوقت ذاته تثير نوعا آخر من المقارنة بين الشخص المتزوج الذي يستطيع أن يتحمل المسئوليات الأسرية ويقوم بها، وبين ذلك الشخص العزب الذي لا تمكنه إمكاناته الشخصية والإقتصادية من الوفاء بالإلتزام بالمسئوليات الأسرية.

---

(١) رضا جواد الهاشمي: «القانون والأحوال الشخصية»، مجلد حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٧.

(٢) E.I. Gordon, Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylavania, Philadelphia, 4, 1959, p. 120 (1.153).

ولقد ترجم صمويل كريمر هذا المثل علي النحو الآتي:

«من لم يعل زوجة أو طفلا فقد سلم أنفه من حمل المقود» .

ورأي أنه تعبير سالب عن أن الزواج عند السومرية لم يكن بالعبء الخفيف، وأن الإشارة هنا إلي المقود الذي يربط بأنوف الأسري[١]، وهذا يؤكد الرأي السابق من أعباء الزواج الملقاة علي عاتق الزوج.

ووجه الأدب الأكدي النقد الشديد للشخص العزب، ومما جاء في ذلك:

«ان الشخص الذى لا يعول زوجة، ولا يعول ابنا، إنه شخص لا يؤتمن، ذلك الذى لا يعول نفسه»(٢).

وبذلك فقد وصمت النسخة الأكدية الشخص الذي لا يرغب في الزواج وتكوين أسرة بأنه إنسان لا يمكن الثقة به والاعتماد عليه، لأنه شخص غير جدير وغير كفء لتحمل المسئولية.

أما المرأة غير المتزوجة، فقد اعتبرت كالحقل غير المزروع، وبالتالي تنعدم الاستفادة منها، ولقد وردت حكمة بهذا المعني في خطاب وبعدي حاكم جبيل وذلك في الفترة من ١٤٠٠ - ١٣٦٠ق.م وذلك علي النحو الآتي:

«إن المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع»(٣).

كما ورد في مجموعة الأمثال الآشورية، مثل يشير إلي أن المرأة غير المتزوجة مثل المنزل الذي لا صاحب له:

---

(١) صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ومراجعة وتقديم أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٢١.

(٢) وردت هذه الحكمة في اللوحة رقم G.K. 8338. ومما هو جدير بالذكر أن هذا النص الأكدي قد أعيد ترميمه اعتمادا علي ما ورد في النص السومري لهذه الحكمة انظر:

R.D, Biggs "Akkadian Didactic and Wisdom literature" in J.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the old testament, Princeton University Press, 1969, p. 594.

(٣) E.F. Pfeiffer, "Akkadian Proverbs and Counsels" in J.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, p. 426

«المنزل بدون صاحب، كالمرأة من غير زوج»[١].

ويستدل مما تبقي لنا من أدب الحكم والنصائح في العراق القديم أنه رغم أن العادة قد جرت أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه، إلا أنه كان للفتي نوع من حرية اختيار زوجه، حيث خاطب الحكيم السومري الفتي قائلا له:

«تزوج امرأتك طبقا لاختيارك، وأنجب طفلا حسب رغبات قلبك»[٢]

كما جاءت حكمة سومرية في أسطورة زواج المعبود الأموري «مارتو»[٣] تشير إلي هذه الفكرة ذاتها، وتقع أحداث هذه الأسطورة حينما كانت تعيش هذه القبائل الأمورية السامية إلي الغرب والجنوب الغربي من سومر، وجرت احداث هذه القصة في مدينة نيناب التي اعتبرتها الأسطورة مدينة المدن وبلدة الإمارة، ولكن لم يتم تحديد موقعها في بلاد النهرين حتي الآن[٤]. وورد في هذه الأسطورة رغبة الإله «مارتو» في الزواج، وطلبه من أمه أن تختار له زوجه، وجاء في ذلك:

«قال (مارتو) لأمه
وهو يدخل الدار
فى مدينتى، جعل أصدقائى لأنفسهم أزواجا
وجيرانى جعلوا لأنفسهم أزواجا
وفى مدينتى (أنا وحدى) من بين أصدقائى، لا زوجة لى»

---

(١) اللوحة الرابعة من مجموعة الأمثال الأشورية، اللوحة رقم K.8206، الحكم من ٢٠ - ٢١، انظر:
W. Lambert, Babylonian Wisdon literature, london, 1960, p. 232.
(٢) E.I, Gardon, op. cit, p. 114 (1.146).
(٣) توجد هذه الاسطورة في مجموعة ألواح (نفر) المرجودة في متحف الجامعة في بغداد، ولقد سجلت علي لوح واحد، انظر:
صموئيل نوح كريمر: الاساطير السومرية، دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١، ص١٥٠ - ١٥١.
(٤) أحمد أمين سليم: الأسرة في العراق القديم، دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٣-٢٤.

ليس لى زوجه، ليس لى أولاد،

وتنتهي القصيدة بالبيتين التاليين:

يا أماه خذى لى زوجه

وسأقدم لك هديتى[1]

ولكن رد أمه عليه كان بنصيحته أن يختار هو بنفسه شريكة حياته، حيث أجابته قائلة:

«ابحث لنفسك عن زوجة طبقا لرغبتك»

وتستمر الأسطورة، فتتذكر أنه في أحد الأيام، اقيم احتفال ضخم في مدينة نيناب حضره «نمشدا» الإله الحارس لمدينة «كازالو» التي تقع إلي الشمال الشرقي من سومر، ومعه زوجته وابنته، وفي اثناء الاحتفال قام «مارتو» بأعمال بطولية جلبت السرور لـ «نمشدا» الذي قدم مكافأة لـ «مارتو» من اللازورد والفضة، إلا أن «مارتو» رفض هذه المكافأة وطلب بدلها الزواج من ابنته، فوافق «نمشدا» وكذلك ابنته علي هذا الطلب بسرور، علي الرغم من محاولة أحد أقربائها الحط من شأن «مارتو» وإظهاره بمظهر إنسان متوحش، يسكن الخيام ويأكل لحما غير مطبوخ، ولا يجد له مثوي حين يموت»[2].

ويتضح من دراسة هذه الأسطورة أنها قد أبرزت حرية اختيار الفتي لزوجه، كما أبرزت أيضا موافقة الابنة علي الزواج.

ويبدو أن المجتمع العراقي القديم قد سمح للفتاة بنوع من الحرية في اختيار زوجها، ويتضح ذلك فيما ورد في مجموعة من الحكم السومرية المرتبطة ببعضها والتي يمكن اعتبارها أنها تمثل حوارا بين شاب واخته حول نوعية الرجل الذي ترغب في الزواج منه، ومهمة الاخ هو أن يجد الزوج الملائم لأخته، ويبدو من

---

(١) صمويل نوح كريمر، المرجع السابق، ص. ١٥٠ - ١٥١.

(٢) S.N. Kramer, The Sumerians, Their History, Culture and Character, chicago, 1963, p. 164.

الحوار أن الأخ والأخت ينتميان إلي طبقة فقيرة من المجتمع، وهي طبقة الصيادين، ويلاحظ من هذا الحوار، أن الفتاة تشترط فيمن يكون زوجها أن يعيش كما تعيش هي، ويعمل كما تعمل هي، مما يشير إلي نوع من حرية الاختيار المكفول للفتاة في اختيار زوجها، ومما جاء فيها:

«(الأخ) لأخته: ألا يستطيع أخوك أن يختار لك؟
(الأخت): ما الذى يمكن أن يختاره
(الأخ): إنسان مثلى تماما، مثل أخوك
(الأخت): دعه (ذلك الشخص) يعيش كما اعيش، يعمل مثلما اعمل...
الاعشاب (؟) فى الهواء ... دعه يأكل الزيت فى الندى»[1].

وتوضح احدي النصوص السومرية محاولة الإله «أوتو» (إله الشمس»[2] إقناع اخته الإلهه «إنا نا»[3] بقبول الزواج من الراعي الإله «دموزي»[4]، وجاء في ذلك:

«أخوها البطل «اوتو» المحارب»

---

(١) T. Jacobsen, in E.I. Gordon, Sumerian Proverbs Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotmia, pp. 467 - 468 (1.148 - 1.150).

(٢) سماه السومريون «أوتو» ويعني «الضوء والنور واليوم»، وأطلق عليه الأكديون «شمش» والعبرانيون «شمش» والفينيقيون «شفش» والعرب «شمس» انظر:
أحمد أمين سليم: دراسات في حضارة الشرق الأدني القديم، العراق وايران، طبعة أولي، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص٢١٥ - ٢١٦.

(٣) أطلق عليها السومريون كذلك «أنينا» أو «انيني» أو «نيني» ويعني الاسم «سيدة السماء» وعرفها الساميون في أكد تحت اسم «عشتار» وينطق في الاشورية «استار» وتقابل «عشتارت» و«عشتورة»، انظر:
نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدني القديم، جـ٦، حضارة العراق القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٣٠.
ولقد اعتبرت في الفكر الديني السومري إلهة الحب والخصوبة، انظر:
رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٥٦.

(٤) أحد الأبطال الاسطوريين الذين ألهوا في العراق القديم، وظهر اسمه في قائمة ملوك الأسرة الأولي في الوركاء. أنظر:
L.Delaport, Mesopotamia, The Babylonian and Assyrian Civilization. London, 1925, p. 142.

قال «لإنانا» الطاهرة:
يا أختاه دعى الراعى يتزوجك،
يا «انانا» العذراء، علام أنت راغبة عنه؟
إن زيده طيب لذيذ، ولبنه حلو المذاق
وأى شئ مسته يد الراعى صار زاهيا
يا «انانا» دعى الراعى «دموزى» يتزوجك،
أنت يا من تتحلين بالجواهر، علام عزوفك؟
ستشاركيه فى أكل زيده الطيب،
فيا حامية الملك لماذا أنت غير راضية؟»(١)

وتوضح بعض الأمثال الأشورية نفس الاتجاه، وهو وجود نوع من الاختيار لدي الفتي أو الفتاة، حيث جاء في إحداها:

«إن قلبى حكيم، ومشاعرى سلوك، وكبدى ذو جلال ووقار، لا تتحدث شفتاى إلا بالأشياء الجميلة، فمن الذى سيكون زوجى المختار»(٢).

ويمكن أن يكون المتحدث هنا رجلا أو امرأة، وهي تشير علي أية حال إلي نوع من الحرية في اختيار الزوج أو الزوجة.

ومن الأمثال الاشورية ايضا التي تشير إلي مفاضلة الفتاة بين من يتقدمون للزواج منها:

«من المقتر؟ من الموسر؟ الذى أصون له نفسى»(٣).

ويمكن القول بأن هذا المثل يشير إلي حرية الفتاة في اختيار زوجها

---

(١) صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر ومراجعة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) ورد هذا المثل في لوحة أمثال أشورية تحمل رقم VAT 10251. انظر:
W.G. Lambert, op. cit, p. 230 (11.13 - 18).

(٣) Ibid., p. 230 (11.19 - 20)

وتفضيلها بين الرجل البخيل الشحيح والغني الميسور.

ويطبيعة الحال فإنه إذا كان هناك نوع من حرية الإختيار في اختيار الزوج، فإنه كان هناك قدر من العواطف المتبادلة بين الفتي والفتاة قبل الزواج، ولقد عبرت بعض الحكم السومرية عن تودد الفتي لفتاته قبل الزواج، مظهرا لها أنه أكثر اهتماما بها وحرصا علي تحقيق مصلحتها والرفاهة له اكثر من أخيها، وجاء في ذلك:

«أيها العذراء، لم يعطك أخوك الأفضلية

فلمن يجب أن تعطى الافضلية ؟»(١) .

ويبدو منها أنها شكوي من المحب لفتاته، مشيرا لها أنه هو الذي يبحث عن مصالحها وليس أخوها، وإنه هو الجدير بأن تمنحه ثقتها.

ويواصل الفتي تودده إلي فتاته قائلا:

«أيها العذراء، هل أخوك مثلي ؟

هل تركك أخوك تعيشين حياتك الخاصة كما تركتك أنا ؟»(٢) .

ويوجد العديد من من الأدلة الأدبية التي تشير إلي وجود عواطف متبادلة بين الفتي والفتاة قبل الزواج، ومن أقدم ما وصلنا من شعر الغزل قصيدة سومرية يمكن عنونتها «الحب يجد الطريق» أو «الأم المخدوعة»(٣) وتدور حول الإلهة إنانا (عشتار) سيدة السماء والإله دموزي (تموز)، وفيها تذكر إنانا أنها حينما كانت ترقص وتغني حول السماء قابلت دموزي الذي أخذ بيدها وعانقها، إلا أنها طلبت منه أن يتركها، لأنه لا تعرف بماذا تخبر أمها عن سبب تأخيرها، فدير

---

(١) E.I. Gordon, op. cit, p. 116 (1.148).

(٢) Ibid., p. 116 (1.148).

(٣) تتألف هذه القصيدة من نحو ثمانية وأربعين بيتا، وتوجد اللوحة المسجل عليها هذه القصيدة في مجموعة Hilprect الموجودة في جامعة Friedrich- Sehiller University of Jena، انظر: S.N. Kramer, op. cit., p. 250 f.

دموزي حيلة، وهي أن تذكر لأمها أنها كانت مع أحدي صديقاتها، وتنتهي القصيدة بذهاب دموزي إلي منزل إنانا وطلبه من أمها الزواج منها[1]. ومما جاء في ذلك:

«فى الليلة الماضية، فيما كنت أنا، الملكة، أشع ضياء،
فى الليلة الماضية، فيما كنت أنا، ملكة السماء، أشع ضياء،
كنت أشع ضياء، كنت أرقص طربا،
كنت أترنم بأنشودة على اقتراب الضوء الساطع،
التقى بى، التقى بى،
الرب كولى - أنا التقى بى،
الرب وضع يده فى يدى، ...
«تعال الآن، أيها النور البرى، خلصنى،
يجب أن أذهب إلى البيت،
كولى - انليل، خلصنى، يجب أن أذهب إلى البيت،
ماذا عساى أن أقول لكى أخادع أمى، ننجال،

ولكن «دموزي» أخبر «إنانا» بحيلة تحتال بها علي أمها رغم أنها معروفة بالمكر والخداع، ولكن يبدو أنها كانت سعيدة بأن تأتي هذه الحيلة من حبيبها، فقال لها:

«فلأخبرك، فلأخبرك،
أى إينانا، يا أكثر النساء خداعا، فلأخبرك،
قولى إن صديقتى اصطحبتنى معها إلى الساحة العامة،
حيث سلتنى بالموسيقى والرقص،
وغنت لى أغنياتها الحلوه،
فى الابتهاج الحلو قتلت الوقت هناك.

---

(١) أحمد أمين سليم: الاسرة في العراق القديم، ص٢٨ - ٢٩.

بذلك تواجهين أمك فى خداع»(١).

وتدل بعض الألواح علي أن البابليين كانوا يكتبون القصائد الغزلية ويغنون الأغاني الغرامية، ولكن هذه القصائد والأغاني لم يبق منها الا سطر هنا وسطر هناك، ومنها: «إن حبيبي من نور» أو «إن قلبي مليئ بالمرح والغناء»، ولقد ورد في خطاب يرجع تاريخه إلي عام ٢١٠٠ ق.م وجاء فيه: « إلي بيبيا... لعل شمش ومردوك يهبانك صحة أبدية... لقد أرسلت (استفسر) عن صحتك، فخبريني كيف حالك، لقد وصلت إلي بابل، ولكنني لا أراك، إني في أشد الحزن»(٢).

ومن أقدم اغاني الحب التي وصلتنا كانت اغنية موجهة إلي الملك «شو-سين» السومري من حبيبته، وتبدأ الاغنية:

«أيها العريس الحبيب إلى قلبى»

«جمالك باهر، حلو، كالشهد»

«أيها الاسد الحبيب إلى قلبى»

«جمالك باهر، حلو كالشهد»

«لقد أسرت قلبى، فدعنى اقف بحضرتك، وأنا خائفة مرتعشة....»(٣).

ولم يكن اختيار الزوجه في العراق القديم متروك أمره لرغبات قلب الفتي والفتاة تماما، بل كانت هناك عوامل أخري متعددة تتداخل فيه، وترتيبات عملية توزن فيها المصالح والثروات، وجرت العادة في عهد حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م تقريبا) أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه، وكانت اجراءات الخطبة تسبق عقد الزواج.

---

(١) صموئيل نوح كريمر: أينانا ودموزي، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطه، بيروت، ١٩٨٧، ص١١٣ - ١١٤.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، جـ٢، ترجمة محمد بدران، الطبعة الخامسة، ص٢٣١.

(٣) صموئيل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر ومراجعة وتقديم أحمد فخري، القاهرة ١٩٥٨، ص٣٦٤ - ٣٦٥.

وكانت مراحل المفاوضات والخطبة وتقديم الهدايا نوع من الإعلان عن الزواج، وهي تسبق عقد الزواج، وكان الهدف منها هو تهيئة المناخ المناسب للإتفاق بين الأسرتين علي شروط العقد وكذلك منح العقد بعده الاجتماعي الذي يتناسب مع طبيعته(١).

ومن المظاهر التي تتبع في اجراءات الخطبة، أن يرسل إلي بيت والد العروس بعض قطع الأثاث، كما يقدم الشاب أو والده «تيرهاتو» موضوعه علي صحفه إلي والد العروس، وكان هذا الـ «تيرهاتو» عبارة عن مبلغ من المال ينزل إلي شاقل واحد احيانا بينما يصل أعلاه إلي نصف مين(٢).

وقد ذكرت هدايا الخطبة في نص من عهد جوديا، حيث أشير في هذا النص إلي أن هذه الهدايا كان يجب تجديدها في كل عيد من أعياد رأس السنة، وكانت تتكون من أبقار وخراف وحملان وسلال بلح وزبد وتين وفطائر ودواجن وأخشاب(٣).

ولم يكن «التيرهاتو» وهو المهر اجباريا بصفة قاطعة، فقد كانت هناك أحيانا خطبة بغير «تيرهاتو»، كما أنه لم يكن يعني ارتباطا نهائيا، وكان يترك لوالد الفتاة إذا سحب الشاب وعده بالزواج منها، أما إذا كان والد الفتاة هو الذي عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا.

وفي حالة موت الخاطب في أثناء الخطبة، كان يحق لأحد اقربائه أن يكمل المراسيم الاخري ويتزوج بها، وإذا رفض والد الفتاة فعليه في هذه الحالة أن يعيد إلي عائلة الخاطب الهدايا التي تسلمها، كما أنه في حالة موت الفتاة، كان بإمكان الخاطب التزوج من إحدي أخواتها، فإذا لم يتم ذلك كان له استرجاع هدايا الخطبة.(٤).

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٨٨.
(٢) الشيقل ١/ ٦٠ من المنا، والمنا نحو نصف كيلو جرام.
(٣) L. Delaport, op. cit, pp. 74 - 75.
(٤) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥، ص٤٠٨.

ولقد وردت العديد من القوانين التي تعالج العديد من المشاكل التي تحدث اثناء الخطبة، ومنها، أنه علي من يغتصب فتاة أن يطلب إلي أهلها الزواج بها، إما إذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه، فإن تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب عليه الحكم بالإعدام(١).

وجاء في قانون أورنمو (المادة ١٢) أنه إذا تمت اجراءات الخطبة، ثم اعطي والد الفتاة ابنته إلي رجل آخر، فعلي والد الفتاة أن يدفع ضعف ما جلبه الخاطب من هدايا(٢). وأكد قانون أشنونه نفس هذا التعويض للخاطب(٣).

ولقد زاد قانون لبت عشتار (١٩٣٤ - ١٩٢٣ ق.م) علي عقوبة رد جميع هدايا الخطوبة، عدم أحقية والد الفتاة في تزويجها من رفيق خطيبها، ولقد جاء ذلك في المادة ٢٩:

«إذا أتى خطيب الإبنة إلى مسكن حميه المقبل وقام بمراسيم حفل الخطوبة، ثم طرده حموه بعد ذلك وأعطى خطيبته لرفيقه، هكذا فإنه ترد إليه جميع هدايا الخطوبة، كما لا يحق لحميه أن يزوج الفتاة لرفيقه»(٤).

وأكدت قوانين حمورابي نفس الأمر السابق، حيث ورد في المادة ١٦١:

«إذا جلب رجل جهاز الخطيبة إلى بيت حميه ودفع المهر للعروس، ولكن رجلا بمنزلته وشى به، وقال والد الابنه للخطيب «لا أريد أن اعطيك ابنتى»، فعليه أن يعيد ضعف ما أحضر إليه، أما الرجل الآخر الذى بمنزلته، فلا يستطيع أن يأخذ الفتاة»(٥).

وجاء في المادة (٢٦) من قانون اشنونة:

---

(١) L. Delaport, op. cit., p. 74.
(٢) J.J. Finkelstein "The Laws of Ur- Nammu" in ANET, p. 524.
(٣) A. Goetze, "The Laws of Eshnunna" in ANET, p. 162.
(٤) S.N. Kramer. "Lipit- Ishtar lawcode" in ANET, p. 166.
(٥) T.J. Meek. "The Code of Hammurabi", in ANET, p. 173.

«إذا سلم رجل جهاز العروس إلى ابنه رجل، ثم اغتصبها رجل آخر، دون أن يكون قد أستأذن آباها أو أمها، أو أنه افتض بكارتها، هكذا فإنه يكون قد أقترف جريمة كبرى عقوبتها الموت»(١).

وجاء في المادة ٢٧ من قانون أشنونة أيضا:

«إذا أخذ رجل أبنه رجل آخر قسرا، دون أن يكون قد حصل على إذن مسبق من أبيها وأمها، ولم يكن هناك عقد زواج بذلك مع أبيها أو أمها فإن هذه الابنه ليست زوجة، حتى ولو عاشت عنده عاما كاملا فى بيته»(٢).

ومن ناحية أخري، فإذا كانت الفتاة تقيم مع عائلة خطيبها، وكانت لها علاقات غير شريفة بحميها دون أن يكون خطيبها قد عاشرها، فإنه يجب عليها أن تعود إلي بيت أبيها ومعها علاوة علي مهرها تعويض قدره نصف مين من الفضة، أما إذا كان خطيبها قد عاشرها، فإنه لا يمكنها الإدعاء بأنها سليمة النية، وعلي ذلك كان يعاقب المذنبان(٣).

وبعد اجراءات الخطبة، يتم **عقد الزواج**، وكان عقد الزواج يبرم بين الرجل، الزوج في المستقبل، وبين رجل آخر، يكون والد الفتاة، الزوجة مستقبلا، أو أخاها أو ولي أمرها، ولهذا السبب اتجه بعض الباحثين إلي القول بأن العائلة العراقية القديمة كانت عائلة أبويه وذلك بسبب هذا الموقف الرسمي في عقد الزواج.

ويلاحظ أن القانون قد منح بعض النسوة إبرام عقد الزواج، وذلك مثل حال الكاهنات، أو المرأة التي تتزوج ثانية، أو تلك التي تدخل في علاقة قانونية مع رجل آخر خلال غياب زوجها الإضطراري، لذلك يرجع أن سبب تمثيل الأب لابنته في عقد الزواج هو صغر سن الفتاة.

---

(١) A. Goetze, op. cit., p. 162.
(٢) Ibid., p. 162.
(٣) L. Delaport, op. cit, p. 75.

ومن أبرز فقرات عقد الزواج، تلك الفقرة التي تنص علي إجراء الزواج، وتذكر صراحة أن الرجل آخذ المرأة ليكونا «زوجا وزوجه»[1] ولم تقتصر عقود الزواج علي شكل معين خاص بإتمام الزواج، بل كان يذكر فيها شروط خاصة بحسب ما يتفق عليه المتعاقدان.

ولقد اعتبر المجتمع العراقي القديم أن عقد الزواج هو أساس قيام الحياة الزوجية المعترف بها، وليس المعاشرة، ويشير إلي ذلك الفقرة رقم ٢٧[2] في قانون أشنونه والتي أشرنا إليها من قبل.

وجاء في المادة رقم ١٢٨ من قانون حمورابي. «لو اتخذ رجل إمرأة زوجة ولم يعقد عليها، فهي ليست زوجه»[3].

ويشير ذلك إلي أن المرأة المتزوجة بدون عقد لا تكتسب حقوق وآثار عقد المرأة المعقود عليها.

ومن نماذج عقود الزواج التي وصلتنا من العصر البابلي القديم عقد زواج وَرَدْ - كوبي من سابيتوم، وجاء فيه: «قام إباتوم بتسليم ابنته سابيتوم في بيت حميها إيلوشو - إبني، كزوجه لابنه وَرَدْ- كوبي، وقد أحضرت سابيتوم معها إلي بيت ايلوشو - ابني، حميها «الأمتعة» التي قدمها لها والدها وهي كالتالي: ٢ سرير، ٢ كرسي، طاولة واحدة، ٢ سلة، واحد حجر طاحون، وهاون واحد، وميزان أو مكيال واحد، وجرن واحد، أما دوطتها البالغة عشر شيكلات من الفضة والتي قدمها لها العريس والتي استلمها إباتوم فقد ربطها بعد أن قبلها إلي سيسكتو (حافة الثوب السفلي) ابنته سابتوم، وعلي هذا الشكل انطلقت إلي وَرَدْ - كوبي، فان قالت سابيتوم يوما لزوجها وَرَدْ - كوبي: «أنت لست زوجي» تربط وتلقي في النهر، وإن قال وَرَدْ - كوبي يوما لزوجته سابيتوم:

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) A. Goetze, op. cit., p. 162.

(٣) T.J. Meek, op. cit., p. 171.

«أنت لست زوجتي» يزن لها نقود طلاقها والبالغة ثلث مينا من الفضة، وسيكون ايموك - اداد شقيقها مسئولا عن كلمتها، ووقع هذا العقد خمسة شهود بما فيها الكاتب، ولقد سجل تاريخ كتابة العقد(١).

وكان الزواج يتم بالإضافة إلي العقد بتعيين ثلاثة أنواع من المبالغ، احدها وهو «التيرهاتو» ويدفعه الزوج إلي أسره الزوجة وهذا هو المهر وهو ملك خاص بالزوجه ويرثه ابناؤها، والثاني مبلغ من المال تهديه عائلة الزوجه وسموه «شيريقتو»، وقد جرت العادة أن يكون هذا المبلغ وديعة عند الرجل لزوجته يجوز أن يتصرف فيه ولكنه ملك لزوجته ويرثه أبناؤها أو أهلها إن لم يكن لها أولاد ويرجع إلي الزوجه في حالة الطلاق، والمبلغ الثالث كان بمثابة هدية من الزوج إلي زوجته ويدعي بالهبة أو العطية(٢).

ويلاحظ إنه في حالة وفاة الأب، كان يتولي اخوتها تزويدها ببائنتها (سيتريفتو)، وكانت تسجل في عقد مدون وتمنح لها عند زواجها، وهي الأموال الوحيدة التي تنالها الفتاة من أبيها، لذلك فهي بمثابة حصتها من ارث أبيها، وكان يسلم هذا المال للزوج لإدارته، ولكن المرأة في بعض الأحيان كانت تواصل الإشراف علي اعمالها ونشاطاتها المالية التي كانت تقوم بها قبل الزواج، وبذلك فإنها تشرف علي ممتلكاتها في مهرها بنفسها، كما كان هذا المال يبقي ملكا خاصا بالمرأة وأولادها فقط.

ومما جاء في ذلك في قانون حمورابي المادة ١٨٤ .

«إذا لم يعط أب ابنته الكاهنة غير المكرسة مهراً لأنه لم يعطها لزوج، يهبها أخوتها حين يموت الأب مهراً مناسبا يتناسب مع قيمة تركة الأب، وأن يزوجوها الرجل الذى ترغب (ويريدها)(٣).

---

(١) ت.ج. ميبك وآخرون: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة اسامة سراس، دمشق، ١٩٩٣، ص١٧٢ - ١٧٣.

(٢) طه باقر: المرجع السابق، ص٤٠٨.

(٣) T.J. Meek, op . cit., p. 174.

وكانت تجري العديد من المراسيم والاحتفالات الخاصة بالزواج، وكان منها حفلات خاصة يشترك فيها العروسان، كما تشهد بعض المراسيم نوعا من الطقوس الدينية لإضفاء طابع الخير واليمن علي المناسبة، وتنتهي هذه الاحتفالات بدخول الرجل بالمرأة وهو يعتبر تنفيذ أهم بنود عقد الزواج.

ويأخذ الزواج الحقيقي صفة تسليم الزوجة إلي زوجها، أما إذا كان كليهما ينتميان إلي طبقة المواطنين الأحرار، فإن الرجل يضع الحجاب علي وجه عروسه بحضور شهود، ويعلن بكل خشوع «إنها زوجتي».

ويحدد القانون الآشوري أهمية الحجاب، ويفسره بأن العلامة المميزة للمرأة الحرة وأن من واجب أي فرد يصادف رقيقة أو عاهرة ترتدي الحجاب أن يفضحها، ولم يكن الحجاب في الواقع يغطي الوجه دائما، حيث أنه كان يغطي في الغالب الشعر وينزل علي جانبي الوجه ثم يربط طرفيه أسفل الوجه، أو أن يتجمع فوق قمة الرأس ثم يتدلي من الشعر علي الرأس، وذلك كما ظهر في العديد من المناظر التي تصور نساء محجبات(١).

وكان الحجاب ميزة تتمتع بها المرأة المتزوجة وسيدات الطبقة العليا فقط وكان يحرم علي النساء الأسيرات والخليلات أن يتحجبن إلا عندما يخرجن بصحبة الزوجة الأولي، وجاء في قوانين أشور الوسطي الخطوات الواجب اتباعها لو اراد رجل أن يستر وجه خليلته وأن يجعلها ترتدي الحجاب:

«لو شاء رجل أن يستر وجه خليلته، فعليه أن يستدعى خمسا أو ستا من جيرانه ليكونوا شهداء على ذلك، ثم يستر وجهها أمامهم مرددا «إنها زوجتى» فتصبح زوجته»(٢).

---

(١) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٣ - ٣٤.

(٢) T.J. Meek., "The Middle Assyrian Laws", in ANET., (41.4) p. 183.

تعدد الزوجات:

رغم أن العادة قد جرت في العراق القديم علي أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة، إلا أنه توجد العديد من القوانين وكذلك الحكم والأمثال التي تشير إلي تعدد الزوجات، ومن ذلك ما جاء في إحدي الحكم السومرية التي تذكر:

«يستطيع الانسان الزواج من عدة نساء، ولكن الآلهة فقط هي التي تبارك الزيجات بالذرية»(١).

حيث كان باستطاعة الزوج إذا لم تنجب زوجته أن يتخذ أحد أمرين، الأول، إما أن يتزوج بزوجة أخري تكون منزلتها دون الزوجة الأولي، أو أن يطلق زوجته الأولي بعد دفع مبلغ من المال، وكثيرا ما كانت تحدد هذه الاشياء بشروط خاصة تسجل في عقد الزواج، وفي بعض الأحيان كانت الزوجة العاقر تقدم لزوجها سرية من إمائها لتنجب له اطفالا، وكانت هذه الأمة تحصل علي حريتها متي ولدت لسيدها طفلا، ولكن يظل لسيدتها باستمرار حق ردها إلي مرتبة الاماء ان هي حاولت منافستها، بل إن لها حق بيعها إن لم تكن قد اصبحت أما، ولم يكن يسمح للزوج الذي منحته زوجته أمه رزق منها بذرية أن يدخل إمرأة أخري إلي بيت الزوجية(٢).

ومن الأمور التي توضح حفظ حقوق ومكانة الزوجة الأولي في العراق القديم، أنه في عهد سن مو باليت والد المشرع العراقي الكبير حمورابي أن قرر رجل أن علي زوجته الثانية أن تغسل قدمي الزوجة الأولي وتحمل لها مقعدها إلي معبد الإله مردوك(٣)، إلا أنه يلاحظ مع ذلك أنه في حالة طلاق الزوجة الثانية، فإنه كان لها كافة الحقوق الشرعية مثلها مثل الزوجة الأولي.

ومن الأمور التي كان يستطيع فيها الزوج الزواج مرة أخري إصابة زوجته الأولي بمرض مزمن أو عاهة تمنعها من أداء واجباتها، وللزوجة الأولي حق البقاء

---

(١) E.I. Gordon, op. cit., p. 126 (1.160).

(٢) L. Delaport, op. cit., p. 77.

(٣) Ibid, p. 77.

في منزل الزوجية وأن يضمن لها زوجها سبل حياة تتفق مع مركزه الإجتماعي، وإن هي فضلت الإنسحاب، فإنه يحق لها أن تعود إلي بيت أبيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة.

ولقد أشار قانون أورنمو في مادته رقم ٢٢ إلي موقف المشرع من محاولة الأمة مساواة نفسها بسيدتها فجاء فيها:

«إذا تكبرت أمة رجل ما واقسمت لسيدتها على مساواة نفسها بها - أى بالسيدة - فعلى السيدة أن تدعك فاها - فم الأمة - بلتر من الملح»(١) :

وعالج قانون لبت عشتار موقف أبناء الرجل الذي يتزوج باثنتين، فجاء في المادة رقم ٢٤: **«إذا ولدت المرأة الثانية التى أخذها الرجل له اطفالا، هكذا تعود ملكية جهازها، الذى اتت به من بيت أبيها لأطفالها، وأما اطفال المرأة الأولى واطفال المرأة الثانية فعليهم اقتسام والدهم فيما بينهم بالتساوى»** . وعلي ذلك فلقد ساوي القانون بين اطفال الزوجتين في الميراث.

ولكن الأمر يختلف في حالة ما إذا كانت الزوجة الثانية أمه، حيث لا يحق لأطفال الأمة مساواة أطفال الزوجة الأولي في الميراث، وجاء ذلك في المادة رقم ٢٥ من نفس القانون:

«إذا اخذ رجل امرأة وولدت له أطفالا وبقوا على قيد الحياة، ثم ولدت أيضا الأمة لسيدها هى الأخرى أطفالا، ومنح الأب الأمة والاطفال الحرية، فإنه لا يحق لأطفال الأمة اقتسام البيت مع أطفال سيدهم» .

وأشارت المادة ٢٦ من نفس القانون إلي أنه في حالة موت الزوجة الأولي، وزواج الرجل من أمته بعد وفاتها، فإنه يحق لأطفال الأمة في هذه الحالة الاستفادة من بيت أبيهم، حيث جاء فيها:

---

(١) J.J. Finkelstein, op. cit., p. 525.

«إذا ماتت إمرأته واخذ بعد امرأته عبدته امرأة له، هكذا يكون اطفال امرأته ورثته وأطفال العبده الذين أنجبتهم لسيدها يعتبرون أيضا أطفاله وبإمكانهم الاستفادة من بيته».

أما في حالة عدم انجاب الزوجة الأولي وأنجب الرجل أطفالا من عاهرة، فإن أطفال العاهرة يرثوه، ولكن لا يحق للعاهرة أن تعيش في منزل واحد مع الزوجة الأولي، وجاء ذلك في المادة رقم ٢٧:

«إذا لم تلد امرأة لزوجها أطفالا، ولكن عاهرة ولدت له أطفالا، فعليه أن يزود العاهرة بالخبز والزيت والكساء كمعيشة لها، وأما الأطفال الذين انجبتهم العاهرة فهم ورثته، ولكن ما دامت زوجته الأولى على قيد الحياة، فلا يجوز للعاهرة أن تعيش معها فى البيت».

ونصت المادة ٢٨ من القانون علي أنه إذا زهد رجل في زوجته الأولي وتزوج بأخري ولكن الزوجة الأولي لم تغادر المنزل فعليه أن يقوم برعايتها وجاء فيها:

«إذا عزف (أدار وجهه) رجل عن زوجته الأولى، وتزوج غيرها، لكنها لم تترك البيت، تكون المرأة الجديدة زوجة ثانية له، وعليه أن يستمر فى إعالة زوجته الأولى»(١).

وجاء في قانون حمورابي العديد من المواد التي حددت وضع الزوجة الثانية وحقوقها، ومما جاء في ذلك:

المادة ١٤٤: «لو تزوج رجل أمة معبد فقدمت له جاريتها، ثم ولدت له أمة المعبد أولادا، ثم قرر الرجل فيما بعد أن يتزوج من كاهنة، فإنه لا يحق له الزواج منها».

المادة ١٤٥: «لو تزوج رجل كاهنة لكنها لم تنجب، فقرر أن يتزوج من كاهنة من درجة أقل، لحق له ذلك، ويحق له أن يأتى بها إلى بيته، لكنها لا ترتفع إلى درجة الزوجة الأولى».

---

(١) N.Kramer, op. cit., p. 160.

المادة ١٤٦ : «لو تزوج رجل من أمة معبد، وأعطته جارية لها فحملت منه وجاءته بأطفال، فإذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها انجبت أطفالا فليس لسيدتها أن تبيعها، ولكن لها أن تدمغها بميسم الإماء وأن تعدها من بين عبيدها».

المادة ١٤٧ : «اما إذا لم تكن ولودا فإنه يحق لسيدتها أن تبيعها».

المادة ١٤٨ : «إن تزوج رجل بامرأة ثم أصابتها حمى، فإن استقر رأيه أن يتزوج من امرأة أخرى، فبإمكانه أن يتزوج دونما حاجة إلى طلاق زوجته المريضة، التى ستظل تعيش فى البيت الذى بناه وعليه أن يستمر فى رعايتها طالما بقيت حية».

المادة ١٤٩ : «إما إذا رفضت الزوجة المريضة أن تعيش فى بيت زوجها فإنه يعوضها عن مهرها الذى أتت به من بيت أبيها، ويمكنها بعد ذلك أن تتركه»(١).

ولقد نظرت القوانين العراقية القديمة نظرة انسانية متقدمة بالنسبة لزواج العبيد والإماء، فالإماء هن ملك اليمين، ويحق لصاحب الأمة أن يفعل بها ما يشاء ومتي يشاء، والتسري حالة في حقوق صاحب الأمة، ولكن التسري قد يثمر ابناء، وعندها يتدخل القانون لمنع حالة الإحباط والضياع التي يتعرض لها عدد من الأبناء يتزايد باستمرار في مجتمعات تعرف العبودية، فهم أحرار لأنهم من صلب رجل حر، كما أن حريتهم تنسحب لصالح أمهم، حيث لا يحق لصاحب الأمة «أم ولد» بيعها كما هي حقوقه علي باقي إمائه، وأنها تنال حريتها الكاملة بعد وفاة مالكها. وتكشف بعض قوانين حمورابي، أن بعض العبيد، وبخاصة عبيد القصر، كان يحق لهم التزوج من بنات الأحرار، وعلي الرغم من تبعية الأولاد لأبيهم في المجتمع العراقي القديم، إلا أنه في حالة زواج العبد من حرة، فإن الابناء ينتسبون لأمهم، ولا يحق لصاحب العبد الإدعاء بملكية أبناء زوجة عبده

(١) T.J. Meek, op. cit., p. 172.
وانظر ايضا: ت.ج. ميك وآخرون: المرجع السابق، ص١٥٥.

الحرة. وهي بدون شك نظرة انسانية تهدف لمنع وقوع عدد ممن لا إرادة لهم وهم الاطفال في العبودية[1].

ولقد أشار قانون حمورابي إلي ذلك في مادتيه ١٧٥ ، ١٧٦ ، حيث جاء فيهما :

المادة ١٧٥ : «إذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنه رجل حر فولدت له فإنه لا يحق لصاحب العبد أن يطالب بأبناء السيده عبيدا له» .

المادة ١٧٦ : «إذا تزوج أيضا عبد للقصر أو لمواطن ابنة رجل حر، واصطحبت معها، لأنه أخذها، جهازها من بيت والدها إلى بيت عبد القصر أو بيت عبد مواطن، واقتنيا بعد استقرارهما بيتا وأملاكا، ثم توفى عبد القصر أو عبد المواطن، فتحصل ابنه الرجل على جهازها، أما الذى اقتنياه كلاهما عندما استقرا معا فيجب أن يقسم إلى نصفين، فيحصل سيد العبد على نصفه وابنة الرجل تحصل على النصف الآخر لأطفالها، وإذا لم يكن لإبنه الرجل جهاز، فيجب عندها أن تقسم مقتنياتهما التى حصلاها اثناء استقرارهما معا إلى نصفين، يحصل سيد العبد على نصف وتحصل ابنه الرجل على النصف الآخر لأطفالها»[2] .

التحذير من الزواج ببعض أنواع النسوة:

لقد حذر الحكيم العراقي القديم من الزواج ببعض أنواع النسوة، ومنهن العاهرات المقدسات[3]، وجاء في ذلك كما ذكر لانجدون[4]:

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٢.

(٢) T.J. Meek, op. cit., p. 174.

(٣) ظهرت العاهرات في سومر منذ أقدم العهود ، وكان يوجد ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات في الوركاء التي اتخذت فيها عبادة عشتار المكانة الأولي وهذه الأنواع هي: الكزريت Kizrete والسانهات Sanhate والحريمات Harimate، وكان هذا البغاء المقدس يعتبر تضحية حقيقية تقدم بها المرأة إلي الآلهة أولي ثمار جسدها بأن تستسلم إلي رجل غريب قبل أن تعطي نفسها لزوجها ، وهذه التضحية شأنها شأن أي تضحية من نوع آخر، قد تكون أليمة ومع ذلك فإن الرضي بها كان محترما. L. Delaport, op. cit, pp. 87-88 .

(٤) توجد في الألواح رقم ٣٣، ٨٥١، ٧٨٩٧ في مجموعة المتحف البريطاني. انظر: =

«لا تتزوج من المحظية التى لا يحصى عدد أزواجها.
أو البغى المخصصة للإله
أو المكرسة لنذر، والتى تنوعت إهاناتها
فإنك إن فعلت ذلك لن يتركك الأسى ابدا
وإذا تشاجرتما فسوف تهزأ وتسخر منك
ان الخوف من الإله والخضوع ليس من طبيعتها
حقيقة، فإنها إن سيطرت على المنزل، فتخلص منها
أنهاتوجه اهتمامها لتتبع خطوات الغرباء
(أو) إنها ستدخل أشخاصا آخرين إلى المنزل
إنها مبعثرة والذى يتزوجها لا يفلح»

ولقد قام لامبرت Lambert بترجمة ونشر هذا النص ولكن مع بعض التغييرات، وان أدي في النهاية نفس الغرض، وذلك علي النحو الآتي[1]:

«لا تتزوج من العاهرة التى يقدر أزواجها بالآلاف[2]
والمرأة المحظية التى يعجب بها كثيرون
لأنها فى مصابك لن تسندك
وفى نزاعك تسخر منك
ليس الإحترام أو الخضوع من خصائصها
فحتى إذا كانت تسيطر على منزلك، فاطردها منه
حيث انها توجه اهتمامها إلى مكان آخر
(وبشكل آخر) إنها تحطم كل بيت تدخله ولا يفلح من يتزوجها».

S.Langdon, "A Tablet of Babylonian Wisdom", in Proccedings of = the Society of Biblical Archaeology, vol. xxxvIII, (1916) p. 114.
وذلك في الاسطر من ٢٣ - ٣١ الفقرة k.

(١) W.G. Lambert, op. cit., p. 103 (Lines 72-80)

(٢) ذكر بيجز Biggs أنها تعني أدبيا (٣٦٠٠) انظر:
R.D. Bigges, in ANET, p. 595, no. 4.

كما حذرت حكمة أخري وردت في خطاب الملك الأشوري إسرحدون (٦٨٠ - ٦٩٩ ق.م) البابليين من الزواج بالمرأة الآثمة، لأن إثمها سوف يشمل زوجها وجاء فيها:

«فى المحكمة يشمل أمر المرأة الآثمة زوجها»(١)

وحذر أدب الحكمة في العراق القديم من الزواج بالمرأة المبذرة، ومما جاء في ذلك في النصائح السومرية والتي تشير إلي مغبة الزواج من المرأة المبذرة: **«بزواجى من امرأة مبذرة، وبإنجابى ابنا مسرفا، يصبح الحزن ذخيرتى»**. وجاء أيضا:

«إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته»(٢).

ومنها كذلك:

«إن المرأة المبذرة فى بيتها تبتلى بجميع أمراض الشياطين»(٣).

ولقد ترجم ثوركيلد جاكوبسن هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«الزوجة غير المناسبة تعيش فى المنزل أسوأ من جميع الشياطين»(٤).

---

(١) W.G. Lambert, op. cit, 281.

ولقد أشار Pfeiffer إلي أن الذي قال هذه الحكمة في خطابه للبابليين هو الملك أشور بانيال (٦٦٨ - ٦٣٣ ق.م) خليفة اسرحدون. انظر: E.F Pfeiffer, in ANET, p. 426.

ويلاحظ أن Langdon قد ترجم هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«إن المرأة البغي علي بوابة منزل القاضي يشمل ايضا زوجها» انظر:

S. Langdon, "Babylonian Proverbs" in AJSL, vol. XXVIII (July 1912), p. 233.

وانظر كذلك:

H.F.W. Saggs, The Greatness that was Babylon, A sketch of the Ancient Civlization of the Tigris- Euphrates valley, london, 1963 p. 443.

(٢) E.I. Gordon, op. cit., p. 119 (1.151).

(٣) Ibid., p. 122 (1.154).

(٤) T. Jacobsen, in E.I. Gordon, Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, p. 468 (1.154).

ويرجح أن المرأة غير المناسبة هنا، هي الزوجة المبذرة.

ولقد عبرت الأمثال الاشورية عن المرأة المبذرة ونتائج إسرافها السئ علي البيت الذي توجد فيه، وتتشابه الصورة مع تلك التي عبرت عنها الأمثال والحكم السومرية، ومما جاء في ذلك:

«إن المرأة المبذرة فى المنزل أسوأ من جميع الشياطين»(١).

وحذر الحكيم العراقي أيضا من الزواج بالخادمة، لأنها لن تستطيع المحافظة علي بيت الزوجية، كما أنها تؤدي إلي انهيار البيت الذي تصبح فيه هي المسيطرة، ومما جاء في ذلك:

«لا تعامل الخادمة فى منزلك بجفاوة
فإنها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجة
... لا تسلم نفسك للخادمات
فإنها إن ذهبت إلى ...
فإنك لن تستطيع النزول إليها
دع هذا يقول لك بين أهلك
إن البيت الذى تحكمه خادمة، ستؤدى إلى تمزيقه»(٢).

ولقد جاء في قصيدة بابلية عرفت بين الباحثين بعنوان «حوار بين سيد وعبده» وهي من أدب السخرية والتشكيك والتشاؤم، بعض النصائح والتي كان الهدف منها التحذير من المرأة، حيث وصفت المرأة في هذه القصيدة بأنها بئر أو حفرة وأنها خنجر يقطع عنق الرجل، ومما جاء في هذه القصيدة ويتصل بهذه النصائح، هذا الجزء من الحوار بين السيد وخادمه:

---

(١) ورد هذا المثل علي لوح يوجد حاليا في المتحف البريطاني يحمل رقم Bm 38539. انظر:
W.G. Lambert, op. cit, p. 266.

(٢) Ibid., p. 103 (66-71).
وانظر كذلك:
R.D. Riggs, op. cit., p. 595.

السيد: أريد أن أحب امرأة
العبد: أحب يا سيدى أحب
إن من أحب إمرأة نسى الألم والتعب
السيد: لا يا عبد، لن أحب
العبد: لا تحب يا سيدى، لا تحب
فالمرأة شرك لا يسهل إدراكه
فالمرأة بئر، خندق
فالمرأة خنجر من حديد مسنون
يقطع الشاب به عنقه»(١).

ويتصل بهذا الأمر كذلك، ما جاء في إحدي الحكم السومرية التي تشير إلي أنه ليس من الحكمة في شئ مناقشة المشاريع المتصلة بمستقبل الانسان والتي يترتب عليها تحديد مصيره مع امرأة، ومما جاء في ذلك:

«إذا ذكرت مصيرى لصديقتى، فإن التوبيخ يتكوم فوقى»(٢).

حقوق الزوجه:

تمتعت الزوجة في العراق القديم بالعديد من الحقوق، فكان للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فهي تستطيع أن تكون شاهدة، وكان من حقها أن يكون لها أملاك خاصة وأن تتصرف فيها دون موافقة زوجها، كما كانت لها الحرية في بيع عبيدها، ولم يكن القانون يمنعها من ذلك إلا في حالة واحدة، وهي الجارية (الأمة) التي تعطيها لزوجها كمحظية وأنجبت منه أطفالا. كما تبوأت المرأة مراكز وظيفية عالية مثل وظيفة الكاتب أو الحاكم، إضافة إلي أن الوظائف

---

(١) W.G. Lambert, op. cit., pp. 139-149.
(Lines 47- 52).

وانظر كذلك:
T. Jacobsen, in Before Philosophy, Penguin Books, 1949, p. 232.

(٢) E.I. Gordon, op. cit, p. 180 (2.3).

الكهنوتية في حد ذاتها كانت من نوع الوظائف ذات الطابع الاجتماعي المرموق والتي شغلتها المرأة.

وعندما يكون الزوج غائبا - في فترات الخدمة العسكرية مثلا - وليس له ابن بلغ سن الرشد، فإن الزوجة تتولي إدارة شئون ثروته ولها الحق في ثلث الإيراد أما في حالة زواج المرأة بعد غياب زوجها في الأسر وأنجبت من الزوج الجديد، فإنه في حالة عودة زوجها من الأسر يحق له أن يسترجع زوجته مرة ثانية.

وفي ذلك أشار قانون حمورابي في مادتيه ٢٨، ٢٩ إلي حق الزوجة في إدارة ممتلكات زوجها في مقابل الثلث وجاء في ذلك.

المادة ٢٨ : فى حالة الجندى أو المبعوث الذى اقتيد أسيراً أثناء تأدية الخدمة العسكرية لصالح الملك، فإنه يُسلّم ابنه الحقل والبستان ويؤدى التزامات والده الاقطاعية، إن كان ابنه قادراً على أن يؤدى التزاماته تجاه الأرض.

المادة ٢٩ : إما إذا كان ابنه صغيرا بحيث لا يمكنه أن يؤدى التزامات والده الإقطاعية تعطى أمه ثلث الحقل والبستان حتى تتمكن من تربيته(١).

ولقد أشارت العديد من القوانين العراقية إلي حقوق الزوجة وواجباتها في حالة غياب الزوج لتأدية الخدمة العسكرية، ومن هذه القوانين ما جاء في قانون اشنونه المادة ٢٩:

«إذا أسر رجل خلال حرب أو غزوة واقتيد أسيرا عنوة إلى بلد أجنبى، واضطر للبقاء طويلا، ثم أخذ رجل زوجته وولدت من الرجل طفلا، فإن الزوج الأول يسترجع امرأته فى حالة عودته»(٢).

---

(١) T.J. Meek, op. cit., p. 167.
(٢) A. Goetze, op. cit., p. 162.

أما قوانين حمورابي فلقد أشارت إلي هذا الأمر بكثير من التفصيل في المواد ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ولقد جاء فيها[١]:

المادة ١٣٣ : «إذا أسر رجل وكان فى بيته ما يكفى، فعلى زوجته أن تحرس أملاكها ولا تذهب إلى بيت رجل آخر، أما إذا لم ترع هذه المرأة أملاكها، بل ذهبت إلى بيت رجل آخر، يجب أن يثبت ذلك على المرأة وأن يقذف بها فى النهر».

المادة ١٣٤ : «إذا أسر رجل ولم يكن فى بيته وسيلة عيش فتستطيع زوجته أن تتزوج ولا لوم عليها».

المادة ١٣٥ : «إذا أسر رجل ولم يكن فى بيته وسيلة عيش وذهبت إمرأته قبل عودته إلى بيت رجل آخر، وأنجبت أطفالا ثم عاد زوجها بعد ذلك ووصل إلى مستوطنته فعلى هذه المرأة أن تعود إلى زوجها الأول، وأما الأطفال فيتبعون أباهم».

وحددت قوانين آشور الوسطي حقوق المرأة التي يتخلي زوجها عن الانفاق عليها فجاء في المادة ٣٦:

«لو أن امرأة كانت لا تزال تعيش فى بيت أبيها، أو لو أن زوجها جعلها تقيم منفصلة عنه ثم انطلق إلى الحقل[٢] ولم يترك لها زيتا ولا صوفا ولا ثوبا ولا زادا، ولا شئ البتة، ولم يبعث لها زادا من الحقل، تبقى الزوجة مخلصة لزوجها خمسا من السنين ولا تهجره إلى زوج آخر، إن كان لها ابناء عملوا اجراء ليكسبوا معيشتهم، عليها أن تحترم زوجها ولا تهجره إلى زوج آخر، وان لم يكن لها أبناء فعليها أن تحترم زوجها خمسا من السنين وفى بداية السنة السادسة يحق لها أن تتركه

---

(١) T.J. Meek, op. cit., p. 171.

(٢) ربما يرتبط هذا القانون بالمدنيين فقط، إذ يعود غياب الزوج هذا لذهابه للعمل في الحقول، وفي خدمة الملك.

لتـعـيش مع رجل آخـر تخـتـاره ولا يحق للزوج السـابق أن يطالب باستعادتها حيث يعود بل هى حرة مع زوجها الثانى.

إما إذا تأخر أكثر من خمس سنوات ولم يكن الهجر بمحض إرادته كأن يكون قد أوقفه قاطع طريق أو قبض عليه متلبسا بلصوصية فمنع من العودة، فعليه حين العودة أن يتقدم باستدعاء رسمى لاستردادها ويقدم للزوج الثانى امرأة ويسترد زوجته، وإن كان قد بعث من قبل الملك إلى قطر آخر وتأخر عن السنوات الخمس فعلى زوجته أن تحترمه ولا تهجره لتسكن مع زوج آخر، فإن ذهبت لتسكن مع زوج آخر قبل نهاية السنين الخمس وحملت من زوجها الجديد، يستردها زوجها حين إيابه مع أولادها أيضا لأنها لم تحترم عقد الزواج وتزوجت بآخر»(١).

ويتضح من ذلك أنه إذا لم تحترم المرأة شروط العقد والاخلاص لزوجها طوال السنوات الخمس، فللزوج الأول الحق في استردادها دون أن يقدم أي تعويض للزوج الثاني.

ويستدل مما ورد في أدب الحكم والنصائح في العراق القديم علي تمتع المرأة بقدر كبير من التدليل في الأسرة العراقية القديمة، ومن هذه النصائح ما ورد في أدب الحكمة السومري، حيث وجه الحكيم السومري النصيحة إلي الزوج في بداية حياته الزوجية أن لا يكثر من توجيه اللوم إلي زوجته، حيث أنها بمرور الزمن تستطيع تحسين أعمالها، ومما جاء في ذلك:

«لا تقل لها: كل ما هو ردئ هو نتيجة عملك!»(٢).

كما عبرت إحدي الحكم السومرية عن أهمية المرأة في حياة الرجل، ودورها الكبير والفعال في تحديد مستقبله في عبارة قصيرة بليغة جاء فيها:

«المرأة مستقبل الرجل»(٣).

---

(١) ت. ح. مبيك وآخرون: المرجع السابق، ص٦٢ - ٦٣.

(٢) T.Jacobsean, in E.I Gordon, op. cit., p. 453 (1.14).

(٣) S.N. kramer, op. cit, p. 256.

وعلي ذلك فلا نعجب إن رأينا بعض الحكم والأمثال السومرية وقد بالغت في تدليل المرأة ووصلت في ذلك شأوا بعيدا، فقد جاء في إحداها:

«يكوم زوجى الحبوب من أجلى
ويوزعها ابنى من أجلى
هل يمكن أن يزيل زوجى العزيز
العظام من السمك من أجلى»[١]

وجاء في مثل سومري آخر:

«إن الدقيق الفاخر يخصص للنساء والقصر؟»[٢].

ويذكر ايدموند جوردون أنه إذا كانت قراءة هذا المثل وترجمته صحيحة، فإنها تفيد أن الدقيق الفاخر كان شهيا بدرجة تكفي لتقديمه للسيدات والأميرات[٣]، وهي تقدم لنا مثالا آخر لمدي تدليل المرأة في هذا العصر.

كما ورد في مثال آخر أنه كان هناك من الأعمال لا تقوم بها الزوجة مثل جمع الاخشاب، حيث يبدو أن ذلك كان قاصراً علي الخدم:

«لا تذهب الزوجة الجميلة لتجمع الأغصان الجافة»[٤].

وفي مقابل تمتع الزوجة بكل هذه الحقوق والتقدير والمكانة في المجتمع فقد كان عليها العديد من الواجبات، وفي مقدمة هذه الواجبات، واجب الحفاظ علي عفتها وشرفها وملازمتها لبيتها، وعدم الأخلال بسمعتها التي هي سمعة زوجها، وكانت عقوبة المرأة التي تخل بذلك قاسية جدا تصل إلي الموت أو فقدانها لحريتها وتحولها إلي أمة.

وكانت حقوق الرجل في عفاف زوجته صارما حتي لو هجرها لبعض الوقت شريطة أن يترك لها مستلزمات العيش، ولقد منحت القوانين البابلية المرأة بعضا

(١) T.Jacobsen, op. cit., pp. 465 - 466 (1.125).
(٢) E.I. Gordon, op. cit, p. 65 (1.50).
(٣) Ibid, pp. 65 - 66.
(٤) T.Jacobsen, op. it., pp 548 - 549.

من حقوق الرجل علي زوجته، فكانت استقامة الزوج جانبا من حقوق الزوجة علي زوجها(١).

ولقد تناول القانون والشرائع العراقية القديمة بالتفصيل جرائم الخيانة الزوجية، وكذلك جريمة الزنا، وكان شديد الصرامة في توقيع العقاب علي من تسول له نفسه اقتراف هذه الجرائم، وسنتناول فيما يلي بعضا مما جاء في هذه القوانين.

فلقد جاء في في قانون أورنمو العديد من المواد المتصلة بالعقوبات المفروضة علي جرائم الخيانة الزوجية، وكذلك الزنا، ومن هذه المواد.

المادة ٤ : «إذا استعانت زوجة رجل ما بمفاتنها وأغوت رجلاً آخر بحيث أنه ضاجعها تقوم (السلطات) بذبح المرأة، ولكن يجب إطلاق سراح الرجل الذى اغوته تلك المرأة»(٢).

ويبدو هنا أن المشرع قد أعفي الرجل من العقاب علي اعتبار أنه كان واقعا تحت تأثير السيدة وأنها هي التي سعت للإيقاع به رغم أنها متزوجة وعلي ذلك فلم يتم عقابه، أما المرأة فقد لقيت جزاءها وهو الموت بواسطة الذبح.

المادة ١١ : «لو قذف رجل زوجة رجل آخر، واثبت امتحان النهر أنها بريئة، يدفع من قذفها ثلث مينا من الفضة»(٣).

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٤.

(٢) J.J. Finkelstein, op. cit., p. 524.

(٣) Ibid, p. 524.

ويلاحظ أنه كان يتم اللجوء إلي الاختبار النهري أو امتحان النهر في حالة عدم وجود أدلة مادية واضحة، ويتم الاختبار بإحضار المتهم إلي مكان مقدس يعتقد بتدخل قوة إلهية فيه، وتقضي التجربة بذهاب المتهم إلي النهر ويقفز فيه ليبرهن علي براءته، ولاعتقادهم في قداسة النهر فقد تشلوه بمثابة الحكم بين الاطراف المتنازعة، فإذا غرق، فإن النهر يكون هو الذي اغرقه، وبهذا يكون الإعلان عن كونه مذنبا، أما إذا خرج سليما فيكون ذلك الاعلان ببراءته، وكان المتهم يقضي ليلة ذهابه إلي النهر في مكان معين من المدينة وعند الفجر يغسل يديه وقدميه ويقوم بتلاوة كلمات محددة يأمر بها الملك تؤكد علي خطورة الإتهام، وغالبا ما كان المذنب يعترف قبل الإقدام علي عملية القفز في النهر. ولقد استخدمت هذه الطريقة في جرائم الزنا والسحر والخيانة والتجسس . انظر: =

أما قانون أشنونه (بداية الالف الثاني ق.م) فلقد ورد في الفقرة (٢٨) عقوبة المرأة المتزوجة التي يقبض عليها مع رجل آخر كانت الموت وجاء فيها: «إذا أبرم رجل عقد الزواج مع أبيها وأمها، وعاش معها، فتعد زوجة له، فإذا قبض عليها مع رجل آخر، فعقوبتها الموت»(١).

وورد في قانون حمورابي العديد من المواد التي عالجت جرائم الخيانة الزوجية ومن هذه المواد المادة ١٣١ التي عالجت جريمة اتهام الزوج لزوجته بالزنا دون أن يتمكن من إثبات ذلك، فعلي الزوجة أن تقسم اليمين أمام الاله، وحينئذ تعود إلي بيت أسرتها دون أن يلحقها أي أذي، ولقد جاء في هذه المادة(٢):

«لو اتهم رجل زوجته (بالزنا) دون أن يضبطها متلبسه مع رجل آخر، عليها أن تقسم على براءتها بحياة إله، وحينئذ تعود إلى بيتها» (المقصود بيت أسرتها).

كما أشارت المادة ١٣٢ إلي أنه علي المرأة المتزوجة التي تتهم بانها علي علاقة برجل آخر ولم يثبت الاتهام في حقها فإنها تبرئ نفسها بإمتحان النهر وذلك بمعرفة زوجها، وجاء فيها(٣):

«لو أشار أصبع (الاتهام) نحو سيدة متزوجة على أنها على علاقة برجل آخر ولم تداهم فى مضجعه، عليها أن تقفز فى النهر المقدس بمعرفة زوجها، وذلك حتى يظهر النهر براءتها أو إثمها، ويلاحظ فى هاتين المادتين أن القانون لم يشر إلى عقوبة من يتهم المرأة فى شرفها إذا ثبت براءتها، ويعتبر ذلك مأخذاً يؤخذ عليه.

A. Kuhrt, The Ancient Near East. c 3000 - 330 B.C., vol. I, London = and New York, 1995, p. 106.

وكذلك: محمد الشحات عبد الفتاح شاهين: «طرق الاثبات القانونية في تشريعات بلاد النهرين»، مجلة كلية الاداب – جامعة الزقازيق، ١٩٩٩، ص٢٣.

(١) A. Goetze, op. cit., p. 162.

(٢) T.J. Meek, op. cit., p. 171.

(٣) Ibid, p. 171.

وقررت المادة ١٤٣ عقوبة المرأة التي لا ترعي قدر زوجها ولا تحافظ علي شرفها بالموت غرقا، وجاء فيها[1]:

«إذا لم تكن المرأة حريصة وإنما اعتادت على أن تذهب خارج بيتها، وتهمل منزلها وأن تحط من قدر زوجها، فإنه يقذف بهذه المرأة في النهر».

أما المادة رقم ١٥٣ فقد حددت عقوبة المرأة التي تتسبب في قتل زوجها من أجل رجل آخر، فإنها تعدم بالوضع علي الخازوق:

«لو تسببت امرأة في مقتل زوجها بسبب رجل آخر توضع على الخازوق حتى الموت»[2].

وأشارت قوانين آشور الوسطي إلي عقوبة المرأة التي تهرب من بيت زوجها ولكنها لم تقترف جريمة الزنا، يحق لزوجها في أن يشوهها، وجاء ذلك في المادة ٢٤[3]:

«لو هربت امرأة متزوجة من زوجها فدخلت بيت آشوري[4]، سواء كان البيت ضمن المدينة (حيث يعيش زوجها) أو في إحدي المدن المجاورة حيث اشار لها؟ وأقامت مع سيدة البيت ثلاثة أو أربع ليال دون علم سيد البيت بوجود سيدة متزوجة مقيمة مع زوجته، ثم ألقي القبض علي السيدة الهاربة، فان زوجها يستردها ويحق له أن يشوهها (يقطع أذنيها) ويجب أن تقطع أذنا المرأة التي استضافتها، وإذا أراد زوج المضيفة أن يفدي زوجته، فيمكنه أن يدفع ثلاث ثالنت وثلاثون مينه من الرصاص أو تؤخذ امرأته منه. ولكن إذا كان صاحب

---

(١) Ibid., p. 172.

(٢) Ibid., p. 172.

(٣) T.J. Meek, "The Middle Assyrian Laws", in ANET, p. 182.

(٤) تعني كلمة «آشوري» هنا أنه رجل ذا مركز أدني من مركز زوج السيدة، حيث تستطيع المرأة إخفاء نفسها اكثر مما تستطيعه مع شخص من نفس مكانتها الاجتماعية، وفي هذه الحالة لا يمكن الدفاع عنها بأنها كانت تقوم بزيارة ودية. انظر:
ت.ج بيك: المرجع السابق، ص٦٠ حاشية ٢.

البيت يعرف أن امرأة رجل تسكن عند امرأته في بيته، فعليه أن يدفع ثلاثة أضعاف.

أما إذا أنكر الرجل وقال «لا علم لي بذلك» فعليه أن يذهب إلي إله النهر، وإذا عاد الرجل من النهر، فعليه أن يدفع ثلاثة أضعاف، ويكون حراً إذا سدد جميع الالتزامات المتعلقة بالنهر، إذا عاد الرجل الذي تركته امراته من النهر.

ولكن إذا لم يقطع الرجل الذي تركته امرأته أذنيها، وإنما إستعادها فيجب عدم فرضة أية عقوبة».

الزواج من المحارم:

أما فيما يتعلق بحدود الزواج من المحارم، فيلاحظ أن المجتمع العراقي القديم قد حدد العديد من حالات المحارم وفي مقدمتها المرأة المتزوجة، فهي حرام علي غير زوجها، وينزل القانون عقوبة الموت بمن يغتصبها، كما يحرم القانون الاتصال بالإبنة وزوجة الإبن، لان مقام الاخيرة بالنسبة لرب الأسرة مقام إحدي بناته، ومن المحارم الكبري في المجتمع البابلي اتصال الابن بأمه بعد وفاة أبيه، وكذلك بمربيته.

ومن المواد القانونية التي جاءت في قانون حمورابي، وتتصل بعقوبة من يتعدي حدود المحارم، المواد ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨[(١)].

المادة ١٥٤: «إذا زنا رجل بابنته يجبر على ترك المدينة».

المادة ١٥٥: «لو اختار رجل عروسا لابنه ودخل الابن عليها، ولكن الاب نام معها بعد ذلك وضبطا، فإن هذا الرجل يشد وثاقه ويلقى به فى النهر».

المادة ١٥٦: «إن اختار رجل عروسا لابنه، ولكن الابن لم يدخل

(١) انظر: T.J. Meek., op. cit., pp. 172 - 173.

بهـا، ولكنه قـام هو بذلك، فـإنه يدفع لهـا نـصف مـينا من الفـضـة، ويعوض لها جميع ما جلبته معها من بيت أبيها حتى يمكن لأى رجل تحبه أن يتزوجها».

المادة ١٥٧ : «لو ضاجع رجل أمه بعد وفاة أبيه يحرق كليهما».

المادة ١٥٨ : «لو قبض على رجل بعد موت أبيه متلبسا بمضاجعة مرضعته التى كانت حاملة أطفال، فإنه يقطع من بيت أبيه».

كما حددت المادة رقم ١٢٩ من قانون حمورابي عقوبة جريمة المرأة المتزوجة التي تخون زوجها ولقد جاء فيها:(١) «لو ضبطت زوجه رجل تضاجع رجلا آخر، يربط الاثنان ويلقيان فى النهر، أما إن رغب زوج المرأة مسامحة زوجته والعفو عنها، فللملك الحق فى العفو عن مواطنه».

أمـا المادة رقم ١٣٠ من قـانون حـمورابي فـتـحـدد جريمة اغـتـصـاب المرأة المخطوبة التي لم يدخل بها زوجها فجاء فيها:(٢)

«إذا اتصل رجل بإمرأة مخطوبة لرجل آخر ولم تمارس الجنس مع مـخلوق ذكـر بعـد ولا تزال تعيش فى بيت والدها، وطارحـهـا الحب، وضبط، يقتل ذلك الرجل وتذهب المرأة حرة طليقة».

ويلاحظ أن أدب الحكم والنصائح في العراق القديم يزخر بالحكم والنصائح التي تجرم جريمة الزنا، وتحـذر من النتـائج الوخيـمـة المترتبة علي من يقـدم علي اقتراف هذه الجريمة، ومن هذه الأمثال والحكم:

«إذاكان طعامه ملوثا بالجنس، فإن المرء يجب ألا يغمر به»(٣).

ويبـدو أن ذلك يتـصـل بالتـحـذير من أولئك الذين يتـكسـبـون من وراء الدعارة، وأن علي الإنسان الشريف أن لا يتعامل معهم.

---

(١) انظر: Ibid., p. 171.

(٢) Ibid. p. 171.

(٣) E.I. Cordon, op. cit., p.60 (1.401).

كما ورد في إحدي اللوحات التي ترجع إلي العهد الكاشي، ونقلت إلي أشور في أواسط العصر الآشوري، ما توضح أن جريمة الرجل الذي يكون علي علاقة بزوجة رجل آخر تكون كبيرة وأن أثمه يكون فاحشا، وجاء فيها:

«إن الذى يكون على علاقة مع زوجة رجل آخر يكون اثمه فاحشا»(١).

الطلاق

يعتبر الطلاق فسخاً للعلاقة القانونية والاجتماعية التي تربط المرأة بالرجل، ولقد عُرف المجتمع العراقي القديم الطلاق الذي كان من حق الرجل في جميع الحالات. إلا في حالة واحدة فقط كان من حق المرأة فيها أن تطلب التطليق من زوجها، وذلك إذا كانت المرأة شريفة وربة بيت صالحة وزوجها اعتاد الخروج من المنزل والحط من شأنها، وورد في هذه الحالة المادة رقم ١٤٢ من قانون حمورابي وجاء فيها:

«إذا كرهت امرأة زوجها، وقالت له: «لا تلمسنى» فيجب دراسة قضيتها فى مجلس مدينتها، فإذا كانت امرأته شريفة ولم ترتكب خطأ، رغم أن زوجها يخرج ويحط من قدرها كثيرا، فليس لهذه المرأة ذنب، ويجب أن تأخذ جهازها ومؤخر مهرها وتذهب إلى بيت أبيها»(٢).

ولكن إذا تركت الزوجة زوجها أو كرهته أو قالت له «أنت لست زوجي» فإذا امتنعت عنه، فإن ذلك يعد تمرداً علي حقوق الزوج واخلالا بشروط العقد وبالتالي كانت مثل هذه الحالات إن بدرت عن الزوجة توقعها تحت طائلة القانون، وكانت العقوبات تصل بالزوجه غالبا إلي الإعدام(٣).

---

(١) تحمل هذه اللوحة رقم VAT 106 10 ويرجع أن توكلني ننورتا الاول قد أحضرها إلي أشور ضمن غنائمه التي جلبها من بابل. انظر:

W.G. Lambert, op. cit., pp. 118 - 120.

(٢) T.J. Meek, op. cit., p. 172.

(٣) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٥.

وكان من حق الزوجة أيضا أن تطلب التطليق من زوجها، وذلك إذا تزوج زوجها بأخري نظراً لمرضها، وكانت تعوض بمهرها الذي جاءت به من بيت ابيها، ولقد تقرر ذلك في المادتين ١٤٨، ١٤٩ من قانون حمورابي وجاء فيهما:

المادة ١٤٨:

«إذا تزوج رجل بإمرأة ثم أصابتها حمى، فإن استقر رأيه أن يتزوج إمرأة أخرى فبأمكانه أن يتزوجها دونما حاجة إلى طلاق زوجته المحمومة التى ستظل تعيش فى البيت الذى بناه وعليه أن يستمر فى رعايتها طالما بقيت حية».

المادة ١٤٩:

«أما إذا رفضت الزوجه المريضة أن تعيش فى بيت زوجها، يعوضها عن مهرها الذى جاءت به من بيت أبيها وعندئذ لها أن تترك البيت»(١).

وكان طلب الطلاق يرد دائما علي لسان الرجل، ومن المصطلحات المعبرة عن ذلك أن يقول الرجل لزوجته «أنت لست زوجتي» أو أن يقوم الزوج بقطع حواشي ثوب زوجته، حيث يعتبر ذلك إعلانا من الزوج بتطليقه زوجته.

ويستدل من القوانين العراقية القديمة علي الحالات التي كانت توجب طلاق الرجل لزوجته، ومن هذه الحالات تفريط الزوجه بعفافها وسمعتها وشرفها وعدم اتفاقها مع زوجها، وسوء تدبيرها منزلها، كما كان عقم المرأة من الاسباب التي تدفع الزوج لطلب الطلاق، وربما كان الدافع لذلك طبيعة المجتمع العراقي القديم الذي يعتمد في اقتصاده علي الانتاج الزراعي حيث تمثل الايدي العاملة أهمية كبيرة لتحقيق عائد إقتصادي للأسرة، ولهذا كان حرص الرجل علي الأبناء وكثرة الذرية كبيرا جدا، ومع ذلك، فلقد أمر القانون بمعاملة الزوجه العاقر بكثير من العطف والزم الزوج بدفع مهرها ومقابل طلاقها.

---

(١) T.J. Meek., op. cit., p. 172.

كما كان يجوز للزوج أن يطلق المرأة سواء أكانت زوجه شرعية أم محظيه، دون أن تكون قد قارفت إثما، وليس من شك في أن هذا يعتبر تهديدا مباشرا لمبدأ الزواج من إمرأة واحدة، وفي هذه الحالة تنسحب المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضي حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها، كما يحكم بضم أولادها إليها، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصة مساوية لحصة أحد الأولاد وتصبح حرة في أن تتزوج مرة أخري، وكان هناك قانون سومري قديم يمنحها نصف مين من الفضة[1].

وسنتناول فيما يلي بعض القوانين العراقية القديمة التي عالجت مسألة الطلاق في المجتمع العراقي.

فلقد تناول قانون اورنمو في بعض مواده التعويض الذي تحصل عليه الزوجه عند طلاقها فجاء في المادة السادسة:

«إذا طلق رجل زوجته الأولى يدفع لها ميناً واحداً من الفضة»[2].

وجاء في المادة السابعة:

«إذا طلق رجل زوجته التى كانت أرملة قبل زواجها منه فعليه أن يدفع لها نصف مينا من الفضة»[3].

وأوضحت المادة الثامنة من القانون أنه في حالة معاشرة الأرملة بدون عقد زواج فإنها لا تستحق شيئا عند الطلاق وجاء فيها:

«إذا كان الرجل قد عاشر الأرملة دون عقد زواج أصولى فلا يحتاج أن يدفع لها شيئا فى حال طلاقها»[4].

---

(١) L.Delaport, op. cit., p. 78.

(٢) J.J Finkelstein, op. cit., (240-244 = B& 3), p. 524.

(٣) Ibid, (245 - 249 = B & 4),p. 524.

(٤) Ibid., (250 - 255 = B &5), p. 524.

وانظر أيضا: عبد الحكيم الذنون: تاريخ القانون في العراق، دمشق، ١٩٩٣، ص٥٥.

وجاء في قانون لبت عشتار مادة عن قيمة التعويض الذي تحصل عليه المرأة التي يطلقها زوجها بعد زواجه بعاهرة من الساحة العامة ثم أمره القضاء بأن لا يذهب إلي العاهرة، ولكن للأسف قيمة التعويض فقدت من النص الذي جاء فيه:

«إذا تزوج رجل بعاهرة من الساحة العامة وأمره القضاء بألا يزورها، ثم أقدم بعد ذلك على طلاق زوجته، فعليه أن يدفع مبلغا من المال يقدر بـ......»(١).

ولقد جاء في قانون حمورابي العديد من المواد المتصلة بالطلاق وقيمة التعويض الذي تحصل عليه المطلقه، ومن هذه المواد(٢):

المادة ١٣٧ :

«لو قرر رجل أن يطلق كاهنة غير مكرسة (نوع من الكاهنات فى مراحلهن الأولى) حملت منه أولادا، أو أمة معبد أنجبت منه أطفالا، فعليه أن يعطيها مهرها ونصف حصة من مزر ات أو انتاج النول، ويسمح لها أن تربى أولادها، وبعد أن تربيهم حتى يشبوا، فإنها تعطى حصة مماثلة لحصة الوريث الواحد من كل شئ مقابل الأبناء الذين أعطتهم وربتهم، وهى بعد ذلك حرة فى الزواج ممن تشاء حسب رغبتها».

المادة ١٣٨ :

«لو رغب انسان فى طلاق زوجته الأولى التى لم تحمل منه، يعطيها مالا بقيمة هدية زواجها ويرد لها المهر الذى أحضرته معها من بيت أبيها ثم يطلقها».

---

(١) S.N. Kramer, op. cit., p. 160.

(٢) انظر: T.J. Meek, op. cit., p. 163 ff.

المادة ١٣٩ :

«وإن لم يكن هناك هدية زواج (مهر) فعليه أن يعطيها مينا واحدا فقط من الفضة كبدل للطلاق» .

المادة ١٤٠ :

«إذا كان الرجل مزارعا فيعطيها ثلث مينا من الفضة» .

المادة ١٤١ :

«لو قررت زوجة رجل كانت تعيش فى بيته أن تترك بيتها لتمارس أعمالا خارج البيت، وبذلك أهملت بيتها وأذلت زوجها، يثبتون ذلك ضدها، فإن شاء زوجها طلاقها فله ذلك دون أن يدفع لها شيئا كترتيب مالى للطلاق، وذلك ردا على مغادرة بيتها وزوجها، وإذا لم يرد أن يطلقها، فله أن يتزوج من غيرها، وتبقى الزوجه الأولى فى بيت زوجها كخادمة» .

أما القوانين الآشورية فلم تحدد مبلغا معينا في مقابل الطلاق بل تركته لرغبة الزوج، أما إذا كان الطلاق رغما عنه فإنه لا يدفع شيئا علي الإطلاق.

وورد في قوانين أشور الوسطي (اللوح A) بعض المواد المتصلة بالطلاق، وجاء فيها[1]:

المادة A ٣٧ :

«إذا أراد الرجل أن يطلق زوجته برغبته، يقدم لها شيئا ما، أما إن لم تكن تلك رغبته لا يعطيها شيئا بل تذهب خالية الوفاض» .

المادة A ٣٨ :

«إن طلق رجل امرأة لازالت تقيم فى بيت أبيها، يحق له أن يستعيد فقط الحلى التى قدمها لها، ولا يحق له استعادة هدية الزواج

(١) T.J. Meek, "The Middle Assyrian Laws" in ANET, p. 183.

التى قدمها لها، حيث أنها ملك للمرأة لا نزاع حوله».

ويبدو أن حوادث الطلاق كانت كثيرة في المجتمع العراقي القديم، وكان مرجعها في غالب الأمر مزاج الزوج، وعلي ذلك فلقد عالج المجتمع هذا الأمر فنجد أن عقود الزواج قد تضمنت في بنودها قيمة التعويض الذي يدفعه الرجل عند طلاقه لزوجته، ومن هذه العقود عقد زواج شماش نادين شوم من ابنه نابو زقيب التي كانت تدعي نادا، حيث ورد في عقد الزواج: «في اليوم الذي يقدم فيه شماش ناذين شوم علي تطليق نادا ويتزوج من امرأة أخري فإنه يدفع إلي والدها نابو زقيب ستة مينات» وتوجد في وثائق أخري نصوص ترمي إلي تحديد معاش للزوجه والأولاد، ويظهر أن تحرير مثل هذه العقود كان يستلزم حضور مدير المعبد حتي يعتبر صحيحا(١).

الأطفال

اهتم المجتمع العراقي القديم مثله مثل باقي المجتمعات الزراعية. بإنجاب الأطفال وكثرة الذرية، لما تمثله الأيدي العاملة من مصدر دخل وثراء للأسرة، وأوضحت القوانين العراقية القديمة أهمية خصوبة المرأة، وسنت العقوبات لمن يتسبب في إجهاض المرأة الحامل سواء كان بقصد أم غير قصد.

فلقد جاء في المادة الأولي من قانون أورنمو: **«لو صدم (رجل) امرأة عن غير قصد وتسبب فى إجهاضها عليه أن يدفع عشر شيكلات من الفضة».**

وجاء في المادة الثانية **«لو ضرب رجل عامداً متعمداً إمرأة وتسبب فى إجهاضها عليه أن يدفع ثلث مينا من الفضة»(٢).**

ولقد سبق الإشارة إلي أنه كان من بين الأسباب التي تجعل الرجل يتزوج

---

(١) L. Delaport, op. cit., p. 85.

(٢) J.J. Finkelstein, op. cit, p. 525.

علي زوجته عقم الزوجه، حيث جرت العادة أن تدفع الزوجة العاقر بأمة من عندها لتكون لزوجها، وكأنها بعملها هذا تعوض زوجها النقص في الأبناء الذي قد يؤثر في علاقتها الزوجية.

كما أنه في حالة الزواج من كاهنات لم يكن مسموحاً لهن بالإنجاب كانت المرأة الكاهنة ملزمه بأن تقدم أمه لزوجها لغرض الإنجاب»(١).

وتوضح الحكم والأمثال العراقية القديمة رغبة الانسان العراقي القديم في الإنجاب وسعادته البالغة بذلك، وتقديره الخاص للمرأة المنجبة التي تلد الكثير من الأطفال، ومن الحكم والأمثال التي توضح الرغبة في الإنجاب:

«تزوج إمرأتك طبقا لاختيارك

وانجب طفلا حسب رغبات قلبك»(٢).

ويتضح من هذه النصيحة أن المرء يتزوج من يهواها قلبه. وأن الهدف الرئيسي من الزواج هو انجاب الأطفال، ونجد النصيحة هنا تتمني انجاب الاطفال حسبما يتمني الانسان.

وورد في حكمة سومرية أخري التمني والدعاء بأن تهب الإلهة إنانا الإنسان أطفالاً أقوياء، ومما جاء في هذه الأمنيات:

«هل يمكن أن تجعل الإلهة إنانا الزوجة ذات السيقان الدافئة أن تضطجع لك، هل يمكن أن تمنحك أبناء أقوياء، هل يمكن أن تبحث لك عن مكان السعادة»(٣).

وجاء في الحكم السومرية التي تتصل بالأمنيات كذلك، حكمة أخري، تدعو لصاحبها بأن يرزق بتوأم من الأطفال، وأهمية هذه الحكمة تتصل فيما جاء

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٠-٩١.

(٢) E.I. Cordon, op. cit., p. 114 (1.146).

(٣) E.I., Gordon, "A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad", in Bibliotheca Orientalis, xvii, No. 3/4, Mei - Juli, 1960. p. 131. (1.147).

بها من التمني بأن يؤسس البيت بتوأم من الأطفال، وهذا إيضاح وتركيز علي أهمية الأطفال في تثبيت دعائم الأسرة:

«ليتك تكون أسرة قائمة على توأم من الأبناء»(١).

وجاء في حكمة سومرية أخري أن الزواج من عدة نساء هو أمر في يد الإنسان يستطيع التحكم فيه والسيطرة عليه، ولكن إنجاب الأطفال هو أمر ليس للإنسان يد فيه ولكن الآلهة هي التي تتحكم في وهب الذرية لمن تشاء.

«الزواج من عدة زوجات هو أمر فى يد الإنسان، إنجاب العديد من الأطفال هو أمر فى يد الآلهة»(٢).

ولقد سبق مناقشة الجزء الأول من هذه الحكمة في الجزء الخاص بتعدد الزوجات، والذي يهمنا في هذا المجال هو الجزء الثاني الخاص بإنجاب الأطفال وأنه منحه من الإلهة(٣).

ويتصل بالإعتقاد بأن الآلهة هي التي تمنح الذرية، نصيحة وردت في

---

(١) Ibid., p. 131 (2.160).

(٢) E.I., Gordon, Sumerian Proverbs, Climpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, p. 126 (1.160).

(٣) انظر في ذلك قوله جل من علا في سورة الشوري الآيات ٤٩ - ٥٠ (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم زكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً أنه عليم قدير» صدق الله العظيم.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال، أن المجتمعات القديمة - الزراعية منها والبدوية - قد اهتمت اهتماماً كبيراً بالإنجاب، ويوضح أدب الحكمة في مصر القديمة اهتمام الإنسان المصري بالإنجاب اهتماماً كبيراً، ومما جاء في ذلك ما ورد في نصائح «آني» من الدولة الحديثة حيث قال لابنه وهو يعظه «يا بني: اتخذ لنفسك زوجاً وأنت صغير حتي تنجب لك طفلاً، فإن أنت أولدتها إياه في شبابك، أمكنك أن تقوم علي تنشئته حتي يغدو رجلاً، إن السعيد من كثر أهله وعياله، فالكل يوقرونه من أجل ابنائه» انظر:

J., Wilson "The Instruction of Ani", in ANET,. p. 420.

وليس أبلغ دلالة علي عظم السعادة التي كان يتخيلها الناس في كثرة الأبناء من أن يصف أحدهم حاله وقد نجح مع رجاله في أداء عمل جليل، بأنها أشبه بحال رجل له «سبعون ولداً ولدوا من امرأة واحدة». ومن ذلك يتبين أن الإكثار من الأولاد إنما كان هدفاً يبتغرنه ويسعون إليه ويعملون علي تحقيقه، وكان وراء ذلك دوافع اقتصادية واجتماعية ودينية متعددة. انظر في ذلك. =

النصائح التي اصطلح الباحثون علي تسميتها بـ «نصائح المتشائم Counsels of A Pessimist» ولا يمكن وضع تأريخ محقق لها، إلا أنه يمكن القول أنها ليست مبكرة عن الأسرة البابلية الأولي، كما أنها ليست متأخرة عن عهد أشور بانيبال لأن هذه اللوحة قد عثر عليها في مكتبته، ومما جاء في هذه النصائح:

«انحنى لإلهة مدينتك التى سوف تهبك الذرية»(١).

وواضح من هذه النصيحة أنها تنصح المرء بأن يخضع ويقدم الولاء لإلهة مدينته، لأنه سيحصل علي نتيجة خضوعه وولائه علي ما يتمناه ويرغب فيه وهو أن تمنحه إلهته الأبناء.

كما عثر علي نص أكدي حوري مزدوج اللغة في رأس الشمرة(٢) يؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهو عبارة عن نصائح متعددة، من بين ما جاء

= محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم، جـ٥، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٢٥ - ٢٧.

ويتضح هذا الاهتمام في الحضارة العربية القديمة بتفضيلهم الزواج من الشابة البكر، إذ كانوا يفرحون بكثرة الأولاد - ولا سيما الذكور - لأن حياتهم القبلية إنما كانت تعتمد علي العصبية والنصرة في الحروب، وفي كثرة العدد عزة ومنعة، وفي قلته ضعف واستهانة، وتذكر إحدي حكيمات العرب قبل الإسلام أن «أفضل النساء هي التي في بطنها غلام وتحمل علي وركها غلام ويمشي وراءها غلام» انظر:

محمد بيومي مهران: «مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة»، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص١٣٣ - ١٣٤.

ويلاحظ نفس هذا الاهتمام بالإنجاب في الحضارة اليهودية، فالله، أو يهوه - فيما يرون - عندما خلق الإنسان ذكراً وأنثي، قال لهم: «اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ١: ٢٨)، هذا إلي جانب أن الرجل منهم، إنما كان لا يري سعادته في كثرة بهائمه أو في ازدهار محصوله، وإنما كان يجد السعادة في زوجته وأولاده. انظر محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم جـ١٠، إسرائيل، الكتاب الرابع، الحضارة. الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص٢٤٦.

(١) W.G. Lambert, op. cit., pp. 107 - 109, (Line 13).

(٢) رأس الشمرة هي التسمية العربية الحديثة لمدينة أوجاريت، التي سجلها المصريون في نصوصهم علي النحو الآتي:

وذلك في نصوص موقعة قادش المسجلة علي جدران معبد الكرنك. انظر:

A.H. Gardiner., Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, 1947, p. 130, 165.

وهي تقع بين فرعي نهر الفد، وسمي التل بهذا الاسم لكثرة ما ينمو عليه من الشمر، والشمر أو =

فيها نصيحة للمرء بأن يحترم قسمه، وأن لا يقسم زوراً، حيث أن من يقسم زوراً يلقي به في النهر، وأكثر من ذلك أن زوجته لا تنجب نهائياً:

«احترم قسمك، واحفظ نفسك،

إن الذى يقسم زوراً، فى محنة النهر .. ميراثه،

ولا تنجب زوجته أبداً»(١).

وواضح من هذه الوصايا أنها تحذر المرء من اليمين الزور، وترهبه من مغبة ذلك، وهي أن يلقي به في النهر، وأن لا يتمتع بالذرية نهائيا.

وعلي ذلك فلا غرو، أن نجد بعض الحكم السومرية وقد اعتبرت أن وفاة الأطفال كارثة كبيرة تحل بالمنازل ونذير شؤم وتعاسة، ومن هذه الأمثال التي صيغت في أسلوب استفهامي:

«من الذى يأتى بك إلى منزل نزعت ذريته؟»(٢).

إذ يبدو أن هذه كلمات رجل تدمر بيته بدرجة كبيرة لوفاة أطفاله لزائر جاءه بعد هذه المأساة مباشرة.

ورغم هذه الحكم والأمثال التي توضح وتبرز رغبة الإنسان العراقي القديم في الإنجاب، ورغم اعتبار المرأة المنجبة – وبخاصة التي تلد سبعة أبناء – نموذج الأم المثالية في العراق القديم التي تستحق أكبر قدر من الحب والرعاية(٣)، فإننا

= الشمار (بفتح الشين) بقلة من الفصيلة الخيمية اسمها العلمي Foeniculum Capillaceum، واسمها في العبرية المتأخرة شمار (بضم فتشديد) وفي الأرامية شمارا (بضم فتشديد)، وفي السريانية شمارا (بفتح فتشديد). انظر:

سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، القاهرة، ١٩٦٨ ص١١٧، ٢٧١ – ٢٧٢.

(١) W.G. Lambert., op. cit., p. 116 (Line 2-4).

(٢) E.I. Gordon., op. cit., p. 282 (2.163).

(٣) T., Jocobsen, op. cit., p. 485.

نجد بعض الأمثال التي يستدل منها علي أنه من الأمهات المنجبات لعدد كبير من الأبناء ما كن يعانين من الحاجة والفقر والضعف والاستكانة. ومن هذه الأمثال:

«الأم التى تلد سبعة صبية تتمدد فى فقر»[1].

ومنها كذلك:

«الأم ذات الثمانية صبية هى تلك التى مازالت قادرة على حمل المزيد من الأطفال. إنها تمارس الجنس باستكانة»[2].

وهناك بعض الحكم والأمثال التي تعبر عن الآلام الشديدة التي تعانيها المرأة أثناء الولادة، ويبين بعضها بقدر ما يكون الحمل شيئاً سعيداً تكون الولادة أمراً عسيراً، ومن هذه الحكم والأمثال:

«تحمل المرأة يكون ذلك أمراً ساراً،

أما فى حالة الولادة فهو أمر يثير الضيق»[3].

ومنها كذلك ما يذكر أن آلام المرأة في حالة الولادة لا يعادلها أية آلام أخري، وإن المريضة في حالة الولادة تكون حالتها بالغة السوء:

«الشخص المريض يكون (نسبيا) بخير،

إنها المرأة فى حالة الولادة هى التى تكون مريضة حقاً،

والمرأة المريضة تكون فى حالة الولادة أسوأهم جميعاً»[4].

وتوجد بعض الحكم البابلية التي تذكر أن الحمل هو النتيجة الطبيعية

---

(١) Ibid, p. 485 (2.141).

(٢) E.I., Gordon, op. cit., p. 273 (2.141).

هذا ويذكر جوردون أن عدد الأطفال قد ذكر في لوحات أخري سبعة فقط وليس ثمانية، ومن هذه اللوحات، اللوحة رقم EEE، واللوحة رقم HHH، انظر:

Ibid., p. 273, nos. 2,5.

(٣) T. Jacobsen., op. cit., p. 472 (1.193).

(٤) E.I., Gordon, op. cit., p. 516 (1.193 and 1.194).

للاتصال الجنسي، كما أن الحمل يؤدي إلي إدرار اللبن للرضاعة، وقد صيغت هذه الحكم في أسلوب استفهامي توضح العلة والمعلول، ومما جاء فيها:

«هل يمكن لسيدة أن تحمل بدون جماع ؟»[١].

ومنها كذلك:

«يؤدى الجماع إلى إدرار اللبن للرضاعة»[٢].

وعلي ذلك فلقد كانت نسبة وفيات الأطفال في العراق القديم المرتفعة تمثل شراً ومصيبة كبيرة، ويستدل علي ذلك أيضا بالإضافة إلي الحكم والنصائح التي سبق ذكرها من النصوص السحرية التي كان الهدف منها حماية الأطفال من الأرواح الشريرة التي كانت تهاجم الجنس البشري بوحشية، فتشير النصوص إلي «البكاء علي طفل صغير مات قبل الآوان»، كما يستدل من الاسم الملكي «سنحريب» علي تعرض الأسرة المالكة لمصيبة فقد الابناء، حيث يعني هذا الاسم «سين – آجي – ريب» (الإله سين عوضني عن إخوتي) مما يدل علي وفاة أخوة لهذا الملك، مما دعاهم إلي إطلاق هذه التسمية عليه، علي أمل أن يكون فيه العوض عن أخوته الذين ماتوا قبله[٣].

ولقد استخدم السحر بدرجة كبيرة للعناية بالمرأة قبل الولادة، وتضمن ذلك استخدام الرقيات والطقوس والتعاويذ، فكانت المرأة تلبس أحجاراً حول الخصر لتسهيل عملية الولادة، كما كانت المرأة التي تصاب بمرض أثناء الحمل يتم علاجها بواسطة الأدوية وكذلك بعض التعاويذ التي اعتقدوا أنها تشفي المرأة

---

(١) وردت في اللوحة رقم K.4347 انظر:
S., Langdon, Babylonian Wisdom, London, 1921, p. 211.
ويلاحظ أنها قد وردت في النص السومري علي النحو الآتي:
«بيدون معاشرته لك، هل يمكن أن تحملي؟».
انظر:
E.F., Pfeiffer, op. cit., p. 425, No. 12.

(٢) S., Langdon, op. cit., p. 211.

(٣) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ترجمة د. آحو يوسف، دمشق، ١٩٩٥، ص١٩٩.

المريضة، ومنها بعض الدعوات للآلهة ومنها «يا مردوك الرحيم! أنا محاطة الآن بالقلق، تعال لنجدتي، اجعل هذا المستعصي، خليقة الآلهة، يأتي كمخلوق بشري، دعه يأتي، دعه يري النور»(١).

واستخدم الانسان العراقي القديم العديد من العقاقير لتسهيل عملية الولادة، فكانت المرأة تمضغ لحاء بعض الأشجار، بالإضافة إلي استخدام بعض المراهم، وكانت القابلات علي الأغلب تصاحبن عملية الولادة، وكانت وفاة الأم أثناء الولادة خطراً دائما ماثلا أمام الأعين حيث توجد إشارات كثيرة إلي ذلك، ويبدو أن عدم مقدرة الام علي إرضاع ابنها كان من الأمور التي تمثل خطراً شديداً علي الأطفال، فكانت الاسر الغنية تستخدم المرضعات وهو الأمر الذي تعجز عنه الاسر الفقيرة مما كان يتسبب في الكثير من الوفيات، ويلاحظ أن الانسان العراقي قد اعتقد بأن ولادة الأطفال المشوهة هي نذير شؤم من الآلهة.

وكان الأطفال حديثي الولادة يوضعون في سلة خاصة، وحين يكبر الطفل قليلا كانت أمه أو الحاضنة ترتدي «مقلاعا» خاصا لحمل الطفل معها(٢).

وفيما يتصل بتربية الأطفال، فهناك العديد من الحكم والأمثال التي تتصل بإعدادهم للحياة، فلقد كانت الطبقات الفقيرة توجه أطفالها إلي العمل في سن مبكرة للمساعدة في كسب ما يسد رمق الحياة ومتطلباتها. أما أبناء الطبقات الأخري فكانت وسائل الحياة ميسرة لهم. وكان أبناء الدعارة يتبنون فإن أراد أحدهم معرفة نسبه أو العودة لأبيه أو أمه قلعت عيناه(٣).

ومن الأمثلة التي توضح الأهمية الاقتصادية للأطفال في الأسر الفقيرة ما ورد إحدي الحكم السومرية وجاء فيه:

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٠٠.
(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٠١.
(٣) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص٦.

«لا يضرب الرجل الفقير ابنه مرة، إنه يحتفظ به للأبد»

أو «إنه يعامله ككنز»[١].

ومعني ذلك أن الأبناء كانوا يقومون بدور كبير في الحياة الاقتصادية للأسر الفقيرة لما يقومون به من أعمال تدر دخلاً عليهم، وبالتالي فإنهم كانوا يعتبرونهم ثروة بالنسبة إليهم.

ومن هذه الحكم والأمثال كذلك ما ورد في إحدي اللوحات البابلية وهي اللوحة رقم A.K. 4347، وجاء فيها:

«يحصل الرجل القوى على طعامه من كده،

أما الرجل الضعيف، فإنه يحصل على طعامه من عمل أطفاله»[٢].

وفي المقابل فإننا نجد أمثلة أخري يتضح منها أن أبناء الأغنياء كانت تلبي لهم جميع متطلباتهم، ومن هذه الأمثلة:

«إنك تأكل كثيراً! هل ينقصك شئ

إنك ابن ... إننى أعطيك دائماً كل شئ»[٣].

وفيما يتصل بتعليم الأبناء، فقد كان معظم التلاميذ الذين يتعلمون من الأسر الغنية، إذ لم تكن الأسر الفقيرة بقادرة علي تكاليف التعليم وكذلك المدة التي يتطلبها، وكان من حق المرأة التعليم كذلك، إذ عثر علي اسم امرأة في إحدي الوثائق وصفت فيها بأنها كاتبة[٤].

---

(١) E.I., Gordon, op. cit. pp. 191 - 192 (2.231).

(٢) E.F., Pfeiffer, op. cit., p. 425.

ويلاحظ أن لانجدون قد ترجم هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«يعيش الرجل القوي بثمن أجره، أما الرجل الضعيف فإنه يعيش من ثمن أولاده» انظر:

S., Langdon, "Babylonian Proverbs" in AJSL. vol. xxviii (1911 - 1912), p. 223 (Proverb 34).

(٣) E.I., Gordon, op. cit., p. 137 (1.178).

(٤) S.N. Kramer, op. cit., p. 231.

وكان الأب يشعر بخيبة أمل عندما يري ابنه يرفض أن يتبع خطواته العملية ويصبح كاتباً، ونراه يقوم بنصحه وحثه علي منافسة زملائه وأخوته وأصدقائه، وأن يتبع مهنته الأصلية، وهي فن الكتابة، علي الرغم من أنها كانت من أصعب المهن.

ومن الحكم التي توضح الصفات المطلوبة في الكاتب النموذجي:

«إن الكاتب الذى تتحرك يده طبقاً لحركات الفم،

إنه يكون كاتباً فعلاً»[1].

ومن هذه الحكم كذلك ما يعقد المقارنة بين يد الكُاتب وحنجرة المغني:

«إن الكاتب بدون يده (مثل) المغنى بدون حنجرته»[2].

وحفظت لنا بعض الوثائق السورية، وثيقة بالغة الأهمية كتبها كاتب سومري مجهول الاسم حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م، ويبدو أن كاتب هذه الوثيقة كان يعمل مدرساً، حيث أشار فيها بعبارات واضحة بسيطة إلي طبيعة التدريس، وما يقوم به التلميذ طوال يومه والمشاق التي يواجهها في سبيل التعليم، وفيها سنجد أن التلميذ في هذه العصور البعيدة لم يختلف حاله عن رفيقه حاليا في كثير من الأحوال، فهو مهموم بدروسه سواء في المدرسة أو المنزل، مع ما يلاقيه أحيانا من عنف من بعض معلميه في المدرسة وشدة من والديه في المنزل لاستذكار دروسه، ومما جاء في هذه الوثيقة ويوضح يوما دراسيا لأحد التلاميذ:

«كنت استظهر لوحي، وآكل طعام غذائي، وأهئ لوحي الجديد لأكتبه وأكمله، ثم يعينون لي درسي الشفهي، وفي العصر يخصصون لي درسي المكتوب، وعندما أنصرف من المدرسة أعود إلي بيتي فأدخل الدار وأجد أبي جالسا هناك فأطلع إبي علي درسي المكتوب، ثم استظهر له لوحي، فيسر أبي لذلك... وعندما استيقظ في الصباح الباكر أواجه أمي وأقول لها: أعطيني طعام

(١) E.L. Gordon, op. cit., p. 202 (2.40).
(٢) Ibid., p. 204 (2.43).

غذائي لأنني أريد الذهاب إلي المدرسة فتزودني أمي برغيفين وعندئذ أسرع بالمسير إلي المدرسة، وفي المدرسة قال لي العريف: «لم أنت متأخر؟» ثم دخلت وأنا وجل خافق القلب في حضرة مدرسي، وحييته باحترام».

وكان التلميذ يتلقي الضرب في المدرسة من أكثر من شخص واحد من اعضاء هيئة التدريس من أجل ما يرتكبه من بعض الهفوات الصبيانية كالحديث مع أصدقائه في الفصل، وكان بعض المعلمين يتشدد مع بعض التلاميذ مما يضطر ولي أمر التلميذ إلي دعوة هؤلاء المعلمين إلي المنزل واسترضائهم ببعض الهدايا، وهو نوع من أنواع الإبتزاز التي يقوم بها المعلمون والنفاق من جانب أولياء الأمور، ومما جاء في هذه الحالة الشاذة:

«لقد استمع الأب إلي نصيحة ابنه التلميذ وجاء المدرس من المدرسة، وبعد أن دخل البيت أجلسه في أشرف مكان وقام التلميذ علي خدمته، وأخذ يستعيد أمام ابيه كل ما تعلمه من كتابة «الألواح» ثم أن الاب قدم الشراب للمدرس وقدم له الطعام وكساه بحلة جديدة وأهداه هدية ووضع خاتما في أصبعه، وطابت نفس المعلم من هذا الإكرام وحسن الضيافة، فأخذ يطمئن التلميذ بتعليم فن الكتابة وقال له:

«أيها الشاب، لأنك لم تهمل قولي ولم تنبذ إرشادي، عساك أن تبلغ القمة في فن الكاتب، وعسي أن تتقنه غاية الاتقان، ولعلك تكون القائد بين أخوتك، وأن تصبح رئيسا علي جميع أصدقائك، وليتك تبلغ أعلي الرتب بين طلاب المدرسة، حقا لقد أحسنت في انجاز اعمال المدرسة كل الاحسان، وأصبحت رجل علم»[1].

وحفظ لنا أدب النصيحة في العراق القديم قطعة أدبية عبارة عن نصائح موجهة من أب لابنه صيغت في أقوال بليغة هدفها إرشاد الابن إلي الطريق الصحيح، وحثه علي الذهاب إلي المدرسة، واتخذت هذه النصائح في بدايتها

---

(١) انظر: صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص٥٥ - ٥٩.

شكل حوار ما بين الأب وابنه، وفيها يحث الأب ابنه علي الذهاب إلي المدرسة وطاعة المعلم والإنتباه إليه، والعودة من المدرسة إلي البيت دون إبطاء وعدم التلكؤ في الشوارع والميادين، ولكن يبدو أن الابن لم يسر في الطريق الذي حدده وتمناه له والده، فنجد الأب وقد تملكه الغضب، فأخذ يعبر عما يجول في نفسه من خواطر غاضبة مؤنباً ابنه ومذكراً إياه بأنه لم يكلفه بأي عمل من الأعمال التي يقوم بها أقرانه ويدرون بها دخلاً علي أسرهم، وينهي حديثه إليه بأنه يتعذب من أجله ليلاً ونهاراً بينما هو يعيش في ملذاته الخاصة، ثم يذكره بأن أهل عشيرته سوف تتملكهم الشماتة فيه.

ومما جاء في هذه النصائح التي تبدأ بسؤال يوجهه الأب لابنه[1]:

«إلى أين أنت ذاهب؟»
«لم أذهب إلى أى مكان».
«إذا لم تكن ذاهباً إلى أى مكان، فلم تكون كسولاً؟
اذهب إلى المدرسة، وقف أمام معلمك، واسمع دروسك،
افتح حقيبة كتبك، واكتب لوحك، ودع العريف يكتب لك
لوحك الجديد، وعندما تنتهى من دروسك وتقدمها للعريف،
احضر إلى المنزل، ولا تتجول فى الشوارع.
احضر فوراً، هل تعرف ما قلته لك؟»
«تعال، وكرره الآن لى».
«سوف أكرره لك».
«تعال إذن وأخبرنى به».
«لقد طلبت منى أن أذهب إلى المدرسة، وأسمع دروسى، وأفتح حقيبة كتبى، وأكتب لوحى، بينما يكتب العريف لوحى الجديد، وعندما انتهى من دروسى، أحضر إليك بعدما أكررها للعريف، فذاك ما طلبته منى».

---

(١) انظر: S.N., Kramer, op. cit., pp. 244 - 245.

«تعالى الآن، كن رجلاً، لا تقف فى الميدان العام،
ولا تتجول فى الشارع الفسيح، وعندما تمشى فى الشارع لا تنظر فى كل الاتجاهات.
«كن متواضعاً، واظهر الخوف أمام عريفك، فعندما تظهر الخوف سوف يحبك العريف».
«... إذا تجولت فى الميدان العام هل ستحقق نجاح؟
إذاً ابحث عن الأجيال الأولى!».
«اذهب إلى المدرسة، إنها مفيدة لك.
ولدى، ابحث عن الأجيال الأولى، واستعلم عنهم».
لقد وقفت أراقب الشخص الأحمق،
إننى لا أكون إنساناً حينما لا أسهر على رعاية ابنى،
لقد تكلمت إلى عشيرتى، وقارنت رجالها،
ولكننى لم أجد فيها أحداً مثلك».
«إن ما أطلبه منك يحول الأحمق إلى رجل حكيم، يمسك الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرقى، وسوف يمنعك من تقبل العبارات الكاذبة».
«لقد امتلأ قلبى بالضجر منك، لقد بقيت بعيداً عنك، ولم أنتبه إلى خوفك وتزمرك، لا لم أنتبه إلى خوفك وتزمرك،
بسبب ضجيجك، نعم بسبب ضجيجك،
لقد غضبت معك، نعم أنا غاضب معك، لأنك لا تهتم بإنسانيتك،
إن قلبى ينتزع منى كما لو كان ريحاً شريرة. لقد وضع تزمرك نهايتى، لقد جعلتنى أقف على هاوية الموت.
«إننى طوال حياتى لم أجعلك تحمل البوص إلى أجمات البوص.
إن نبات السمار الذى يحمله الشباب والصغار، لم تحمله أبداً طوال حياتك،
إننى لم أقل لك طوال حياتى «اتبع قوافلى»،
إننى لم أرسلك للعمل أبداً»

لم أجعلك تحرث حقلى،
لم أرسلك للعمل أبداً لتحرث حقلى،
لم أرسلك أبداً لتعمل كعامل بالأجر،
لم أقل لك طوال حياتى:
«اذهب واعمل وساعدنى».
«إن من هم مثلك يساعدون آباءهم بالعمل.

إذا تحدثت إلى عشيرتك وقدرتها حق قدرها، لكنت مثلهم، إن كل واحد منهم يحضر عشر جور Gur[1] من الشعير، حتى الصغار منهم يزودون آباءهم كل واحد منهم بعشر جور،

إنهم يضاعفون الشعير لآبائهم،
إنهم يساعدونهم بالشعير والزيت والصوف.
ولكنك أنت! إنك رجل سئ الطبع،
وعندما تقارن بهم لا تصبح رجلاً على الإطلاق،
إنك بالفعل لا تعمل مثلهم،
إنهم أبناء الآباء الذين جعلوا أبناءهم يعملون،
ولكننى لم أجعلك تعمل مثلهم،
«إننى أتعذب بسببك ليلاً ونهاراً،
وأنت تقضى الليل والنهار فى ملذاتك،
لقد كدست الكثير من الثروات
التى زادت اتساعاً وضخامة،
ولكن عشيرتك تنتظر بترقب سوء حظك،
وسوف تفرح بذلك، لأنك لم تهتم بإنسانيتك».

---

(١) الجور أحد المكاييل العراقية القديمة وكان يسع ٢٥٢,٦ لتراً، وقد سمي فيما بعد جور أجادة أو الجور الملكي، وقد ظل استعماله قائما حتي عصر الأسرة الكاسية حين حل محل الجور سعة ١٥١,٥٦ لتراً، انظر:
ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٢٧٤ - ٢٧٥.

وهناك العديد من الحكم والأمثال التي تدور حول نوعيات غير صالحة من الأبناء، وتوضح هذه الحكم والأمثال مدي المعاناة التي يعانيها الآباء من جراء ذلك.

ومن هذه النوعيات، الابن المسرف، الذي يصبح مصدر تعاسة لأبيه، ومما جاء في ذلك:

«بزواجى من امرأة مسرفة، وبإنجابى ابناً مسرفاً،

يصبح الحزن ذخيرتى»[1].

ولقد سبق مناقشة هذه الحكمة فيما يتصل بالزوجة المسرفة، ولكن الحديث هنا يتصل بالابن المسرف كذلك، وإذا حدث وكان كل من الزوجة والابن مبذرين فإن فجيعة الرجل تكون شديدة، وهذا ما تعبر عنه حكمة أخري متصلة بالحكمة السابقة ومرتبطة بها، ولقد جاء فيها:

«إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته»[2].

وأشارت الحكم إلي الأبناء الذين يدمرون في ثورة غضبهم ممتلكات آبائهم دون اكتراث إلي مغبة هذه الأعمال الحمقاء، وأنها تعود عليهم في النهاية بالضرر. ومما جاء في هذا المجال:

«[...]، يدمر الأبناء فى غضبهم ممتلكات آبائهم».

«إنه كمن يضرب أنفه نكاية فى وجهه»[3].

ومن هذه النوعيات غير الصالحة من الأبناء، الابن العاق، ويستدل من إحدي الحكم التي وصلتنا أن هذه النوعية من الأبناء، كانت أول من تتنصل وتبتعد عنهم أمهاتهم، كما تغضب عليهم آلهتهم. ومما جاء في ذلك:

---

(١) E.I., Gordon, op. cit., p. 119 (1.151).

(٢) Ibid., p. 119 (1.151).

(٣) Ibid., p. 110 (1.141).

«الابن العاق، لا تعطى له أمه مولداً، ولا يشكله إلهه الخاص»[1].

ومن ناحية أخري، فإن هناك من الحكم والأمثال ما يشير إلي أنه ليس الترف وحده هو الذي يؤدي إلي فساد الأبناء، ولكن يستوي في ذلك الفقر والغني، فبين الأسر الفقيرة، يوجد الأبناء غير الصالحين، حتي في الأسرة الواحدة تتفاوت مدي طاعة الأبناء لآبائهم، فليس جميع أبناء الأسرة الواحدة، متساوين في الأخلاق، ومما جاء في ذلك:

«ليس جميع أبناء منزل الرجل الفقير متساوين في الطاعة»[2].

---

(١) Ibid., p. 124 (1.157).

ومما هو جدير بالذكر، أنه حسب الاعتقاد العراقي القديم، كان كل إنسان يعتمد علي إله هو ملاكه الحارس، وكان يطلق علي نفسه «ابن» هذا الإله، وكان الإله يهتم بالرجل الذي هو حارسه، وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبودات الأخري.

انظر: ل. ديلابورت: المرجع السابق، ١٩٢ - ١٩٥.

وكانت العلاقة وثيقة ما بين الفرد وإلهه الشخصي، وكان الإله الشخصي إلهاً صغيراً يعني بعائلة ذلك الإنسان عناية خاصة أو يحبه لهوي في نفسه، فهو أقرب ما يكون إلي تشخيص لحظ الفرد وبخاصة في الحياة، ويفسر النجاح بأنه قوة خارجية تتغلغل في أفعال الفرد وتتيح لها إنتاج النتائج، فالنتائج لا تصدر عن قدرة الإنسان نفسه، لأنه اضعف من أن يؤثر علي مجري الكون تأثيراً يذكر، ولا يقوي علي ذلك إلا الإله. ولذلك إذا حققت الأشياء ما كان يأمله الفرد، بل فاقت كل ما يرجو. فلاشك في أن إلهاً ما قد أهتم به وبأفعاله ومنحه النجاح. ويتضح الاعتقاد بأن الإله الشخصي هو القوة الكامنة وراء نجاح الإنسان في إحدي الحكم العراقية التي جاء فيها:

«ليس بمقدور الإنسان، بلا إله (شخصي).
أن يكسب خبزه.
ولا بمقدور الفتي أن يحرك ذراعه ببطولة في المعركة».

ويتصل بذلك أيضا:

«عندما تخطط للمستقبل يكون إلهك إلهك،
وإذا لم تخطط للمستقبل، ليس إلهك بإلهك».

وبما أن الإله الشخصي هو القوة المسببة لنجاح أعمال الإنسان، فإنه كان من الطبيعي كذلك ان يتحمل أيضاً أو تتحمل المسئولية الأدبية في مثل تلك الأفعال. وكان المرء يعبد ويطيع إلهه الشخصي قبل غيره من الآلهة، حيث كان في كل بيت مكان صغير لعبادته. انظر:

T., Jacobsen, in Befor Philosophy, pp. 218 - 219.

(٢) E.I., Gordon, op. cit., pp. 192 - 193 (2.26).

وتشير أحدي الحكم إلي أن الشاب صغير السن لا يقبل تأديب أمه بسهولة بعكس الفتاة:

«الفتاة الثرثارة، تستطيع أمها إسكاتها،

الشاب الثرثار، لا تستطيع أمه إسكاته بشكل طيب»[١].

ويرتبط بذلك أيضاً ما جاء بإحدي الحكم السومرية التي تشير إلي أن التصرفات الرعناء لا توجد رجولة فيها:

«إن أعمال الطفولة لا توجد رجولة فيها»

أو «إن أعمالك صبيانية، فلا يوجد فيها شئ

يتصل بالرجولة»[٢].

وكان ابناء الخطيئة يتبنون، ولا يعرفون نسبهم، وكانوا غير مرغوب فيهم، ومن الأمثلة التي توضح تخلي آبائهم عنهم، وعملهم علي التخلص منهم:

«أبناء الخطيئة ماذا يحضرون!

آباء الخطيئة ماذا عملوا ليتخلصوا منه!»[٣].

وتوجد مجموعة من الأمثال المرتبطة ببعضها، والتي صيغت علي لسان أحد هؤلاء اللقطاء، وفيها يوضح الحالة التعسة لهذه الفئة في العراق القديم، والتي تبدأ تعاستها منذ لحظة مولدها حين تتنكر أمهاتهم لهم. ومما جاء في هذه الأمثال[٤].

«ما الذى يحدد مصيرى!

---

(١) Ibid., p. 139 (1.185).

(٢) Ibid., p. 58 (1.37).

(٣) Ibid., p. 130 (1.169).

(٤) انظر في ذلك:

T., Jacobsen., in E.I., Gordon., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, pp. 475 - 478.

سوف أقول (رغم ذلك) كلمات مزدراه.
... لقد أخبرتنى جارتى عما يقرر مصيرى.
لقد أخذت (أمى) ذلك على نفسها لتكشفنى بكلمات مزدراة
....
فى يوم نحس ولدت
عمّا يحدد مصيرى تحدثت،
لقد أنكرت أنها أمى
لقد جاءت جارتنا إلى المنزل لتساعد أمى
هل الذى جاء بى إلى الحياة هو الذى دهن جسدى بالزيت
وكما يقول المثل السائر:
«إننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهم.
قدر على أن أكون ضالاً.
إننى كما يقول المثل السائر:
«إننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهم. قدر على أن أكون رقيقا».

التبنى

شاع التبني في العراق القديم، وكان هدفه الإبقاء علي الكيان الاجتماعي للاسرة بإعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل، وتضمنت علاقة التبني حقوقا وواجبات للطرفين.

وتوضح بعض عقود التبني عن الغاية الحقيقة من التبني، فكان في أغلب حالاته يتمثل في ارتباط قانوني بين رجل عجوز وامرأة مسنة يهدفان إلي الحصول علي مساعدين لهم يقومون علي خدمتهم وينجزون لهم أعمالهم والسهر علي راحتهم وتوفير أسباب المعيشة لهم عند العجز والشيخوخة، كما تكشف بعض العقود أن الغايات الدينية كانت مشجعة علي التبني، فبعض العقود تشترط علي الابن المتبني أن ينفذ الطقوس والمراسيم الدينية اللازمة علي روح متبنيه بعد وفاته.

وقد يتأخر زوجان عن الإنجاب ولها رغبة شديدة علي استمرار علاقتهما الزوجية، لذلك يعمدان إلي تبني ابنا لهم قبل أن يرزقا بأبناء من صلبهم، فإذا أراد المتبني فسخ علاقة البنوة مع الإبن المتبني، كان يجب عليه ضمان كامل حقوقه عند فسخ عقد التبني.

وكانت تمر بعض حالات التبني بفترة تجربة ربما يتراجع بعدها المتبني عن رغبته، لذلك كان إبرام العقد بين الطرفين يمثل الصيغة القانونية التي لا يحق بعد إبرامها لأحد منهما بالرجوع عنها، وإلا يتحمل تبعات نقض الاتفاق، كما يجب للابن المقرر تبنيه التخلي عن متبنيه إذا تأخر المتبني في إبرام العقد، أو تردد في إعلان أبوته التي تتيح للإبن المتبني حق الارث في ممتلكات متبُنيه مستقبلا.

ولجأ كثير من الحرفيين إلي التبني، ففي حالة شيخوخة الحرفي وعجزه عن القيام بأعمال حرفته فإنه يصبح معرضا للموت جوعا، لذلك كان بحاجة إلي صبي يدربه علي اسرار مهنته ليستعين به علي أيام شيخوخته وعجزه[1].

ولقد ورد في قانون حمورابي العديد من المواد التي تتصل بالتبني فجاء في **المادة ١٨٥**[2]:

«لو تبنى رجلا طفلا وأعطاه اسمه ورباه، لا يحق استعادة الطفل المتبنى».

أما المادة ١٨٦ فتوضح بعض الجوانب الإنسانية في حالات التبني فتشير إلي أنه في حالة تبني طفل رضيع يبقي الطفل تحت التجربة، فإن تكيف مع المحيط الجديد الذي ذهب إليه فإنه يكون لمتبنيه، أما إذا واصل الطفل طلبه لامه، فعلي الرجل الذي تبناه أن يعيده إلي أمه وأبيه، ولا يترتب علي الطفل في هذه الحالة اية تبعات قانونية، حيث نحا القانون منحي إنسانيا في تأكيد حاجة الطفل الطبيعية إلي والديه، وبخاصة وهو في دور الحضانة، ولقد جاء في هذه المادة:

---

(١) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص١٠١ - ١٠٤.

(٢) T.J. Meek, op. cit., p. 174.

«لو تبنى رجل طفــلا ثم أصــر الولد بعــد ذلك أن يبــحث عن أبويـه الحقيقيين، يعود الطفل إلى والده»[1].

وجاء في المادة ١٨٧:

«لا يمكن استعادة الابن المتبنى لياوران القصر أو خادم القصر أو المنذور»[2].

وحـددت المادتين ١٨٨، ١٨٩ حـالة الحـرفي الذي يتـبنـي طفـلا وحـقـوق وواجبات الطرفين، وجاء فيها[3]:

المادة ١٨٨:

«لو اتخذ حرفى ابنا ليتعلمه الصنعة وعلمه الحرفة، لا يحق لاحد استرداد الولد».

المادة ١٨٩:

«إما إن لم يعلمه الحرفة يحق للولد أن يعود إلى بيت أبيه»

وحـددت المادتين ١٩٠، ١٩١ بعض حقـوق المتـبني تجاه من تبناه وجـاء فيهما[4]:

المادة ١٩٠:

«إن لم ينظر رجل تبنى طفــلا ورباه مع أولاده على أنه أحــد أولاده يحق للولد أن يعود إلى بيت أبيه».

المادة ١٩١:

«لو بني رجل لطفله الذي تبناه ورباه بيتا ثم رزق بعد ذلك بأولاد فأراد أن

---

(١) Ibid., p. 174.
(٢) Ibid., p.174.
(٣) Ibid., pp. 174 - 175.
(٤) Ibid., p. 175.

يطرد الولد بالتبني، لن يذهب الولد خاليا معوزا، بل يعطيه والده الذي رباه ثلث تركته من الأموال، دون مزروعات الحقل والبيت».

وحددت المادتين ١٩٢، ١٩٣ عقوبة الإبن المتبني الذي يتنكر لمن تبناه، وجاء فيهما(١):

المادة١٩٢:

«إن قال ابن ياوران القصر بالتبني أو ابن منذور المعبد بالتبني لوالده المتبني أو الدته المتبنية «أنت لست أبي» أو «أنت لست أمي» يقطعون لسانه».

المادة١٩٣:

«لو اكتشف ابن ياوران القصر بالتبني أو ابن منذور بالتبني والده الحقيقي مما دفعه إلي كراهية والده المتبني أو الدته المتبنية له وإلي مغادرتهما إلي بيت أبيه يسملون إحدي عينيه».

الميراث

اهتمت القوانين العراقية القديمة بالميراث وتوزيع التركة وتعيين الورثة الشرعيين، لأن تعيين الورثة والتركة وتحديد الحصص تشكل النقاط الجوهرية في الميراث، وكان لتعدد الزوجات وحالات التبني أثره الكبير في تداخل الوراثة، وعلي الرغم من وجود مواد قانونية كثيرة تحدد بعض حالات الوراثة، إلا أن هذه القوانين علي كثرتها لم تشمل جميع حالات الميراث، وربما كان ذلك راجعا إلي أن القوانين عالجت عادة الموضوعات المختلف عليها أو يعتقد أنها نقاط خلاف، بينما كان يترك للعرف والتقاليد تعيين الضوابط والأحكام في مجال الميراث.

وعرف العراقيون ثلاثة أنواع من التركة وهي الأموال غير المنقولة كالأراضي والبيوت والحدائق واموال منقولة كالنقود والحلي والملابس والأثاث وأخيرا الحقوق المالية وهي نوع من الأموال المنقولة كان تكون رأس مال شارك في عملية تجارية أو أموال مقرضة إلي آخرين.

(١) Ibid., p. 175.

والقاعدة العامة في تعيين الورثة هي أن الذكور جميعا من الأبناء يتقاسمون تركة والدهم بالتساوي مع منح الإبن الأكبر بعض الإمتيازات، وأحيانا كان يترك المتوفي وثيقة رسمية كالوصية يخصص بموجبها جانبا من ممتلكاته لإحدي زوجاته أو أحد أبنائه، وفي هذه الحالة كان يقتطع الوصية أولاً ثم يتم تقسيم باقي الممتلكات علي الورثة. كما كان يقتطع من التركة مبلغا من المال يساوي هدية الزواج وذلك للصبية الصغار الذين لم يتزوجوا، وكان يضاف هذا المبلغ إلي حصة أولئك الذين لم يتزوجوا. وإذا مات الأب وأطفاله صغار فكانت الأم تقوم بالوصاية عليهم، وفي حالة زواج الأم كان الاطفال يتنقلون مع أمهم إلي بيت زوجها، وفي هذه الحالة كان يلزم القانون زوج الأم بالمحافظة علي ممتلكات الاطفال القصر.

وبالنسبة للإناث، فلم يخصص لهن في التركة سوي قيمة مهورهن إذا كن لم يحصلن عليها في حياة الوالد، ويرجح البعض أنه كان يخصص للفتاة ثلث الحصة الواحدة في تركة والدها إذا كانت لم تحصل علي مهرها، وان كان من غير المعروف هل هذا الثلث يتضمن جميع التركة أم أنه كان يقتصر فقط علي الأموال المنقولة نظراً لأهمية الأرض بالنسبة للمجتمعات الزراعية بشكل عام.

ولم يكن للزوجه نصيب في تركة زوجها فيما عدا هدية زواجها، وان كفل لها القانون حق الاستمرار في الإقامة في بيت زوجها، ولقد أشارت المادة ٣٩ من قانون حمورابي إلي حق الجندي أو مبعوث الملك أو تابع الإقطاعي في أن يسجل باسم زوجته أو ابنته حقلا أو حديقة أو بيتا يمتلكه، ولقد جاء في هذه المادة: «يحق له أن يسجل باسم زوجته أو ابنته حقلا أو حديقة أو بيتا كان قد اشتراه أو تملكه.... »[1] ومعني ذلك أنه كان يحق للرجل أن يهب زوجته أو ابنته ما يشاء من أملاكه العقارية.

كما نصت المادة ١٥٠ من قانون حمورابي علي حرية المرأة في التصرف في الأملاك والأموال التي يهبها لها زوجها، وأنها تستطيع أيضا توريثها لمن تشاء من أبنائها دونما الاخرين:

---

(١) Ibid., p. 168.

«إذا أهدي رجل امرأته حقلا أو حديقة أو بيتا أو أملاكا منقولة وكتب وثيقة بذلك، فلا يستطيع أبناؤها بعد موت زوجها أن يدخلوا معها في نزاع، ويحق للمرأة أن تهب تركتها لأي ابن لها تفضله عن غيره، لكن ليس من حقها أن تهب تركتها لغريب»(١).

ولا توجد اشارة صريحة إلي حصول الإخوة علي نصيب في الميراث إلا في حالة وفاة أختهم، حيث كان يعود مهرها إلي بيت أبيها حيث يقتسمه أخوتها في حالة وفاة الأب(٢).

وإذا كان رب العائلة قد تزوج بأمراتين فإن حقوق أولاد الزوجين تكون متساوية في تركة الأب، وإذا توفي أحد الأبناء قبل والده فإن أولاده يقتسمون نصيبه في حالة وفاة الجد، إما إذا كان ليس له ابنا فكان نصيبه يؤول إلي اخوته(٣).

وكانت التركة تقسم بالطريق الودي أو عن طريق المحاكم، كما كان من المستحسن أن تحرر لكل واحد من الورثة لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه، وإذا كان المتوفي من ذوي المراكز المرموقة، فان الامر كان يستدعي أن يثبت أن الأملاك التي تركها خالية من كافة الموانع، وهو نص ضروري في حالة سبق حصول المتوفي من الملك علي أملاك لا تنقل ملكيتها إلي العائلة، ومنها بعض الأملاك التي كانت تعطي لرجال الجيش(٤).

ولقد تناولت القوانين العراقية القديمة مشاكل الميراث بكثير من التفصيل فلقد ورد في قانون لبت عشتار العديد من المواد المتصلة بالميراث فجاء في المادة ٢٢(٥).

---

(١) Ibid., p. 172.

(٢) رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق، ص٩٦ - ١٠١.

(٣) L, Delaport, op. cit., p. 82.

(٤) Ibid., p. 83.

(٥) S.N. Kramer, op. cit., 160.

«يحق للابنه، سواء كانت «انتو Entu» (درجة من الكاهنات) أو «ناتيتو Natitu» (درجة من الكاهنات) أو كاهنة غير مكرسة أن تقيم في بيت أبيها، ما دام الأب علي قيد الحياة، كأي ورث».

وتشير هذه المادة إلي أحقية الابنة التي تعمل في السلك الكهنوتي أن تقيم في بيت والدها مادام علي قيد الحياة مثلها مثل باقي الورثة من الذكور.

وتتصل المادة ٢٣ أيضا بميراث البنت في حالة وجود والدها علي قيد الحياة ولكن للاسف هذه المادة غير كاملة حيث يوجد تدمير في النص يصل إلي حوالي ٢٢ سطر(١).

وحددت **المادة ٢٤** تساوي أولاد الزوجتين الأولي والثانية في تركة والدهم ولكن دوطة الزوجة تؤول إلي أولادها هي فقط دون أولاد زوجها من الزوجة الأخري، وجاء في هذه المادة(٢):

«لو أنجبت الزوجة الثانية لرجل أولاداً، تؤول دوطتها التي آتت بها من بيت أبيها إلي أولادها، ولكن أولاد الزوجه الأولي وأولاد الزوجة الثانية يتقاسمون أملاك أبيهم بالتساوي».

واشارت **المادة ٢٥** إلي حالة من الحالات التي قد تحدث ويتكرر حدوثها وهي انجاب أمة رجل منه مع أنه متزوج وله أولاد من زوجته، فنجد القانون هنا قد سمح للرجل بعتق الأمة التي انجبت منه كما أن أولادها منه سيصبحون أحراراً، ولكن القانون حرمهم من اقتسام الأملاك العقارية مع أخوتهم من الزوجة الأولي، وجاء في هذا القانون(٣):

«إذا تزوج رجل وانجبت زوجته له أولادا، وهم لازالوا علي قيد الحياة، ثم أنجبت إحدي إمائه أيضا أطفالا منه، ثم اعتق الأب الأمة وأولادها، فإنه لا

---

(١) Ibid., p. 160. no. 19.
(٢) Ibid., p. 160.
(٣) Ibid., p. 160.

يقتسم أولاد الأمة العقار مع أولاد سيدهم السابق». ومعني ذلك أن القانون قد أجاز حجب الارث في العقار عن أولاد الأمة إذا أعطاها زوجها حريتها وحرية أولادها الذين انجبتهم، وربما يشير ذلك إلي عدم اعترافه بتبني هؤلاء الأولاد طالما أنه ألغي هذه الرابطة وألغي بالتالي ما يترتب عليها من نتائج سواء بالنسبة للميراث أو غيره.

وعالجته **المادة٢٦** حالة الرجل الذي ماتت زوجته، ثم تزوج بعد وفاتها من أمته وانجبت له الأمة أطفالا، إلا أنه لسوء الحظ فإن هذه المادة مهمشة وغير كاملة، وأن كان البعض قد أكملها علي النحو الآتي[1]:

«إذا ماتت امرأته وأخذ بعد امرأته عبدته امرأة له، هكذا يُكون اطفال امرأته ورثته وأطفال العبده الذين انجبتهم لسيدها يعتبرون أيضا أطفاله وبإمكانهم الإستفادة من بيته».

ومعني ذلك أن أطفال الأمة يمكنهم الاستفادة من منزل والدهم وذلك في حالة وفاة الزوجة الأولي أي عدم وجودها بالمنزل.

وحددت **المادة٢٧** حقوق أولاد العاهرة من أبيهم إذا كانت زوجته عقيم، حيث أنهم في هذه الحالة يصبحون هم ورثته، ولكن أمهم لا يجوز لها أن تعيش مع الزوجة العقيم في منزل واحد.

«إذا لم تلد امرأة لزوجها أطفالا، ولكن عاهرة من الساحة العامة ولدت له أطفالا، فعليه أن يزود العاهرة بالحبوب والزيت والكساء كمعيشة لها، وسيكون الأولاد الذين ولدتهم العاهرة ورثته، ولكن ما دامت زوجته علي قيد الحياة، فلا يجوز للعاهرة أن تعيش معها في البيت».

ويمكن أن تستدل علي مبدأ الشقة في الكثير من العقود والتطبيقات

---

(١) انظر:
عبد الحكيم الذنون: تاريخ القانون في العراق، دمشق، ١٩٩٣، ص٨٤.
(٢) S.N. Kramer, op. cit., p. 160.

القانونية، ويمكن اعتبار **المادة ٣١** من قانون لبت عشتار خير مثال لوصف معاملة الميراث المبنية علي الشقة، فإذا أهدي والد لولده المفضل أثناء حياته هدية، وختم له عقداً بذلك، فلا يحق للورثة - بعد وفاة الأب - احتساب هذه الهبة ضمن ممتلكات مورثهم، ولا يحق لهم بالتالي مشاركته الهدية التي سبق أن منحها والدهم لابنه المفضل، وانما يحق لهم اقتسام ما تبقي من الميراث سواء كانت أموالا منقولة أو غير منقولة فقط[1]، ولقد جاء في هذه المادة:

« ... الذي أعطاه إياه بعد موت أبيهم، فإن الورثة يقتسمون أرض أبيهم، ولكن ميراث الأرض لا يُقسم، فانهم «لن يطبخوا كلمة أبيهم في الماء»[2].

ولقد اختتمت هذه المادة بمثل رائع بإيجازه علي وجوب تنفيذ وصية المورث، وأن لا يطبخوا كلمة أبيهم في الماء، ويغلب علي الظن أن هذا التعبير ليس من الأساليب الأدبية بل من الأمثال الدارجة في ذلك الوقت.

ولقد أوردت شريعة حمورابي العديد من القوانين المتصلة بالميراث فأوضحت **المادة ١٦٥** أن الوصية تقتطع أولا من التركة ثم توزع بعد ذلك التركة بين الابناء بالتساوي حتي وإن كانت الوصية لاحد الأبناء، وجاء في هذه المادة:

«إذا أهدي رجل ابنه الوريث الذي أحبه حقلا أو حديقة أو بيتا وكتب له وثيقة بذلك، فإذا مات الوالد واقتسم الابناء فيما بينهم بالتساوي أملاك البيت، فعليه أن يأخذ ما أعطاه له والده ثم تقسم باقي التركة بينه وبين باقي اخوته بالتساوي[3].

وقرر قانون حمورابي ضرورة أن يجنب الاخوة قيمة زواج أخيهم الذي لم يتزوج من تركة والدهم، ثم يقسمون باقي التركة بينهم بالتساوي، وجاء ذلك في **المادة رقم ١٦٦**[4]:

---

(١) عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص٨٩.

(٢) S.N. Kramer, op. cit., p. 160, no 20.

(٣) T.J. Meek, op. cit., p. 173.

(٤) Ibid., p. 173.

«إذا قام رجل بتزويج أولاده الذكور ولكنه لم يزوج بعد ابنه الأصغر فإنه يخصص لهذا الابن مالا كافيا من اموال أبيه يمكنه من الزواج وذلك في حالة وفاة الأب، وذلك بالإضافة إلي حصته في تركة والده مثله مثل اخوته».

وأشارت المادة رقم ١٦٧ إلي وضع الميراث إذا تزوج رجل بامرأة وانجب منها وماتت، ثم تزوج بعد موتها وانجب من الزوجة الثانية، ففي هذه الحالة وبعد وفاة الاب يتساوي الأولاد في تركتهم من والدهم بينما يختص أولاد كل زوجه بمهر امهم، وجاء في هذه المادة:

«إن ماتت امرأة بعد أن اتخذها رجل زوجة له وبعد أن انجبت له أطفالا، فتزوج الرجل امرأة أخري انجبت له أولادا، ثم مات بعدها، لا يقتسم الأولاد التركة حيث وضع الأمهات، بل يأخذ كل فريق مهر أمه ثم يتقاسمون تركه أبيهم بشكل متساو»[١].

وحددت المادتين ١٧٠، ١٧١ وضع أولاد الأمة في الميراث وجاء فيهما[٢]:

المادة ١٧٠: «إذا ولدت الزوجة الأولي لرجل أطفالا، ثم ولدت أمته أطفالا أيضا، وقال الاب يوما لأولاد الأمة «يا أولادي» وبالتالي اعتبرهم كأولاده الذين ولدتهم الزوجة الأولي، يتقاسم أولاد الزوجة الأولي وأولاد الأمة أملاك الاب بالتساوي، علي أن يكون للابن الاكبر للزوجة الأولي أفضلية الحصص».

المادة ١٧١: «إما إذا لم يخاطب الاب أولاد الأمة بكلمة «يا أولادي» مطلقا طوال حياته، لا يتقاسم أبناء الأمة، إن توفي الأب، أموال أبيهم مع أولاد الزوجة الأولي، وإنما تصبح حرية الأمة وحرية أولادها نافذة فقط، دون أن يكون لابناء الزوجة الأولي مطلقا حق استعباد أبناء الأمة، تأخذ الزوجة الأولي مهرها وهدية الزواج التي كتبها لها زوجها في لوح أثناء تقديم الهدية لها ولها حق الانتفاع فقط خلال حياتها في بيت زوجها وطالما بقيت علي قيد الحياة دون حق البيع لان تركتها تخص أولادها».

(١) Ibid., p. 173.
(٢) Ibid., p. 173.

وحددت **المادة ١٧٢** حق الزوجة التي لم تحصل علي مهر في تعويض من تركة زوجها وجاء فيها[١]:

«إذا كان الزوج لم يقدم هدية الزواج، تعوض الزوجة عن مهرها، وتحصل من تركة زوجها علي حصة تساوي حصة الوريث الواحد، وان استمر أولادها في ازعاجها لجعلها تترك البيت يستقص القضاة عن سجلها (فإن كان نظيفا) فإنهم يضعون اللوم علي الأولاد، ولا حاجة لها أن تترك بيت زوجها مطلقا، أما إن قررت تلك المرأة أن تترك البيت، عليها أن تترك لأولادها هدية الزواج التي قدمها لها زوجها، لكنها تأخذ مهرها الذي أتت به من بيت أبيها حتي تستطيع أن تتزوج من الذي يريدها».

وأشارت المادتين ١٧٣، ١٧٤ إلي تركة المرأة التي سبق لها الزواج والانجاب ثم تزوجت للمرة الثانية، وجاء فيهما:

المادة ١٧٣: «إذا أنجبت المرأة التي سبق لها الزواج والانجاب من زوجها الثاني، ثم ماتت، يقتسم أبناؤها من الأول ومن الثاني مهرها».

المادة ١٧٤: «أما إذا لم تنجب من زوجها الثاني، فيحصل ابناءها من زواجها الأول علي مهرها».

وحددت المواد من ١٧٨ - ١٨٤ طبيعة ميراث النساء اللاتي يعملن في السلك الكهنوتي، ولقد جاء في هذه المواد[٢]:

المادة ١٧٨:

«في حالة الكاهنة أو أمة العبد أو المنذورة التي كتب لها والدها وثيقة حين أهداها مهرها ولم يكتب لها في الوثيقة إذنا يسمح لها بأن تمنح تركتها لمن تحب، ولم يمنحها حق التمييز الكامل، يحق لاخوتها عندما يموت الأب أن يأخذوا حقلها وحديقتها، وعليهم أن يقدموا لها في مقابل ذلك الطعام والزيت والكساء

(١) Ibid., p. 173.
(٢) Ibid., p. 174.

بما يتناسب مع قيمة حصتها، وبذلك يتم تأمين معيشتها، أما إذا لم يقدم لها أخوتها الطعام والزيت والكساء بما يتناسب مع قيمة حصتها فلم يؤمنوا بذلك معيشتها، يحق لها أن تعطي حقلها وحديقتها لأي مستأجر ترضاه ويقوم المستأجر بإعالتها، لأنه لها حق الانتفاع بالاملاك فقط دون حق البيع طوال حياتها كما أنه ليس من حقها التوصية بها للأخرين، لأن تركتها تعود إلي أخوتها».

المادة ١٧٩: «وفي حالة الكاهنة أو أمة المعبد أو المنذورة التي كتب لها والدها عن تقدمة مهرها لها وثيقة مختومة، فإن كتب لها في الوثيقة أنه يسمح لها بأن تعطي تركتها لمن تشاء، وإن منحها حق التمييز الكامل، بإمكانها أن تعطي تركتها لمن تشاء بعد وفاة والدها، دون حق اخوتها في المطالبة بشئ من تركتها».

المادة ١٨٠: «لو لم يقدم أب لابنته الخادمة في المعبد، تأخذ الابنه بعد موت أبيها حصة لها من تركته تعادل حصة أي وريث بمفرده، لكن ليس لها سوي حق الانتفاع بهذه الأملاك خلال حياتها لأن حصتها تخص أخوتها».

المادة ١٨١: « لو كرّس أب ابنته خادمة للآلهة أو بغيا مقدسا أو نذراً ولم يقدم لها مهراً، تأخذ حصة من أملاك أبيها بمقدار الثلث بعد وفاته، لكن لها حق الانتفاع فقط بهذه الأملاك أثناء حياتها لأن تركتها من حق أخوتها».

المادة ١٨٢: «إذا لم يكتب أب لابنته الخادمة في معبد مردوخ في بابل وثيقة مختومة ولم يقدم لها مهرا، تتقاسم مع إخوتها بحدود الثلث من املاك أبيها بعد وفاته، ولا تأخذ علي عاتقها أي التزام اقطاعي لأن من حق خادمة معبد مردوخ أن تورث تركتها لمن تشاء».

المادة ١٨٣: «إن كتب أب اثناء تقديم المهر لابنته الكاهنة غير المكرسة حين تسليمها إلي زوجها وثيقة مختومة، لا يحق لها أن تقاسم أخوتها في أملاك أبيها حين يموت».

المادة ١٨٤: «إن لم يقدم رجلا مهراً لابنته الكاهنة غير المكرسة لأنه لم

يعطها لزوج، يهبها إخوتها حين يموت الأب مهراً مناسبا يتناسب مع قيمة تركة الأب ويقدمونها لزوجها».

وجاء في اللوحة A من قوانين أشور الوسطي العديد من المواد المتصلة ببعض الأمور الخاصة بالوراثة، ومما جاء في هذه المواد:

المادة ٢٥ A:

«إذا عاشت امرأة في بيت والدها وتوفي زوجها، ولم يقبل أن يقسم أخوة زوجها الميراث فيما بينهم، ولم يكن لها ابن، فعلي أخوة زوجها الذين لم يقتسموا، أن يستعيدوا كافة المجوهرات التي أعطاها لها زوجها وكل ما زال موجودا منها، أما الباقي فعليهم إحضاره أمام الإله ويتعرفون عليه ويستردونه، ويجب أن يؤخذوا إلي النهر أو إلي أداء اليمين».

المادة ٢٦ A:

«إذا عاشت امرأة في بيت والدها وتوفي زوجها، وإذا كان له ابناء، فعليهم أن يأخذوا جميع الحلي التي أعطاها لها زوجها، وإذا لم يكن لزوجها أبناء فتستطيع أن تأخذها لنفسها».

المادة ٢٧ A:

«إذا عاشت امرأة في بيت والدها، وكان زوجها يتردد عليها باستمرار فإنه يستطيع أن يأخذ كل شئ اعطاها إياه كهدايا زواج، ولكن ليس له حق الإدعاء بملكية أملاك بيت والدها».

المادة ٢٨ A:

«إذا ذهبت أرملة إلي بيت رجل ما كزوجة له وأخذت معها ابنها الذي مازال طفلا، وربي في البيت الذي اصطحبته معها إليه ولم تكتب وثيقة بأنه ابنها، فإنه لا يحصل علي حصة من إرث البيت الذي ترعرع فيه، وليس بحاجة أن يكون مسئولا عن الديون، وإنما يحصل من بيت والده علي حصة من التركة التي هي حقه».

المادة ٢٩ A:

«إذا ذهبت امرأة إلي بيت زوجها، فيكون جهازها وكل شئ أتت به من بيت والدها أو ما أعطاها لها حموها عند دخولها إلي المنزل ملكا لأولادها ويكون ملكا لا نزاع حوله».

وكفلت المادة ٤٦ A للمرأة التي يموت زوجها ولم يكتب لها شئ من ميراثه، حق المعيشة الكريمة انجبت أم لم تنجب وسواء كانت الزوجة الأولي أم الثانية، ولقد جاء في هذه المادة[1]:

«إذا لم ترغب امرأة توفي زوجها مغادرة بيتها بعد وفاة زوجها، فإنه يحق لها، إذا لم يكن زوجها قد كتب لها وثيقة بشئ، أن تعيش في بيت أحد أبنائها الذي تختاره، وعلي أبناء زوجها أن يتعهدوها، عليهم أن يبرموا عقدا معها ينص علي أن يسلموها طعامها وشرابها كالعروس التي يحبونها، فإذا كانت هذه زوجة ثانية وليس لها أبناء، فإنه بإمكانها أن تعيش عند أحد أبناء زوجها، وعليهم مجتمعين أن يتكفلوا معيشتها، وإذا كان لها أبناء ولا يريد أبناء المرأة الأولي أن يكفلوا معيشتها، فإنها تستطيع أن تعيش في بيت أحد أبنائها الذي تختاره، وعلي أبنائها أن يتعهدوا أمرها، وعليها أن تقوم بأعمال لهم. ولكن إذا وجد بين أبناء زوجها أحد يريد الاحتفاظ بها، وعندها فعليه وحده أن يتعهدها وليس لأبنائها الآخرين حاجة لتعهدها».

وأشارت اللوحة ب في قوانين أشور الوسطي إلي بعض القواعد التي كانت تتبع في توزيع التركة وفيها تلاحظ أن الابن الاكبر كان له حق الاختيار ثم يتم توزيع الباقي إما حسب قاعدة الأكبر فالأكبر أو أن يكون الاختيار بالقرعة ومما جاء في هذه اللوحة من قوانين تتصل بالميراث[2]:

---

(١) Ibid., p. 184.

(٢) Ibid., p. 185.

المادة ١ B:

«إذا اقتسم اخوة ممتلكات والدهم، يجوز لأكبرهم سنا أن يختار أولا حصتين من البيوت والحدائق والآبار علي الأرض غير المستغلة كنصيبه من الميراث ويأخذهما لنفسه، وعندها يجوز لإخوته الاختيار الواحد بعد الآخر، أما أصغر الأبناء سنا فيقتسم أي أرض مزروعة وكل منتجات اعمالهم، ويجوز للابن الاكبر سنا أن يختار حصته أولا ويأخذها، أما بصدد الحصة الثانية فيتم الاختيار بالقرعة».

وربما كان ذلك راجعا إلي الأعباء والمسئوليات التي كانت تلقي علي كاهل الابن الاكبر وبالتالي فكانت هناك بعض الامتيازات التي يحصل عليها في مقابل الأعباء التي يتكفل بها في محيط الأسرة.

وأشارت المادتين ٢، ٣ إلي انتقال ميراث الشخص الذي يقتل شخصاً آخر إلي سيد الضحية، وكذلك حرمان الشخص الذي يخون الوطن من الميراث. ولقد جاء في هاتين المادتين[١]:

المادة٢:

«إذا أقدم رجل بين إخوته، الذين لم يقتسموا تركة أبيهم بعد علي قتل شخص، فيجب أن يُسلم إلي سيد الضحية، ويحق لسيد الضحية أن يقتله أو يعفوا عنه إذا رغب بذلك ويأخذ نصيبه من التركة».

المادة٣:

«إذا نطق رجل بين اخوته الذين لم يقتسموا التركة بعد بكلمة الخيانة، أو هرب، فيستطيع الحاكم أن يفعل ما يراه في حصته من الإرث».

ولقد كانت هناك أيضا بعض حالات أخري للحرمان من الميراث، ومنها ما ورد في قانون حمورابي في المادتين ١٦٨، ١٦٩ والتي جاء فيهما[٢]:

---

(١) Ibid., p. 185.

(٢) T.J. Meek., The Code of Hammurabi, in ANET, p. 173.

المادة ١٦٨: «لو قرر رجل أن يحرم ابنه من الميراث فقال للقضاه «ارغب في حرمان ابني» يبحث القضاة في ماضي الابن، فان وجدوا أنه لم يجترح ذنبا جسيما يبيح حرمانه لا يحق للأب أن يحرمه».

المادة ١٦٩: «أما إذا اقترف الابن بحق والده خطأ جسيما عقوبته الحرمان من الميراث، فعلي المرء أن يصفح له للمرة الأولي، أما إذا اقترف للمرة الثانية خطأ جسيما فيستطيع الأب أن يحرم ابنه من حقه في الميراث».

كما أشارت **المادة ١٥٨** إلي حالة أخري من حالات الحجب من الميراث وهي ارتكاب جريمة الزنا مع زوجة الأب، وجاء فيها[1]:

«لو قبض علي رجل في أحضان زوجة أبيه التي انجبت اطفالا، فإن هذا الرجل يقتطع من بيت والده (يطرد من البيت)». وفي ذلك إشارة إلي حرمانه من الميراث.

وجاء في قانون أشنونا مادة توضح ما يعرف حاليا باسم **«حق الشفعة»** وهي أنه إذا رغب أحد الأخوة في بيع حصته من الميراث، وأراد احد اخوته أن يشتريه، فإنه يكون له الأفضلية في ذلك، وجاء ذلك في المادة رقم **٣٨** «إذا أراد أحد الأخوة بيع حصته وأحب أخوته شراءها، فعليه أن يفضل أخوته علي الآخرين»[2].

العلاقات الأسرية

وفيما يتصل بالعلاقات التي كانت تربط بين أفراد الأسرة العراقية القديمة، فلدينا العديد من الحكم والأمثال والنصائح التي يمكن أن نعرف منها طبيعة العلاقات الأسرية السائدة وحدودها.

وكانت الطاعة هي الفضيلة الكبري، وكانت «الحياة الفاضلة» في العراق القديم هي «الحياة المطيعة» ويتجلي ذلك في أوضح ما يكون في الأسرة، حيث

---

(١) Ibid., pp. 172 - 173.

(٢) A. Goetze, op. cit., p. 163.

كان المطلوب والمفروض أن يطيع ويحترم الصغير الكبير ويقدره، وأن يحترم ويكرم الابن أباه، ويحترم الأخ الصغير أخاه الكبير. ويتضح ذلك جلياً في قطعة أدبية تصف العصر الذهبي القادم الذي يتميز بأنه عصر الطاعة، ومما جاء فيها:

«يوم لا يتعالى أحد على الآخر،

عندما يبجل الابن والده،

يوم يظهر الاحترام جليا فى البلاد، ويبجل صغير القدر الكبير،

يوم يحترم (؟) الأخ الصغير .. أخاه الكبير،

ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر، ويتمسك الأخير بقراراته»(١).

ومما هو جدير بالملاحظة أن الحكم والأمثال والنصائح المتصلة بالأب أقل بكثير من تلك الخاصة بالأم، ومن النصائح التي وصلتنا وتتصل بالأب، ما ورد في النصائح التي اصطلح علي تسميتها بـ «نصائح المتشائم»، وفيها تسدي النصيحة للأب بأن يوجه اهتمامه لأولاده، غير أن هذا الجزء من النص غير كامل، إلا أنه يمكن فهم ذلك مما تبقي منه، وكذلك اعتمادا علي النصائح السابقة لهذه النصائح التي بقيت في حالة جيدة، والتي ينصح فيها بتوجيه الاهتمام والرعاية لقطيع المواشي وللزراعة:

«وجه اهتمامك لقطيعك من المواشى، وتذكر زراعتك

لولدك الأول، الابن والبنت...

بسبب [ولدك الأول] الابن والبنت لـ ...»(٢).

ووردت حكمة أخري علي لسان أب يذكر فيها أن الذي يحافظ علي أسراره هم أبناؤه سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً. وجاء فيها:

«صديقى، لن يحافظ على أسرارى عدو، بل على العكس،

---

(١) T., Jacobsen, in Before Philosophy, p. 217

(٢) W.G., Lambert, op. cit., p. 109.

إن الذى يحافظ عليها ابن أو بنت. إن صديقى هو الذى يصون أسرارى،(١).

ومن الأمثال السومرية ما يشير إلي أهمية الأبناء للآباء، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، ومنها:

،الابنة خلاص الرجل،.

،الابن ملجأ الرجل،(٢).

وفي مقابل قلة الحكم والأمثال والنصائح المتصلة بالأب، نجد وفرة منها تخص الأم، ولا تخفي أسباب ذلك نظراً لحاجة الأم إلي العطف والرعاية والحنان.

ولقد حض الحكيم السومري الأبناء علي أن يدخلوا السعادة في قلوب أمهاتهم فقال:

،أرض بنصيبك، واجعل أمك سعيدة،(٣).

ويري ايدموند جوردون، أن هذه الحكمة يمكن أن تشير إلي الحض علي الرضي بالنصيب الذي يخص الابن عند تقسيم التركة، ويجب عليه كذلك أن يجعل أمه سعيدة(٤).

ومن هذه الوصايا ما يحث الأبناء علي طاعة أمهاتهم وسماع ما يقلن، كما يفعل المرء مع إلهه:

،اسمع كلمة أمك، كما تسمع كلمة إلهك،(٥).

وورد في حكمة أكدية حث العروس علي حسن معاملة أم زوجها، لأنها كما تعامل أم زوجها سوف تعاملها زوجة ابنها:

---

(١) E.F., Pfeiffer, in ANET, p. 425.

(٢) صمويل كريمر: المرجع السابق، ٢٢٢.

(٣) E.I., Gordon, op. cit., p. 114 (1.145).

(٤) Ibid., p. 114.

(٥) T., Jacobsen, op. cit., 217.

«أيتـهـا العـروس، كـمـا تعـاملين حـمـاتك، سـوف تعـاملك زوجـة ابنك»(١).

وفي مقابل ذلك، فإن زوجة الإبن في سومر وكان يطلق عليها «الكنة»، كانت ذات شهرة سيئة، ويبدو هذا واضحا من المثل الآتي:

«أما الكنة فشيطان الرجل»(٢).

ويوجد نص أدبي عبارة عن رسالة موجهة من شخص يدعي «لودينجير - را» إلي أمه، وفيها يقدم بعض أوصاف أمه للشخص الذي سيقوم بتوصيل رسالة إليها حتي يتعرف عليها، ونستدل من هذه الأوصاف علي مدي حبه وإعزازه وتقديره لها، ومما جاء في هذه الأوصاف:

«إنهـا مـثل الضـوء السـاطع فى الأفق، إنهـا كـأنثى الظبى فى الجبال».

«إنها كنجم الصباح الذى يسطع حتى فى الظهيرة».

«إنها كالذهب والفضة».

«إن أمى كـأمطار السـمـاء، المياه التى تؤدى إلى نمو أفـضل للبذور».

«إن أمى كحديقة من السرور، مليئة بالسعادة».

«إن أمى كشجرة النخيل المحملة بأطيب الثمار»(٣).

ومع ذلك فهناك من الحكم والأمثال ما يستدل منها علي المعاناة التي تعانيها بعض الأمهات من أبنائها لدرجة العقوق، ومن هذه الحكم والأمثال:

---

(١) R.D., Biggs, in ANET., p. 594.

(٢) صموئيل كريمر: المرجع السابق، ص٢٢٢.

(٣) M., Civil, "The Message of LU-DINGIR-RA to His Mother and A Group of Akkadio - Hittite Proverbs", in JNES., vol xxiii (January, 1964, No. 1) pp. 1 - 11.

«الأم التى تلد سبعة أطفال تتمدد فى فقر»(١).

فرغم إنجابها لهذا العدد الكبير من الأبناء إلا أنهم لم يدفعوا عنها غائلة الفقر والحاجة.

وفيما يتصل بالعلاقة بين الأخوة، فقد أوصي الحكيم العراقي باحترام الأخ الأصغر لأخيه الأكبر، وأن لا يغضب أخته الكبري:

«احترم أخاك الأكبر.

«اسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك».

«لا تغضب قلب أختك الكبرى»(٢).

واعتبرت إحدي لوحات الحكم البابلية أن الأخ الذي يوجه التهم إلي أخيه يكون آثماً، ومما جاء في هذه اللوحة(٣):

«إن الذى ينطق بالإفتراءات، يكون إثمه فى الغيبة والنميمة،

هو الذى ينشر الإشاعات السيئة عن قرنائه،

هو الذى يوجه التهم الخبيثة إلى أخوته».

ومن ناحية أخري توجد العديد من الحكم السومرية التي يستدل منها علي أن العلاقات لم تكن دائما طيبة بين الأخوة وبخاصة بين الأخ وأخته. ومن هذه الحكم ما نجد فيها الأم وقد وقفت بجانب الأخت ضد أخيها، بل نجدها أكثر من ذلك تحرضها علي إهانة أخيها:

«لقد جعلت أمى أختى الصغرى تهيننى»

---

(١) T, Jacobsen, in Gordon, E.I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, p. 485, (2.141).

(٢) T., Jacobsen, in Before Philosophy, p. 217.

(٣) اللوحة رقم VAT 10610، انظر:

W.G, Lambert., op. cit., pp. 118 - 120.

كـيف» (!؟) هل أنا ضـعـيف جـداً لدرجـة أننى لم أقـابل وقاحتها ؟»(١).

ومن هذه الحكم ما يشير إلي عدم تفضيل الأخ لأخته، وعدم تركها تحيا حياتها الخاصة كما تريد:

«أيها العذراء، لم يعطك أخوك الأفضلية،
فلمن يجب أن تعطى الأفضلية ؟»(٢).
«أيها العذراء، هل أخوك مثلى ؟ هل تركك أخوك،
تعيشين «حياتك الخاصة مثلما تركتك ؟»(٣).

إلا أنه يمكن النظر إلي الحكم الأخيرة بعين الشك والريبة، نظراً لأنها صادرة من المحب لحبيبته، فربما أراد الحط من شأن الأخ ليبين ميزاته هو ومقدار حبه وتفانيه.

هذا وتوجد فقرة غير كاملة في إحدي لوحات الحكم البابلية، يتضح مما تبقي منها أنها توجه نصائح تتصل باحترام الوالدين والأخوة الكبار(٤) ويمكن ترجمة الجزء المتبقي منها علي النحو الآتي:

«احترم الأخ الأكبر ...
... أخشاهم ...
... ابحث عن كلمة شكر لهم.
... إنهم لم يستنكفوا منك.
إن القسوة معهم عمل غاشم.

(١) E.I., Gordon, op. cit., pp. 111, 510, (1.143).
(٢) Ibid., p. 116 (1.148).
(٣) Ibid., p. 117 (1.149).
(٤) M.A., Langdon, "Atablet of Babylonian Wisdom" in P.S.B.A., vol xxxviii (1916), pp. 113 - 114.

إن ذلك لا يدخل السرور إلى الإله شمش الذى سيعاقب من يقوم بذلك بالشر.

ومن الواضح من سياق هذه النصائح أنها تتصل باحترام الأخ الأكبر وخشية الوالدين والعمل علي إرضائهم، أما من يقسو عليهم، فسيكون جزاؤه شديداً، إذ سيغضب عليه الإله شمش وسيعاقبه علي ذلك بالشر.

وأخيراً فإنه يجب الإشارة إلي أن الرجل في الأسرة العراقية القديمة كانت له بعض الامتيارات التي تميز بها عن المرأة، ومنها حقه في بعض الأوقات في إعلان تذمره ضد الأحوال الموجودة، أما المرأة فكان عليها أن تحتفظ بنفسها في حالة هدوء وسلام، وإلا فإنها تقاسي من جراء إعلان تذمرها، ومما جاء في ذلك:

«يمكن أن يسمح للمتمرد بتصفية الخلاف،
أما المرأة المتمردة، فإنها تسحب فى الطين»(١).

الحياة المنزلية

المنازل:

إن أول شكل للمنزل العراقي القديم كان عبارة عن كوخ مصنوع من الاغصان المتشابكة ويغطي بسقف من القش المقوي بالطين، وكان يوجد عمود مركزي يشبه عمود الخيمة ينحني عليه إطار الجدار الخارجي ويثبت به، وكانت الجدران تغطي بالحصر، وربما كان للكوخ نوافذ وكانت الابواب تقوم علي عمود محوري مربوط بالجدار ربطا وثيقاً، وبعد أن تمكن الانسان العراقي من استعمال الطين في البناء تغير شكل المنزل وتخطيطه.

وكانت المنازل بشكل عام ذات أحجام متواضعة، إلا إذا كان صاحب المنزل غنيا، وكانت الغرف تنتظم وفق مخطط عام يشتمل علي فناء يعتبر مصدر

---

(١) E.I., Gordon, op. cit., pp. 123 - 124 (1.156).

الضوء للبيت كله، وثمة درج داخلي أو خارجي يؤدي إلي الطابق العلوي[1] وقد تتصل بعض الغرف إحداها بالأخري في حين أن غيرها يكون مستقلا.

ويلاحظ أن المنازل كان لا يوجد لها نوافذ تطل علي الخارج، والمنفذ الوحيد للمنزل كان الباب الذي يعتبر المدخل الوحيد للنور والهواء من العالم الخارجي، وربما كان لذلك أسبابه ودوافعه البيئية والاجتماعية، فمن الناحية البيئية يمتاز العراق بشدة حرارته في الصيف التي تبلغ ٥٠ درجة مئوية في الظل، مما يجعل الإنسان العراقي يعزف عن وجود فتحات أو نوافذ في الجدران لمنع حرارة الشمس من النفاذ إلي داخل المنزل، ومن الناحية الاجتماعية فربما كان عدم وجود فتحات في الجدارن مبعثه حذر الانسان العراقي والشرقي بشكل عام من عيون الغرباء من أن تنفذ إلي داخل المنزل.

ولقد عثر في منطقة بابل علي بيت قديم كانت جدرانه لا تزال علي ما هي عليه، وكان يدخل إحدي غرفه قليل من الهواء والنور بفضل منفذ صغير مغروز في حافة الجدار ومسدود بقطعة من الطين المحروق مليئة بالثقوب، ويوضح ذلك أنه قد تم اللجوء إلي هذه الطريقة لاستبعاد أية امكانية للتطلع إلي الداخل كما هي الحال مع «المشربية» اليوم[2].

وتفاوتت أحجام المنازل فيما بين حجرة واحدة أو اثنين أو ثلاث مع وجود ساحة في وسط المنزل، بينما بلغ حجم بعضها عشر غرف مع وجود الساحة التي تتوسط المنزل، وكان في بعض المنازل شبكة مجاري ومرافق، وكان للمستوي الاقتصادي وحرفة صاحب البيت أثرهما في حجم البيت والمواد المستخدمة في البناء وكذلك أثاث المنزل.[3] (شكل ١)[4].

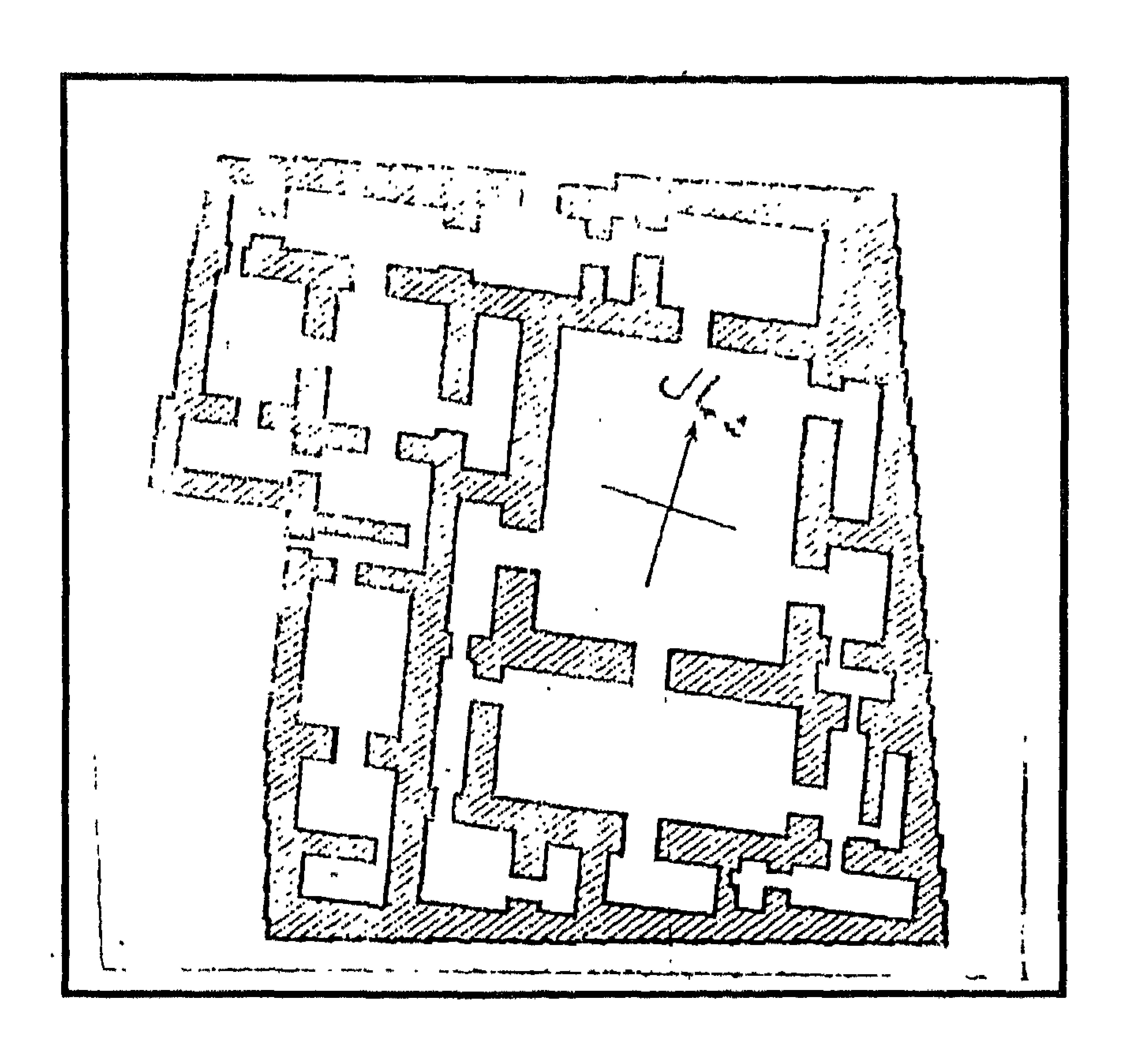
---

(١) جان كلود ماركرون: علم آثار بلاد الرافدين، ترجمة وتعليق د. يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢٥.

(٢) مارغريت روتن: تاريخ بابل، ترجمة زينه عازار وميشال أبي فاضل، بيروت، ١٩٨٤، ص٧٨.

(٣) فاروق ناصر الراوي: «جوانب من الحياة اليومية»، مجلد حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٧٣.

(٤) مارغريت روتن: المرجع السابق، شكل ٤ ص٨١.

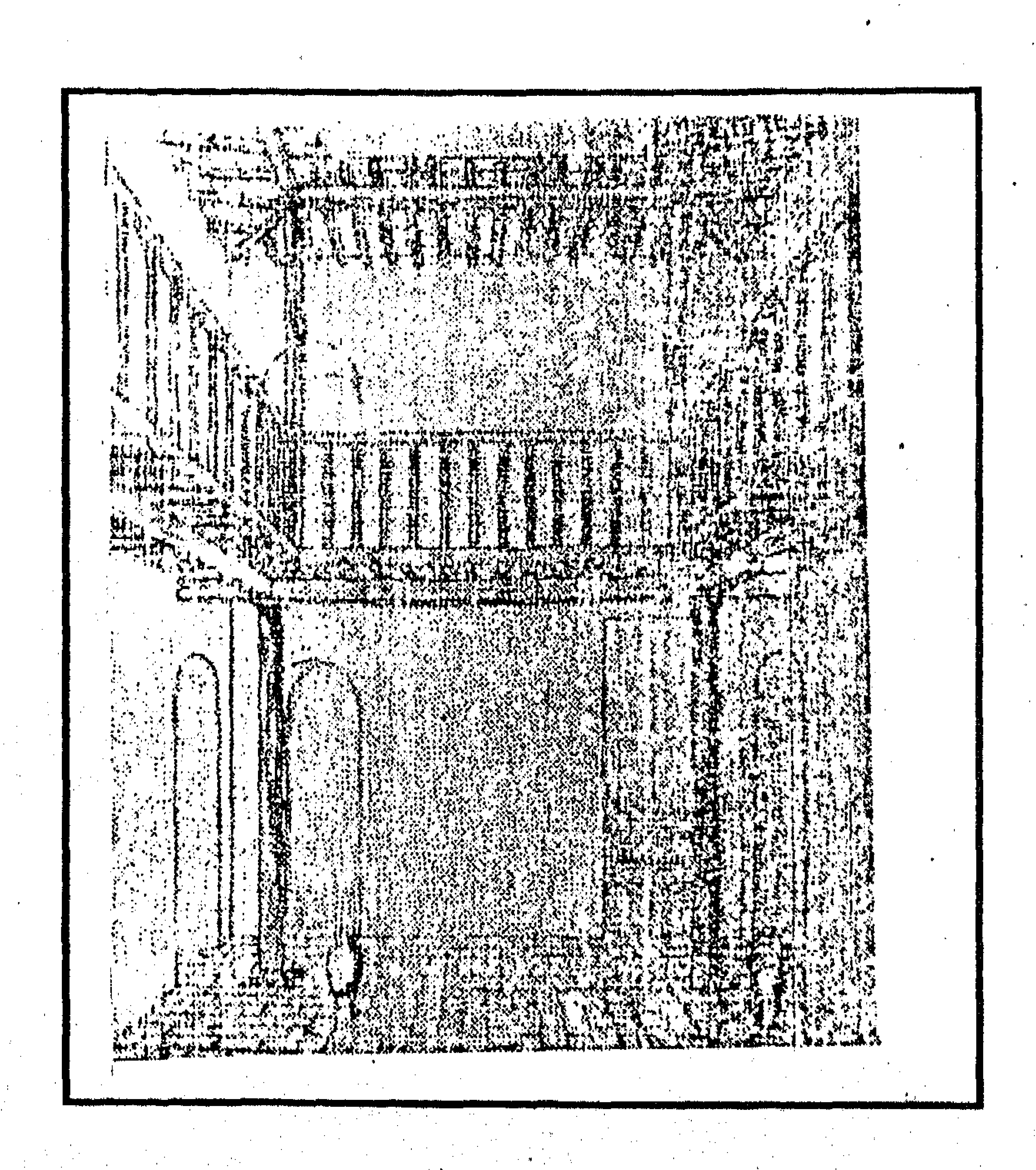


(شكل ١) منزل مركاس الكبير

ولم يتضمن المنزل مطبخا منفصلا في الغالب، حيث لم يكن هناك سوي موقد لطهي الطعام قبالة جدار الساحة في فناء المنزل، أما إذا خصصت إحدي الغرف لهذا الغرض فإنها لا تحتوي علي مدخنة، ويترك الدخان ليجد طريقه من الباب أو من فتحة إضافية فتحت في الجدار.

وكانت تسقف المنازل بشرائح من أخشاب النخيل التي توضع علي قمة الجدران ويوضع فوقها القصب وسعف النخيل ثم يضاف إليها طبقة من التراب والطين، وكان لبعض المنازل أكثر من طابق، وكان يتم الوصول إلي الطوابق العليا بواسطة شرفة خشبية تستند علي قوائم وتمتد عبر الطريق كله حول الساحة الداخلية ويكون لهذا فائدة إضافية هي حماية مداخل الغرف التي تنفتح علي

الساحة من الشمس وغطيت جدران المنازل بطبقة من البياض، ربما كان ذلك لاخفاء خشونة سطح الجدار ولون الطين الداكن، وكانت تصنع أطر الأبواب باللون الأحمر، وربما كان الهدف من ذلك إخافة الأرواح الشريرة وإبعادها عن الدخول إلي المنزل، وبذلك يحمي المدخل من كل التأثيرات الشريرة، وكان يتم الحصول علي اللون الأحمر من أكسيد الحديد. (شكل ٢)



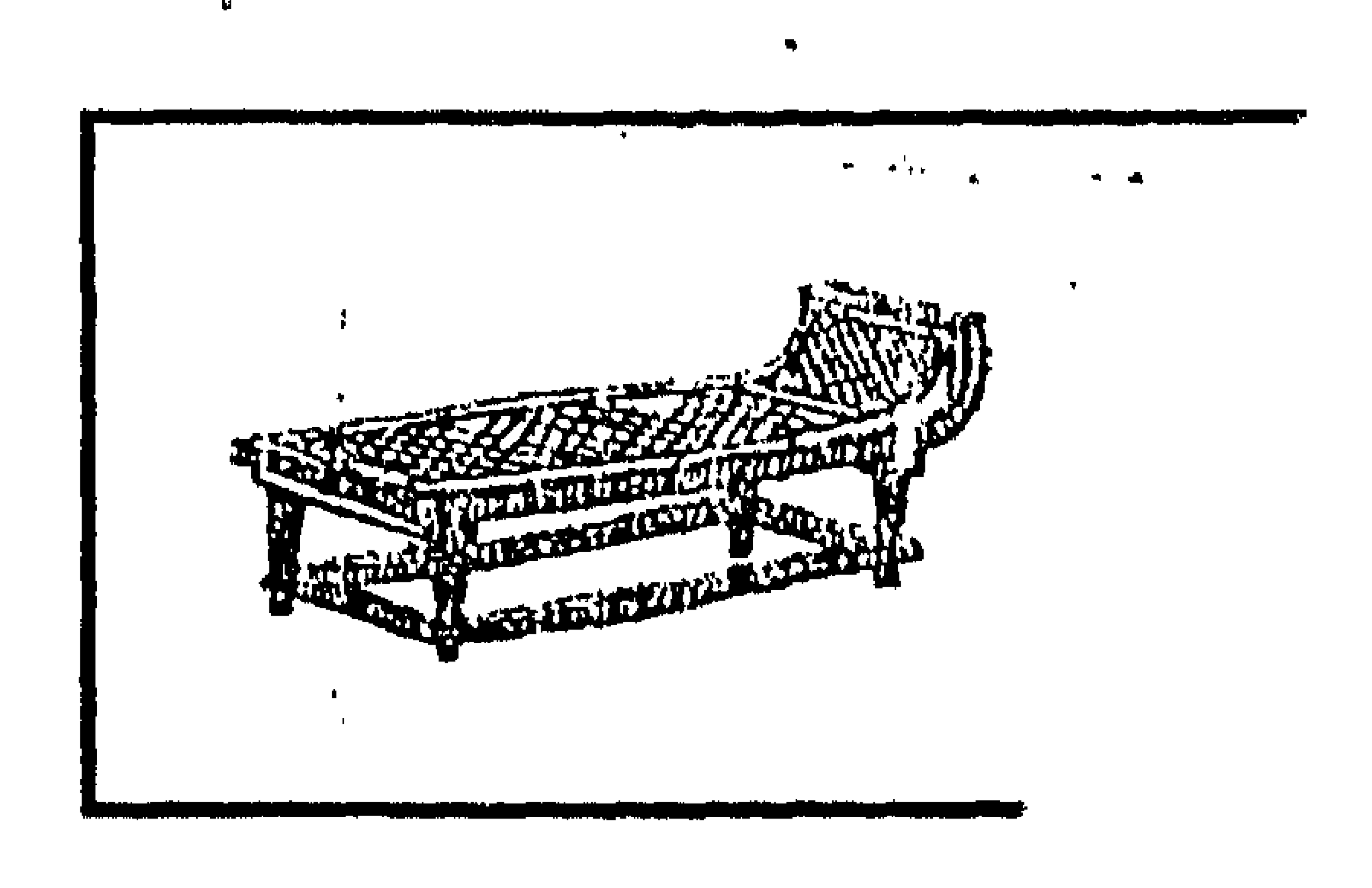
(شكل ٢) رسم تخيلي للمنزل العراقي القديم

حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م

وكانت المنازل الخاصة بالأغنياء تتزين بألواح مرسوم عليها العديد من الموضوعات، وكانت الجدران تلون من أسفل بلون غامق هو اللون الاسود عادة، وكان يستخلص من القار المخفف بالماء[1].

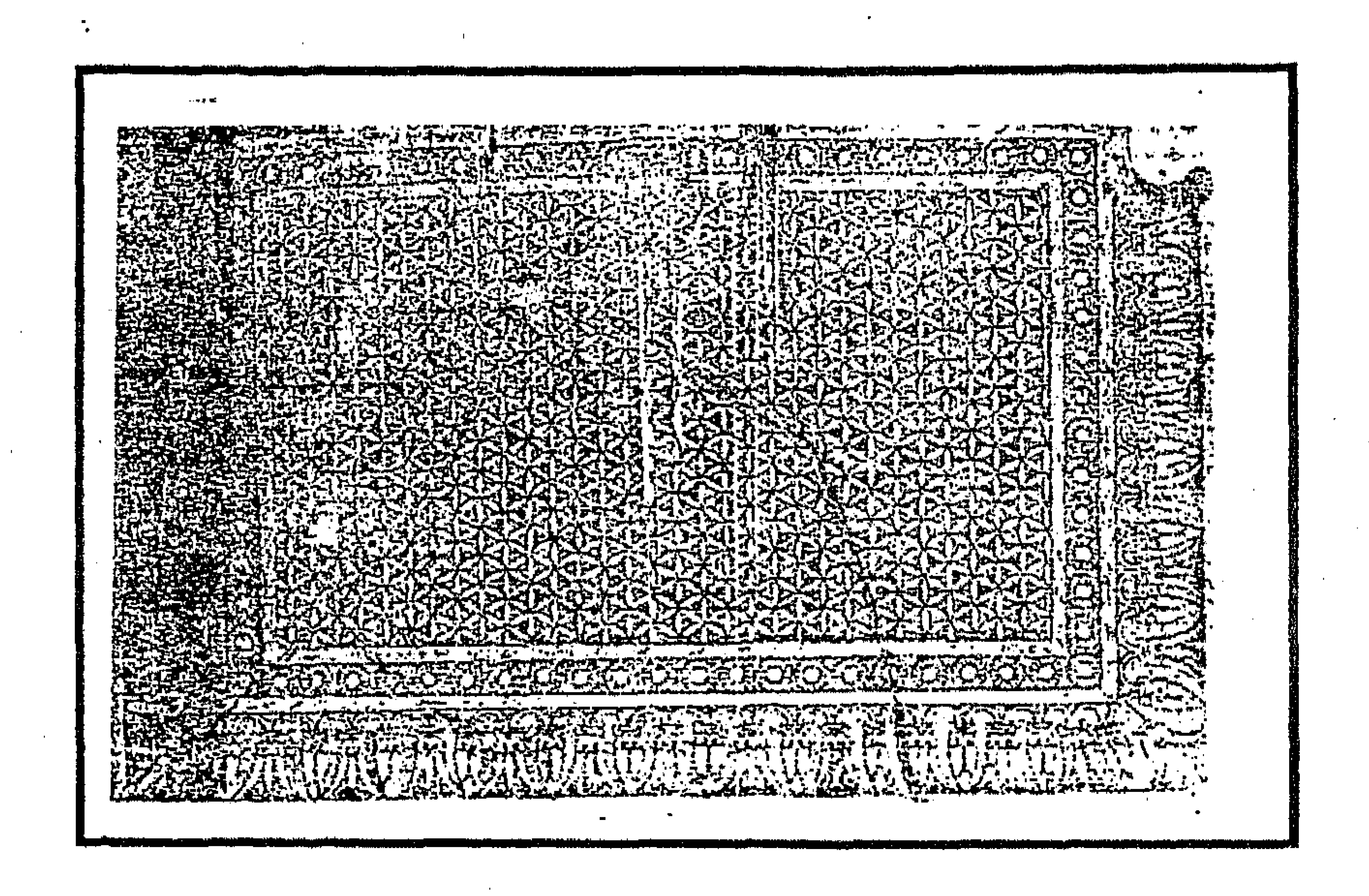
واستخدم الانسان العراقي العديد من الوسائل لتخزين ما يحتاج إليه في المنزل، ومنها نوعين من الأوعية الخشبية كانا يستخدمان لاجل الخضار، كما استخدم القصب في حفظ الملابس، أما الاشياء التي استخدمها لحفظ الطعام فكانت الطاسات الخشبية والأباريق والقدور الفخارية والمعدنية، كما استخدم الزجاج في صناعة القوارير التي وضع فيها بعض السوائل.

وبالنسبة للاثاث المنزلي، فلقد قدمت لنا النصوص المسمارية قوائم وافيه بالأشياء التي تكون الأثاث المنزلي، لكن لسوء الحظ أن معظم المصطلحات في هذه القوائم لم يمكن معرفة ما تشير إليه، وكان الأثاث في البيوت ويلاحظ أن أفراد الطبقة الوسطي في بابل كانوا يستخدمون الحصير في النوم، بينما كان الأفراد من الطبقة العليا ينامون علي أسرة عالية خشبية وهي ذات نهاية واحدة صنعت لتؤلف وسادة[2]. (شكل٣)



٣) سرير ذا نهاية واحدة

وفي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد كانت تصنع الأسرة من هيكل خشبي يدعم القاعدة المصنوعة أيضا من الخشب، وفي بعض الاحيان كان يصنع هيكل السرير من الحبال أو القصب المتشابك أو شرائط حديدية متداخلة، وزودت بعض الأسرة بجوانب خشبية مما يجعلها أشبه بصندوق خشبي غير عميق، وزينت أرجل الأسرة أحيانا بزينات علي هيئة أقدام الثيران، ووضع فوق هيكل السرير حشايا من الصوف أو شعر الماعز أو سعف النخيل وكان اغطية الفراش من الكتان أو الصوف، ووضع بجانب الاسرة علي الأرض بعض قطع السجاد (شكل٤) [١].

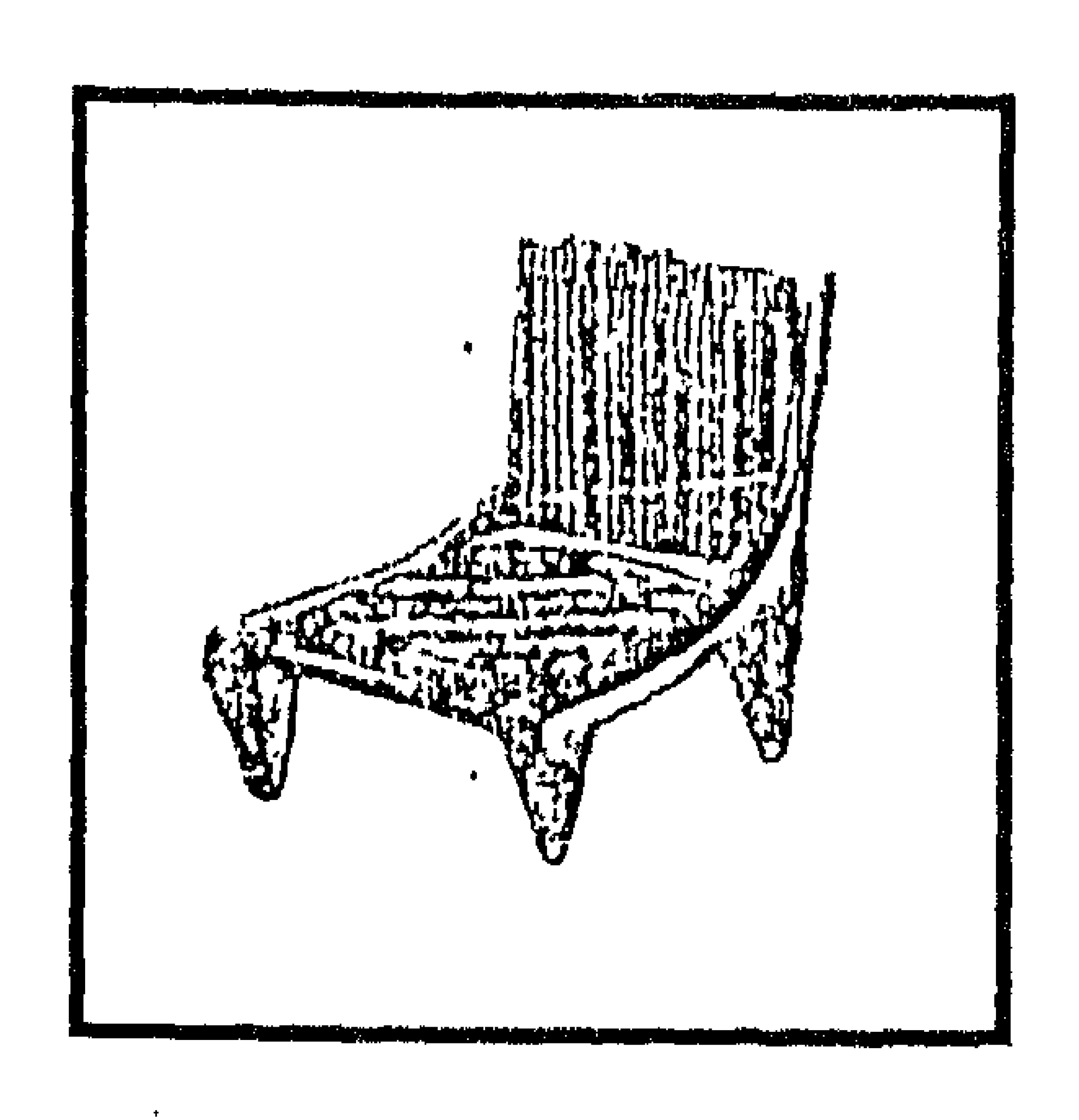


(شكل ٤) لوح من حجر كلسي منقوش علي هيئة سجادة

وكانت المقاعد البابلية عبارة عن كراسي عالية مصنوعة من خشب النخيل، أو كراسي لها مساند ذات خلفية مصنوعة من القصب المضفور (شكل ٥) وفي

---

(٢) هنرس ساغس: جبروت آشور الذي كان، ترجمة د. آحو يوسف، دمشق، ١٩٩٥، ص٢٣١، (لوحة ١- ب).

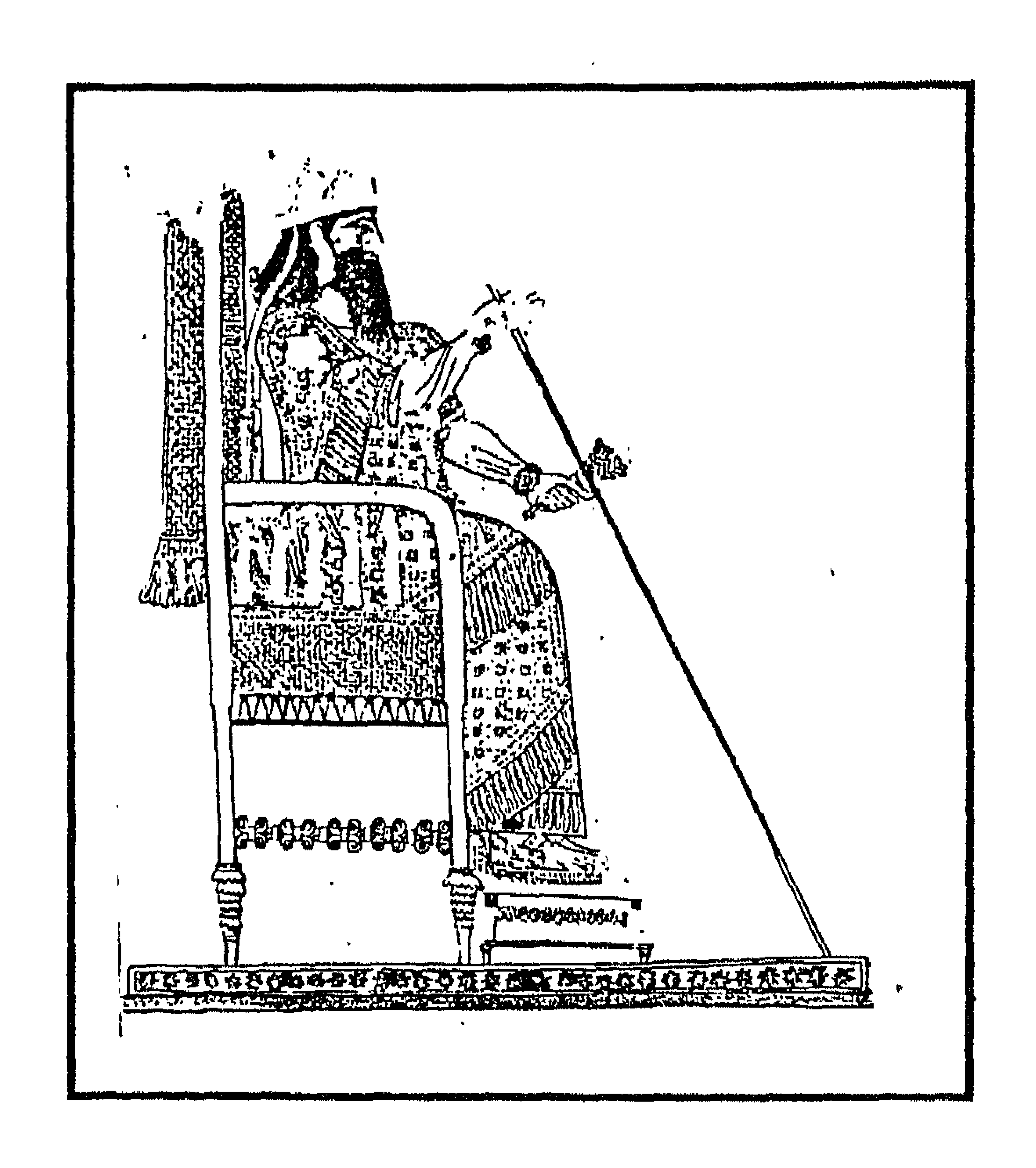


(شكل ٥) كرسي ظهره مصنوع من القصب المضفور

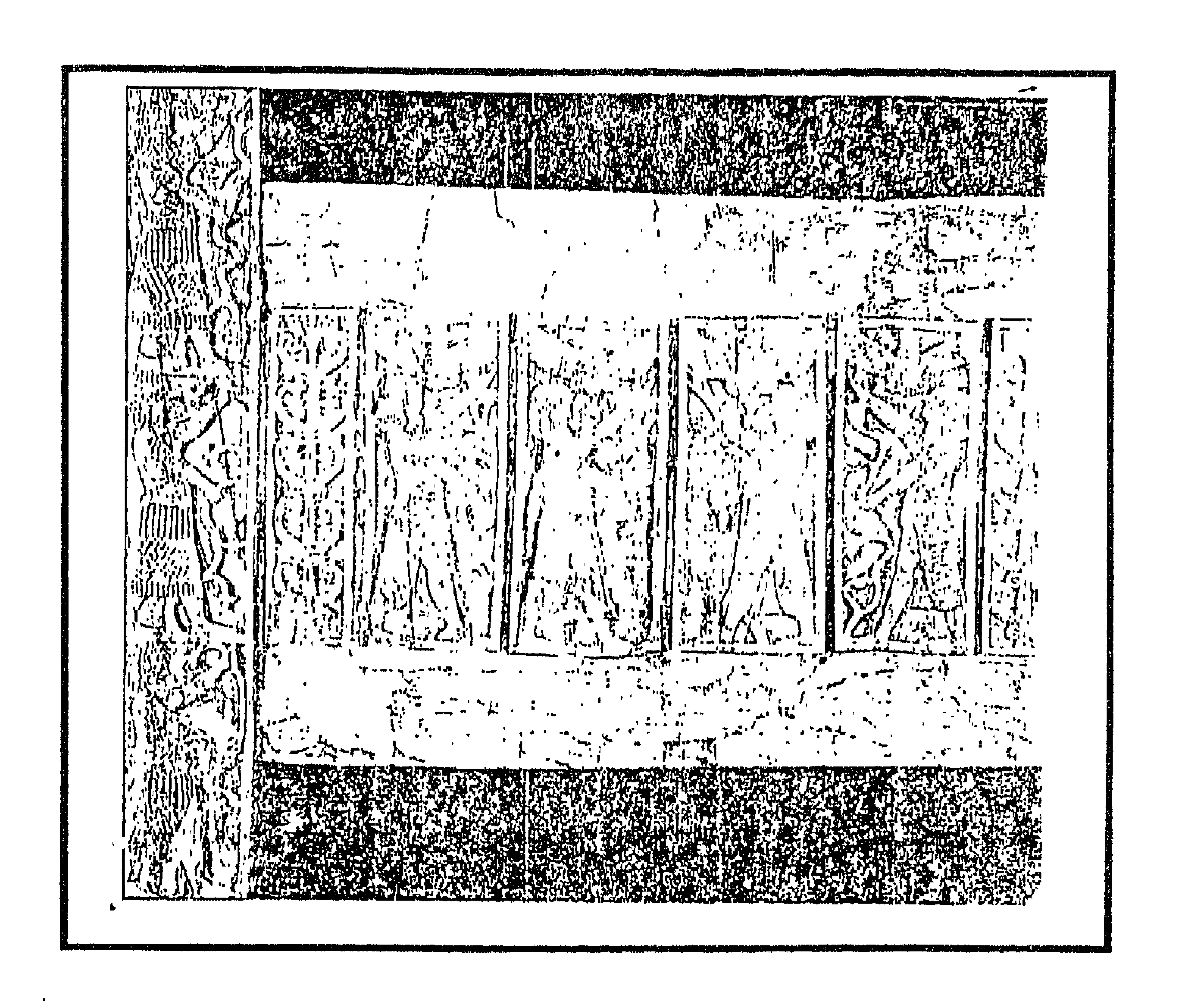
آشور كان المقعد الأساسي يتكون من القصب وله إطار خشبي، وفي الطبقات العليا كانت المقاعد أكثر تعقيدا، حيث كان يصنع من أخشاب جيدة وزين بنقوش من العاج أو الذهب والنحاس، وأحيانا تكون مساحة الجلوس مغطاه بالجلد أو سعف النخيل أو أوراق البردي، وزوددت الكراسي أحيانا بأغطية فضفاضة من الكتان، وقد يتم إدخال تعقيدات مختلفة علي الكرسي البسيط، حيث طوّر إلي كرسي ذي مسندين، وكان النقطة القصوي في هذا التطور هي كرسي العرش الذي كان له مسندان، ومن أمثلة كرسي العرش الذي ظهر جالسا عليه الملك تجلات بلاسر الثالث في تل برسيب (تل الاحمر حاليا) (شكل ٦) (١) وزينت ظهور الكراسي بالعديد من المناظر واستخدم العاج فيها في بعض الاحيان، ومنها ما يرجع إلي عهد الملك الاشوري شلمنصر (شكل٧)(٢).

(١) A. Parrot, Assur, 1961, fig. 112.

(٢) M. Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia, and the Ancient Near East, New York, Oxford, 1990, p. 156.

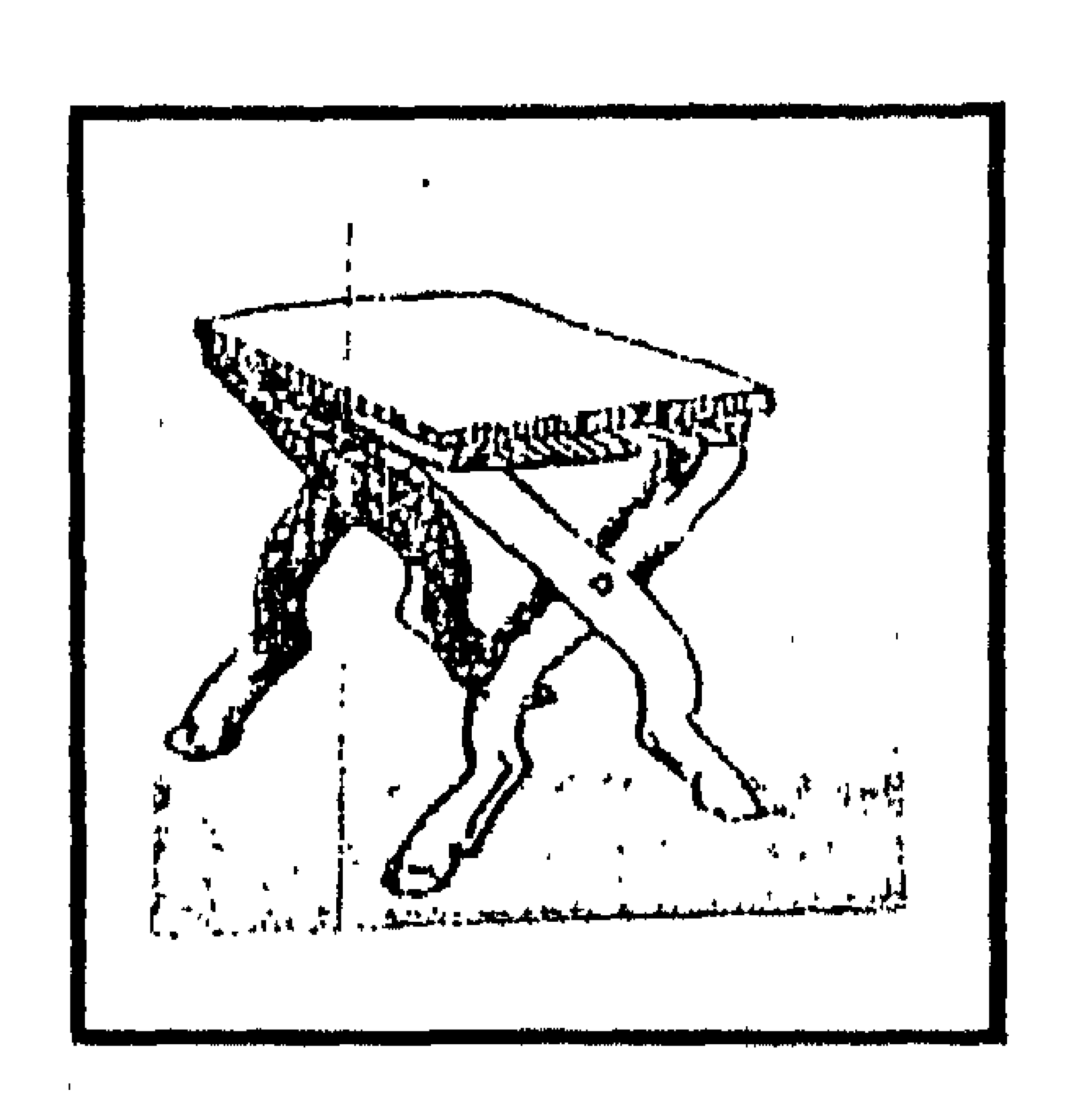


(شكل ٦) كرسي عرش الملك تجلات بلاسر الثالث



(شكل ٧) ظهر كرسي مصنوع من العاج

وبالنسبة للموائد، فقد كان لدي البابليين موائد لتناول الطعام عليها وكانت عالية عن الأرض، وفي آشور كانت الموائد تصنع من الخشب مع إمكانية إضافة زينة معدنية اليها، وفي بعض الحالات كانت الموائد تصنع من البرونز، وفي خلال الألف الأول قبل الميلاد كان النموذج السائد من الموائد في آشور هو مائدة صغيرة مربعة الشكل لها أربعة أرجل مزينة، يمكن أن تنتهي في أسفلها بتجسيم لحافر الثور. (شكل ٨)



(شكل ٨) منظر لمائدة

ولقد عبرت بعض الحكم والأمثال والنصائح عن تشييد المنازل في العراق القديم، ومن هذه الحكم:

«يد على يد يبنى منزل الرجل

حقد على حقد يدمر منزل الرجل»(١).

ويشير ذلك إلي وجود نوع من التعاون والمشاركة في المجتمع السومري بين أفراد المجتمع في بناء منازلهم، وعلي ذلك فإن هذه الحكمة تشيد بأهمية هذا التعاون ونتائجه المتمثلة في البناء وهو أمر إيجابي، وأوضحت الحكمة نتائج عدم

(١) E.I. Gordon, op. cit., pp. 123 - 124 (1.156).

التعاون والحقد وهي نتائج سلبية تتمثل في الهدم، فإنه إذا كان بالتعاون والحب تبني البيوت فإن الحقد كفيل بتدميرها.

ونظراً لطبيعة البيئة الزراعية في العراق القديم وعدم وجود أراض بور يمكن البناء عليها بسهولة، فلقد كان من الضروري والمستحسن والمفضل وجود أماكن شاغرة بمنزل الأسرة حتي يستطيع الأبناء إذا ما كبروا البناء فيها، وتوجد حكمه سومرية بليغة لخصت هذا الوضع الذي كان يعاني منه المجتمع العراقي القديم، وجاء فيها:

«المبنى الخالى يجب أن يلحق بالمنزل

وأرض الحصاد يجب أن تلحق بالحقل»(١).

أي أن الأرض الخالية يجب أن تلحق بالمنزل، كما ان مكان الحصاد يجب أن يكون مجاوراً للحقل.

ويتضح من أحد الأمثال العراقية، أن البعض كان يسرف في بناء المنازل حتي أنهم كانوا ينفقون كل ما يملكون في بناء المنازل حتي أنهم لم يجدوا بعد ذلك ما يكفي حاجتهم حتي أنهم أصبحوا شديدي الفاقة مثل العبيد.

«بنى مثل السيد وتجول مثل العبد»(٢)

وربما كان وجود أمثال هؤلاء الأشخاص مثار خوف البعض الآخر الذين غالوا في الحذر من الإسراف في البناء، حتي أنهم اقتصدوا في بناء منازلهم بشكل كبير، ولم يبلغوا مرحلة وسطا، فكانت منازلهم أشبه بمنازل العبيد، رغم أنه كان معهم ما يكفيهم ويحفظ كرامتهم:

«بنى مثل العبد وتجول مثل السيد»(٣)

---

(١) Ibid., p. 276 (2.144).
وكذلك T. Jacobsen, in E.I. Gardon, Ibid., p. 485, (2.144).
(٢) E.I. Gordon, op. cit., p. 270 (2.137).
(٣) Ibid., p. 270 (2.137).

ونظراً للبيئة الزراعية في العراق فلقد كانت المباني تشيد بالقرب من مجاري المياه، ولقد أوضحت حكمة سومرية هذا الأمر، وان جاتء بها إشارة قد توضح أن هؤلاء السومريين القدامي قد جاءوا من مناطق مرتفعة، ومما جاء فيها:

«لقد بنى مسكنا بالقرب من الماء، ولكنه دائم النظر ناحية الأرض المرتفعة دون النظر إلى قسوتها»(١).

وهناك من الحكم والأمثال ما يشير إلي طبيعة بناء المنازل في العراق القديم وتطورها، ومنها:

«إننى أعيش فى بيت مبنى من الطوب اللبن فوق رصيف من القار، ومع ذلك فإن كتل الطين تتساقط فوق رأسى»(٢).

ويوضح ذلك طبيعة المباني السومرية التي كانت تشيد فوق رصيف من الأحجار والقار(٣).

وتوضح حكمة أخري التطور الذي حدث في البناء وهو استخدام الآجر في تشييد الجدران:

«إننى اعيش فى بيت مصنوع من الزفت والآجر»(٤).

ومن ناحية أخري، توجد حكمة سلبية تشير إلي أولئك الذين لا بيت لهم، وقد شبهتهم بالكلاب الضالة التي لا تجد مكانا تنام فيه:

«إنك مثل الكلب لا تجد أى مكان تنام فيه»(٥).

---

(١) Ibid., p. 279 (2.149).

(٢) W.G. Lambert, op. cit., p. 249 (III, 50 - 55).

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور: «بين الفنون والبيئة في كل من مصر والعراق» مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، العدد الحادي والعشرون (١٩٦٧)، ص٢٥٥ - ٢٣٠.

(٤) S. Langdon, "Babylonian Proverbs" in AJSL, vol. xxviii (1912), p. 225.

(٥) E.I. Gordon, "Sumerian Animal Proverbs and Fables", Collection Five, in JCS, vol xii (1958), p. (5.111).

الملابس

أ- ملابس الرجال:

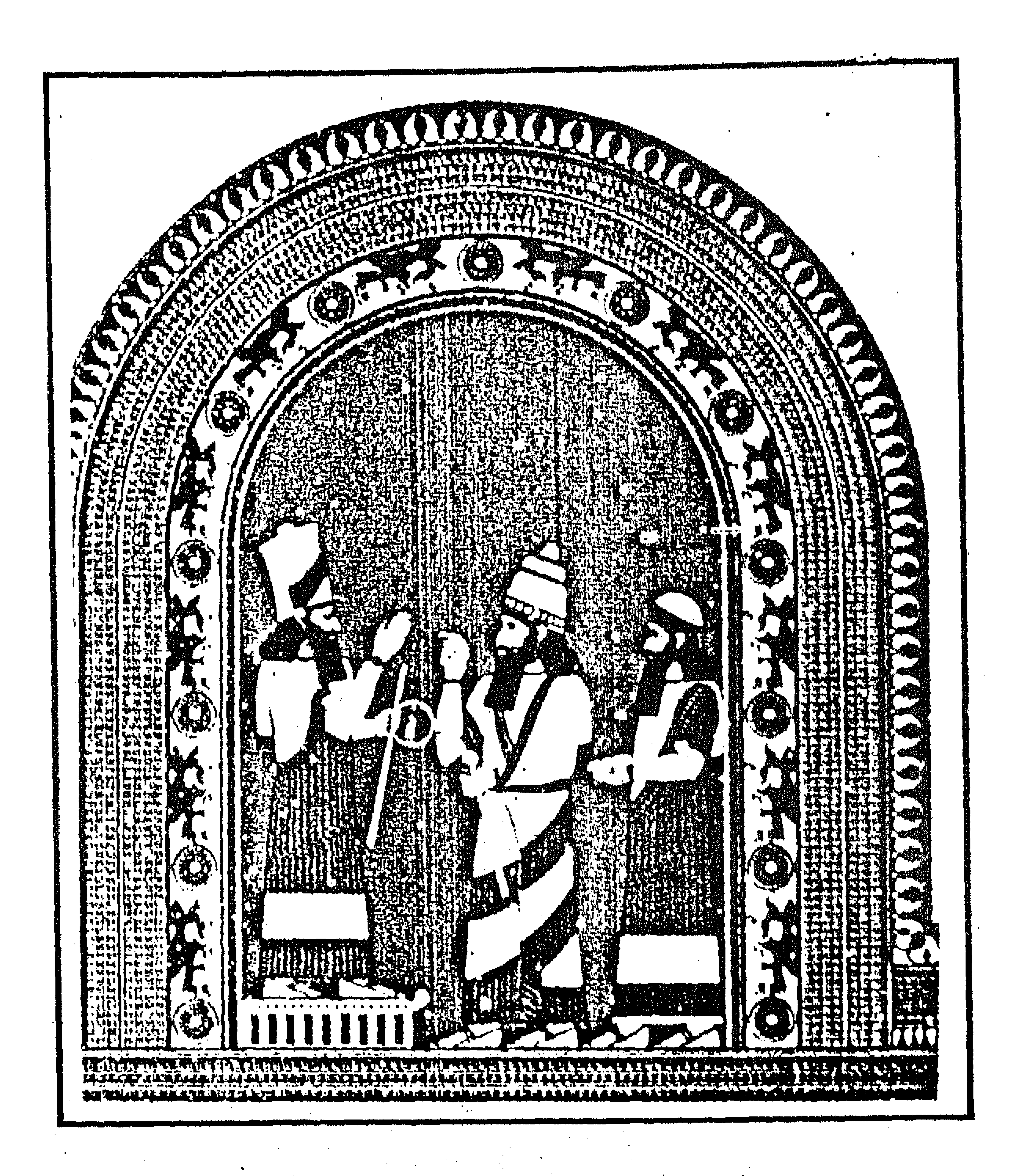
كان يرتدي الرجال في العصر البابلي أردية الكتان التي كانت تصل حتي الأقدام، ويلي الملابس الكتانية الأردية الصوفية في الدرجة الثانية، وفوق ذلك تأتي العباءة، أما الملابس التي كان الصناع والعمال يرتدونها فهي أقل هنداما، وهي تتألف من جلباب يصل إلي حد الركبة ويشد بحزام عند الصدر، ويلاحظ أن هذا الذي كان يرتديه أيضا الاجانب بصفة عامة(١).

أما في آشور، فلقد كان الشكل الأساسي لزي الرجال عبارة عن ثوب يغطي من الرقبة وحتي الركبتين ويشد بنطاق عند الخصر، وكان هذا الزي يرتديه المواطن العادي والجنود، ولكن الرجال من ذوي المراتب العالية كانوا يضعون فوقه العباءة التي كانت تصنع من الصوف وأحيانا من الكتان وكانت تتنوع ألوانها ما بين الأزرق والأرجواني والأبيض، وكان هناك ثوب آخر يلبس فوق العباءة وكان بلا أكمام ويلبس علي الرقبة.

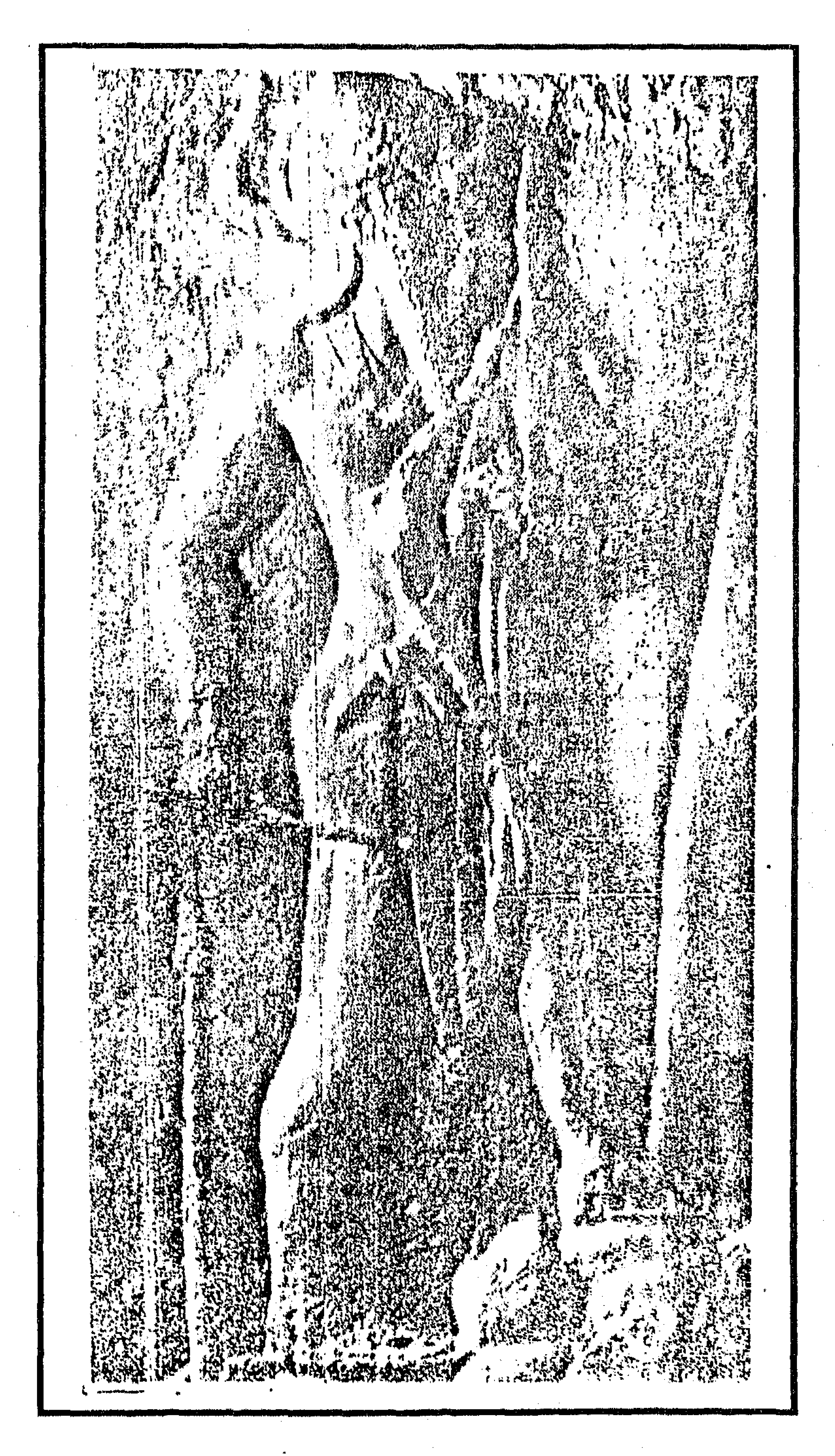
وكان لباس الملك وكذلك كبار المسئولين معقداً إلي درجة تجعل من الصعب أحيانا أن نقرر بدقة ما الذي يلبسه الملك حين نشاهد تصويره في لوحة مجسمة، فعندما يكون لابسا في مناسبة احتفالية نري عليه بضع طبقات من الثياب (شكل ٩)، أما في الحالات التي كان يلزم فيها حداً أقصي من حرية الحركة، كما في الحرب أو الصيد، كان بوسع الملك ارتداء ثوب اكثر بساطة، أساسه الرداء العسكري للجندي العادي، لكن مع إضافة شئ من الوقار يجعله يمتد حتي الكاحل (شكل ١٠).

---

(١) جورج كونتينو: المرجع السابق، ص١٢٦ - ١٢٧.



(شكل ٩) منظر يوضح ثياب الملك وكبار المسئولين
في العصر الآشوري



(شكل ١٠) الزي العسكري للملك نارام سن

وكانت المادة الاكثر انتشارا في صناعة الثياب هي الصوف، مع أن الكتان كان معروفا، وغالبا ما كان يستخدم لصناعة الثياب من النوعية الأرقي، أما القطن فلم يصبح في المتناول إلا في عهد الملك سنحريب الذي أدخله إلي بلاد أشور حوالي عام ٧٠٠ ق.م، وهو تاريخ بدء استخدام القطن في صناعة الالبسة(١).

وبالنسبة للأحذية فلقد استخدم الإنسان البابلي نوعا من الاحذية يشبه الصنادل، وهي الاحذية التي ارتداها الآشوريون أيضا وهو يتكون من أرضية ذات حواف تثبت بأشرطه تمر فوق القدم وحول الأصبع الكبير، وظهرت أحيانا أحذية أكثر تعقيدا ومنها حذاء كان يغطي كل القدم وله جزء فوق القدم يصنع من مادة مغايرة لتلك التي يصنع منها بقية الحذاء.

ب- ملابس النساء:

كانت ملابس النساء في بابل شديدة البساطة، وبشكل عام فلقد كان طويلا ويخفي الجسد، وفي رسوم الاحتفالات الدينية كانت تغطي الاطراف السفلي من النساء بقطعة من مادة جمعت في شكل وزره، ثم أصبحت تغطي الكتف اليسري للنساء بطيه من الملابس، ثم أصبحت كتفا النساء تغطيان بنهايات من مادة تجمع من الأمام(٢).

ويتضح من نحت جزء علوي من تمثال مصنوع من البازل يمثل النصف الأعلي لسيدة وهو محفوظ في المتحف البريطاني ويرجع إلي عصر جوديا تقريبا، ويلاحظ منه أن السيدة ترتدي وشاحاً مزركشاً يبدو أنه قد ضغط فوق الصدر، ثم سحب الطرفان من تحت الابطين بحيث يتعارضان خلف الظهر، ثم يلفان فوق الكتفين، ويتركان معلقين بشكل متماثل من الأمام. (شكل ١١)(١).

---

(١) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٢٢٥ - ٢٢٦.
(٢) جورج كونتينو: المرجع السابق، ص١٢٨ - ١٢٩.
(٣) حسن الباشا: الفنون القديمة في بلاد الرافدين، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٧١ شكل ٢٧.



(شكل ١١) جزء من تمثال لسيدة من البازلت

وفي العصر الآشوري كانت المرأة لا تظهر أمام الأغراب إلا بلباس خارجي ثقيل وهو عبارة عن ثوب فضفاض من الكتفين وحتي الرسغ ويشد بحزام (شكل١٢) ويبدو أسفل الجلباب ثلاثة أو أربعة خلاخل علي كل قدم وكانت المرأة المتزوجة ترتدي الحجاب، وهو الأمر الذي منعت العاهرات من ارتدائه، ومعلوماتنا عن أحذية النساء محدودة، وتدل تأكيدات المراسيم الملكية علي الحذاء كإضافة علي اللباس قبل الخروج من القصر مما يدل علي ان السيدة كانت تمشي داخل بيتها حافية وتوجد بعض الاشارات إلي نماذج معينة من الاحذية كانت تلبسها السيدات تشبه الخف وهو يغطي وجه القدم(١).

وتوجد العديد من الحكم والنصائح التي تتصل بالملابس في العراق القديم، ومنها ما يشير إلي تأثير الملبس الجيد علي الحالة النفسية للإنسان.

«لقد اصبح سعيدا فى كل شئ، وذلك منذ أن ارتدى حلة فخمة»(٢).

ومن الحكم ما يشير إلي نوعية الملبس ودلالته علي شخصية من يرتديه:

«يرتدى الرجل الحكيم ثوب أسد، أما الرجل السفيه فيرتدى ثوبا قرمزيا فضفاضا»(٣).

وبالاضافة إلي ذلك فهناك العديد من الحكم المتصلة بملبس الرجل الفقير، والتي يستدل منها أنه كان يعاني من شطف العيش، وأنه في بعض الأحيان لم يكن يجد ما يستتر به عورته إلا بشق الأنفس، ومما جاء في ذلك:

«كم هو وضيع الرجل الفقير!

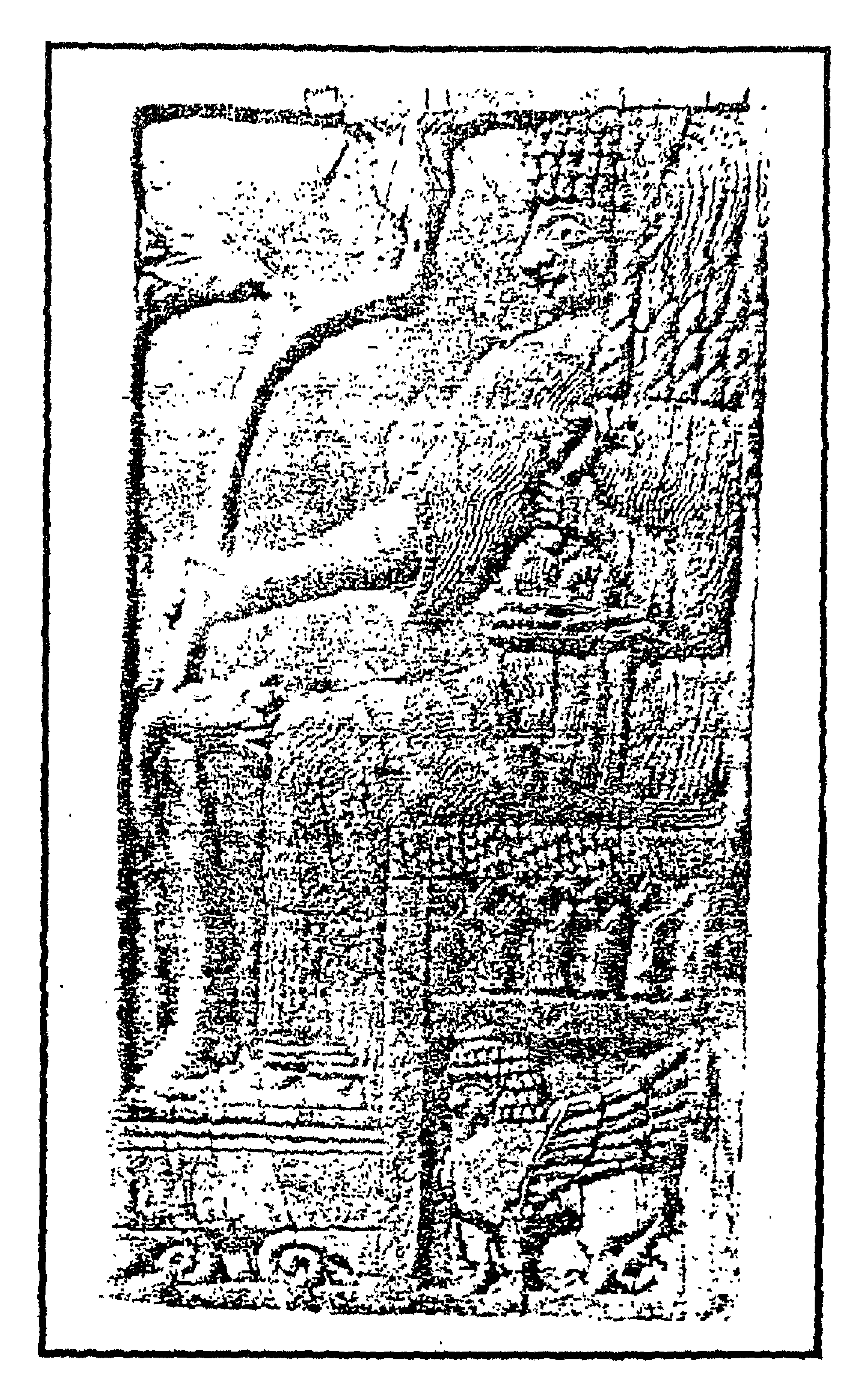
---

(١) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢) يذكر Pfeiffer أن ذلك المثل يشبه «الريش الفخم يصنع الطيور الجميلة» وكذلك «الرداء يصنع الانسان». انظر:

E.F. Pfeiffer, op. cit., p. 425.

(٣) W.G. Lambert, op. cit, p. 232 (Plato K. 7638 III. 13-14).



(شكل ١٢) تمثال يوضح زي وزينة المرأة في العصر الآشوري

المطحنة بالنسبة له هى حافة الفرن

ان ثوبه الممزق لا يمكن رتقه

إن ما يفقده لا يبحث عنه!»(١).

ومنها كذلك استغاثة فقيرة لسيدة ترتدي أثوابا واسعة بأن تعطيها قطعة منها لتستر بها عورتها:

«إنك سيدة ترتدين القطع الواسعة من الثياب

دعينى أقطع قطعة منها لاستر بها عورتى»(٢).

أدوات الزينة:

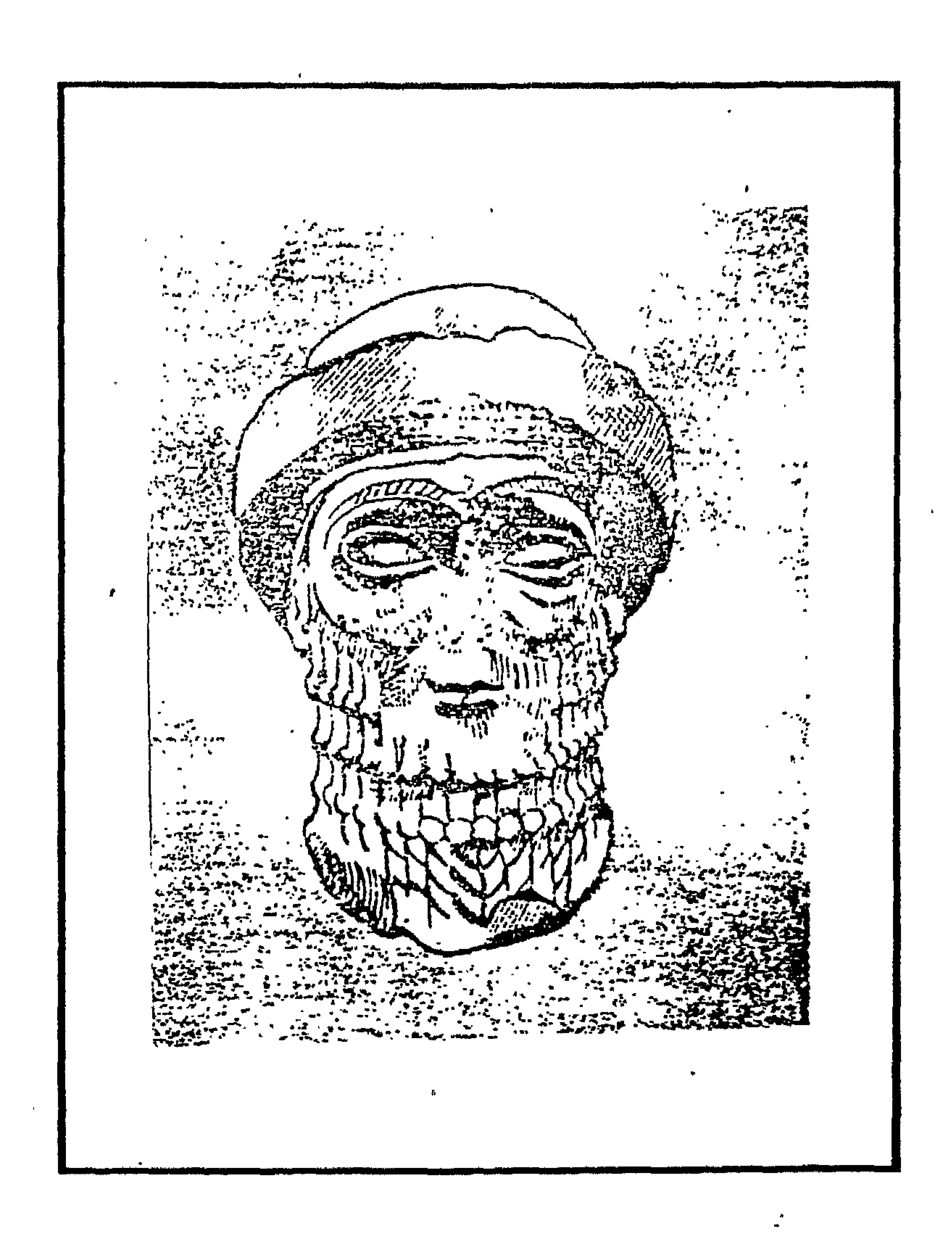
كان المظهر الجوهري للزينة بين طبقات المجتمع العراقي القديم مسح الجسد والشعر بالزيت، وكان الزيت يستخدم لغرضين هما تنعيم البشرة التي كانت تتشقق وتتصلب بفعل الجو الجاف والعواصف الرملية وكذلك قتل الحشرات التي توجد في الشعر فالزيت يخنق الصئبان والطفيليات التي كانت شديدة الوطأة في بلاد الرافدين.

ولقد كان السومريون حليقي اللحي نظافا، ولكن البابليين كانوا يحتفظون باللحي التي كان البعض منها قصيرا، في حين كانت لحي كبار الموظفين طويلة ومقصوصة بشكل مربع. (شكل ١٣)(٣).

(١) E.I. Gordon, op. cit., p. 194 (2.29).

(٢) T. Jacobsen, op. cit., p. 471 (1.176).

(٣) S. lloyd, L'Art ancien du Proche - Orient, Paris, 1964, fig 93 p. 131.



(شكل ١٣) رأس تمثال للملك حمورابي يظهر فيه ذقنه المربعة

وفي العصر الآشوري كان الشعر طويلا لكنه يسرح بعناية فائقة مع إبقاء الأذنين مكشوفين، وكان شعر الرأس واللحية علي حد سواء مموجا ومبروما في نهاياته ومن أمثلة ذلك تفاصيل وجه الملك آشور ناصربال الثاني والموجود في المتحف البريطاني ويظهر فيه تسريحة شعر الرأس واللحية المجدولة (شكل١٤)[1]. وكان بعض الموظفين من ذوي الوظائف الدينية يقومون بحلاقة

(١) . A. Parrot, op. cit., fig 23, p. 19

بقعة علي رؤوسهم كإشارة إلي السماح لهم بمزاولة الوظيفة، وكذلك كان شأن الأطباء.



(شكل ١٤) ذقن وشعر الملك أشور ناصربال الثاني

وارتدي العراقيون القدامي أغطية رأس صنع بعضها من الذهب المرصع باللازورد، ولقد عثر في مقبرة أور السومرية علي حلي ومجوهرات تزين رأس تمثال امرأة، وهو يوجد حاليا بالمتحف العراقي في بغداد (شكل ١٥)[١].

وكان العديد من الآشوريين يلبسون أغطية الرأس، وكان منهم الآلهة وافراد العائلة المالكة والجنود والشخصيات الدينية ممن يلبسون أحيانا غطاء رأس تقليدي لأنه مرتبط برتبة أو طقس معين، وكانت أغطية الرأس الوحيدة المنتشرة بشكل واسع في آشور هي أصلا عصابة الرأس التي كان لها أشكال مختلفة، وكان من الممكن أن تضفر، وكان الرجال والنساء يرتدون هذه العصابات لاجل شد الشعر أو يثبتوها فوق عمامة نجدها تملك شكلا معقدا في حالة ارتدائها من قبل الملك أو المسئولين[٢].

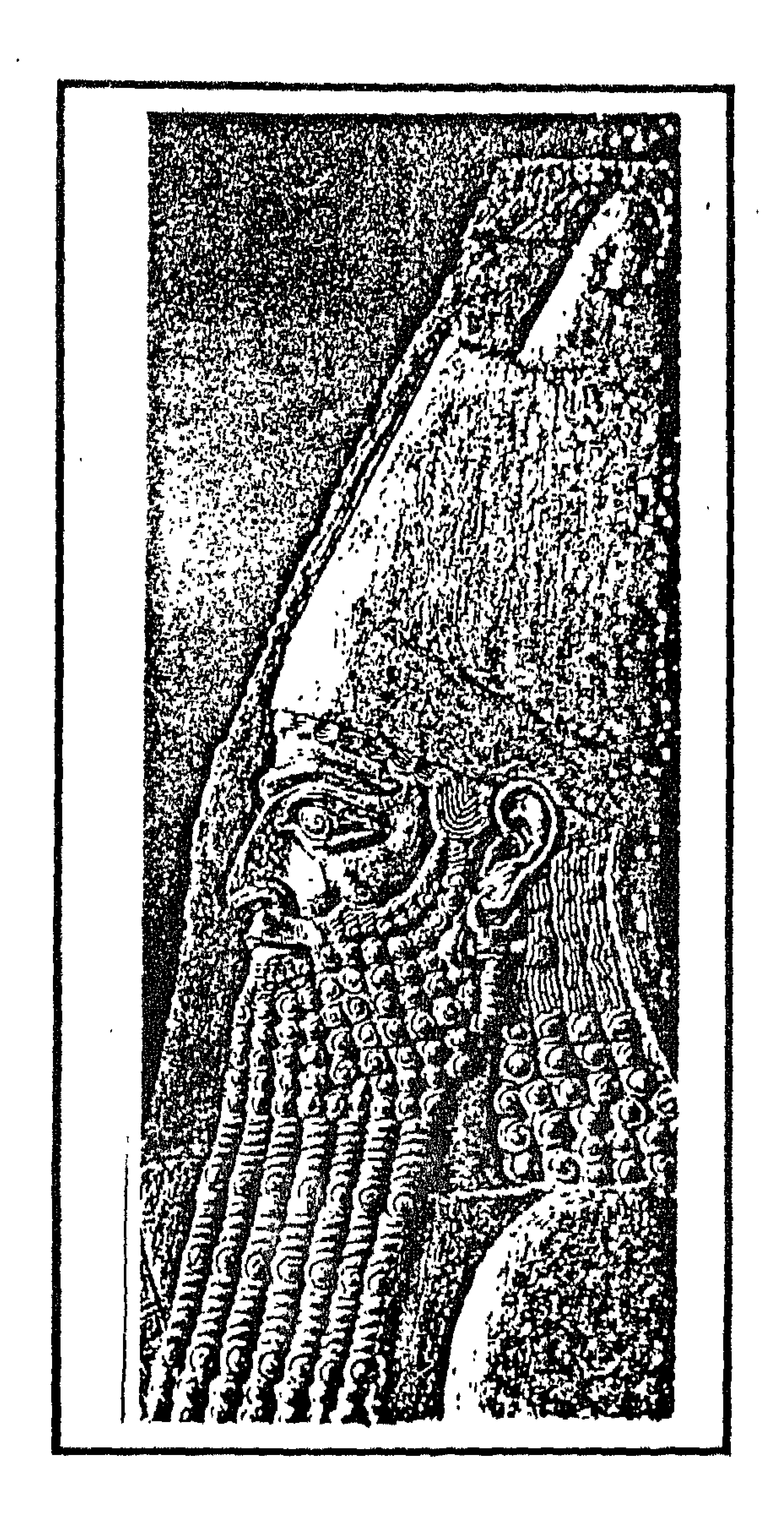
وكان الرجال والنساء علي حد سواء يلبسون الحلي ولكن ليس من نفس النوع، فكانت النساء ترتدي الخلاخيل وكانت النسوه في بعض الفترات يلبسن لوحة صدر تتكون من معادن ثمينة ومجوهرات، وتكون زينة النساء من قلائد مصنوعة من العقيق الأبيض علي سلسلة ذهبية، وكان الرجال ايضا يرتدون مثل هذه القلائد، وارتدت الرجال والنساء اساور حول رسغ اليد وكانت الاقراط عنصراً مشتركا بين زينة الرجال وزينة النساء، وكان لها في البداية شكل هلال من الذهب أو الفضة مع قلائد صغيرة مختلفة الشكل تلحم بالقرط، ومن أمثلته القرط الذي يرتديه الملك سرجون الثاني الأشوري (شكل ١٦)[٣].

---

(١) حسن الباشا: المرجع السابق، شكل ٧١.
(٢) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٢٢٨.
(٣) A. Paarot, op. cit., fig. 15, p. 13.



(شكل ١٥) غطاء رأس من مقبرة أور السومرية



(شكل ١٦) قرط الملك آشور الثاني

وسائل التسلية والترفية

لعبت الموسيقي دوراً كبيراً في وسائل التسلية والترفيه في العراق القديم، فكانت الآلات الوترية والنفخ والتطبيل معروفة جيداً، ومن الآلات الوترية كانت هناك قيثارة رباعية، وكان يتم العزف بها أثناء المشي، كما كان توجد قيثارة قابلة للحمل ذات سماعة مغطاة بالجلد، كما وجد نوع من الرباب الصغير له سماعة صغيرة جدا وأوتار مربوطة في نهاية مقبض طويل جدا. وكان التطبيل يتم بالضرب علي أنواع مختلفة من الطبول تتدرج من النقارات القابلة للحمل إلي طبول أخري ذات أبعاد واسعة. وكان آلات النفخ تؤلف أنواع من نايات مفردة أو مزدوجة.

ويظهر الموسيقيون الذين يعزفون علي آلاتهم في عدد من النصب ومنها منحوتة موجودة حاليا في متحف اللوفر، كان قد عثر عليها في نينوي، ويظهر فيها أربعة من الموسيقيين يقف كل اثنين في مواجهة بعضهما، ويحمل كل واحد منهم آلة موسيقية تختلف عن الآخر فيحمل أحدهم دف والثاني قيثارة والثالث الصنوج والرابع آلة وترية وهم يتقدمون ويتراجعون بالتناوب (شكل ١٧)[(١)].

وكان الرقص يصاحب الغناء والموسيقي غالبا، ويكون عادة في شكل صفين يواجه أحدهما الآخر ويتقدمان ويتراجعان بالتناوب في حين يصاحب المشاهدون الموسيقي بصيحاتهم وتصفيقهم.

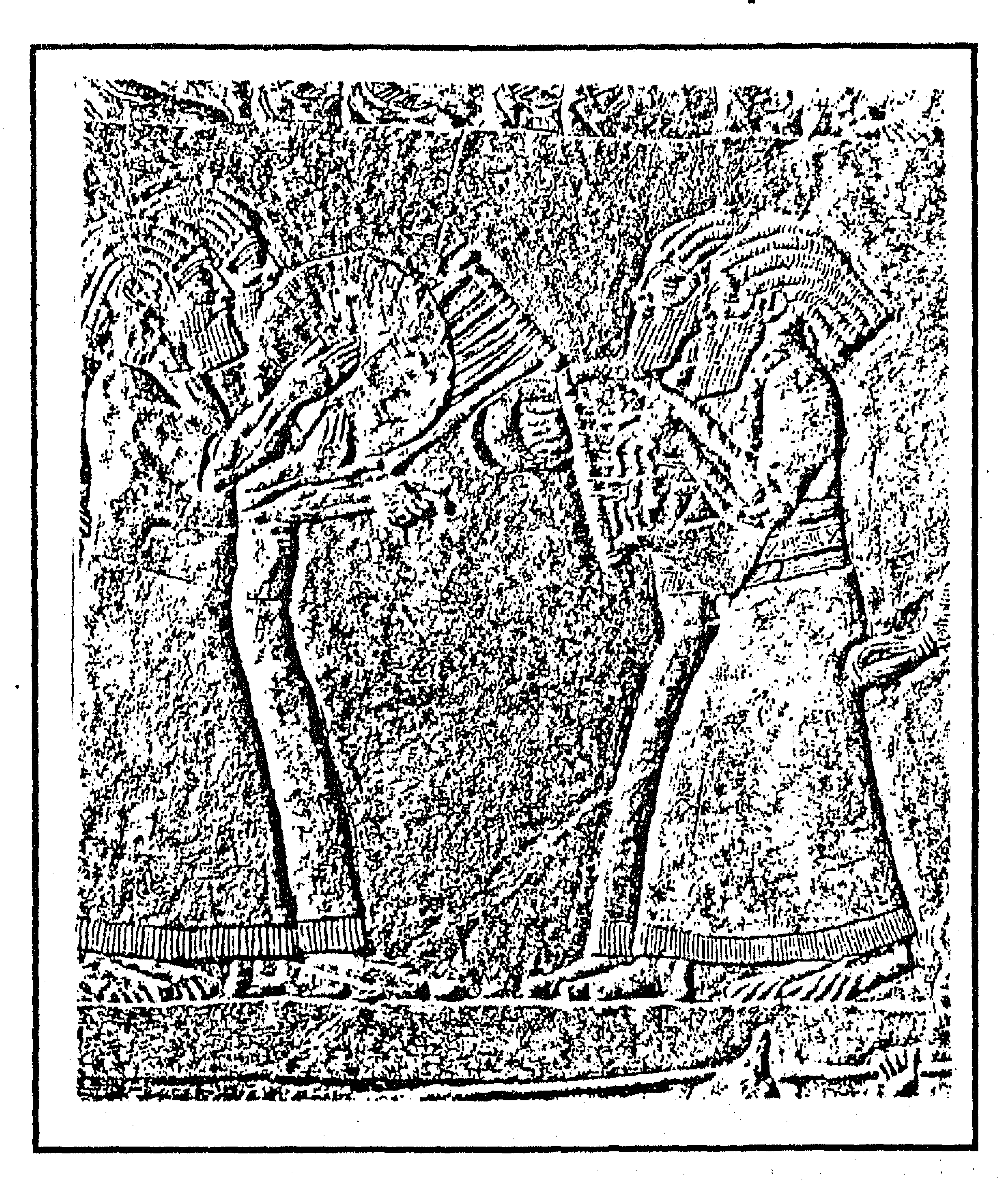
وكانت الألعاب الرياضية من الأشياء المحببة إلي نفوس العراقيين ومن هذه الألعاب لعبة الملاكمة، وكذلك بغض الألعاب الفكرية، كما كانت الولائم من الاشياء التي مثلت وسيلة من وسائل الترفية عن الطبقات العليا في المجتمع العراقي.

ومارس العراقيون الصيد كوسيلة من وسائل التسلية والترفية فكان أهالي

---

(١) Ibid, fig. 61, p. 33.

آشور يمارسون صيد الطيور، أما الملوك فكانوا يمارسون صيد الحيوانات المتوحشة، فتظهر المناظر الملوك وهم يطاردون الحمر الوحشية وهم يمتطون صهوه جيادهم، وكان الصيد الحقيقي بالنسبة للملوك هو صيد الأسود(1).



(شكل ١٧) منظر للموسيقيين

---

(١) جورج كونتينو: المرجع السابق، ص٢٣٢ - ٢٤٠.

الفصل الثالث

القيم الأخلاقية والسلوكية
فى العراق القديم

عبرت بعض نصوص أدب الحكم والنصائح في العراق القديم عن القيم الأخلاقية والمثل العليا والسلوك الأمثل الذي آمن الإنسان العراقي القديم باتخاذه، وحاول به تنظيم صلة الناس ببعضهم. وتكشف هذه النصوص أن الإنسان العراقي القديم كان يقدر الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والإخلاص، أي كان يقدر ويعتز بجميع الفضائل والسجايا التي يرغب فيها الإنسان، وعلي ذلك، فإنني سأعتمد - في دراسة القيم الأخلاقية والسلوكية - اعتماداً كاملاً علي أدب الحكمة والنصيحة في العراق القديم، لما يحويه هذا النوع من الأدب من تعبير دقيق وواضح للقيم الأخلاقية والسلوكية الموجودة فعلا، والقيم المثالية التي يتمني المرء تحقيقها، كما أنه انعكاس لروح ومعتقدات العصر الذي ظهر وشاع فيه.

ومن أهم العوامل التي أثرت في القيم الأخلاقية والمثل السلوكية في العراق القديم، البيئة العراقية، التي تتميز أحوالها بعدم الانتظام، ووجود نوع من العنف في بعض مظاهرها، فنهرا دجلة والفرات وإن كانا قد حققا للإنسان العراقي القديم قدراً كبيراً من الاستقرار المعيشي مكنه من صنع حضارته في عصور مبكرة لا تبعد كثيراً عن العصور التي نضجت فيها الحضارة المصرية الأولي، إلا أنهما في الوقت ذاته قد يفيضان علي غير انتظار أو انتظام، فيحطمان السدود ويغرقان الأرض، وقد يفيضان في غير أوقات الحاجة الملحة إليهما مثل مواسم الحصاد أو أوائل الصيف.

وإذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا علي تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم، إلا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائماً، وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما في أجزائهما العليا، وبطء جريانهما وكثرة مستنقعاتهما في أجزائهما الدنيا.

وبالإضافة إلي فيضانات دجلة والفرات، فالأمطار عاتية تحول الأرض إلي بحر من الطين يسلب الإنسان حرية الحركة، وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادي واسعة فقيرة في مواردها الطبيعية من المعادن والأحجار،

وسببت هذه الصحراوات والبوادي للإنسان العراقي القديم الكثير من المتاعب والمشاكل، إلا أنها في الوقت ذاته لم تكن شراً كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل في قيام أسواق تجارية علي أطرافها، كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت في ضم شملهم وتوسيع حدودهم كما فعل الأكديون الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

وإذا كانت المرتفعات الشمالية، والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الأولية وبخاصة الأحجار، إلا أنها في الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لأهل العراق، إذ كثيراً ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة، وحدث ذلك علي امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم. وأدت هذه الظواهر البيئية التي يغلب عليها المتاعب والمشاكل إزاء المنافع إلي التحكم في إرادة الإنسان ودفعته إلي الشعور بضآلته تجاهها، كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر[1].

وكان لذلك تأثيره علي الناحية النفسية والسلوكية للإنسان العراقي القديم، فصبغت البيئة بعمق أسلوب حياته وكان لها تأثير قوي وفعال في قيمه ومثله الأخلاقية وكذلك العديد من الحوافز التي دفعته إلي القيام ببعض الاعمال البعيدة عن المثل الأخلاقية.

وسنقوم فيما يلي بدراسة بعض هذه الحوافز مثل الحافز إلي البروز والشهرة، وإلي الانتصار والنجاح وكذلك بعض القيم والمثل الأخلاقية مثل عمل الخير والحض علي القيام به، والنهي عن الأعمال الشريرة، والحض علي التمسك بالصدق والأمانة واحترام القيم، والتمسك بالعدالة، والتمسك بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك، والحرص علي اتقان العمل.

---

(١) عبد العزيز صالح: الشرق الأدني القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٠، ص٩-١١. وكذلك.
Jacobsen, T., Before Philosophy, pelican Books, 1949, PP, 138-139.

١- الحافز إلى البروز والشهرة:

لقد كان الحافز إلي البروز والشهرة وإلي الانتصار والنجاح من أهم النتائج المباشرة التي أثرت فيها البيئة العراقية علي الناحية النفسية والسلوكية للإنسان العراقي القديم، وانطوي هذا الحافز علي الطموح والتنافس والمغامرة كرد فعل للبيئة المتحدية له، وكان هذا علي ما يبدو بعيداً كل البعد عن المثل الخلقية، إذ انطوت إرادة التفوق في الانتصار علي منافس ما، وكان ذلك مصدراً مهماً للحوافز في سلوك الإنسان العراقي القديم.

وعبر الأدب العراقي القديم عن هذه الروح في بعض القصائد والمحاورات التي صنفها الكتاب الأقدمون أنفسهم بـ «منازعات» أو «مجادلات»، وهي تتصف بروح المخاصمة، وتشير شعبيتها بصورة خاصة، إلي أنها تعكس نمطاً من السلوك كان معروفاً حق المعرفة[١].

ومن محاورات النزاع السومرية[٢]: «المناظرة ما بين الصيف والشتاء»

---

(١) S.N., Kramer, The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963, p. 270.

ويلاحظ أن العبارة السومرية التي تشير إلي هذا النوع من الأدب تتركب من كلمتين، الكلمة الأولي «أدمن» التي تكتب بعلامتين مسماريتين هما مكرر العلامة الدالة علي «رجل» وتكتبان الواحدة مقابل الأخري، والكلمة الثانية هي «دوكا» التي تعني «الكلام» فيكون المعني العام لهما «خوار ما بين رجلين أو ما بين اثنين» أو «مناظرة بين متكلمين». وتتشابه الأساليب المتبعة في تأليف هذه المناظرات أو المنازعات في النصوص السومرية والبابلية، فهي تبدأ بمقدمة أسطورية عن أصل الموضوع المتنازع عليه، وقيام المتنازعين ببيان أهمية كل منهما في نظام الكون والأشياء، ثم يأتي الموضوع بعرض أقوال كل منهما وجواب أحدهما للآخر، إذ يبين كل منهما فضائله ومنافعه للناس مفندا أقوال منافسه ومعرضاً بنقائصه، وينتهي الموضوع بذهاب المتخاصمين إلي أحد الآلهة للاحتكام إليه، حيث يستمع إلي ادعاء كل منهما، ويصدر حكمه في صالح أحدهما. انظر: طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد ١٩٧٦، ص١٦٢ - ١٦٣.

(٢) وصلنا العديد من محاورات النزاع السومرية، ومنها: «المناظرة ما بين الصيف والشتاء» و«المناظرة ما بين الراعي والفلاح» و«المناظرة ما بين الطير والسمك» و«المناظرة ما بين الفأس والمحراث» و«المناظرة ما بين الفضة والبرونز». انظر:

طه باقر: المرجع السابق، ص١٦٣، وكذلك:

صموئيل نوح كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر ومراجعة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٢٦ - ٢٣٧، وكذلك: =

والتي تعرف بين الباحثين بعنوان «أسطورة إيمش Emesh واينتن Enten»، وهي تدور حول أهمية كل من الصيف والشتاء في الإنتاج الزراعي والحيواني وتشييد المباني في العراق القديم، ومحاولة كل منهما نسبة الفضل إليه، واحتكامهم للإله انليل(١)، الذي حكم بالأفضلية لفصل الشتاء(٢).

وبالإضافة إلي محاورات النزاع السومرية، فقد وجد العديد من محاورات النزاع البابلية(٣) ومنها: «المناظرة ما بين النخلة وشجرة الأثل» وهي تبدأ بمقدمة قصيرة عن الظروف التي نشأت فيها المنافسة بين الشجرتين، وخلاصتها أن الملك غرس النخلة ومعها شجرة الأثل في قصره، ولما نمت الشجرتان، أقيمت ذات مرة وليمة في ظل شجرة الأثل، وحينئذ بدأت المنافسة ما بين الشجرتين، فقالت النخلة لشجرة الأثل، إنك من الأشجار التي لا ثمر لها ولا نفع منها، بعكس

S.N., Kramer, "Sumerian Myths and Epic Tales" in Pritchard, J. B., = Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1974, P. 41.

(١) كان إنليل إله الهواء والرياح والجو بوجه عام، وكانت له صفتان، أولهما الصفة الخيرة الهادفة إلي خدمة الإنسان السومري في مختلف شئون حياته، وخاصة الشئون الزراعية وذلك باعتباره إلهاً للهواء، وثانيهما الصفة الشريرة، كإله للزوابع والعواصف التي تهدد حياة الإنسان السومري ومصيره علي سطح الأرض، وكان إنليل المعبود الرئيسي في مدينة نفر، وأطلقت عليه النصوص المسمارية العديد من الألقاب مثل: «سيد جميع البلدان» و«أب جميع الآلهة» و«الجبل الكبير» و«الإله الذي يقرر المصائر» و«الإله الذي لا رجعة لقراراته» و«صاحب العينين البراقتين» و«الإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر». انظر:

رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٧٦ ص٥٦، وكذلك:

S.N., kramer, "Sumerian Hymns", in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relatingto the Old Testament, pp. 573 - 576.

(٢) انظر:

صموئيل نوح كريمر: المرجع السابق، ص٢٢٦ - ٢٣٠.

(٣) من القطع البابلية التي وصلتنا: «المناظرة ما بين النخلة وشجرة الأثل» و«المناظرة ما بين الشعير والقمح» و«المناظرة ما بين الثور والحصان» و«المناظرة ما بين النسر والحية» و«المناظرة ما بين الكلب والذئب». انظر:

W.G., Lambert, Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960, pp. 150 -212.

النخلة التي يستفيد منها السيد والعبد، فأجابتها شجرة الأثل معيرة إياها بعدم صلاح خشبها لصنع الأثاث «تأملي في أثاث القصر، وعددي الأخشاب التي أخذت مني لصنعها، فالملك يتناول طعامه علي منضدتي، وتشرب الملكة من الكأس المصنوعة من خشبي»[1].

وقام حافز التفوق والشهرة بدور هام وكبير في نظرة الإنسان العراقي القديم إلي الحياة، إذ غذي هذا الحافز بعض أنماط الإنتاج الحضاري المادي والفكري مثل العمارة وتنظيم وسائل الري والتعليم، وغيرها من أساليب الحضارة، إلا أنه من ناحية أخري، كان له جانب سئ، بل مدمر، إذ حمل حب المنافسة والبروز في طياته بذرة تدمير النفس، وساعد علي إثارة الحروب الدموية المصحوبة بالكوارث بين دولايات المدن، وعرقل توحيد البلاد بكاملها في أغلب فترات تاريخها.

٢- عمل الخير والحض على القيام به:

لقد كان لحب التنافس والمغامرة الذي تولد لدي الإنسان العراقي القديم أثره في محاولة الحكماء العراقيين القدامي فيما أسدوه من نصائح أن يظهروا أهمية الاستمساك بفضائل السلوك الأخلاقية من حب للخير والصدق والعدالة والقانون والنظام والصلاح والاستقامة والرحمة، كما حرصوا علي إظهار مقتهم للشر والكذب والزور، وعصيان القانون، والإخلال بالنظام، والظلم، والاضطهاد، وارتكاب المعاصي، والغيبة والنميمة، وعدم التحرز في الحديث، وهو ما سنحاول تتبعه من خلال ما وصلنا من أدب الحكمة والنصائح.

ولقد كان الخير والحض علي القيام به، والنهي عن الشر والتحذير من

---

(١) سجلت هذه المناظرة علي العديد من القطع، القطعة رقم VAT 10102 والقطعة رقم VAT 8830، وبالإضافة إلي هاتين القطعتين، فقد عثر علي نسخة ثالثة مدونة علي لوحتين في تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل حرمل، ويرجع زمن تدوينها إلي مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وسجل هذين اللوحتين في سجل المتحف العراقي بالرقمين IM 53946 وIM 53975، وقام العديد من العلماء بنشر ترجمة هذه المناظرة. انظر في ذلك:

Lambert, W.G., op. cit., PP. 154 - 155.

عمله، من الأمور الهامة التي حث عليها الحكماء العراقيون القدامي فيما أسدوه من نصائح وحكم، وتوجد العديد من الحكم والنصائح التي تدعوا إلي عمل الخير حتي مع الأعداء، ومقابلة الشر بالخير، ومما جاء في النصائح البابلية معبراً عن ذلك:

«ولدى، إذا قابلك عدوك بالشر، فقابله أنت بالخير»(١).

وجاء كذلك:

«لا تسترجع العدواة لاعدائك
قابل الشر بالإحسان»(٢).

وردت نصائح أخري تدعوا إلي عمل الخير، ومساعدة المحتاجين ومعاملتهم باحترام، وأوضحت هذه النصائح قيمة هذا العمل في أنه وسيلة من الوسائل التي ترضي الآلهة وتدخل السعادة إليها(٣):

«أعطه الطعام ليأكل، والنبيذ ليشرب
«أعط من سألك، ساعده وعامله باحترام
«فإن ذلك يدخل السعادة لإله الإنسان(٤)
«ومما يسعد الإله شمش(٥)، ذلك الذى يقدم الإحسان
اعمل الأشياء الطيبة، وكن كريماً طوال أيامك».

---

(١) S., Langdon, "A table of Babylonian Wisdom", in Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, Vol. xxxviii (1916), P. 108.

(٢) W.G., Lambert, op. cit., P. 101 (Lines 40-41).

(٣) Ibid., P. 103 (Lines 61-65).

(٤) اعتقد الانسان العراقي القديم أن كل إنسان يعتمد علي إله هو ملاكه الحارس، وكان هذا الإله يهتم بالإنسان الذي هو حارسه، ويقوم بالوساطة بينه وبين المعبودات الأخري.
انظر في ذلك:
ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة محرم كمال، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، مجموعة الألف كتاب (٣٥) ص١٩٢ - ١٩٥، وكذلك:
T., Jacobsen, op. cit., PP. 218-219.

(٥) اعتبر الإلة شمش في الفكر الديني العراقي القديم في مرتبة شبه ثانوية بين القوي الإلهية في=

٣- النهى عن القيام بالأعمال الشريرة:

حضت العديد من الحكم والنصائح العراقية القديمة علي النهي عن القيام بالأعمال الشريرة، وجزاء من يقوم بها، ولقد وردت العديد من الأمثال والحكم والنصائح المتصلة بهذا الأمر، ومما جاء في الحكم السومرية معبراً عن ذلك:

«عندما يجنى الشر مكسبه، فإن هناك أوتو الذى يعيده منه»(١).

ويتصل بذلك أيضاً أحد الأمثال السومرية التي تقال في مجال المجاملات:

«إنك لا تتهاون مع الشر حيثما يوجد»(٢).

ومن النصائح البابلية التي تنهي المرء عن القيام بالأعمال الشريرة حتي يحصل علي السعادة الدائمة.

«إذا لم تقم بالأعمال الشريرة، فإنك سوف تحصل على السعادة الدائمة»(٣).

= العراق القديم، إذ كان يلي في المنزلة الإله سين، الإلة القمري، إذا اعتقد البابليون أن الشمس قد ولدت عن القمر، وقد سماه السومريون باسم «أوتو» (ومعناه الضوء والنور واليوم)، وسماه الساميون باسم «شمش» أي الشمس، واعتبر شمش القاضي الأعظم، وكان له طفلان هما العدالة والحق، وكان رمزه قرصاً مزيناً بنجم ذي أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الأشعة المموجة. انظر:

طه باقر: مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق، بغداد، ١٩٥٥، ص٢٥١.

وكذلك:

ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص١٧٠.

(١) E.I., Gordon, Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Phil.delphia, 4, P. 42 (1-2).

(٢) Ibid., P. 52 (1.52).

(٣) توجد هذه الحكمة في اللوح رقم K.4347، انظر:

S., Langdon, "Babylonian Proverbs" in The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. xxviii (July 1912), P. 220 (21).

ويري E.F. Pfeiffer أن تاريخ كتابة هذا اللوح ترجع إلي الفترة من ١٨٠٠ - ١٦٠٠ق.م، ومما=

ومنها كذلك:

«لا تتعامل فى الأمور بسوء، ومن ثم فإن قلبك لن يشعر بالآسى»(١).

ومن هذه النصائح ما يشير إلي أن الإنسان إذا ما واتته القوة واستولي علي أملاك غيره، فإنه سيأتي من يستولي علي أملاكه، فكأنها «صاعاً بصاع» أو «واحدة بواحدة»، وفي ذلك تحذير لكبت وقمع شهوة الاستيلاء علي أملاك الآخرين، ومما جاء في ذلك:

«إذا ذهبت واستوليت على ثمار حقول الآخرين، فإنهم سيأتون ويستولون على ثمار حقلك»(٢).

وورود في إحدي اللوحات البابلية ما يشير إلي أن لا يوجد شر مطلق، ومن ثم فإنه يجب علي الإنسان أن لا يتحدث إلا بما هو طيب، أما الذي يتحدث بسوء فسيعاقبه الإله شمش.

«إن الشر ليس مطلقاً، تحدث بما هو طيب

فإن الذى يتعامل فى الافتراءات، يتحدث بما هو سئ

= هو جدير بالذكر أنه قد ترجم هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«لا تعمل الشر، حتى لا يتحكم الحزن فيك فى النهاية».

انظر:

E.F., Pfeiffer, "Akkadian Proverbs and Counsels" in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1974, P. 425 (21).

ويذكر Lambert أن هذه اللوحة تتكون من ستة أعمدة، ولم يعثر علي نسخة أخري لها، وهي منسوخة من أصل به فجوات كبيرة، ونقل الكاتب الذي نسخها ما هو أمامه فترك مساحات سوداء لتشير إلي الأجزاء المحطمة. وترجم Lambert هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«لا تفعل الشر، ومن ثم فإنك لن تعانى من سوء الحظ المستمر».

انظر:

W.G., Lambert, op. cit., PP. 239-250 (Lines 18-21).

(١) E.F., Pfeiffer, op. cit., P. 425 (20).

(٢) S., Langdon, op. cit., P. 230. (64).

وسوف ينتظر شمش رأسه بالعقاب»(١).

وجاء في أحد الأمثال الأشورية التي صيغت بأسلوب استفهام استنكاري النهي عن عمل ما هو شرير مع الأصدقاء إذ كيف يكون الحال حينئذ مع الأعداء؟.

«إذا فعلت الشر مع صديقك، فماذا ستفعل مع عدوك؟»(٢).

ومما يتصل كذلك بالنهي عن القيام بالأعمال الشريرة ما جاء في أحد النصوص الخاصة بالإلهة «نانشة»(٣) وهي تقوم بحساب البشر في عيد رأس السنة، وقد جاء في النص وصف لبعض الأعمال الشريرة التي أثارت سخط الإلهة «نانشه»، وبالتالي فإنها تكون قد صيغت هنا لتكون كعظة وعبرة، حتي لا يقع المرء في مثل هذه الأعمال الشريرة التي تثير سخط الالهة، ومن هذه الأعمال:

«من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له ...؟

«من تخطى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود».

«من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشر...

«من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير.

«من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير»

«من أكل ما ليس له ولم يقل «أكلته»»

---

(١) وردت هذه الحكم في اللوح رقم K. 8282 انظر:
S., Langdon, "A Table of Babylonian Wisdom", in Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, Vol. xxxviii (1916)P. 115 (28-30).

(٢) ورد هذا المثل في مجموعة الأمثال الأشورية، اللوح رقم VAT 10251 الذي عثر عليه في مكتبة الملك آشور بانيبال، انظر:
W.G., Lambert, op. cit., P. 232 (11.35 - 37).

(٣) إحدي الإلهات التي عبدت في مدينة لجش، واعتبرت راعية للصدق والعدل والرحمة.

«ومن شرب ما ليس له ولم يقل «شربته»...»

«من قال لآكلن ما حرم»

«ومن قال لأشربن ما حرم»(١).

ومن الحكم السومرية التي يضرب بها المثل لمن يعوض نقصه بتأسده علي من هو أضعف منه:

«لا يستطيع الثعلب بناء منزل خاص به، ومن ثم فإنه يستولى على منزل صديقه»(٢).

وفي ذلك إشارة إلي هذا العمل المقيت وإلي من يقومون به، ويتضمن الحض علي عدم القيام بمثله من استعراض القوة علي من هم أضعف، فهو عمل شرير ينبغي عدم الانزلاق إلي هاويته.

٤- الحض على التمسك بالصدق والأمانة:

توجد العديد من الحكم والأمثال والنصائح التي تحض علي الصدق والأمانة واحترام القسم، ومن الحكم السومرية التي تتصل بهذا الأمر:

«إذا قلت الكذب، ثم قلت الصدق، فإنه سيعتبر كذباً»(٣).

ومن النصائح الأكادية التي تتصل بالتمسك بالصدق، ما ورد علي أحد الألواح غير الكاملة (وهو يحمل رقم "80-7-19, 283")، ومما جاء في هذه النصيحة التي لم تكتمل:

«أمسك بالصدق فى يديك (..)»(٤).

وورد في إحدي مجموعات النصائح الأكادية التي تصل في حالتها

---

(١) صموئيل نوح كريمر: المرجع السابق، ص١٩٥.

(٢) E.I., Gordon, op. cit, PP. 218, 529 (2.62).

(٣) Ibid., P. 229 (2.71).

(٤) W.G., Lambert, op. cit., P. 107.

الكاملة إلي مـا يقـرب من ١٦٠ سطراً[١] نصيحتان تتصلان بالوفاء بالوعد والأمانة، ولو أنهما لسوء الحظ غير كاملتين، إلا أنه يمكن فهم ما ترمي إليهما، ولقد جاء فيهما:

«إذا وعدت بشيء، فأعط [..].

«إذا حملت بأمانة، فيجب عليك [..][٢].

وجاء في نص أكدي حوري مزدوج اللغة عثر عليه في رأس الشمرة[٣]، ويؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد نصيحة تحض علي احترام القسم، فإن الحنث جرمه عظيم، ولقد جاء فيها:

«احترم قسمك، واحفظ نفسك

إن الذى يقسم زوراً، فى محنة النهر.. ميراثه»[٤].

---

(١) يتجه Lambert إلي الاعتقاد بأن هذه المجموعة من النصائح تتصل بالقطعة رقم 80-7-19-283 التي سبق الإشارة إليها، وأن هذه القطعة تمثل الأسطر القليلة المفقودة من اللوحة الرئيسية. انظر:

(٢) Ibid., PP. 106-107.

Ibid., P. 105 (Lines 150-151).

(٣) رأس الشمرة: هي التسمية العربية الحديثة لمدينة أوجاريت، وسجلها المصريون في نصوصهم علي النحو الآتي:

وذلك في النصوص الخاصة بموقعة قادش المسجلة علي جدران معبد الكرنك.

انظر:

A.H., Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, Vol, I, Oxford, 1947 P. 130, 165.

وهي تقع بين فرعي نهر الفد، وسمي التل بهذا الاسم لكثرة ما ينمو عليه من الشمر، والشمر أو الشمار (بفتح الشين) بقلة من الفصيلة الخيمية اسمها العلمي Foeniculum Capillaceum

انظر:

سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر وراجعه محمد القصاص، القاهرة ١٩٦٨، ص٢٧١ - ٢٧٢.

(٤) W.G.. Lambert, op. cit., P. 116 (Lines 2-3).

٥- العدالـــة:

أما فيما يتصل بالعدالة، فقد عبر أدب الحكم والنصائح عن أهمية العدالة في حياة الأمم والشعوب، وأوضحت إحدي الحكم السومرية البليغة أنه لا يوجد شئ يرقي إلي مستوي العدالة، فإنها هي التي تسمح بازدهار الحياة وتطورها، وجاء في هذه الحكمة:

«ما الذى يقارن بالعدالة؟ أنها تعطى للأجيال الحياة!»(١).

وأوضحت حكمة سومرية أخري، أن الإنسان العادل تساعده الآلهة وتقف بجانبه:

«إن قارب الشخص العادل يبحر مع التيار وبمساعدة الريح، ويبحث له الإله أوتو عن المرسى الأمين»(٢).

وإذا كان هذا جزاء الإنسان العادل، فإن الشخص المحتال تجازيه الآلهة عن سوء عمله، بتدمير قاربه:

«إن قارب الشخص المحتال، وهو يبحر مع التيار وبمساعدة الريح، فإن (الإله أوتو) سوف يدمره على الشاطئ»(٣).

وتشير إحدي الحكم السومرية إلي المعاناة والمصاعب التي تجابه الإنسان العادل من أعداء العدالة الذين يقفون له بالمرصاد محاولين هدم ما يحاول بناءه:

---

(١) J., Jacobsen, in Gordon, E., I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia, 4, 1959, P. 448 (1.1).

(٢) E.I., Gordon, op. cit., P. 84 (1.86).

هذا ويقترح Jacobsen ترجمة هذه الحكمة علي النحو الآتي:

«إن قارب الإنسان العادل يبحر مع التيار وبمساعدة الريح، إنه يبحث عن المراسى الشرعية من أجل الإله أوتو» انظر:

Jacobsen, J., op. cit., P. 508 (1.86).

ومهما كان الأمر، فإن اقتراح Jacobsen يشير كذلك إلي أن الإنسان العادل يبحث عما هو شرعي ويرضي الآلهة.

(٣) E.I., Gordon, op. cit., P. 84 (1:87).

«البيت الذى يبنيه الرجل العادل يهدمه الرجل الخائن»(١).

ويتصل كذلك بهذا التراث المتصل بالعدالة عند السومريين ما ورد في إحدي التراتيل السومرية التي عثر عليها في مدينة «نفر» وأمكن تجميعها من بين تسعة عشر لوحاً وكسرة من لوح، وتتصل هذه الترتيلة بمدح الإلهة «نانشة»، ومما جاء فيها وصف للإلهة «نانشة» بأنها تهدف إلي تحقيق العدالة لأفقر الفقراء:

«(الإلهة) نانشة التى تعنى بالأرملة.

« التى تنشد العدالة (؟) لأفقر الفقراء (؟)»(٢).

وتوجد العديد من الحكم والنصائح البابلية المتصلة بالعدالة والحض علي اتباعها والقيام بها. ومن هذه النصائح ما يدعوا إلي إقامة العدل حتي مع الأعداء، ومما جاء في ذلك:

«يجب أن تقيم العدل مع عدوك»(٣).

ومن بين أدب النصيحة الذي وصلنا، نص أدبي علي جانب كبير من الأهمية في تاريخ نظم الحكم، إذ أنه من نوع النصائح الموجهة إلي الحاكمين أن يلتزموا العدل بين الناس، وسجلت هذه النصائح علي لوح عثر عليه في مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ق.م)(٤) ولم يعثر علي نموذج آخر لها. ويرجع

---

(١) Ibid., P. 274 (2.142).

(٢) صموئيل نوح كريمر: المرجع السابق، ص١٩٣ - ١٩٥.

(٣) S., Langdon, Babylonian Wisdom, London, 1921, P. 21.

وانظر كذلك:

R.D., Biggs, "Akkadian Didactic and Wisdom Literature" in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1974, P. 595. (43).

(٤) اهتم ملوك اشور اهتماماً كبيراً بآداب العصور السابقة لهم، فقاموا بتجديد أغلب اللوحات المتبقية منها وحفظها، وكان أكثرهم اهتماماً بذلك الملك آشور بانيبال الذي عمل علي جمع الألواح المسمارية القديمة في مكتبته، وكان يحث ولاته دائما بالتحري عن الألواح المسمارية القديمة وإرسالها إلي القصر الملكي، ولقد عثر في إطلال قصره بنينوي علي لوحات كثيرة أنارت الطريق=

Lambert[1] - اعـتـمـاداً علي شكل الخط والاسلوب اللغـوي أن تكون هذه النصـائح موجـهـة إلي أحد الملوك البـابليين في الفـتـرة من ١٠٠٠ - ٧٠٠ق.م. ويبدو أن الهدف منها حماية حقوق مواطني سيبار (أبو جبة) ونفر (نيبور) وبابل، ولقد جاء في هذه النصائح[2]:

«إذا لم يعبأ الملك بإقامة العدل، فستعم الفوضى شعبه، وتخرب بلاده،

«وإذا لم يعمل على نشر العدل فى مملكته فإن الإله «إيا»[3] سيد المصائر والأقدار،

«سيبدل مصيره، ولن ينفك عن مطاردته،

«إذا لم يهتم بنبلائه، فإن حياته ستكون قصيرة،

«إذا لم ينتبه إلى نصحائه، فإن بلاده ستثور ضده،

«إذا أطاع الأشرار فستتبدل مصائر بلاده

«إذا احتال على الإله «إيا» فإن الآلهة العظام سيلاحقونه

«ويحاكمونه،

«إذا آدان مواطنى سيبار بغير حق، وأعفى الأجانب، فإن

«شمش حاكم السماء والأرض، سوف يقيم العدالة للأجانب

«فى أرضه، حيث لا يخفى الأمراء والحكام العدالة.

= أمام الباحثين لمعرفة الكثير من مناحي الحضارة العراقية القديمة. انظر:
عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٥٤٥ - ٥٤٦.

(١) W.G., Lambert, op. cit., P. 111.

(٢) Ibid., PP. 113 - 115.

(٣) كان الإله «إيا» ثالث الآلهة في الثالوث الأعظم البابلي، ومعني اسمه «بيت الماء» ولقد أطلق عليه السومريون «انكي» أي (سيد الأرض). وكانت مملكته المياه التي تحمل الأرض وتحيط بها، واعتبر كإله للحكمة خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة بنسمته الإلهية، كما اعتقد أنه هو الذي أنقذ البشر من الهلاك الكامل في زمن الطوفان وهو الذي منح الذكاء للملوك وساعد الكهنة علي تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة في طقوس السحر التي كان يستعمل لممارستها ماء مقدساً يؤخذ من حوض أبسو في معبد أريدو. انظر:
ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص١٦٩.

،إذا أحضر إليه سكان نيبور ليحكم بينهم، ولكنه يقرر الأمر الواقع، ويحكم بظلم بينهم،
،فإن إنليل سيد الأراضى سوف يحضر جيشاً أجنبياً ضده
،ليذبح جيشه.
،ويطوف الأمير وقائد الجند فى الشوارع كالديكة المذبوحة،
،إذا أخذ الفضة من سكان بابل وأضافها إلى خزائنه،
،أو إذا سمع قضية متورط فيها رجال من بابل ولكنه لم يقسط فى حكمه
،فان مردوخ سيد السماء والأرض سوف يسلط عليه أعداءه،
،ويعطى أملاكه وثروته لعدوه،
،إذا فرض الغرامات على مواطنى نفر وسيبار أو بابل،
،أو أودعهم السجن،
،فإن المدينة التى فرض على أهلها الغرامة ستدمر تماماً،
،وسيدخله أعداءه السجن الذى سجنهم فيه،
،وإذا فرض على أهل سيبار ونفر وبابل أعمال السخرة،
،فإن مردوخ حكيم الآلهة وسيدها ومستشارها
،سيسلم بلاده إلى أعدائه،
،الذين يفرضون على جنوده أعمال السخرة،
،وستقرر الآلهة العظام آنو وإنليل وإيا
،فى مجلسهم حرية هذه الشعوب من مثل هذه الإلتزامات،
،وإذا أعطى العلف المخصص لسيبار ونفر وبابل إلى خيوله،
،فإن الخيول التى ستأكل هذا العلف،
،سوف تذهب إلى عربات الأعداء،
،ويقوم إرا Era الذى يتقدم جيشه،
،بتحطيم مقدمة الجيش، ويذهب إلى جانب الأعداء،
،وإذا فك نير ثيرانهم،

«ووضعها فى حقول أخرى،
«أو أعطاها للأجانب [..] فإنه سوف يدمر [..]
«من آدو Addu.
«إذا استولى على قطعان أغنامهم،
«فإن آدو المشرف على القنوات فى السماء والأرض،
«سوف يصيب حيواناتهم بالجوع..
«وإذا قام مستشار الملك أو رئيس جنده،
«باتهامهم (أى مواطنى سيبار ونفر وبابل) وأخذ رشاوى منهم،
«فإن المستشار وقائد الجند سوف يموتون بحد السيف،
«وتصبح أماكنهم خرائب،
«وتحمل الريح بقاياهم،
«وتعصف الرياح والعواصف بمنجزاتهم...».

وأوضحت بعض الحكم السومرية النتائج السيئة المترتبة علي عدم وجود قانون أو نظام في الدولة، ومن هذه الحكم:

«إنها ليست مدينة، فإن الساهرين على الحراسة فيها الكلاب والثعالب»(١).

وعثر علي حكمة في لوحة مدرسية في أور تشير إلي نفس الغرض، جاء فيها:

«فى المدينة التى لا توجد فيها كلاب، فإن الثعالب تقوم بالحراسة فيها»(٢).

ففي غياب المنوط بهم الحراسة، تصبح البلاد فريسة سهلة لأعدائها، بل هم الذين يقومون بتنظيم الحراسة فيها.

(١) E.I., Gordon, op. cit, P. 72 (1.65)., P. 262 (2.118).
(٢) Ibid., P. 502 (1.65).

٦- التمسك بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك:

لقد دعا الحكماء العراقيون القدامي إلي التمسك بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك، وحاولوا فيما أسدوه من نصائح أن يبرزوا قيمتها وأهميتها، والنتائج الوخيمة المترتبة علي من ينتهكها، ولا يتمسك بها، ولما كانت الثروة ومحاولة جمعها وكنزها والتكالب عليها من أخطر الأمراض وأشد الآفات التي قد تصيب الإنسان، فقد حاول الحكماء في حكمهم ونصائحهم إبراز حقيقة هامة - وإن كانت تخفي علي الكثيرين أو يتغافلون عنها - وهي أن الثروة ليست دائماً مصدراً للسعادة، وبالتالي فيجب عدم التكالب عليها، وأن لا يكون جمعها هدفاً في حد ذاته، فإنها قد تجلب معها القلق والخوف. ومن الحكم السومرية التي تتصل بذلك:

«من يكسب أشياء كثيرة، يجب عليه أن يظل يحرسها دائما»(١).

ويتصل بذلك أيضا:

«الذى يملك كثيراً من الفضة، سيكون سعيداً،
والذى يملك كثيراً من الحبوب، سيكون مسروراً،
«ولكن الذى لا يملك شيئاً، يستطيع النوم»(٢).

ومن هذه الحكم ما يشير إلي أن الثروة شئ عابر في حياة الإنسان:

«تطير الممتلكات مثل العصفور الدورى إذا لم تجد مكاناً تحط عليه»(٣).

ومن الحكم السومرية السلبية في هذا المجال:

«من الصعب الحصول على الثروة، ولكن الفقر قريب»(٤).

---

(١) Ibid, P. 49 (1.16).
(٢) S.N., Kramer, The Sumerians, Their History, Culture, and Character, P. 225.
(٣) E.I., Gordon, op. cit., P. 50 (1.18).
(٤) Ibid., P. 49 (1.15).

ومن الأمثال الأشورية ما يشير إلي أن الثروة ليست هي الوسيلة التي تعضد الإنسان، ولكن الآلهة هي التي تقوم بذلك:

«ليست الثروة التى تدعمك، إنه إلهك»(١).

ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الحكماء العراقيون القدامي، حفظ اللسان، والنهي عن الغيبة والنميمة، والحض علي عدم الانسياق في السباب. وأوضحت الحكم السومرية أن اللسان هو الذي يثير الضغينة أو يولد المحبة بين الناس. وعلي ذلك فإنه يجب علي المرء صون لسانه والتحرز في كلامه وأن لا يتكلم إلا طيباً. فبالكلمة الطيبة يصبح جميع الناسُ أصدقاء، ومما جاء معبراً عن ذلك:

«إن القلب لا يولد الضغينة أبداً، ولكن اللسان هو الذى يولدها»(٢).

وأوصت بعض الحكم والنصائح البابلية بالحرص في الكلام والتأدب في الحديث دونما تكبر أو استعلاء، فالحصيف من امتلك زمام لسانه، وجعل ما تنطقه شفتاه ثميناً. ومما جاء في هذه النصائح:

«كن حكيماً، فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب»

«اغلق فمك، واحرس لسانك»

«اجعل شفتيك ثمينة مثل الكنز»

«لا تتحدث أبداً ببذاءه»

«ولا تعطى مشورة غير موثوق فيها»

«فكل من يعمل شيئاً مذموماً يستهان به»(٤).

---

(١) وردت في اللوح رقم: VAT 102251, (11-42-43)، انظر:
W.G., Lambert, op. cit., P. 232.

(٢) E.I., Gordon, op. cit., P. 98 (1.108).

(٣) S.N., Kramer,op. cit., P. 226.

(٤) S., langdon, op. cit., P. 217.

ووردت هذه النصائح في ألواح أخري مع بعض التغييرات وذلك علي النحو الآتي[1]:

«تحكم فى فمك، واحرس كلامك،

«فهذه ثروة الإنسان، اجعل ما تقوله غالياً جداً[2]،

«دع الصلف والسباب، وبغضهما لنفسك،

«لا تتحدث بأى سوء، أو أى حديث كاذب،

«إن ناقل الكلام موضع الازدراء».

ولم يكتف الحكماء بذلك، بل أرادوا أن يؤكدوا أهمية الحرص في الحديث في نصائح أخري، فقالوا أنه يجب علي الإنسان أن لا يعبر عما يجول بخاطره بصوت مسموع حتي ولو كان وحيداً، وذلك تطلباً للحيطة والحذر، فإن الحديث الذي ينطق به دون روية وتفكير في لحظة تسرع سيندم عليه بعد ذلك[3]:

«لا تتكلم بحرية كاملة، وراقب ما تقول[4]،

«لا تعبر عن أفكارك الداخلية حتى ولو كنت وحيداً،

«إن ما تقوله فى لحظة، سوف تتبعه بعد ذلك[5]،

«اجهد نفسك لتكبح شهوة الحديث عنك».

---

(١) W.G., Lambert, op. cit., P. 101 (20-30).

(٢) أدبياً: «اجعل شفتيك غاليتين جداً».

(٣) Ibid., P. 105.

(٤) أدبياً «راقب شفتيك».

(٥) يلاحظ أن R.D. Biggs قد ترجم هذه النصيحة علي النحو الآتي:

«ما تقوله بسرعة ستندم عليه فيما بعد».

انظر:

R.D., Biggs, op. cit., P. 595 (Line 133).

أما S. Langdon فقد ترجمها علي النحو الآتي:

«إن ما تتحدث به بسرعة، سوف يعود عليك مرة ثانية».

انظر:

S., Langdon, "A Tablet of Bablonian Wisdom", in Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, Vol. XXXVIII (1916), P. 115 (33).

ومن النصائح البابلية ما يحض علي عدم التحدث بحديث السوء، فإن من يفعل ذلك تغمر الكآبة قلبه:

«لا تتحدث بأذى، ومن ثم فإن الكآبة لن تصل إلى قلبك»(١).

وينسحب ذلك أيضاً علي الأصدقاء، فيجب علي المرء أن لا يتحدث مع أصدقائه بالأشياء السيئة، وعليه أن يتجنب الحديث الغث، وأن لا يتحدث إلا فيما هو طيب:

«لا تتحدث مع رفيق أو صديق (بالأشياء السيئة)،

«لا تتحدث حديثاً غثاً، (تحدث) فيما هو طيب»(٢).

ومن الأمثال الأشورية ما يشير إلي أن المرء يحسب بحديثه، وأنه هو الذي يحدد مكانته ومنزلته، ومن هذه الأمثال:

«جعلني فمي أقارن بالرجال».

ومنها كذلك:

«لقد جعلني فمي أحسب بين الرجال»(٣).

ويبدو أن المثل الأخير يتصل بالنساء.

وإذا كانت جودة الحديث تجعل المرأة تعد بين الرجال، فإن المرأة التي لا تجيد الحديث تنحط منزلتها:

«زوجة الرجل التي لا تجيد الحديث تكون خادمة»(٤).

---

(١) R.D., Biggs, op. cit., P. 593.

(٢) Ibid., P. 596 (lines 148 - 149).

(٣) انظر الألواح K 4327 - 4749 المنشورة في:
W.G., Lambert, op. cit., P. 238 (III, 5-8).
Ibid., P. 238 (III, 3-4).

(٤) سجل هذا النص علي اللوح رقم VAT 10610 وهو من اللوحات القلائل التي ترجع إلي العصر الكاسي، انظر: Ibid., P. 118.

وإذا كان الحكماء العراقيون القدامي قد حببوا الالتزام بفضيلة الصمت والتمسك بها، فإنهم في الوقت ذاته قد حذروا من الغيبة والنميمة واعتبروا جرم من يقوم بها من الآثام العظيمة. ولقد حدد نص يرجح أنه يرجع إلي العصر الكاسي بعض الجرائم الكبيرة، ومن هذه الجرائم، الغيبة والنميمة ونشر الاشاعات السيئة، وتوجيه التهم الخبيثة، ومما جاء فيه:

«إن الذى ينطق بالافتراءات، يرتكب جريمة الاغتياب»

«هو الذى ينشر الإشاعات السيئة عن قرنائه»

«هو الذى يوجه التهم الخبيثة إلى أخوته(١).

وأوضحت حكم بابلية أخري الأثر السيئ الذي تتركه النميمة علي الشخص الذي هو موضع النميمة، وقد تصل النميمة في تأثيرها إلي موت من ينم عليه، وفي هذا بيان لفداحة الجرم الذي يرتكبه النمام، ومما جاء في ذلك قولهم:

«يلدغ العقرب الإنسان، فماذا جنى من ذلك؟

«قد يتسبب النمام فى وفاة الإنسان، فما الفائدة التى يحصل عليها؟»(٢).

وعلي ذلك فلا غرو أن نجد إحدي النصائح الأكدية، وقد وجهت نصيحة قاطعة تشبه الأمر بعدم التحدث مع من يتداول الإشاعات:

«لا تتحدث مع ناقل الإشاعات»(٣).

ومن فضائل الصمت كذلك، التي رغب فيها الحكماء العراقيون القدامي، عدم الانزلاق في السباب، أو الانسياق في الرد علي من يقومون به، ومن

---

(١) Ibid., P. 119 (Lines 5-9).
(٢) Ibid., P. 247 (Lines 22-25).
(٣) R.D., Biggs, op. cit., P. 595 (Lines 21).

الوصايا السومرية في هذا المجال دعوة المرء أن لا يرد علي أي سباب قد يوجه إليه إذا وجد في مكان به مشاجرة، أو كلام غير مناسب.

«إذا كانت هناك مشاجرة أو كلام معيب، فلا ترد على ما يلقى عليك من كلمات»(١).

وذلك لأن السباب يؤدي إلي سباب، والشتائم تؤدي إلي شتائم أخري:

«فى الشتائم تجد الشتائم، وفى السباب تجد السباب»(٢).

فمن الناس من يستطيع التحكم في نفسه مرة، أما إذا تكررت الإهانة فإن رد فعله في هذه الحالة يكون شديداً:

«إنه لا يستطيع رد الإهانة بالإهانة، أما إذا رد

«على الإهانة الثانية، فإنه سوف يرد بإهانات أكثر»(٣).

فإن الإنسان قد يتقبل ويرضي بالحكم القضائي في المنازعات رغم كونه في غير صالحه، من أن يكون هدفاً لسباب خصمه:

«الحكم القانونى غير المستحسن يكون مقبولاً، ولكن الشتيمة لا تقبل»(٤).

ويوجد العديد من الوصايا البابلية التي تدعوا الإنسان إلي البعد عن مواطن النزاع وأن ينأي بنفسه عنها، أما إذا تورط فيها، فإنه يجب عليه في هذه الحالة أن يعمل قدر استطاعته علي تهدئة النزاع لا الانسياق فيه، لان النزاع كالحفرة المغطاة لا يعرف الإنسان قرارها:

---

(١) E.I., Gordon, "A New Looke at the Wisdom of Sumer and Akkad". in Bibliotheca Orientalis, XVII No 3/4, (Mei-Juli), 1960 P. 130. (3.130).

(٢) E.I., Gordon, Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, P. 82 (1.183).

(٣) Ibid., P. 81 (1.182).

(٤) Ibid., P. 82 (1.184).

«إذا قوبلت بمشاجرة أو نزاع، فامض فى طريقك ولا تعرها أى اهتمام.

«وإذا كان النزاع يتصل بك، فاعمل على إخماد لهيبه، فإن النزاع حفرة مغطاة»(١).

٧- اتقان العمل:

ولقد حث العديد من التعاليم العراقية القديمة علي اتقان العمل، وأن يقوم الإنسان علي ما يتقنه منه فحسب، كما أوضحت تعاليم أخري أنه يجب البعد عن الأعمال التي لا طائل من ورائها، وأنه لابد للإنسان أن يعمل حتي يجني نتيجة عمله، وأخيراً فإن علي الإنسان أن يسعي، وفي هذه الحالة فإن إلهه سيساعده.

ومن الأمثال السومرية التي تركز علي أهمية قيام الإنسان بالعمل الذي يجيده فقط قولهم:

«من كان عمله الزراعة، فعليه زراعة الحقل»

«ومن كان عمله حصاد الشعير، فعليه القيام بحصاده»(٢).

ومن الحكم السومرية التي تدعوا إلي عدم القيام بالأعمال التي لا يرجي منها، أو عدم البحث عن عمل شئ قد تم إنجازه بالفعل، قولهم:

«لا تقطع رأس الشئ الذى قطع رأسه بالفعل»(٣).

ويتصل بذلك أيضاً بعض النصائح التي وجهها شورورباك إلي ابنه

(١) W.G., Lambert, op. cit., P. 101 (Lines 36-38).

(٢) E.I., Gordon, op. cit, Bibliotheca Orientalis, XVII No 3/4, (Mei - Juli) 1960, P. 130 (4-47).

(٣) E.I., Gordon, Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, P. 42 (1.3).

زيوسدرا[1]، ومما جاء فيها نصحه إياه بعدم عمل الأشياء التي قد تسبب له إزعاجاً، أو التي لا طائل من ورائها، ومما ورد في ذلك:

«لا ينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق، ولا ينبغى زراعة حقل على الطريق»[2].

وأوضحت بعض الحكم التي ترجع إلي العصر البابلي المبكر أن علي الإنسان أن يعمل حتي يكسب من عمله، فإن من لا يعمل لن يجني شيئاً، ولن يجد أحداً يعطيه نتيجة عدم قيامه بالعمل، ووما ورد في ذلك:

«طالما لم يعمل الإنسان،
«فإنه لن يجنى شيئا
«فمن الذى سيعطيه أى شئ
«مقابل.....»[3].

وأخيراً فإن علي المرء أن يجد ويسعي ويبذل جهده، وحينئذ فإن إلهه سيقوم بمساعدته، ومما جاء في ذلك:

«جهز نفسك، وسيساعدك إلهك»[4].

وجاء كذلك:

«انزع سيفك من غمده، وسيساعدك إلهك»[5].

---

(١) ذكر «شورورياك» بن «ويروتوتو Ubartutu» في بعض لوحات الملوك السومرية كأحد ملوك ما قبل الفيضان، وظهر اسم شورورياك في إحدي قوائم الملوك السومرية بين «ويرتوتو» و«زيوسدرا»، إلا أنه يلاحظ أنه لم يذكر في معظم لوحات قوائم الملوك السومرية، وكذلك الأساطير التالية مثل أسطورة جلجاميش، ويوجد من العصر الأكدي قطعة صغيرة من هذه النصائح تحمل رقم VAT 10151، ولقد ورد اسم «زيوسدرا» في النسخة الأكدية ك «أوتونبشتو» انظر:
Lambert, W.G., op. cit., . 92.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤٤٠ وكذلك:
M., Civil, et Biggs. R.D., "Notes sur des Textes Sumeriens Archaiques" in Revue D' Assyriologie et D' Archeologie Orientale, Vol. Lx, No. 1. (1966), PP. 1-5.

(٣) وردت هذه الحكم في القطعة رقم CBS 14235، انظر:
W.G., Lambert, op. cit., PP. 276 - 277 (lines 8-11).

(٤) Ibid., P. 231 (11, 29 - 30).

(٥) Ibid, PP. 231 - 232 (11. 31-32).

الفصل الرابع
التنظيم السياسى والإدارى

كانت تتكون دولة المدينة في العراق القديم من المدينة وما يحيطها من أراضي فكانت أحيانا تضم أكثر من مدينة، واعتبر تأسيس المدينة عملا دينيا لا يمكن القيام به إلا بناء علي أوامر الآلهه العظام، لأن المدينة هي قبل كل شئ مركز العبادة، وعلي هذا كان لإسم المدينة أحياناً واسم الاله الذي تنازل فرضي أن يستقر فيها مدلول واحد، فنري مثلا نيبور مركزا للإله «انليل» سيد سومر كلها، كما نري في جهات أخري إن الإله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخري، ويظهر ذلك بالنسبة لمدينة « لجش» التي كان إلهها «أينورتا» يسمي دائما «ننجرسو» (سيد جرسو) وهو اسم الحي الذي يقع فيه معبده، كما أن كلمة بابل تعني «بوابة الله» وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولي مدنا جديدة أعطوها اسماء تشمل اسم الاله مثل: «كارشماس» التي تعني «قلعة الإله شماش» و«نور أداد» التي تعني «نور الإله أداد».

إلا أنه مع ازدياد السلطة المركزية للملوك وقوة الملكية قل الإلتجاء إلي الدين وظهر اتجاه يرمي إلي احلال أسماء الملوك مكان اسم الإله في تسمية الأماكن والمدن والمشروعات، فأطلق حمورابي اسمه علي قناة للري، كما أطلق أحد حكام أسرة أور الثالثة وهو «كوريجالزو» اسمه علي مدينة جديدة أطلق عليها «دور كوريجالزو» أي مدينة كوريجالزو(١).

وكانت تدار المدينة من معبد إله المدينة الذي أشرف كذلك علي أملاك المدينة، وكان يوجد إلي جانب ذلك المعبد، معابد أخري لزوجات الإله وأولاده، وكان لكل معبد مخصصات خاصة به، وعلي ذلك فقد كانت أراضي الدولة خاضعة لإشراف دور العبادة، ومن ذلك نري أن السكان جميعا كانوا يعملون عند الآلهة، ويمثل هذا الوضع الذي تتجسد فيه الحقائق الاقتصادية والسياسية التي تعبر عنها اساطير العراق القديم بأن الانسان قد خلق ليريح الآلهة من الكدح والعناء ويعمل في مزارع الآلهة، لأن دولة المدينة لم تكن إلا مزرعة كبيرة، أو منظمة أساسها المزرعة الكبيرة، وهذه المزرعة الأساسية وهي الهيكل الأكبر

---

(١) L. Delaport, op. cit., P. 63.

وأراضيه، يملكها ويدير شئوونها إله المدينة وهو الذي تصدر عنه الأوامر المهمة كلها[١].

وهيمن المعبد علي قسط كبير من الحياة الاقتصادية، فقد أديت فيه بعض الحرف التي كان يقوم الكهنة بتدريب الصبيان عليها، وكثرت تلك المهن ومثلت فيها كل طبقات المجتمع ابتداء من العبيد حتي أبناء الملك، وكان الجميع تحت اشراف الكاهن الأكبر، كما كان للمعبد أملاك يؤجرها وأخري يقوم باستئجارها، وكانت له مصانعه ومخازنه، وعلي ذلك فقد كان للكهنة نفوذهم الديني والدنيوي.

وقامت إدارة المعبد بتقديم البذور والحيوانات وجميع الوسائل الخاصة بالزراعة وكلف الأهالي بالعمل في هذه الأرض يستوي في ذلك اصحاب المراكز الكبري والصغري، وفي مقابل ذلك فقد كفل المعبد تحقيق قوت أفراد المجتمع، وأفسح هذا النظام المجال لتكدس ثروة البلاد في المعبد[٢].

وبالرغم مما تمتع به الكهنة في المعبد من امتلاك الأرض والتصرف فيها وفي محاصيلها، فإنهم لم يقوموا بالإشراف السياسي علي المجتمع، وفي الغالب كانت السلطة السياسية في أيدي المواطنين، فلقد انحصرت السيادة السياسية في مجلس مكون من جميع المواطنين الأحرار ويتضمن ذلك احتمالية اشتراك النساء فيه، ويقوم بإرشاده جماعة من الشيوخ، وإلي جانب ذلك كان توجد في كل مدينة جماعة من شيوخها يشرفون علي المسائل العامة، ويمثل هذا المجلس الجمعية العمومية، والتي كانت وظيفتها الاجتماع وقت الحاجة للنظر والبت في الموضوعات التي تهم المدينة بأسرها مثل عملية اختيار كبار المسئولين في حكومة المدينة. ولقد ورد ذكر الجمعية العمومية وكبار السن في لوحات عصور ما قبل الكتابة[٣]. مما يدعو إلي القول بان التنظيم السياسي لحكومة المدينة إنما قد نشأ مع المدينة نفسها.

---

(١) T. Jacobsen, Before philosophy, P. 201.

(٢) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٦٢ - ١٦٣.

(٣) H. Frankfort, "The last Predynastic Period in Babylonia" in CAH., vol. I, part II, Cambridge, 1971, P. 92.

ويعتبر ذلك التنظيم السياسي مرحلة هامة في تاريخ الفكر الانساني لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء علي قرارات الجمعية العمومية(١).

وهناك من الأدلة ما يشير إلي أنه قامت في العراق شبه ديمقراطية خصوصا في الفترة الشبيهة بالكتابة، أي في النصف الثاني من عصر الوركاء وجمده نصر وكانت فيه شئون الدولة مقسمة بين الملك وبين مجلسين من مجالس الشوري، المجلس الأعلي من أعيان المملكة وشيوخها، ويتألف الثاني من جميع الرجال القادرين علي حمل السلاح، وعلي الرغم من جهلنا الكثير عن هذه المجالس وبخاصة كيفية تكوينها وصلاحيتها وعلاقتها بالملك وعلاقتها بعضها ببعض، فإن الإشارات تدل علي أن هذين المجلسين كانا يهتمان بالشئون المهمة في الدولة كالحرب والسلام، وكان لهذين المجلسين كذلك الحق في انتخاب الملك.

إلا أن هذا النظام الديمقراطي الذي ظهر في فجر التاريخ في بلاد الرافدين لم يتطور كما تطور في بلاد اليونان إلي ديمقراطية كتلك الديمقراطية الآثينية، وربما يرجع السبب في ذلك إلي أن هذا النظام الديمقراطي لم يكن متفقا مع أحوال البلاد في ذلك الوقت حيث انه يحول دون التوسع السياسي من مدينة إلي دولة كبيرة، كما أن الديمقراطية بالصورة التي رأيناها في العراق في فجر تاريخه لا تصلح إذا ما مر بالبلاد أزمة من الأزمات خصوصا الحروب الخاطفة التي كثيرا ما تعرضت لها دويلات المدن في العراق، والتي تتطلب سرعة وحسم في اتخاذ القرار لا يتواءم مع البطء المنتظر في أخذ قرارات من هذه المجالس، لذلك انتقل الحكم من النظام الديمقراطي البدائي إلي نظام ملكي اوتوقراطي، مع بقاء المجالس السابقة، ولكن اختلفت اختصاصاتها فكان لها الاشراف القضائي والنظر في

---

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧، ص٥٢.

وكذلك: H. Frankfort, kingship and the Gods, Chicago, 1948, p. 118.,

T. Jacobsen, "Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia", JNES, vol., 11, no.3, p. 165.

الدعاوي المهمة مثل توقيع عقوبة الإعدام وتنفيذها، هذا إلي جانب وجود محاكم مختلفة مؤلفة من قضاة مدنيين وكهنة[1].

ويستدل من الأدلة الأثرية النصية التي كشف عنها مؤخراً في العراق القديم استمرار هذا المجالس الشعبية حتي الألف الأول قبل الميلاد، حيث وجد في بابل مجلس شعبي كان يتولي مهام البت في مختلف قضايا الإدارة المحلية ويقوم بالنظر في دعاوي الممتلكات بين المواطنين، كما كان يتمتع بسلطة قضائية فيما يتصل بشؤون العائلة والملكية، وفي الأوقات التي كانت تتدهور فيها السلطة الملكية كانت صلاحيات المجلس الشعبي وإمكانياته تزداد بالطبع.

ونظراً لسلطات المجلس الشعبي الممثل لجميع الرجال الأحرار، فلقد كان هناك صراعا يظهر علي السطح تارة ويختفي أخري بينه وبين السلطة الملكية، ويلاحظ في المجال أن الدولة الأشورية في أوج مجدها عندما أسس ملوكها في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد امبراطورية ضخمة تمتد من مصر إلي ميديا وكانت سلطتهم في البلاد الخاضعة لهم غير محدودة، فإنهم كانوا يضطرون مع ذلك إلي خوض صراع مستمر ضد أهالي المدن الآشورية الذين كانوا يزودون عن حقوقهم المدنية التقليدية، وكانت تسبب المدن الآشورية بسعيها الراسخ للحفاظ علي إدارتها الذاتية القديمة واستقلالها عن دائرة اختصاص الملك لملوك آشور هموما أكثر من البلدان التابعة، وقد برهن المجلس الشعبي في العراق القديم علي جدارته وحيويته وقدرته علي التلازم والتكيف، فقد عاصر الإمبراطوريتين البابلية والآشورية وملوك الفرس والاسكندر، وكان زوال المجلس الشعبي يعني الانتقال من العصور القديمة إلي القرون الوسطي وفقدان سكان المدن في هذه المنطقة لحقوقهم المدنية ولحرية الفكر السياسية[2].

وكان شكل الحكومة في جميع مراحل تاريخ العراق القديم الحكومة الملكية

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص١٦٥.

(٢) بونفارد وليفين (وآخرون): الجديد حول الشرق القديم، ترجمة جابر أبي جابر، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٨، ص٢٠٢.

الاوتوقراطية أي تمركز السلطات جميعها بيد الملك أو الأمير الحاكم وحكومته التي يكونها، وكان هذا الشكل السائد منذ فجر السلالات وحتي نهاية العهد البابلي الحديث، وكان الاتجاه السياسي يسير نحو تمركز السلطة أكثر فأكثر بيد رأس الدولة، أي الملك ، وهو صاحب السلطان المطلق.

وبالرغم من زوال النظام الديمقراطي فإنه قد ترك صدي رنانا في العصور التاريخية، فمن هذه الاثار بعض النصوص التي تشير إلي قدم النظام الديمقراطي في العراق القديم، ومنها قصة تدور أحداثها حول العلاقات بين دولتي مدينتي كيش والوركاء، حيث وجد ملك كيش في نفسه ودولته من القوة ما يمكنه من بسط نفوذه علي الوركاء، ولكنه قبل أن يعلن الحرب أرسل وفدا دبلوماسيا إلي ملك الوركاء يحمل معه إنذاراً بالخضوع لمدينة كيش، ولما كان جلجامش ملك الوركاء لا يستطيع أن يقرر في أمور الدولة الخطيرة كالحرب والسلام، فإنه استدعي أولاً مجلس الشوري المكون من أعيان المملكة وشيوخها وعرض عليه مطالب ملك كيش وحثهم علي رفضها، ولكن يبدو أن هذا المجلس لم يوافق علي رأي رئيس الدولة، فاستدعي الملك المجلس الثاني المؤلف من جميع الرجال القادرين علي حمل السلاح، فرفض هذا المجلس مطالب مدينة كيش وقرر الحرب إذا اقتضي الأمر ذلك، فنشبت الحرب بين المدينتين وانتهت بغلبة مدينة كيش وطلب جلجامش الصلح. ويتضح من هذه القصة أن شئون الدولة وادارتها كانت موزعه بين الملك، رأس الدولة، وبين مجلسين للشوري[1] كما سبقت الأشارة.

وتصور الانسان العراقي أن آلهته كالبشر، فكانوا يتصورون وجود اجتماعات للآلهة في مجالس شوري مقدسة في السماء تجتمع فيها الآلهة للنظر في شئون البشر الهامة، وتناقش فيما بينها وتقرر بالآراء القرارات، وكانت الإلهات تشترك في هذه المجالس، وعلي ذلك فإنه لا يستبعد أن يكون للنساء نصيب في مجالس الرجال بين البشر، ويتضح ذلك في أسطورة الخلق البابلية[1].

---

(١) طه باقر: مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، بغداد١٩٥٥، ص٣٧٨ - ٣٨١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٣٨١.

ولم تكن الصورة الانسانية لمجالس الآلهة قاصرة علي التنظيم فقط، بل إن سلوك القوي الإلهية وتصرفاتها - من وجهة النظر السومرية - كانت كبيرة الشبه بالسلوك الإنساني، فيسود بينها الحق والصدق، كما يتجه بعضها إلي الظلم[1].

تطور السلطة الملكية

كان مظهر الملكية في العراق القديم ثيوقراطيا أي دينيا، حيث اعتقد أن السلطة مهمة إلهية هبطت علي الملك من السماء، وبهذا المفهوم يكون الملك مفوضاً من الآلهة، يسوس الشعب بإسمها علي الأرض، ويقر وصاياها ويعمل جاهدا علي تنفيذ رغباتها[2].

وجاء في التراث الأدبي والأساطير الدينية أنه قبل أن تبدأ الملكية علي الأرض كانت شارات الملك في السماء عند الإله «آنو» ولكن الآلهة التي في السماء لم تحكم البشر مباشرة بنفسها بل فوضت الملوك والحكام ليحكموا بالنيابة عنها ويمثلوها في حكم البشر علي الأرض، وهبط النظام الملكي من السماء من بعد الطوفان، ويعني ذلك أن الذي هبط من السماء ليس الحامل لنظام الحكم أي الملك وإنما النظام الملكي فقط، أي أن سلطة الملك ونفوذه طارئان بسبب تقلده وحمله للنظام الملكي، فكان الملك بشرا ولكنه يحمل وظيفة إلهية[3].

ويؤيد ذلك ما جاء في أحد الأساطير وهي اسطورة «ايتانا والنسر» والتي جاء في اللوح الأول منها ما يشير إلي بداية نزول شارات الملكية من السماء واختيار الآلهة لأحد البشر ليتولي مسئولية حمل النظام الملكي، وتدور القصة:

---

(١) رشيد الناضوري: المدخل إلي التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٩، ص٥٥.

(٢) الزه زايبرت: رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة والملكية، ترجمة محمد وحيد خياطه، دمشق، ١٩٨٨، ص١٥.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص٣٨٤.

حول أحد حكام مدينة كيش، والتي جاء ذكرها بعد الطوفان، وورد ذكر هذا الملك في قائمة الملوك السومرية ومما جاء فيها[1]:

«الانانوكى العظماء الذين قرروا الأقدار
جلسوا واجتمع مجلسهم على اليابسة
كانوا يخلقون جهات العالم ويحددون
شكله ...
لم يكونوا قد عينوا ملكا على جميع الناس المتوالدة
عند ذلك الوقت لم تكن عصبة الرأس والتاج
قد صنعا بعد
ولم يكن الصولجان مطعما باللازورد
وفى الوقت نفسه (؟) منصة العرش لم تكن قد
صنعت بعد .
والسبيتى احكموا اقفال البوابة فى وجه الجيوش (؟)
[الـ ...] أحكموا أقفالهم ضد شعوب (أخرى) مقيمة
والإيكيكى سوف يقومون بحراسة المدينة
الصولجان والتاج والعصبة وعصا (الراعى)
وضعوا أمام آنو فى السماء
لم تكن هناك نصيحة لشعبها
(وعندئذ) نزلت الملكية من السماء
عشتار [كانت تبحث عن] راع

(١) تعود الواح النص البابلي القديم إلي مدينة سرسة وتل حرمل، وتعود نسخة من أواسط العهد الأشوري إلي منطقة آشور، والنص المعتمد لنينوي الذي يمكن إضافة الواح اليه من مصادر غير محددة المصدر موجودة في مجموعات متحفية، لكن القصة هي أقدم من ذلك بكثير، حيث ظهر صعود أيتانا علي ظهر نسر علي اختام اسطوانية الشكل تعود إلي العصر الأكدي، وقد حذفت من النص المتأخر بعض المقاطع التي تعتبر ضرورية لفهم القصة، ورغم تشابه النصين إلي حد بعيد في نواح أخري تكمن في إعادة صياغة لبعض الأسطر والمقاطع. انظر:
ستيفاني دالي: اساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة نجوي نصر، اوكسفورد، ١٩٩١، ص٢٣١.

وتبحث فى الأعلى والأسفل عن ملك
وانليل كان يبحث عن منضدة عرش لإيتانا
،الشاب الذى [تبحث عنه] عشتار بكل اجتهاد
وتبحث دون نهاية [......]
وها إن ملكا يتم تعيينه على اليابسه، وفى
كيس [تم تعيين]
ادخل الملكية [...] (١)

ويتضح من ذلك أن النظام الملكي لم يكن من نظام المجتمع البشري في الأصل بل أضافتها الآلهة إليه.

وعلي ذلك فإنه تتضح عملية الإختيار الإلهي في النظام العراقي القديم حيث كان الإله الأعلي يختار إله المدينة ثم يختار إله المدينة ملك المدينة، وظلت هذه الفكرة سائدة، وكانت من أقوي المبررات التي اعتمد عليها الحكام في مجيئهم إلي الحكم، واستمر ذلك حتي تمكن الايرانيون من السيطرة علي العراق القديم، حيث نجد الملك الايراني كوروش يبرر حكمه علي بابل بقوله: «لقد استعرض الإله مردوخ كل الأقطار ليبحث عن ملك، وفق رغبات قلبه ... لقد سمي اسمه «كوروش» صاحب الشأن وجعله ملكا علي الكون»(٢).

وأشارت النصوص المبكرة المتصلة بمرحلة العصر السومري القديم إلي أن النزاع بين المدن المختلفة إنما كان نزاعا بين آلهه هذه المدن وأن الآلهة الكبار هي التي تتدخل لحسم هذا النزاع وهي التي تقوم بتحديد الحدود فيما بينها، كما كان إله المدينة هو المسئول عن أعمال حاكم المدينة خيراً أم شراً.

ورغم بلوغ هؤلاء الحكام في هذه المرحلة المبكرة مكانة مقدسة بل واتخاذ بعضهم صفات إلهية إلا أنهم لم يصبحوا آلهة حقيقيين، ولم يتعدوا طور

---

(١) انظر: E.A. Speiser, "Etana", in ANET, P. 114.
وكذلك: ستيفاني دالي: المرجع السابق، ص٢٣٣ - ٢٣٤.
(٢) طه باقر: المرجع السابق، ص٣٨٤.

التقديس والتشبه بالآلهة، إن لم يصيروا آلهة كما حدث في تاريخ مصر القديم، وإن كان بعض ملوك العراق القديم قد ادعوا أنهم أبناء للآلهة ولكنهم كانوا أبناء بالتبني وليسوا أبناء طبيعيين، فقد يتبني إله من الآلهة ملكا، وقد تعني إلهة من الإلهات ببعض الملوك فترضعهم وتسميهم بأسمائها، وكان ذلك من الأمور التي لجأ إليها بعض الملوك الذين افتقدوا الشرعية في الحكم، فكانوا يدعون حب الآلهة لهم واختيارهم ليكونوا ملوكا وأن الآلهة هي التي تعضدهم وتقف بجوارهم.

ومن أوائل الملوك الذين لجأوا إلي هذا الادعاء الملك سرجون الأكدي «شارو (م) كين» والذي يفيد معني (الملك الحقيقي) أو (الملك الصادق) أو (الملك المكين)[1] والذي تشير احدي الأساطير التي تنسب إليه كيف أنه نشأ نشأة متواضعة ولولا حب عشتار له وتفضيلها له لما أصبح علي ما كان عليه. ومما جاء في هذه الأسطورة:

«شاروكين الملك القوى، ملك أكد، هو أنا، كانت أمى كاهنة إله ولم أعرف أبى، سكن عمى فى الجبال، مدينتى هى آزوبيرانو Azupirano التى تقع على ضفة الفرات،

أمى الكاهنة العظمى حملت بى وولدتنى سرا
لقد وضعتنى فى سلة من القصب وأغلقتها بالقار.
وألقت بى فى النهر الذى حملنى إلى آكى Akki الساقى
آكى الساقى انتشلنى من المياه
آكى الساقى اعتبرنى ابنه وربانى
أكى الساقى جعلنى البستانى الخاص به
وعندما كنت بستانيا منحتنى عشتار حبها
ولمدة أربعة [...) سنة مارست الملكية
وحكمت ذوى الرؤوس السوداء

(١) احمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدني القديم (جـ٥) تاريخ العراق - ايران - آسيا الصغري، الاسكندرية ١٩٩٧، ص١٩٢.

ودمرت الجبال القوية بواسطة البلطات المصنوعة من البرونز،
صعدت الجبال العليا، وعبرت الجبال السفلى،
حاصرت بلاد البحر ثلاث مرات، فتحت مدينة دليمون..»[1]

وربما يدخل في ذلك الهدف إقامة ابنته «انخدونتا Enkheduanna في وظيفة «كبيرة كاهنات» إله القمر السومري «نانا» (ننا - أوننار) معبود مدينة أور، وبدأ سرجون الأول هذا التقليد، واستمر بعده كامتياز لأخوات وبنات الملوك[2]. حتي نهاية العهد البابلي، وتركت «انخدونتا» العديد من الآثار الخاصة بها، كما ظهر اسمها علي العديد من الأختام التي حملتها خادماتها.[3]

واستخدمت دولة اكد مبدأ تأليه الملك وظهر ذلك في العديد من المظاهر لعل من أظهرها اتخاذ الكثيرين لأبنائهم التسمية «شاروكين إيلي» التي تعني «سرجون إلهي»، ومنها أيضا ادخال اسم الملك في العقود مع أسماء الآلهة، ويشير ذلك إلي إسباغ القداسة علي اسمه[4].

واتخذ سرجون لقب «ملك الجهات الأربع» وهو من الألقاب التي كانت تتصل قبل هذا العهد بالآلهة الكبار ولاسيما آنو وانليل وشمش، ويبدو أنه لم يكن يبغي من وراء اتخاذ هذا اللقب تأليه نفسه أو جعل نفسه إلها وإنما هدف من ورائه أن يقنع نفسه ويقنع شعبه بأنه نائب الآلهة علي جهات الأرض كلها[5].

وابتدع الملك «نارام - سين» الذي يعني اسمه (المحبوب من سين) حفيد

---

(١) أمكن تجميع نص هذه الأسطورة من قطعتين غير كاملتين ترجعان إلي العصر الآشوري الحديث وقطعة ترجع إلي العهد البابلي الحديث. انظر:
E.A. Speiser. "The Legend of Sargon", in ANET., P. 119.

(٢) محمد بيومي مهران: حضارات الشرق الأدني القديم، جـ١، الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص٦٢:

(٣) C.J. Gadd, "The Dynasty of Agade and the Gutian Invasion", in CAH., vol. I, part, II, P. 435.

(٤) طه باقر: المرجع السابق، ص١٢٤.

(٥) نفس المرجع السابق وكذلك:
G. Roux, Ancient Iraq, Penguin Books, 1980, p. 150.

سرجون الأول، ولأول مرة، في تاريخ العراق القديم بدعه «تأليه الملك» حيث وضع المخصص الدال علي الإله امام اسمه، كما تلقب في بعض النقوش بلقب «إله أكد» كما ارتدي في مناظره «الخوذة ذات القرنين» رمز الألوهية(١). إلا أنه يبدو أن هذا الأمر لم يلق قبولا من الشعب، حيث أرجعت النصوص تدمير أكد إلي غضب الآلهة علي المدينة وإلحاق الخراب بها كان بمثابة رد فعل لدعوي التأليه هذه(٢).

ووردت أسماء ملوك أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) وأمامهم «شارة الاله» كما صوروا وهم يرتدون «الخوذات ذات القرنين» ويقدم لهم نوعا من النذور بنفس الطريقة التي يقدم بها للآلهة مع تراتيل لهم، كما كرست معابد لهؤلاء الملوك المؤلهين، كما قدمت الأضاحي والنذور إلي تماثيلهم التي وضعت في المعابد، وسرعان ما غدت تماثيل الملك تعامل مند عهد الملك شوسين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق.م) علي قدم المساواة مع تماثيل الآلهة في تقديم النذور إليها(٣).

ولقد اتخذ ملوك أيسين الأموريين الصفات الالهية كما فعل «إيش - أرارا» (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) كما زعم «لبت عشتار» (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) أنه ابن الإله انليل(٤).

أما في العصر الآشوري، فلم يعرف ملوك آشور مثل هذه الادعاءات بالألوهية الشخصية، ولم يكن الحاكم الاشوري حتي القرن الرابع عشر قبل الميلاد يسمي نفسه باللقب الذي يمكن ترجمته «ملك» (مع استثناء واحد هو شمش أداد الأول) وبدلا من ذلك كان الحاكم يستعمل مصطلحا يعني «وكيل الإله آشور» مما يعكس مرتبته كممثل للإله علي الأرض، فلم يكن الحاكم الآشوري إلها بالمعني الكامل، لكنه كان فعليا «ظل الإله» وهذا ما عبر عنه أحد المسئولين بكلمات عديدة كتبها إلي الملك جاء فيها:

---

(١) C.J. Gadd, op. cit., p. 440.

(٢) محمد عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) سامي سعيد الأحمد: «الإدارة ونظام الحكم»، مجلد حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص١١-١٣.

(٤) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٦٦.

« أبو الملك سيدي كان صوره الإله بعل والملك سيدي هو صورة الإله بعل أيضا ».

ودعي الملك أحياناً بلقب «الشمس الإلهية للشعب» ومع ذلك فيجب أن نسمي هؤلاء الحكام «ملوكا - كهنة» لأنهم في مدينة آشور كانوا ورثه للسلطتين الدينية والمدنية، ومع زيادة نفوذها واتساع حدودها وتحولها إلي تسمية بلاد آشور، كانت هيبة حاكمها تتسع أيضا، وظل الملوك حتي النهاية يحافظون علي رابط ديني خاص مع مدينة آشور[1].

وليس لدينا ما يشير إلي عبادة الملوك الآشوريين، غير أن تماثيل هؤلاء الملوك إنما كانت توضع مع تمثال الإله آشور بمعبده في مدينته آشور، وعلي أية حال فلقد ظل الملك في العراق القديم بشراً دائما، ولم يتعد طور التشبيه بالإله، ولئن أقيمت له المعابد، وصنعت له التماثيل، فبوصفه ممثلا للإله وليس إلها وقد يرتفع الملك احيانا إلي مرتبة «ابن الإله» عن طريق التبني، ولكنه ليس ابنا حقيقيا للإله»[2].

الألقاب الملكية:

تطورت الألقاب التي أتخذها الحكام في العراق القديم، وعبرت هذه الألقاب عن طبيعة النظام السياسي واتساع الدولة، ومن أقدم الألقاب التي أتخذها الحكام في العراق القديم لقب «إنسي Ensi» الذي يشير إلي رأس الحكومة في المدينة السومرية، ويعني هذا اللقب «النائب» أو «الوكيل» إشارة إلي وكالته عن معبود مدينته في حكم المدينة، وكان مسئولا عن الشئون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تتصل بعمليات الري، وهناك ايضا وظيفة أخري رئيسية هي وظيفة «لوجال» Lugal، وتعني تلك الكلمة السومرية في مدلولها الحرفي «الرجل العظيم» وكان يتفرغ لإدارة المدينة في شئونها المدنية، وبصفة خاصة في بعض الحالات الاستثنائية مثل مواجهة المخاطر الحربية، ولكن تلك

(١) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٢١٠ - ٢١١.

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم: حضارة الشرق الأدني القديم، الجزء السادس، الاسكندرية، ١٩٦٦، ص٢٧.

الوظيفة قد تطورت بعد ذلك وأصبحت تنم عن الحاكم الذي امتدت سلطته إلي مدي أوسع من حكومة المدينة إلي عدد من المدن المجاورة. أما الجانب الديني فقد كان يتركز بصفة خاصة في موظف يلقب بتعبير «ان» En وهو يعني «سيد» وكان هذا الموظف يستقر في المعبد ويتفرغ للشئون الدينية وما يتصل بها من واجبات ادارية واقتصادية، ولكن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت في المراحل الاخيرة من بداية عصر الاسرات السومرية، واقتربت وظيفة الـ «ان» من الجانب الدنيوي وانتقل مركزه من المعبد إلي القصر(١).

ويذكر C.J. Gadd أن لقب «لوجال» ظل اللقب المميز للإشارة إلي «الملك» وشملت اختصاصاته غالبا مهام الحاكم الأعلي، وكان يتبع الـ «لوجال» حكام المدن الذين اتخذوا لقب «إنسي»(٢).

ويتجه الدكتور سامي سعيد الأحمد(٣) إلي أنه إذا جاوزت منطقة حكم «الأنسي» ما وراء خدود مدينته واعترف به معبد انليل في مدينة نفر فيحمل آنذاك لقب ملك، ويحمل كل حاكم في مدينة تابعة للانسي لقب «حاكم» (كورنينا)، وكان موظفوا الدولة مسؤولين أمام الأنسي ومرتبطين به ويحصلون له الضرائب عن قطعان الماشية والقوارب ومصايد الأسماك وغيرها.

وتدرجت ألقاب الملوك تبعا لتطور نظام الحكم واتساعه، فعدما تمكن لوجال زاجيزي ملك أوما من توحيد غالبية جنوب العراق اتخذ لقب «ملك البلاد» بالسومرية «لوجال كلاما» ويشير لقب «لوجال كلاما» إلي ملك بلاد سومر إلي الوحدة السياسية التي تمكن من تحقيقها. ولقد ادعي لوجال زاجيزي بان هذا اللقب قد منحه إياه الإله انليل(٤).

---

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، ص٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) C.J. Gaad, "The Cities of Balylonia" in CAH., vol. I, part II, pp. 103 - 104.

(٣) سامي سعيد الأحمد: المرجع السابق، ص٩.

(٤) T. Jacobsen, "Early Poltical Development in Mesopatania, in ZA, 52, 1957, p. 136.

وعندما تمكن سرجون الأكدي من تأسيس دولته احتفظ باللقب الذي اتخذه لوجال زاجيزي من قبل وهو «ملك الأرض»، ولكنه اتخذ لقبا آخر جديدا وهو «ملك الجهات الأربع»[١] وهو لقب إلهي كان خاصا ببعض الآلهة العظام ولاسيما «أنو» و«انليل» و«شمش» رمزا لسلطانهم علي كل الكون، حيث تعني الجهات الأربع الكون والعالم المكون من أربع جهات أو زوايا، وبهذا اللقب الجديد أصبح لسلطة الملك مدلول ديني، حيث أصبح الحاكم الأرضي للخليقة، كما يدل أيضا علي اتساع الحكم من دولة صغيرة إلي مملكة كبري ثم امبراطورية، علي أن اللقب الجديد لا يعني محاولة الملك معادلة نفسه بالإله بل يعني انتخاب الإله وتفويضه له ليكون ممثلا له في حكم الكون[٢].

وفي عهد أسرة أور الثالثة ظهر لقب آخر جديد وهو «ملك سومر واكد» وأول من اتخذه هو الملك «اورنمو» مؤسس الاسرة[٣] وذلك بالاضافة إلي احتفاظه باللقب السابق «ملك الجهات الأربع»[٤]، ويبدو أن الهدف من اتخاذ هذا اللقب الجديد هو محاولة التوفيق بين الساميين (الأكديين) والسومريين.

أما ملوك آشور، فلقد تلقب ملوك آشور الأوائل بلقب «أنسي يعل» «كاهن آشور»، وأضاف إليه شلمنصر الأول لقب «ملك الكل» الذي يوازي اللقب البابلي «ملك العالم» وبدأت ألقاب الملوك الآشوريين بالتكامل زمن توكلتي ننورتا الأول فتلقب بلقب «ملك العالم وملك بلاد آشور والملك القوي وملك الجهات الأربع»[٥].

---

(١) C.J. Gadd, "The Dynasty of Agade and the Gutian invasion" in, CAH, vol. I, part, II, pp. 420 - 421.

(٢) طه باقر: المرجع السابق، ص٣٨٦.

(٣) W.W. Hallo, Early Mesopotamian Royal Titles, New Haven, 1957, P. 77 ff.

(٤) C.J. Gadd, "Babylonia c. 2120 - 1800 B.C", in CAH., vol I, part, II, p. 598.

(٥) سامي سعيد الأحمد: المرجع السابق، ص١٧.

المهام الملكية:

كان للملك في العراق القديم العديد من المهام الدينية والمدنية، وبالنسبة لواجبات الملك الدينية، فلقد كان هو الكاهن الأكبر للإله الوطني، وهو بهذه الصفة كان علي رأس رجال الدين، وهو الذي يعين الكاهن الأعلي، وكان هذا التعيين حدثا مهما بحيث كان من الحوادث التي يؤرخ بها، وكان الملك مسئوولا أما الآلهة عن سلوك البشر وأعمالهم كما أنه الوسيط بينهم وبين الآلهة، وكان يقوم في بعض الأحيان بالتكفير عن ذنوب البشر، وكانوا يتبعون في ذلك العديد من المظاهر، ومنها الصوم والصلاة والاعتكاف(١).

وكان الكهنة يمثلون الملك في آداء العبادات اليومية في المعابد، كما كان هناك أيضا بديل للملك يقوم بدلاً عنه بأداء بعض الشعائر التي قد تمثل خطورة علي حياة الملك مثل اجراء العمليات السحرية علي جيش العدو قبل بدء المعركة وذلك خوفا من تأثير السحر علي الملك، وكذلك الطقوس التي كانت تجري لدفع الشر والأذي، وكان هذا البديل يرتدي رداء الملك أو عباءته أو أي شئ منه يدل عليه.

وكان الملك هو الذي يقوم ببناء المعابد وطقوس التطهير واستشارة الآلهة ويراقب إدارة أموال الهياكل، وإقامة تماثيل الآلهة.

أما بالنسبة لواجبات الملك الدنيوية، فلقد كان الملك مسئولا عن نشر العدالة والمحافظة علي حدود الدولة وإقامة الشرائع وحفر الترع والقنوات والانهار، وهو الذي يقوم بتعيين القضاة علي جميع درجاتهم.

وكان الملك يستقبل السفراء، ودافعي الضرائب الذين تأتي اعداد كبيرة منهم من كل انحاء الامبراطورية في العصر الآشوري الحديث، وتوضح الأدلة الآثرية التي ترجع إلي هذه المرحلة مناظر استقبال السفراء، وفيها يظهر الملك وهو يجلس علي عرشه المرتفع في غرفة استقبال كبري في القصر وقد أحاط به وزراؤه

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٣٩١ - ٣٩٢.

وأفراد البلاط والحرس وهو يرتدي كامل أرديته الرسمية ويقوم باستقبال سفراء الدول العظمي، ويظهر السفراء وهم يطرحون عند أقدام الملك الهدايا الثمينة التي جلبوها له من الذهب والفضة والمعدات الثمينة والاحجار الكريمة، أو يستعرضون أمامه الخيول التي أحضروها من بلادهم والحيوانات النادرة والنباتات وكذلك العبيد[1].

وتولي الملك قيادة الجيش، وكان يمثل في الحملات العسكرية دور نائب الإله، وأشار الملوك في تسجيلهم للمعارك بانها قد شنت بأمر من الإله.

ولاية العهد:

كانت الملكية في العراق القديم وراثية حيث يخلف الملك أحد أولاده وخاصة البكر وقد يخلف الملك أخاه، ولكننا لا نعرف شيئاً مؤكداً عما إذا كان ملوك العراق القديم يسيرون علي قاعدة تعيين ولي العهد واشراكه في الحكم في عهد الملك مثلما كان يحدث في مصر خلال عصر الدولة الوسطي في مصر الفرعونية، علي أنه مما يؤيد احتمال وجود هذا النظام في العراق القديم أن الملوك الآشوريين منذ عهد الامبراطورية الثانية كانوا يتبعون هذا العرف، وكان يعيش ولي العهد في قصر خاص به يتدرب فيه علي ادارة شئون الدولة، وكانت الوراثة تتم بالتسمية، وليس بالضرورة أن يصبح الابن الأكبر ولياً للعهد بطريقة تلقائية، وقد لا يعين الملك ولده الأكبر أو أن يغير رأيه خلال حياته.

وكان اختيار ولي العهد يحتاج إلي موافقة الآلهة وهو الأمر الذي كان يعني في الواقع قرار الكهنة، وقد تبين الآلهة عن طريق الكهنة رغبتها في شخص ولي العهد بالأحلام أو الفؤول أو بعلامات سماوية أو أرضية يفسرها الكهنة، وكان يثبت هذا الاختيار بأداء القسم من قبل العائلة المالكة وممثل الشعب.

ولقد وصلنا من عهد الملك «اسرحدون» (٦٨٠ - ٦٩٩ق.م) نص يشير

---

(١) جورج كونتينو: المرجع السابق، ص٢٤٤ - ٢٤٥.

إلي كيفية اختياره وليا للعهد رغم أنه لم يكن أكبر أبناء والده الملك سنحريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م)، وجاء فيه وصفا دقيقا لعملية اختيار ولي العهد في العراق القديم، وجاء فيه:

«مع أنى كنت الأخ الصغير لإخوتى الكبار، وبأمر من آشور وسين وشمش وبل ونابو وعشتار نينوى وعشتار أربيل، اختارنى أبى، الذى أنجبنى حقيقة، من بين معشر إخوتى قائلا: «هذا هو إبنى الذى يرث عرشى»، وحين سأل شمش وأداد (إلهى الوحى) عن طريق الكهنة، أجاباه بالموافقة الأكيدة قائلين: «هذا هو وريثك» فأبدى والدى الاحترام الواجب لكلام الآلهة المهيب، وجمع شعب بلاد آشور كبيرهم وصغيرهم وكذلك إخوتى، ذرية بيت أبى، وفى حضرة آشور وسين وشمش ونابو، آلهة البلاد، الساكنين السماء والأرض، جعلهم يقسمون بكلام جليل أن يصونوا حقى فى الوراثة، فى شهر سعيد، وفى يوم سعيد، وفقا لمشيئة الآلهة دخلت بفرح إلى قصر الوراثة، هذا المكان المثير للمهابة، حيث يجول جوهر الملك»(١).

وتتم مراسم اختيار ولي العهد بأن يقيم الملك احتفالا كبيرا يدعوا إليه كبار رجال الدولة والقادة العسكريين والأمراء والنبلاء وحتي بعض العوام من أبناء الشعب، ثم يعلن بصفة شكلية بأن هذا الأمير هو وريثه، ويقسم الجميع بأنهم سيقبلون به، ووسط مشاهد الحماسة يدخل الوريث المرتقب، حيث يقسم الحاضرون «يمين الولاء».

وعندئذ ينتقل ولي العهد المختار من قصر والده ويدخل إلي قصر خاص به كان يطلق عليه «بيت ريدوتي» Bit roduti (قصر الخلافة) وهو يقع علي نهر الفرات في مكان شريف خان حاليا بالقرب من نينوي، وفي هذا القصر كان يتم اعداد ولي العهد لمهامه الملكية المستقبلية.

---

(١) هنري ساغس: المرجع السابق، ص١٥٧ - ١٥٨.

ويشير آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٣١ق.م) إلي التدريبات التي تلقاها في قصر الخلافة سواء كانت عسكرية أم تعليمية وذلك علي النحو الآتي:

«لقد اكتسبت واتقنت فن آدابا ، وعرفت كنوز المعارف المكتوبة المخفية، وتعلمت رموز السماء والأرض... ودرست علوم السماء مع علماء متخصصين وتمكنت من حل المسائل المعقدة في القسمة والضرب والتي لم تكن واضحة، وقرأت النصوص الفنية لسومر وأكد، والتي كان من الصعب معرفتها ، وكنت سعيدا وأنا أقرأ ما كتب علي الاحجار من قبل الفيضان...» ثم يقوم بوصف ما يعمله في كل يوم ومنه أنه يذهب للصيد، ويحمل القوس والسهام، ويضرب بالرماح القوية، ويركب العربات الحربية. ويتعلم فن اللياقة الملكية[١].

ولقد عين كل من اسرحدون وآشور بانيبال وريثين مرتقبين بهذه الطريقة وأشار كلاهما بصفة خاصة إلي الحشود التي حضرت الاحتفال وكان منها وفود من كل انحاء الامبراطورية.

وكان ينوب ولي العهد عن والده في إدارة بعض أمور الدولة وكذلك قيادة بعض الحملات العسكرية والإشراف علي بعض الأعياد الدينية، فلقد قام أشور - بانيبال بالنيابة عن والده وهو بعد ولي للعهد في الكثير من الأمور، فقام بمهام رسمية وأشرف علي أعياد دينيه، كما قام «نبوخذ نصر الثاني» وهو يعد ولي عهد بالحملات الهامة نيابة عن أبيه، وكانت انتصاراته في هذه الحملات سببا في شهرته، كما مارس «بيلشصر» جمع سلطات والده «نابونيد» عند غيابه في مدينة تيماء لمدة عشر سنوات كاملة.

التتويج :

كانت تتم مراسم تتويج الملك الجديد بعد مراسم دفن الملك السابق واكتمال الطقوس الدينية الخاصة بدفنه، وتقام مراسم حفل التتويج من نوعين ديني ومدني، وكان يتم أولا الاحتفال الديني في المعبد، حيث يتسلم الملك الجديد

---

(١) G. Roux, op. cit., pp. 314 - 315.

شارات الحكم في المعبد، ولقد وصلتنا العديد من النصوص التي تشير إلي طقوس هذا الاحتفال الديني.

فيوجد نص من الوركاء يصف طقوس الاحتفال الدينى للتويج وجاء فيه: «لقد دخل الحاكم إلى المعبد، واقترب من منصة العرش المقدسة فأخذ الصولجان، واقترب من سيدة العرش، ووضع التاج الذهبى على رأسه، وبدلت سيدة الصولج اسمه الحقير، ودعته باسم الملكية»(١).

وفي العصر الأشوري كان يتم هذا الاحتفال الديني في معبد الإله آشور في مدينة آشور نفسها، حيث يُحمل عرش الملك الجديد وهو جالس عليه علي اكتاف الرجال في موكب كبير، ويتقدم الموكب كاهن آشور وهو يضرب بالدف ويهتف بصوت مرتفع «آشور هو الملك» مرتين.

وعندما يدخل الملك المعبد يهبط من فوق عرشه، ويتمدد بكامل طوله علي الأرض يقبلها ويحرق البخور، ثم يرتقي منصة مرتفعة وضعت في نهاية المعبد قرب تمثال الاله آشور، ويبدأ الكاهن بتهيئة دكة قرابين الإله آشور، ويقوم كهنة آخرون باعداد مناضد الآلهة الآخرين، ثم يقدم الملك وعاءا ذهبيا مملوءا بالزيت وكمية من الفضة وثوبا مطرزا ثمينا، ثم يركع أمام تمثال المعبود آشور فيمسحه الكاهن الأعلي، وفي ذلك الوقت كانت شارات الملك وهي تاج آشور وصولجان ننليل (زوجه اشور) قد تم ترتيبها أمام هيكل الإله تقليداً للسمات التي ترمز إلي السلطة والتي يعتقد بأنها تطرح علي مائدة أمام عرش «آنو» في السماء ويوضع تاج الإله «آشور» وأسلحة ننليل علي كراسي أمام الهيكل، ثم يحمل الكاهن الاعلي التاج والصولجان وهي علي وسائد من الوبر والصوف ويحملها إلي الملك، حيث يتم تتويجه بهما. وفي خلال ذلك يردد الدعوات للملك بطول العمر ورعاية الآلهة ورضاها:

«التاج على الرأس، فعسى آشور وننليل سيدا تاجك يضعانه على

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم: المرجع السابق، ص٢٦ - ٢٧، وكذلك محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٧٠.

رأسك طوال مائة عام، أن قدميك في ايكور (اسم معبد الإله آشور) ويديك ممتدان إلى إلهك آشور، عسى ان تنال الحظوة والرضا، وامام إلهك أشور عسى أن تجد وظيفتك الكهنوتية ووظيفة ابنائك الحظوة، ولصولجانك المستقيم اجعل بلادك واسعة، وعسى ان يمنحك اشور رضاه وعدالته وسلامه»(١).

وعند ذلك تنتهي مراسم الاحتفال الدينية، وتبدأ مراسم الاحتفال المدني بذهاب الملك إلي قصره الملكي في موكب حافل، حيث يكون في انتظاره كافة رجال الدولة، وقد اصطفوا لتقديم الولاء والطاعة إلي الملك، ويقدموا له الهدايا، وكانوا يخلعون شاراتهم واوسمتهم المميزة ويضعونها أمام الملك، ويقدمون أنفسهم في هيئة غير منتظمة بدون مراعاة قواعد «البروتوكول» المألوف في البلاد بالنسبة إلي مناصبهم ومراكزهم، والمقصود من ذلك أنهم تخلوا عن مناصبهم في الدولة بمناسبة تتويج الملك الجديد ليعين هو أقطاب حكومته وكبار موظفيها »(٢).

ويلاحظ أنه كان من بين هؤلاء الموظفين الذي يلقون بأوسمتهم كبير الموسيقيين الذي يلقي بالقيثارة حيث اعتبر كبير الموسيقيين شخصا عظيم الأهمية(٣).

وفي معظم الأحوال فإن هذا الاجراء كان رمزياً محضا فإذا شاء الملك أن يبقي علي وزرائه وموظفيه قال لهم: ليسترجع كل واحد منصبه ووظيفته، فيأخذ كل منهم شاراته وأوسمته المميزة لرتبته ووظيفته، ثم يأخذ كل منهم ترتيبه بمقتضي اسبقيته ومنزلته بالنسبة إلي عرف البلاد(٤).

ويلاحظ أنه في الوقت الذي يتوج فيه الملك الاشوري مرة واحدة في بداية

---

(١) F.K. Muller, "Des assyrishe Ritual" in MVAG, XLI, 3, Berlin, 1937., G. Roux, op. cit., p. 315.

(٢) طه باقر: المرجع السابق ص٣٩٧ - ٣٩٨.

(٣) جورج كونتينو: المرجع السابق، ص٢١٦.

(٤) G. Roux, op. cit., pp. 315 - 316.

وكذلك: طه باقر: المرجع السابق، ص٣٩٨.

حكمة، فإن تتويجه في بابل كان يجدد في كل عيد رأس سنة، وكان يعتبر اليوم الخامس من احتفالات عيد رأس السنة يوم تولية الملك. فكان الملك يذهب إلي معبد الإله مردوخ في بابل في ذلك اليوم، حيث يدخل مزارة بصحبة الكهنة، ثم يقف وحيدا، فيخرج له الكاهن الأعلي من قدس الأقداس وينتزع منه التاج والصولجان وشارات الملك ويضعها علي منضدة أمام تمثال الإلة مردوخ، ثم يرجع ويلطم الملك علي وجهه ويأمره بالسجود أمام الإله، وتلاوة الاعتراف بقيامه بالتزاماته تجاه مردوخ ومعبده وبابل، ثم يجيبه الكاهن باستجابة الإله لدعاء والتزامه جانبه ضد اعدائه وخصومه، وبعد ذلك يعيد الكاهن الاعلي للملك الصولجان والتاج وشارات الملك ويلطمه ثانية.

وخلال فترة وجود الملك في الهيكل يكون الناس خارج المعبد في خوف وهلع لأنهم يعتقدون أن الملك أسيرا في العالم السفلي، وكون البلاد بدون ملك فإنها تكون حسب اعتقادهم عرضه لقوي الشرور وفتك الطبيعة وتدميرها.[١]

البلاط الملكى:

كان يطلق علي القصر الملكي بالأكدية «إيقالو» ويعني ذلك حرفيا «البيت الكبير» وكان القصر الملكي في الحقيقة اكثر من مجرد مقر للملك، بل يمثل أيضا المقر الأساسي للحكومة، وهو بهذه الصفة كان يضم بجانب المقر الملكي، المقر الأساسي للحكومة وعلي ذلك فكان القصر الملكي يضم عدداً كبيراً من الموظفين الإداريين وضباط الجيش والسفراء الأجانب والأمراء المستقدمين من دول أخري كرهائن في البلاط تجري تربيتهم علي الطريقة الآشورية.

وكان قوام البلاط المترجمين والأطباء والكتبة والموسيقيين وبعض فئات الكهنة ورجال الدين وخاصة ممن يتصلون بمجال السحر، وكذلك الخزينة الملكية بموظفيها. ومن كبار رجال البلاط كان «المشرف علي سقاة الملك» و«ناظر القصر»[٢].

---

(١) سامي سعيد الأحمد: المرجع السابق، ص٢٠ - ٢١.

(٢) G. Roux, op. cit., p. 318.

ومما يشير إلي ضخامة أعداد رجال البلاط ما جاء ذكره في عهد سرجون الأكدي في نص اللعنة، حيث ورد أنه يطعم ٥٤٠٠ شخص يوميا علي مائدته(١) مما يدل علي كثرة موظفي القصر.

وبجانب البلاط الملكي، كانت توجد عدة «بلاطات جزئية» مثل بلاط الأم الملكة أو بلاط ولي العهد، كما كان لكل حاكم محلي قصره الخاص في العاصمة بمعزل عن القصر الملكي.

ولم يكن الوصول إلي الملك امراً ممكنا لجميع أهل البلاط، فكان هناك موظف واحد فقط هو «ناظر القصر» الذي كان يملك حق الاتصال الدائم بالملك وكان ولي العهد لا يقابل والده الملك إلا حين تكون المؤشرات الفلكية مؤاتية للمقابلة، ونفس هذا الأمر إذا طلب أي أحد من البلاط الاقتراب من الملك في أمر من الأمور، ومنح هذا الوضع نفوذاً بالغا للخبراء الذين يفسرون العلائم الفلكية التي تتيح للملك مقابلة أفراد حاشيته أو بقائه منعزلاً عن الجميع، وكان إذا سمح لأحد الأفراد بمقابلة الملك فإنه كان يقابله معصوب العينين(٢).

الجهاز الإداري:

كان الملك علي رأس الجهاز الإداري للدولة، ومنذ العهد الأكدي تعاظمت سلطة الملك وزادت مسئوليات الدولة، وعمل سرجون الأكدي علي تقليص نفوذ الحكام في مقابل زيادة نفوذ الحكومة المركزية واشرافها اشرافا مباشراً علي أمور الدولة. وكون سرجون لنفسه اتباعا خاصين أقطعهم قسما من الأراضي التي كانت تعود إلي المعابد ، كما أنه عين حكاما تابعين له(٣).

وفي عهد أسرة أور الثالثة (٢١١٥ - ١٩٩٨ ق.م) ازدادت السلطة المركزية، وذلك بتقوية الحكم المركزي وتعيين حكام الأقاليم من قبل الملوك

---

(١) C. J. Gadd, "The Dynasty of Agade and the Gutian Invasion", in CAH, vol. I, part II, P. 424.

(٢) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٢١١ - ٢١٢.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص١٢٣.

بـدلاً من الأمـراء الذين كـانوا يحكمـون بالوراثـة، واتسع الجـهـاز الاداري في الدولـة مما تطلب ظهـور العـديد من الوظائف الهـامـة مـثل المشـرفين علي أعـمـال المعابـد[1].

ولقد قام الملك «شولجي» (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق.م) بالعديد من التنظيمات الإدارية، وكـانت من أعلي الرتب في عـهـده حكام الأقـاليم والمدن والذين كـانوا يحملون لقب «شاكانا Sakkana» أو «إنسي Ensi»[2] وعـاونهم الكثير من الموظفين في شتي المرافق كالكتبة ومديري المعـامل الخـاصـة بالمعـابد والقصـور ومديري أمـلاك التاج، وتمتع الحكام في المقاطعات الهامة كعيلام وآشور واشنونه باستـقـلال تام تقريبا، بينمـا كـان حكام المقاطعـات الاخري مرتبطين الملك حيث يزورهم المفتشون الملكيون، حيث يقدمون تقارير عنهم إلي الملك.

واتبع حمورابي نظاما مركزيا، حيث حدد صلاحيات جميع الحكام وربطهم به شخـصـيـا، وأصبحت كلمة «انسي» تطلق علي الموظف الذي يستـمـد أوامره ليس من الملك بل من موظف يأتي بعد الملك في المركز، وحرص حمورابي علي حصر السلطة في شخصه وأن يستـمـد الحكام أوامرهم منه رأسا. وضم الجـهـاز الاداري لحـمـورابي العـديد من الوظائف فكان هناك، مـدير مـجلس المسنين (رابيـانوم) الذي كـان من اعلي الوظائف التـابعـة للملك[3]، وحكام المقـاطعـات ومسؤلوا الضـرائب ومسؤولا المدن والمشـرفون علي الأمـلاك الملكيـة ومسـاعدوهم والمسـئوولون عن عـبيـد الدولة، ومسـئوولوا الشـرطة، ورسـول الملك في الأمـور الخاصة ومدير الرسوم ومسئوول التجارة[4].

---

(١) H. Limet, le travail du metal au pays de Sumer au temps de la III e Dynastie d. Ur, Paris, 1960, p.

(٢) A. Goetze, "Sakkanakkus of theUr III Empire", in JCS., vol . 17. (1963), P. 8.

(٣) G.R. Driver, and J.C. Miles, The Babylonian Laws, vol. I, Oxford, 1952, p. 110.

(٤) سامي سعيد الأحمد: المرجع السـابق، ص٢٣.

هذا ويذكر C.J. Gadd[1] أنه من دراسة الرسائل المتبادلة بين حمورابي وموظفيه يلاحظ أنها لا تعطي انطباعا قويا عن قوة النظام الإداري، فالذي يبدو من هذه الرسائل هو وجود نظام مستغرق تماما في التفاصيل، ويفتقر للتدعيم المناسب لموظفيه، وبالأحري غير جدير نظرا لخوفه من النقد.

واستمر الجهاز الاداري دون تعديل بين الفترة الكاشية وسلالة أيسين الثانية، فكانت البلاد مقسمة إلي عشرين مقاطعة، يوجد في كل منها حكومة محلية مسئولة أمام الملك في بابل، وسميت كل مقاطعة باسم المدينة الرئيسية فيها أو علي اسم القبائل التي تعيش في هذه الأراضي، وكان حاكم المقاطعة يعين من قبل الملك ويلحق به موظفون أقل مرتبة لإدارة شئون الإقليم القضائية والأمنية والزراعية والمالية، وكان رؤساء القبائل في المناطق البعيدة عن العاصمة وبخاصة في الجنوب يخضعون إسميا للملك ويتمتعون في أقاليمهم بشبه استقلال[2].

وفي العصر الآشوري، كان الملك، هو رأس الحكومة المركزية، يديرها من قصره بالعاصمة، وكان له حكامه في المقاطعات الذين يقع عليهم حفظ الامن. وتوزيع أسري الحروب وارسال الضرائب إلي العاصمة، وهم مسئولون أمام الملك مباشرة.

وبالنسبة للنظام الإداري في العصر الآشوري فمعرفتنا به قليلة، نظراً لعدم مطابقة الألقاب التي يحملها موظفوا الإدارة العليا دائما مع ممارساتهم الوظيفية، نظراً لأن الواجبات لم تكن ثابتة التحديد، فوظائف الدولة غير محددة وتوجد فيها مرونة كبيرة سواء في تحديد المسئوليات أو السلطة، ويلاحظ أيضا أنه لم يكن هناك وظائف وراثية، فجميع الوظائف هي تعيينات ملكية، وكان كل موظف يرفع تقريره مباشرة إلي الملك إذا اعتقد أن هناك شيئا مهما للإدارة.

ويأتي بعد الملك في النظام الإداري «التورتان» ويوازي منصبه رئيس

---

(١) C.J. Gadd, "Hammurabi and the end of his dynasty", in CAH, vol. p. 187. II, Cambridge, 1973, part, I,

(٢) سامي سعيد الأحمد: المرجع السابق، ص٢٥.

الوزراء، وكان شاغل هذا المنصب هو رئيس أركان الجيش، وكان يتقاضي أعلي راتب في الجهاز الإداري، ويتفق هذا الوضع مع طبيعة الدولة العسكرية والتي كان يمثل الجيش فيها العمود الفقري للغزو والتوسع ومن ثم الإيرادات.

ويلي التورتان في الأهمية كبير السقاة (الراب شافي)، ثم وكيل المؤونة (الراب بابيري) وحاجب القصر (الناكر ايكالي)، فرئيس الطباخين فالمشرف علي القصر.

أما النظام الإداري في المدن الآشورية، فكان يأتي علي رأسه المحافظ (الخازانو) ومجلس المسنين ومدير المدينة وكاتب المدينة والمراس والحاجب.

وتعددت الوظائف في القصر الملكي، فكان هناك رئيس القصر، وكاتب القصر، وحرس الأمراء، وسائقي عربات الأمراء، وسائقي عربات وحدات الجيش، وعربات الملك الخاصة، والمشرفون علي الاصطبلات الملكية، ثم العاملون في مختلف مصنوعات القصر كالمنسوجات والمفروشات والخياطة، ثم الاطباء والعرافون والمنجمون والموسيقيون[١].

---

(١) نفس المرجع، ص٢٨ – ٣٠.

الفصل الخامس

الجيش

كان الجيش واحدا من أهم نظم المجتمع في العراق القديم، فمنذ أقدم العصور ومدن الفرات الأولي في صراع فيما بينها في سبيل مد النفوذ والسيطرة، ولم تبدأ الجيوش النظامية في بلاد سومر الا في آواخر عصر فجر الاسرات، منذ ايام الاكاديين حيث اقتضت الحروب الخارجية ضرورة وجود جيوش منظمة[1]، وكانت الخدمة العسكرية تعتبر «خدمة الملك» فكانت تخصص بعض الاراضي للداخلين فيها، ولكن مع جواز اعطاء هذه الآراضي إلي الابناء علي شرط القيام بخدمة الملك، فإن مثل هذه الاراضي لم يكن من الجائز بيعها أو رهنها، ويبدو ان ضباط الجيش كانوا يعتبرون من ضرورات الأمن في المدينة، حيث كان المعبد يقوم بدفع الفدية عنهم في حالة أسرهم إذا لم يتكمنوا من دفعها بأنفسهم، بل كانت المدينة كذلك ملزمة بدفعها اذا لم يوجد في المعبد المال اللازم لذلك.

وتوضح المادة الاثرية التي عثر عليها كيفية تكوين الجيوش ومعداتها، ومن هذه الأدلة الاثرية «لوحة العقبان» التي اقامها الملك «اياناتوم» في لجش عقب نصره علي أوما[2]. (شكل ١٨) ويبلغ طول هذه اللوحة ١٥٠سم وعرضها ١٣٠سم وسمكها ١١سم، وهي مصنوعة من الحجر الكلسي ولها رأس محدب منحوت بإتقان، وتغطي كافة جوانبها صور وكتابات نقشت ضمن أشرطة أفقية[3]. ويستدل من المناظر المنقوشة علي وجهها كيفية تكوين الجيش السومري في هذا العهد والصورة التي كانت عليها معداته.

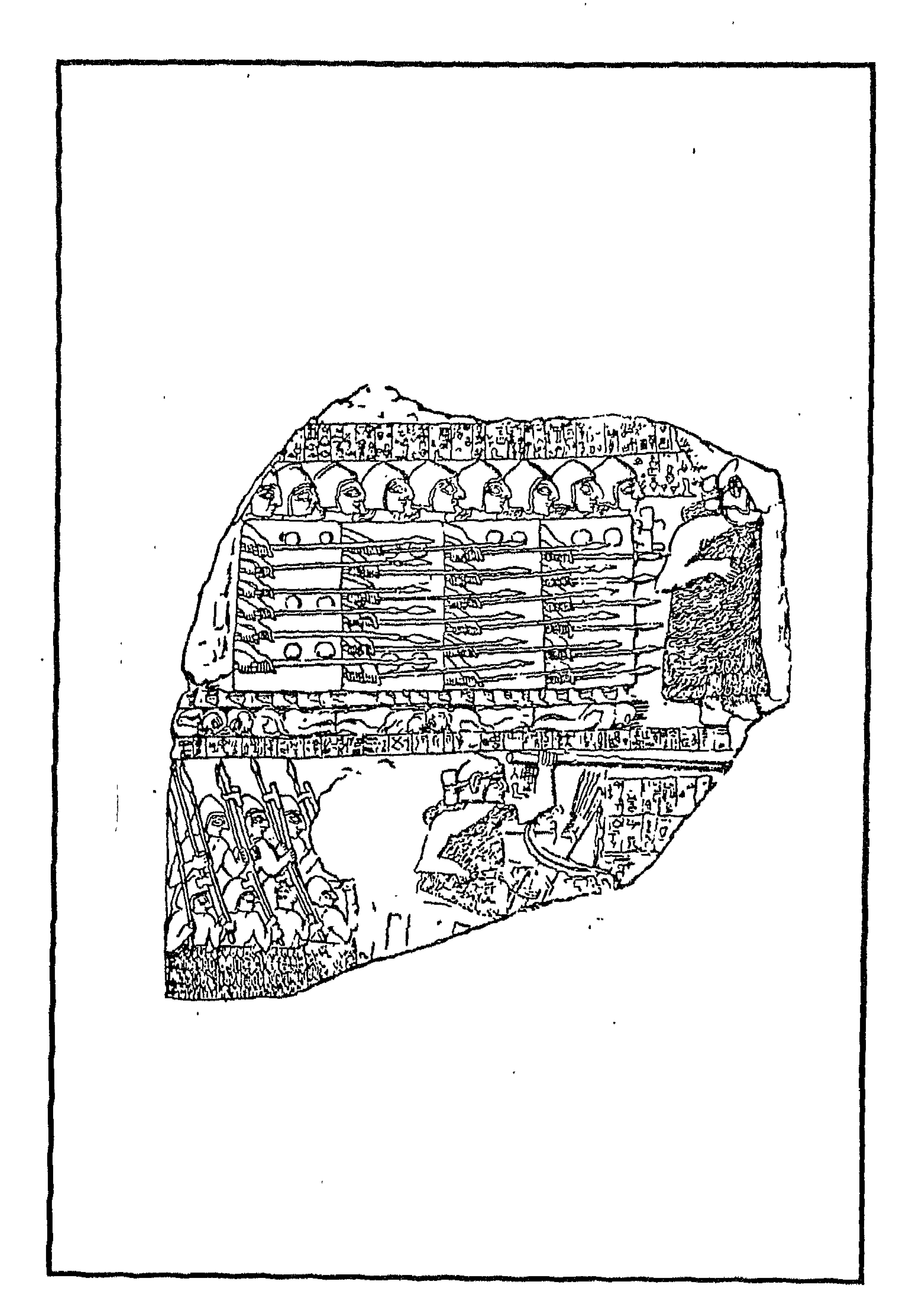
فكان الملك يسير إلي الحرب علي رأس جيشه، وكان يغطي كتفه جلد ماعز، وتحمي رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلي منها من الخلف ما يستر العنق، وسواء أكان يحارب راجلا أم راكباً عربته، فان سلاحه كان يتكون من حربة وأداة مقوسة مكونة من عصي ونصال، ربطت إلي بعضها بواسطة سيور أو حلقات، ومن الاسلحة التي شاع استخدامها منذ أقدم العصور فأس القتال.

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٣٩٨.

(٢) C.J. Gadd, "The Cities of Babylonia" in CAH, vol. I, part, II, P. 118.

(٣) انطون سورتكات: تاريخ الشرق الأدني القديم، تعريب توفيق سليمان وآخرون، ص٥٩.



(شكل ١٨) جزء من لوحة العقبان

ويستدل من النقش السابق ان الجيش كان ينقسم إلي فريقين من المحاربين: سلاح الهجوم وهو الذي ينزل رجاله في المعركة بانتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون في طوابير يتكون كل منها من سبعة من المحاربين يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل، أما الباقون فمزودون بالحراب، ويمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا.

ويستدل من الخوذ الواقية التي لبسها جنود الملك «أيا ناتوم» أن الجنود كانوا يتعرضون أثناء المعركة إلي قذائف تأتيهم من أعلي، ولذلك صممت الخوذ العراقية بشكل مخروطي لان هذا الشكل يساعد علي تخفيف الصدمة اذا ما سقطت علي الخوذة قذيفة ما، وهذه القذائف كانت توجه إليهم من القوات المساعدة للجيش المهاجم[1].

ومما قد يؤكد ذلك النصوص التي تصف المعركة التي حدثت بين مدينتي الوركاء وآراتا وذلك حوالي عام ٢٦٠٠ ق.م، وقد جاء فيها:

«في ذلك الوقت تبع سكان أسرة الوركاء الملك انميركار مثل رجل واحد، فعبرت جيوشه الجبال المحيطة بمدينة أرتا (زحفا) كما تزحف الافعي بين اكوام الحبوب وعندما وصلت الجيوش إلي منطقة لا تبعد كثيرا عن مدينة أرتا بدأت راجمات الاحجار ترمي أحجارها التي ساوت كميتها كمية الامطار التي تسقط خلال سنة كاملة، فسقطت لذلك الاحجار بكثافة علي أسوار مدينة أرتا»[2].

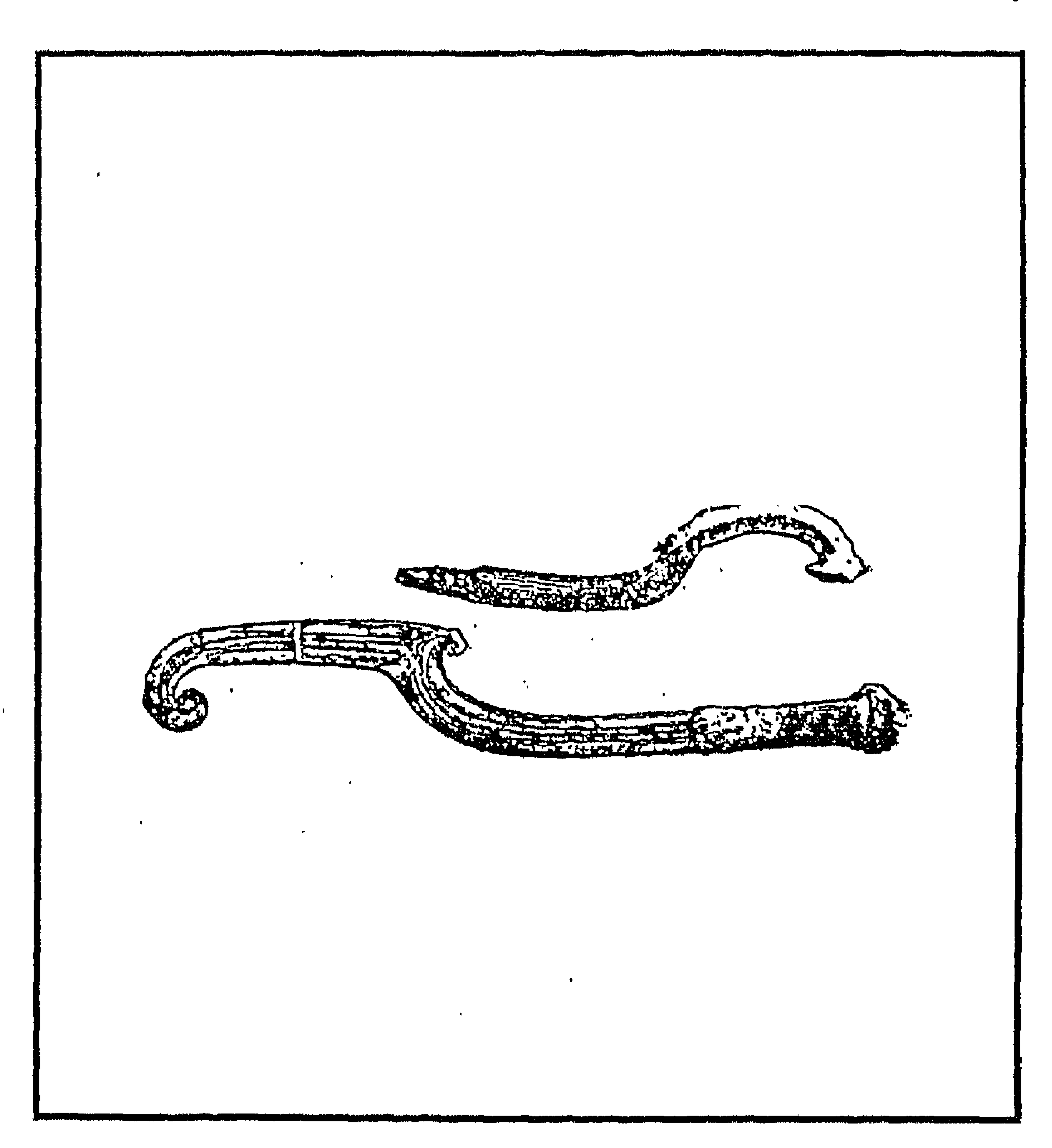
ويلاحظ من ذلك ان كتيبة راجمات الاحجار كانت تقوم خلال الالف الثالث ق.م بمساعدة المشاة، فهي تشبه حاليا سلاح المدفعية.

ولقد مثل علي هذه اللوحة أيضا دبوس القتال الذي يمكن تتبع استعماله منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تللو، ولقد كشفت الحفائر التي اجريت في موقع تللو عن العثور عن بعض الاسلحة المستخدمة خلال هذه المرحلة من العصر

---

(١) فوزي رشيد: «الجيش والسلاح»، في مجلد حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٤-٤٥.
(٢) صمويل كريمر: من الواح سومر، ص٦١ وما بعدها.

السومري القديم، وهي توجد حاليا في متحف اللوفر (شكل ١٩)[١]، ولقد ظهر هذا الدبوس أيضـا .في نقوش الدبوس النذري الذي نذره ميسيلم ملك كيش إلي الإله ننجرسو[٢].



(شكل ١٩). اسلحة سومرية

(١) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٧٦، شكل ٩ ص٧٧.
(٢) انطون مورتكات: المرجع السابق، ص٤٤.

ولقد ورد في النصوص الخاصة بالحرب السابقة والتي حدثت بين مدينتي الوركاء وآراتا ما يفيد ان الضابط من رتبة (أوكلا) كان يقوم بقيادة ٣٠٠ جندي، والضابط من رتبة (نوبندا) كان يقود ٦٠٠ جندي والضابط من رتبة (شاكينا) كان يقود ٢٥٢٠٠. وكان الـ «شاكينا» ثاني شخصية في الجيش بعد شخصية الملك(١).

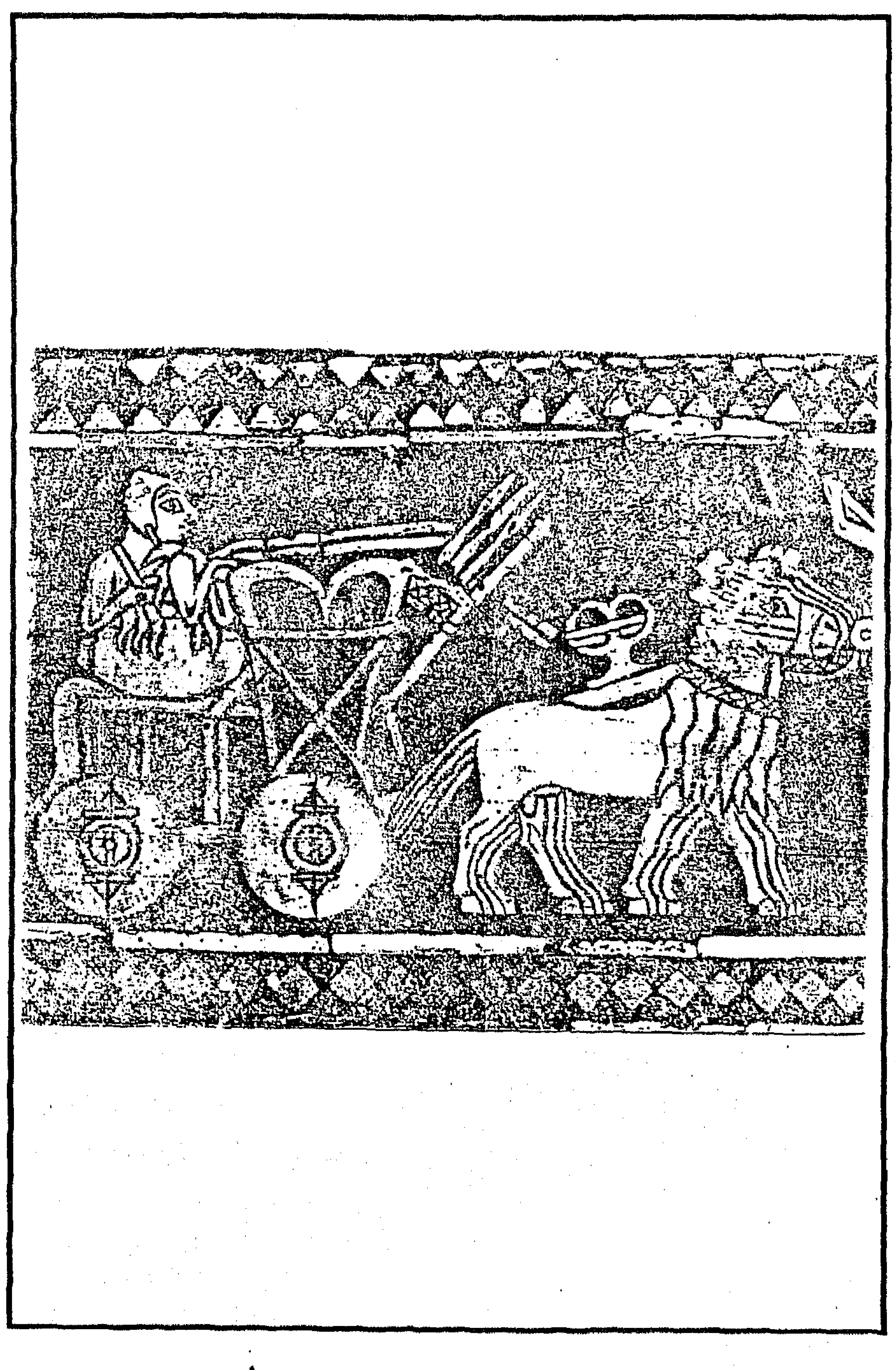
ويتضح من النصوص المسمارية انه كان للملك ولقصره حرس خاص يسمون باللغة السومرية «شوب - لوجال» أي بمعني التابعين إلي الملك، وقسم الجنود إلي نوعيين الأول ويسمي «البايروم» ويعني الجند النظاميين، والآخر يسمي «اوكوش» وهم الذين كانوا يلتحقون بالخدمة العسكرية وقت الحرب(٢).

ولقد عثر في الجبانة الملكية في أور علي قطعة خشب منحوتة يطلق عليها: «علم أور» أو «الراية الملكية» والتي تحوي مناظر علي كل من وجهيها، وتعبر النقوش الموجودة علي احد الوجهين عن الحرب، حيث صورت مشهداً حربيا يظهر فيه الملك وكتيبة من المشاة(٣)، ويظهر في منظر تفصيلي لهذه المعركة شكل العربات الحربية وكنائن السهام، ويلاحظ فيها شكل العجلات الصلد (شكل ٢٠)(٤).

ويلاحظ أن هذه العجلات ظلت علي هذا النحو حتي الألف الثاني قبل الميلاد حيث ظهرت العجلات المشبكة السريعة في المواصلات والحرب، وكانت العربات سواء كانت تستعمل للمواصلات أو للحرب تجرها الحمير أو الخيول الوحشية، لان استعمال الخيول المدجنة لم يشع استعمالها كثيرا الا منذ أواخر حمورابي، إلا أن الخيل بوجه عام كانت شيئا نادرا في عهده، ولقد أصبح استعمال الخيول بكثرة منذ العهد الكاشي حتي أنها كانت تصدرها إلي مصر كما تشير إلي ذلك رسائل العمارنة(٥).

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص٤٥.
(٢) نفس المرجع السابق، ص٤٦.
(٣) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٨.
(٤) M. Roaf, op. cit., p. 194.
(٥) طه باقر: المرجع السابق، ص٤٠٠ - ٤٠١.



(شكل ٢٠) شكل العجلة الحربية في أور

وتشير نصوص الملك جلجامش إلي أنه قد أحاط مدينة الوركاء بسور، ولقد أظهرت الحفائر التي تقوم بها البعثة الألمانية في الوركاء بقايا هذا السور الذي بلغ طول محيطه تسعة كيلومترات، ويوضح ذلك استخدام هذه الوسيلة وهي بناء الأسوار كمحاولة لمنع الأعداء، وبالفعل تذكر نصوص هذه المرحلة بأنه كان يتصيد الأعداء كما تصاد الطيور في الشبكة(١).

ولقد طرأ علي الجيش في العصر الأكدي تغيير أساسي من حيث ضخامة عدده وتدريبه وتسليحه، فلقد فضل الأكديون الأقواس والسهام كقوة سائدة لتقدم المشاه بدلاً من راجمات الأحجار، لأن الأقواس والسهام سهلة الحمل ولا تؤثر علي حركة الجيش أثناء التقدم والانسحاب. كما هو الحال مع راجمات الاحجار.

ويتضح من دراسة نقوش المسلة المشهورة التي تعرف باسم «نصب النصر» والتي أقامها الملك «تارام سن» (شكل ٢١)(٢) وجود بعض الأسلحة الحربية كالرماح الطويلة، والنقوش والسهام، ويظهر فيها كذلك بعض أساليب القتال المعتمدة علي عنصر الخفة والحركة والمناورة في الهجوم والدفاع، وكذلك طريقة المبارزة رجلا مع رجل.

وتوجد بعض الاشارات منذ العهد الاكدي يتضح منها وجود خوذ مصنوعة من الجلد (البقر والماعز) وكذلك من البرونز، أما البلطات فكانت من برونز النحاس وكذا رؤوس الحراب، وأما في صناعة الجعاب فكان يستعمل الجلد والصوف(٣).

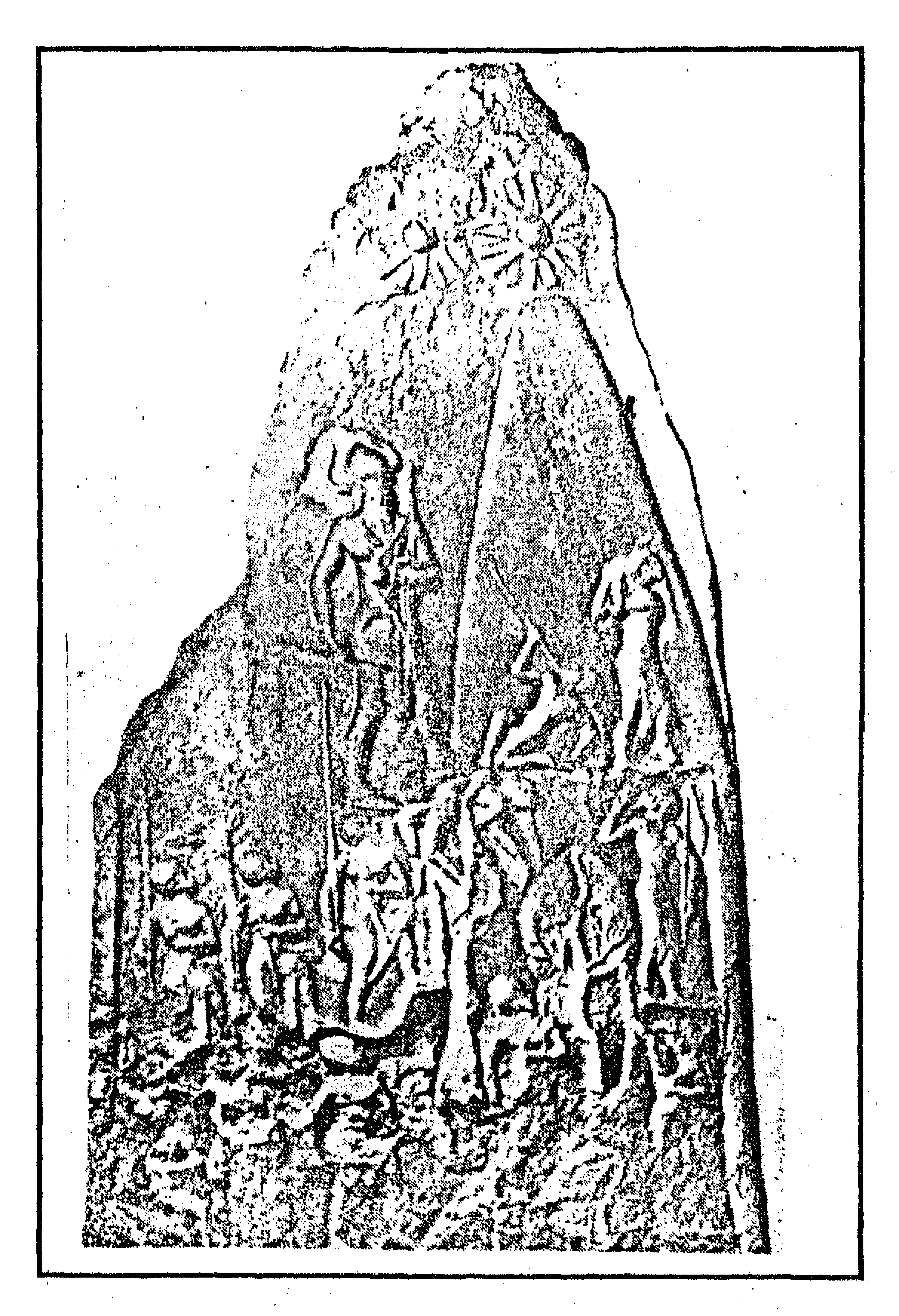
وفي العصر البابلي القديم كان الملوك يتسلحون ببلطة سطحها ضيق وقوس مزدوج وسهام. اما قواده فقد يتسلح الواحد منهم بحربة وبلطة ذات نصل محدب، أو بلطة فقط، بينما يحمل فريق المحاربين حرابا أو قسيا ابسط من قوس الملك أو ان يحمل الواحد منهم بلطة وحربة أو بلطحة وعلم.

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص٤٨.

(٢) CAH, Plated to vols I & II, p. 42, a.

(٣) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٧٦.



(شكل ٢١) نصب النصر الخاص بالملك «نارام سين»

ويستدل من لوحة ترجع إلي هذا العهد علي ان الخرزات قد صنعت من الجلد وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الصوف، كما ان غيرها كان يصنع من البرونز أما البلطات فكانت من البرونز وكذلك رؤوس الحراب، واما في صناعة الجعب فكان يستعمل الجلد والصوف.

وكان رؤساء الجيش مسئولين بالاضافة إلي قيادتهم للجند عن الاشراف علي السخرة التي تتطلبها المشاريع العامة ويبدو ان طائفة من الناس كانوا ملزمين بمثل هذه الأعمال وبالخدمة العسكرية الاجبارية، وكان لهؤلاء قوادهم ورؤساؤهم ولا يستطيع أحد الملزمين التهرب من اداء الالتزام وهو خدمة الملك وان كان الامر قد تطور فيما بعد فأصبح من الممكن الحصول علي الاعفاء في مقابل دفع ضريبة سنوية، وكانت تسمي هذه الضريبة «مال الايلكو»« والايلكو هو «خدمة الملك» وفي معناها الواسع املاك الدولة تمنح علي صورة معاش مدي الحياة يمنح للمشتركين في الجيش وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل أو حتي مواشي[1].

ويرجح انه كان يقوم باستدعاء الرجال للخدمة طائفتين من القواد أو المشرفين، اختص بعضهم بجمع المجندين لوظائف الجيش وكلف البعض الآخر بأعمال البوليس ومنح المكلفون بالجيش املاكا من أموال الدولة في هيئة معاش مدي الحياة، كما ان المكلفين بأعمال البوليس كانت لهم امتيازات شخصية وامتيازات بالنسبة لاملاكهم لا يمكن للحاكم أن يتعرض لهما و [illegible] كان مصيره الاعدام، وإذا ما تغيب أحد هؤلاء المكلفين فان ابناءه يديرون املاكه وإذا كان هؤلاء الابناء لم يشبوا عن الطوق بعد، فان الزوجة كانت تدير هذه الاملاك في مقابل ثلث الايراد. وكان علي المنتفع بهذه الارض المحافظة عليها في حالة جيدة وان تعمد مالكها الذي منحت له اهمالها فلا يجوز تملكه لها، واذا احتلها آخر لمدة ثلاث سنوات فلا يجوز تملكه لها ويصبح واضع اليد عليها هو المنتفع الشرعي.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٧٧.

ولقد ورد في قوانين حمورابي العديد من المواد المتصلة بشئون الجيش والتي كان الهدف منها معالجة السلبيات التي تبلورت من جراء الممارسات العسكرية في الألف الثالث قبل الميلاد، ومن هذه المواد التي تتصل بشئون الجيش في قوانينه ما جاء بشأن الخدمة العسكرية، فجاء في المادة ٢٦:

«إذا طلب ريدوم أو بايروم للاشتراك فى حرب ملكية، ولم يأت، وإنما استأجر أحداً بدلاً عنه، فعقوبة الريديوم أو البايروم الإعدام، أما البديل فإنه يحجز فى بيته ويحتفظ به»(١).

وكان الريديوم جندي مسلح بالدروع والتروس، والبايروم قناص مسلح بالقسي والسهام(٢)، بينما يري البعض أن الريديوم كان جندي جوال بينما البايروم تعني صياد السمك وهو أدني مرتبة من الجندي الجوال، وكان الصيادون من مستخدمي الملك(٣).

ويتضح من هذه المادة أن الخدمة العسكرية كانت إجبارية ولا يجوز للمكلف بها أن يتخفف عنها ويستبدل غيره بأدائها بدلا عنه، وتغليظ العقوبة في هذه المادة التي تصل إلي حد الإعدام، يوضح ضرورة الإلتزام بأداء الخدمة العسكرية لمن يكلف بها.

وجاء في المادة ٣٣ عقوبة ضابط التجنيد أو مساعد في الجيش الذي يقوم بتجنيد أشخاصا معفيون من أداء الخدمة الإلزامية في حرب ملكية، أو قام بتجنيد بدلاء مستأجرين في مهمة لصالح الملك، وحددت هذه المادة العقوبة لرجال الجيش الذين يرتكبون ذلك بالإعدام:

«لو أن «ديكوم» أو «لوبوتوم» ساق رجالا معفيين من الخدمة الالزامية(٤) أو قبل وساق بديلا مستأجرا فى حرب ملكية، فعقوبة هذا

---

(١) T.J. Meek, "The Code of Hammurabi", in ANET, p. 167.

(٢) عبد الحكيم الذنون: تاريخ القانون في العراق، حاشية ٤٨ ص٢٠١.

(٣) ت.ج. ميك: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ص٨٨ حاشية ١، ٢.

(٤) T.J. Meek, op. cit., p. 167.

الديكوم أو اللوبوتوم الاعدام، ويلاحظ أن الديكوم واللوبوتوم كانا رتبتين من رتب الجيش ويرجح أن الأول كان يعني ضابط التجنيد، أما الآخر فكان مساعداً في الجيش.

وحددت قوانين حمورابي حقوق الجندي الذي يؤخذ أسيراً في الحرب، فحددت المادة رقم ٣٢ من يدفع قيمة الفدية التي يُفتدي بها من الاسر وجاء فيها:

«لو أُخذ ريدوم أو بايروم (درجات فى رتب الجيش) أسيراً أثناء حرب ملكية فقام تاجر بدفع فديته، وبذلك مكنه من العودة إلى مدينته، فإن كان لديه فى بيته ما يفدى نفسه به يفعل، وإن لم يكن يملك ما يفدى نفسه به يُفدى من أموال المعبد فى المدينة، وإن عجز المعبد عن ذلك يفديه القصر، أما حقله وحديقته وبيته فلا تسلم مقابل الفديه»(١).

ويتضح من هذه المادة أن المجند الذي يؤخذ أسيراً إذا لم يكن في بيته فائض يكف لسداد فديته فإن معبد المدينة أو القصر الملكي يقوم بذلك، ولكن لا تتعرض ممتلكاته الاساسية من حقل أو منزل أو زرع للبيع في مقابل دفع الفدية.

وأشارت المواد ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٣٥ إلي بعض حقوق المجندين ورجال الجيش، وسنشير إليها فيما يأتي:

المادة ٢٧ : «إذا أسر ريدوم أو بايروم فى اثناء الخدمة المسلحة للملك وبعد ذلك (أى أثناء غيابه) أعطوا حقله وبستانه لرجل وقام هذا الرجل بالوفاء بالالتزامات الاقطاعية، فاذا عاد (من الأسر) ووصل بيته فعليهم ان يعيدوا له حقله وبستانه وعليه ان يمارس حقوقه الاقطاعية من جديد(٢).

(١) Ibid.
(٢) Ibid. p. 167, 171.

المادة ٢٨ : «إذا أسر ريدوم أو باريوم فى اثناء الخدمة المسلحة للملك وكان ابنه قادرا على القيام بالالتزامات الاقطاعية، فعليهم أن يعطوه الحقل والبستان وعليه ان يمارس حقوق والده الاقطاعية».

المادة ٢٩ : «أما إذا كان ابنه صغيرا جدا بحيث لا يمكنه أن يؤدى التزامات والده الاقطاعية تعطى أمه ثلث الحقل والحديقة حتى تتمكن من تربيته».

المادة ٣٠ : «إذا أهمل الريديوم أو الباريوم حقله وحديقته وبيته بسبب صعوبة آداء واجبه وظل غائبا، وتملك شخص آخر أثناء غيابه حقله وحديقته وبيته، وقام بواجبه ثلاث سنوات، ثم عاد وطالب بحقله وحديقته وبيته، فلا يعاد له ذلك، بل يحتفظ به الشخص الآخر الذى أخذه وقام بواجبه، وعليه أن يستمر بالقيام بهذا الواجب».

المادة ٣١ : «فإن غاب لمدة سنة واحدة فقط ثم عاد، يرد له حقله وحديقته وبيته، ويؤدى التزاماته الإقطاعية بنفسه».

ويتضح من هاتين المادتين أن أقصي مدة كان مسموحا فيها للمجند بترك التزاماته الاقطاعية هي سنة واحدة.

وأشارت المادة ١٣٥ إلي حق الرجل الذي يؤخذ أسيرا في استرداد زوجته حتي إذا ما كانت قد تزوجت بآخر وأنجبت منه.

«إذا أسر رجل ولم يكن فى بيته وسيلة عيش، وذهبت امرأته قبل عودته إلى بيت رجل آخر، وأنجبت أطفالا، ثم عاد زوجها بعد ذلك ووصل إلى مدينته، فعلى هذه المرأة أن تعود إلى زوجها الأول، ويذهب أطفالها إلى أبيهم».

وتجدر الاشارة إلي أن قانون اشنونا قد أشار إلي هذا الأمر وذلك قبل قوانين حمورابي، حيث جاء في قانون اشنونا المادة ٢٩ ما يلي:

«إذا أسر رجل خلال حرب واقتيد أسيرا عنوة إلى بلد أجنبى، واضطر للبقاء طويلا، ثم أخذ رجل زوجته وولدت من الرجل طفلا، ففى حالة عودته يسترجع الرجل امرأته»(١).

ولقد تناولت العديد من مواد قانون حمورابي العديد من الامور المتصلة بأملاك المجندين، ولقد ورد في المواد ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠(٢).

المادة ٣٥: «لو اشترى رجل ماشية أو غنما من يد ريدوم كان الملك قد أعطاها له فإنه يفقد نقوده».

المادة ٣٦: «إن حقل وحديقة وبيت الريدوم والبايروم وتابع الاقطاعى غير قابلة للبيع».

المادة ٣٧: «لو اشترى رجل حقلا أو حديقة وبيتا يخص ريدوم أو بايروم أو تابع الإقطاعى، يُكسر لوح العقد، ويغرم المبلغ المدفوع مع اعادة البيت أو الحقل أو الحديقة إلى الجندى».

المادة ٣٨: «لا يجوز لريدوم أو بايروم أو تابع لإقطاعى، حصل على حقله أو حديقته أو بيته مقابل خدمة قام بها، أن ينقل ملكيتها إلى اسم امرأته أو ابنته أو ان يعطيها مقابل دين».

المادة ٣٩: «وانما يحق له فقط أن يسجل باسم زوجته أو ابنته حقلا أو حديقة أو بيتا كان قد اشتراه، وكذلك أن يسدد مقابل دين عليه».

المادة ٤١: «إذا بادل رجل حقلا أو حديقة أو بيت ريدوم أو بايروم أو تابع لإقطاعى بأملاكه ودفع الفرق، فيستطيع الريدوم أو البايروم أو تابع الإقطاعى، أن يعود إلى حقله أو حديقته أو بيته، ويستطيع أيضا أن يحتفظ بالفرق الذى دُفع له».

---

(١) A. Goetze, "The Laws of Eshnunna", in ANET, p. 162.

(٢) T.J. Meek, op. cit., p. 167- 168.

وأوضحت المادة ٣٤ عقوبة استغلال السلطة من قبل رجال الجيش، وكانت العقوبة صارمة تصل إلي درجة الاعدام، فأوضحت هذه المادة، أنه إذا استولي أو ظلم ذو الرتبة الأعلي الرتبة الأدني أو تخلي عنه لمن هو أعلي منه مرتبه، فإن مصيره الاعدام. وجاء في هذه المادة(١):

«إذا اغتصب جاويش أو ضابط أدوات منزلية من منزل جندى، أو ظلم جنديا، أو أجر جنديا أو تخلى عنه لمن هو أعلى مرتبة نتيجة دعوى قضائية، أو استولى على الهبة التى وهبها الملك له يُقتل ذلك الجاويش أو الضابط».

ويري بعض الباحثين انه وجدت في العراق القديم قبل عصر حمورابي جهاز للمخابرات كان من أولي مهامه الحد من نشاط ما يسمي حاليا بالطابور الخامس وتوفير المعلومات الضرورية عن العدو، وكان هذا الجهاز مرتبط مباشرة مع الملك، ولقد ورد في قوانين جمورابي مادة قد يستدل منها هذا علي الامر، وقد جاء فيها وهي المادة رقم ١٠٩(٢): **«اذا تجمع محتالون (مجرمون) فى بيت بائعة الخمر ولم تلق القبض عليهم ولم تقدمهم إلى القصر، فان بائعة الخمر هذه تعدم»(٣).**

وتؤكد هذه المادة أن جميع الاماكن التي يؤمها الناس الذين يميلون بطبيعة تربيتهم إلي خلق المشاكل والاخلال بالأمن كانت توضع تحت الرقابة وأن أصحاب هذه الاماكن ملزمون باخبار السلطة بكل سلوكيات الاشخاص التي من الممكن أن ينجم عنها ما يربك الامن والاستقرار أو يهدد سلامة البلاد، ومما قد يرجح وجود جهاز المخابرات في عهد أسرة حمورابي، هو ذلك التكامل الذي وجدناه في جهاز المخابرات الآشوري، فلو لم تكن بداية هذا الجهاز قبل الفترة الآشورية لما وجدناه كامل النمو في العهد الآشوري(٤).

---

(١) Ibid., p. 167.

(٢) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص٥٢ - ٥٣.

(٣) T.J Meek, op. cit., p. 170.

(٤) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص٥٣.

تطور نظام الجيش فى العصر الآشورى:

كان الاشوريون قواد حرب من الطراز الممتاز، وقد طغت عليهم الحياة الحربية، فقد كان ملوك آشور قواد حرب اكثر منهم رجال دولة، فكانوا يقومون بحملات سنوية تقريبا، وكان ذلك علي الارجح في شهر يوليو (تموز) ، وتروي الاساطير العراقية ان الاله «نن ايجي أزاج» سيد العلم قد كتب في اللوحة القديمة أنه «فصل تجمع الجيوش وانشاء المعسكرات»(١).

ويرجع السبب وراء اختيار هذا الوقت لبدء الحملات العسكرية، أن درجة الحرارة ترتفع في السهول الآشورية خلال هذا الشهر إلي أعلي معدل لها، فكانت تقام المعسكرات في الجبال بعيدا عن الحر، كما أن هذه الفترة هي الاكثر ملاءمة لتجميع الجيوش علي الصعيد القومي، إذ أن موسم الحصاد لدي الآشوريين كان ينتهي في آواخر أمساير (مايو) أو أوائل حزيران (يونيو) مما يجعل الفلاحين يقبلون علي التجنيد العسكري. وكانت الحملات الشتوية أمراً غير مرغوب فيه وغير اعتيادي، حيث كان موسم الزراعة يتطلب وجود الفلاحين الذين يعملون أيضاً بالجندية مما كان يسبب بعض المشاكل، ولكن مع ذلك، فإن العمليات العسكرية التي كانت تنظم بجهود الجيش الدائم، لم تكن بالطبع تتأثر بتلك الاعتبارات(٢).

ويلاحظ ان الملوك الاشوريين كانوا لا يخرجون في حملاتهم دون استشارة الآلهة بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة امعاء الذبائح ويتقبلون الامر الالهي في الاحلام أو بواسطة المتضلعين في معرفة النجوم، كما انهم كثيرا ما قاموا بحملاتهم بناء علي أمر الهي يتراءي في احلامهم ولم يعتمد ملوك آشور علي ذلك فقط بل كانوا يرسلون العيون إلي المقاطعات المزمع مهاجمتها ويتلقون التقارير عن هذه الجهات ومدي النجاح المتوقع لحملاتهم.

---

(١) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٢٨١.
(٢) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ص٣٤٨ - ٣٤٩.

واعتمد الجيش الآشوري الملكي علي التجنيد الذي لم يكن يفرض علي كل اصحاب الالتزام الأرضي فحسب، وانما علي كل الملاتمين من رجال القتال الذين كانت تجبر القري علي تهيئتهم في صفة ضريبة، وضم الجيش كذلك القوات المتطوعة التي تتصف بالشوق إلي أعمال النهب والاستعداد للهجوم بنفس الاستعداد للهرب تماما(١).

وفيما يتصل بتسليح الجيش الاشوري، فتوضح الادلة الاثرية ان المشاة الشقيلة في الالف الاول كان يضع افرادها فوق رؤوسهم خوذات مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الأذنين، اما الصدر والجزء العلوي من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثار. وكان يكمل الزي سراويل واحذية طويلة. وتكونت المشاة الشقيلة من مجموعتين: حملة الاقواس وحملة الرماح، ومع كل منهم سيف قصير للحرب عن قرب، وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا مصنوعا من المعدن وهو علي هيئة مستديرة أو محدبة. أو يكون مصنوعا من الخيزران وهو مستدير عند القمة. واما حملة الاقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة علي الظهر، وضمت المشاة الخفيفة كذلك حملة الاقواس وحملة الرماح ولكن حملة الاقواس لم يكونوا يلبسون الزرد ووضع حملة الرماح الخوذات التي تنحني من أعلي إلي الخلف كما حملوا درعا صغيرا من الخيزران المجدول.

ومن الملاحظ ان الجيوش الاشورية ادخلت نظام الفرسان، وكانت معداتهم تشابه معدات المشاه ، وكان تسليحهم طبق الأصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر علي حين كان الرمح اطول ولم يكن للدرع وجود، فكان الفرسان الاوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كل منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد أثناء المعركة ثم تقدمت الفروسية فوضعت السروج فوق الخيل واستغني عن الخدم(٢).

---

(١) جورج كونتبو: المرجع السابق، ص٢٥١.
(٢) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٢٨٢، وكذلك:
جورج كونتينو: المرجع السابق، ص٢٥١ - ٢٥٦.

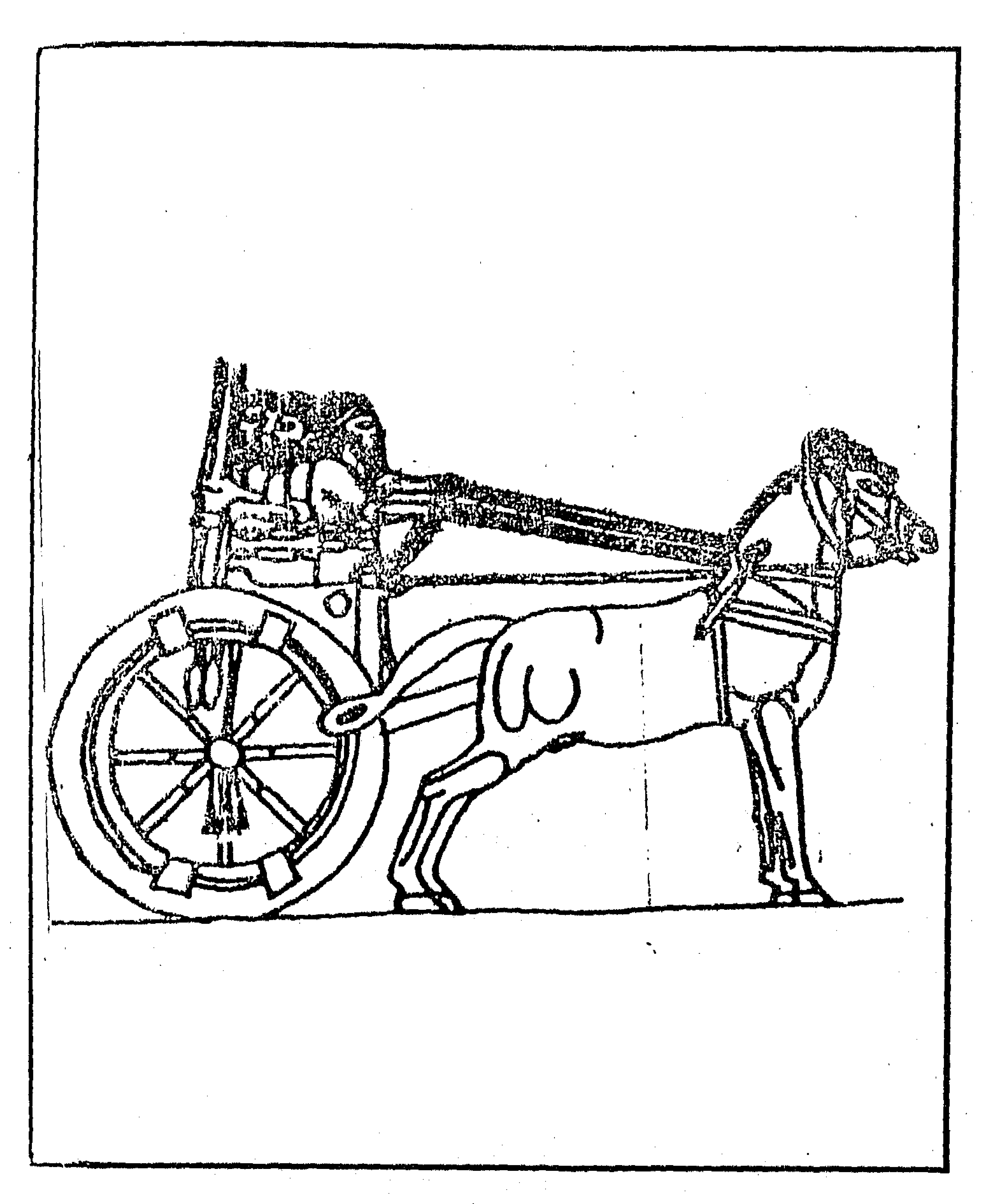
وفضلا عن ذلك وجدت عربات حربية يجر كل منها زوج من الخيل ويركبها ثلاثة رجال احدهم للقيادة والثاني مسلح بحربة أو قوس والثالث يحميهما بدرع. وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد علي المحور مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتطعيم.

ولقد بلغت صناعة العربات الحربية عند الاشوريين مرحلة من المتانة والتناسب مع سرعة الحصان بحيث ساعد ذلك علي استخدام الخيول لجر العربات، وخاصة الحربية منها، والعامل الرئيسي الذي ساعد علي هذا التناسب، هو التطور الذي حدث في صناعة العجلات، حيث كان تصنع فيما قبل العصر الاشوري مخرمة أي أن هناك أضلاعا أو شعاعيات تسند فيما بين المحور وإطار العجلة، وهذه الناحية قد خففت من وزنها وساعدت علي سرعة حركتها، علاوة علي أن توصل الآشوريين إلي تعدين الحديد قد أدي إلي أن تصبح محاور العجلات التي كانت تصنع منه اكثر مقاومة للاحتكاك الذي ينتج عن سير العربة (شكل ٢٢) كما عملوا علي زيادة حجم اطار العجلة، مما ساعد علي زيادة سرعة العجلة وارتفاع العربة عن الأرض، مما يبعد احتمالية اصطدامها بمطبات الطرق.

وتناسب العربات الآشورية مع سرعة الحصان، قد أظهر الحاجة الملحة إلي تربية الخيول والاعتناء بها وتحسين أنواعها، وأدي استخدام الخيول مع العربات في رفع اهميتها في المعارك الحربية، مما أدي إلي زيادة أهمية قوادها، بحيث أصبحت العربة يقودها ضابط يطلق عليه «ساكروماش»، كما رفعت من أهمية ادارة الخيول وعرباتها، بحيث أصبحت مرتبة من يقوم بهذه الادارة تعادل مرتبة الوزير[1]. وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف إليها احيانا بعض السروج أو الزينة.

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص٥٣ - ٥٤، ٦٠.



(شكل ٢٢) العجلة الحربية

وتوضح بعض النقوش المتعلقة بحصار بعض المدن ان الآشوريين قد استخدموا آلات للهدم تحميها سقوف من اغصان متشابكة وتطورت هذه الآلات وتمخض عنها صناعة الدبابة الآشورية، التي كان منها الصغيرة ومنها الكبيرة

التي تتسع لخمسة أشخاص، وكان يتوقف استخدام الدبابة الصغيرة أو الكبيرة علي نوعية الأسوار وجدران القلاع التي يرغبون في هدمها، كما استعملوا أبراج عالية تسير علي عجلات إلي ان تصل إلي قرب السور المحاصر، ويعتلي هذه الابراج رماة السهام الذين يرمون بسهامهم الجند الذين يعتلون الاسوار للدفاع عن المدينة المحاصرة(١).

وفيما يتصل بالرتب العسكرية في الجيش الآشوري، ففيما يخص الجنود، فقد زادت أصنافهم عما كانت عليه في الفترات السابقة، فكلمة الجندي الاعتيادي كانت تلفظ «صابو» وهي ترجمة لكلمة «ايرن» السومرية، واسم المقاتل في الجيش الشعبي كان ينطق «قرادو» ويعني القوة فهو بذلك ترجمة لكلمة «كوروش» السومرية.

وعلاوة علي هذين الصنفين، توجد فئات أخري ذات تدريبات وتخصصات عسكرية أفضل وذلك مثل «بيرو» و«كونو» و«كلبو» و«موتير».

وفيما يخص الضباط، فأعلي رتبة في الجيش الاشوري هي رتبة «الترتانو» وهو بمثابة رئيس أركان الجيش أي علي غرار رتبة «الشاكينا» خلال الالف الثالث قبل الميلاد، وكان لحامل رتبة «الترتانو» بديل يسمي «ترتانو شو» وذلك في حالة اذا ما اصابه مكروه أو ألم به شئ أثناء قيادة المعارك فان البديل يتولي المسئولية فورا، ومعني لقبه الترتانو الآخر.

وكان يرتدي الترتانو حلة طويلة نهايتها السفلي مزخرفة وفي وسطها حزام عريض وأخر ضيق ويرتدي فوقها شالا يتكون من ضفائر طويلة ويترك عادة كتفه الايسر عاريا وكان يرتدي علي رأسه عصابه مزخرفة عريضة من الامام يتدلي منها شريطان من الخلف، ويلبس حذاء شبيها بما ينتعله الملك وهو مثبت بالقدم بسيور تدور حول الاصبع الكبير وحول العقب.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٥٩ - ٦٠.

ويلي الترتانو رتبة «الراب شاقة» والتي تعني كبير السقاه، وهي تفيد اهمية توفير الماء اللازم للجنود أثناء المعارك، ويليه «ناقر ايكالي» اي بمعني منادي القصر، ومهمته دعوة الشباب إلي الخدمة العسكرية ويليه «الابركو» وصاحبها مسئول عن الناحية المالية وكانت هذه الرتب الأربع بجانب الملك تكون الرتب العسكرية العليا.

ويلي هذه الرتب الرئيسية رتب أخري مثل «راب موكي» بمعني كبير الضباط وكان تحت امرته الخيالة والعربات. ورتبة «راب كيصر» بمعني قائد سرية وكان صاحبها يقود مائة جندي مع خمسين عربة، وكان يليه قائد فرقة تتكون من خمسين جنديا وخمسة وعشرين عربة حربية، كما كان هناك من تحت امرته عشرة جنود.

وكانت هناك وظائف أخري مساعدة في الجيش، ومنها «راب - آسي» بمعني كبير الاطباء، وكانت مهمته الرئيسية هي معالجة الجرحي أثناء القتال، أي أنه كان يتألف بصورة أساسية من الجراحين.

وبالإضافة إلي ذلك فلقد كان هناك الموسيقي العسكرية، وكان يسمي رئيس فرقة الموسيقي العسكرية باسم «راب زماري»، وكانت فرقة الموسيقي العسكرية تصاحب الجيش في المعارك لاثارة الحماس لدي الجنود وكذلك ضبط مسيرة القوات العسكرية. كما استخدم الجيش الاشوري العرافين، وكان لهم أهمية كبري وبخاصة من الناحية النفسية(١).

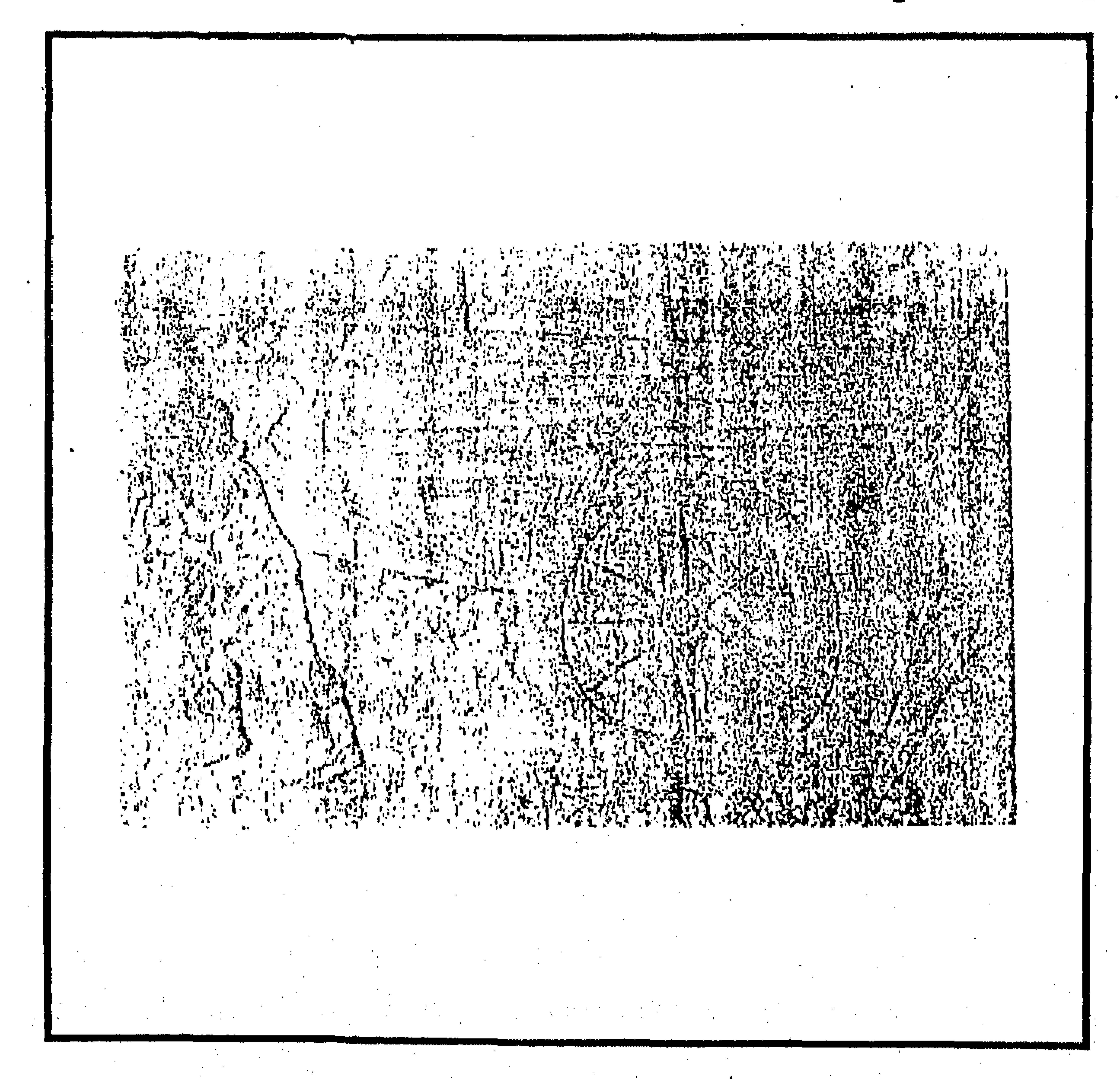
ومن فرق الجيش الدائمة في الجيش الأشوري كان فرقة الـ «إتوعا» وافرادها ليسوا من الآشوريين ولكنهم ينتمون إلي قبيلة آرامية من أقصي جنوب البلاد الاشورية، وهي فرقة تمثل وحدة عسكرية متميزه يتم استدعاؤها للمهام الخاصة، ومن ضمن المهام التي أوكلت اليها، فرض النظام في لبنان بعد تمرد اهل صيدا من الضرائب ومقتل محتسب الضرائب هناك، كما كان هناك أيضا فرقة

---

(١) نفس المرجع السابق: ص٥٥ - ٥٨.

الاستطلاع التي كان من مهامها تعبيد الطرق أمام مرور العربات والمركبات في الطرق الوعرة، وكذلك تشييد الجسور وغيرها[1].

وتمكن الجيش الاشوري من تكوين وسائل اتصالات سريعة للجيش حيث كان يمثل الانتشار السريع للجيش عاملا حيويا في النجاح العسكري، فكان لدي الجيش الاشوري وسائل مواصلات علي العجلات، وكانت تستخدم لحمل التموين والمعدات (شكل٢٣).



(شكل ٢٣) جنود أشوريون يجرون عربه

(١) هنري ساغس: المرجع السابق، ص٣٤٠ - ٣٤١.

وفي حالة وجود أنهار تعيق تقدم الجيش، فإنهم كانوا يستخدمون قوارب وأطواف وكانت هذه القوارب والاطواف تُحمل مع الجيش حتي إذا ما صادفهم نهر عبروا بواسطتها، ومنذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد قام سنحريب باستدعاء بناة سفن من سوريا ليبنوا له أسطولا في نينوي.

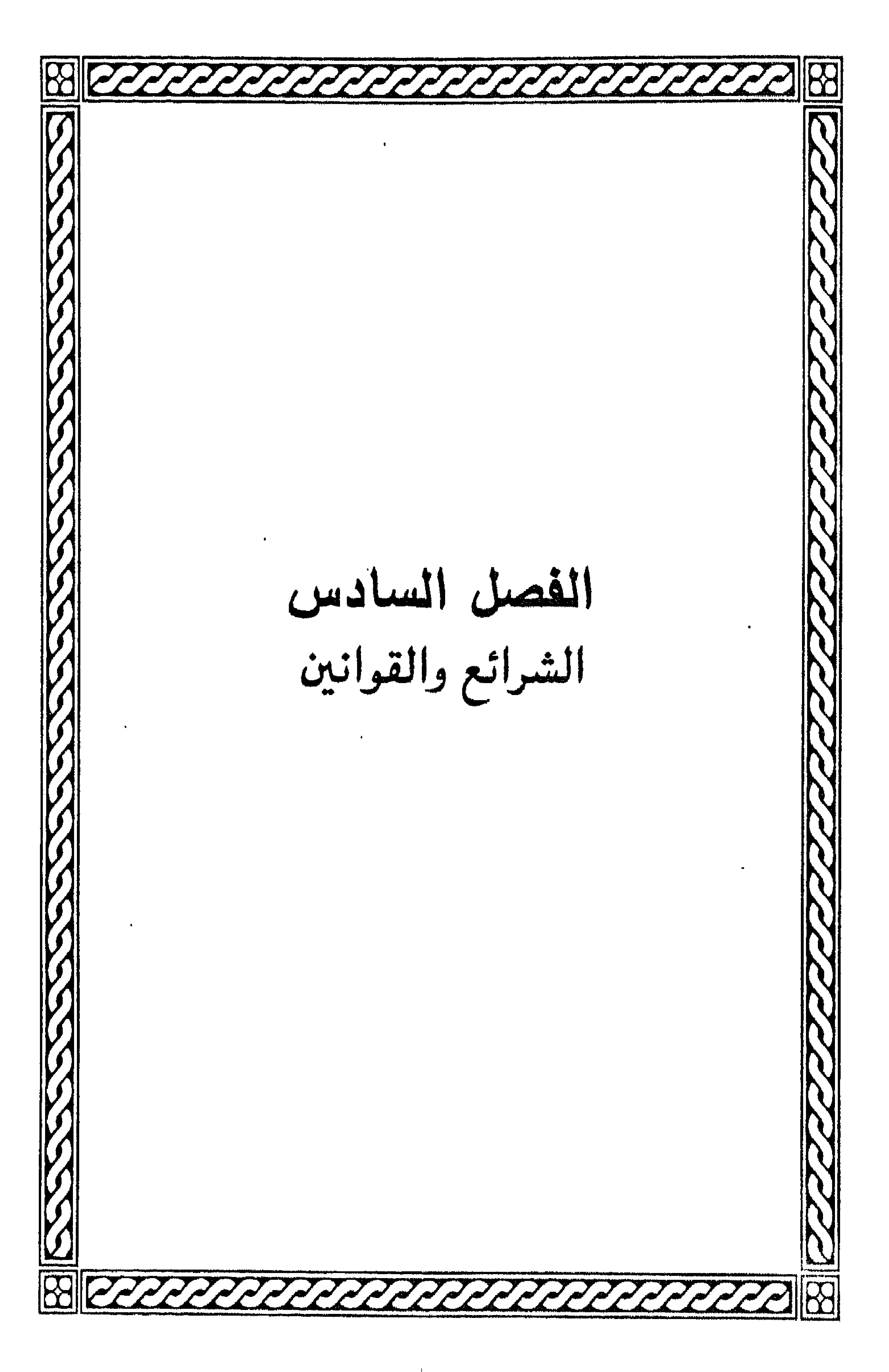
واستخدم الاشوريون نظام الاستخبارات العسكرية، وتوضح رسائل الضباط الأشوريين إلي الملك استخدامهم للجواسيس للحصول علي معلومات عن حركة الاعداء وقواتهم وحصونهم وكذلك مما يؤثر علي معنوياتهم، ومن أجل نجاح هذا النظام كانت الجيوش الاشورية تضم رجالا يجيدون لغات الشعوب التي يقومون بمحاربتها، حيث كان للقادة الاشوريون مترجمون مما أدي إلي ان كثيرا من اللغات كان مفهوما في البلاط الأشوري[1].

وقد اشتهر الاشوريين بالقسوة في حروبهم، وفي معاملة اعدائهم والمدن التي تسقط في ايديهم، اذ كانوا يبيحون لجنودهم بعد انتصاراتهم البلاد المفتوحة فيعملون فيها السلب والنهب والتدمير، وكثيرا ما كانوا يقومون بتخريب المحاصيل وحرق القري، وهم أول من استن سنة نفي سكان البلاد التي تخضع لهم واحلال سكان آخرين في مكانهم ليمزجوا بين الشعوب الخاضعة لهم حتي تفقد صفاتها القومية، فهم الذين نفوا سكان اسرائيل إلي ميديا وأحلوا مكانهم مواطنين آخرين من جهات مختلفة.

وإذا ما أعطينا امثلة لهذه القسوة في الحرب فسنجد علي سبيل المثال شلمنصر الثاني الذي حول مدن أورارتو إلي اكوام من الخرائب، وكوم اهراما من الجماجم ووضع المهزومين علي الخوازيق واحرق القري واقتلع المزروعات واجتث اشجار الفاكهة في البساتين، وسلب ونهب كل ما استطاع حملة وما دون ذلك فقد أضرم فيه النيران ومنهم كذلك تجلات بلاسر الثالث الذي كان يتباهي بتدميره الكامل للمدن حتي سواها بالأرض، ويقطعه للاشجار ووضعه زعماء الثوار علي الخوازيق، ومما يذكر انه هو الذي استن نفي سكان الاقاليم المهزومة إلي اقطار أخري من الامبراطورية.

---

(١) نفس المرجع السابق: ص٣٥٣ - ٣٥٦.



الفصل السادس
الشرائع والقوانين

اشتهرت بلاد النهرين بما عثر عليه فيها من قوانين تعد أقدم ما عرف حتي الآن، إذا لم تصلنا أية مجموعة قانونية تسبقها في التاريخ، ومع أن بعض الاشارات والمواد القانونية وردت الدينا في بعض النصوص المصرية وهي توحي بوجود قوانين كانت متبعة، الا أن هذه القوانين لم تصلنا نصوصها في أي مجموعة تشريعية حتي الآن(١).

ولئن اشير إلي شرائع العراق القديم بأنها أولي جهود البشر في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد واصول معينة فان أهل العراق القديم انفسهم كانوا يعدون الآلهة مصدرا لهذه الشرائع. والواقع انها بلغت من الكمال حدا يدفعنا إلي القول بأنها ثمرة جهد وتفكير يستحقان الاعجاب والتقدير.

وعلي اية حال فقد كانت النظرة القانونية لاهل الرافدين علامة ثابتة مميزة لمنحاهم في التفكير خلفت طابعها علي جميع صور حياتهم الاجتماعية، فثمة ميل طبيعي إلي التمييز والتقنين يكمن وراء النظام التشريعي الضخم الذي نهضت به الحضارة البابلية والأشورية، والذي كان بدوره احدي الوسائل الاساسية التي امتدت بها تلك الحضارة إلي البلاد المجاورة.

ونحن نلحظ في هذا المجال خاصة ذلك الامتزاج بين العناصر السومرية والسامية الذي يميز حضارة الرافدين عامة أبلغ التمييز، ولكن من الصعب هنا أيضا فصل العناصر التي خلفها السومريون عن العناصر السامية الاصل، وان كنا نستطيع ان نتبين بعض الملامح البدوية في تشريعات وعادات معينة، ومصادرنا هنا ليست شرائع مدونة فحسب بل مئات الالوف من العقود والمستندات والوثائق القانونية التي تشير إلي ان كافة المعاملات كانت تجري علي أساس شرعي قانوني.

---

(١) من أقدم التشريعات المصرية التي وصلتنا كاملة إصلاحات الفرعون حور محب (١٣٣٥ - ١٣٠٨ق.م) انظر:
باهور لبيب وصوفي حسن ابو طالب: تشريع حور محب، القاهرة، ١٩٧٢ وكذلك:
سوزان عباس عبد اللطيف: «العقوبات البدنية في مصر الفرعونية ابان عصر الدولة الحديثة»، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية، ١٩٩٣.

ولعل التفكير في ان مصدر القوانين الهي وان الملوك حين أصدورها فانها بوحي من الاله جعلٰ منها قواعد قد تتصف بالثبات والاستقرار وربما نشأت - عادة وعرف اكتسبت فيما بعد صفة الالزام في تنظيم العلاقات الاجتماعية. ولئن لم تكن شرائع العراق القديم اقدم شرائع معروفة فانها علي الاقل من انضج وارقي ما تفتق عنه الذهن البشري من تقنين وتشريع وهي مدونة بأسلوب قانوني يتسم بالدقة وهي تتناول في مجموعها العلاقات الاجتماعية بين الافراد بعيدة عن العبادات والمؤثرات الدينية، وهي ليست في صلب كتب مقدسة بل هي جديدة علي نظائرها في هذا الميدان.

وتنقسم مصادر معلوماتنا عن الشرائع والقوانين في العراق القديم إلي مصدرين أساسيين، الأول منهما: الشرائع المدونة من عهود مختلفة منذ العهد السومري وحتي العهد الأشوري، ومعظم هذه الشرائع غير كامل، ومن أتمها شرائع حمورابي، أما المصدر الآخر، فهو الوثائق القانونية، وهي عبارة عن آلاف من الرقم الطينية سجل عليها الكثير من أنواع العقود، كعقود الزواج والطلاق والتبني والميراث وغيرها، وتتضمن الوثائق القانونية أيضا قرارات المحاكم، ورسائل الملوك الإدارية التي تتضمن بعض القرارات ذات الصفة القانونية، وكذلك المستندات الإدارية المتعلقة بالضرائب وتحديد الاجور[1].

وتعتبر الوثائق القانونية مكملة للقوانين المدونة في حالة وجود قوانين مدونة من حيث إيضاحها لكيفية تطبيق المواد القانونية، وتفسير الكثير من الأشياء الغامضة في القانون المدون سواء كان هذا الغموض يرجع إلي الناحية اللغوية أو الفقهية، أما في حالة عدم وجود قوانين مدونة، فإن الوثائق القانونية تصبح هي المصدر الوحيد لدينا لمعرفة الأحوال القانونية.

---

(١) فيما يتعلق بالوثائق القانونية، انظر:

M. Schorr, Urkunden des Altbablonischen Zivil - und prozess rechts, leipzig, 1913.

A. Walter, Das Altbabylonische Gerichtwesen, (Leipziger Semitistische Studies), Leipzig, 1915.

ومن أمثلة الوثائق القانونية التي وصلتنا، محاكمة خاصة بجريمة قتل منقوشة علي لوح طيني عثرت عليه عام ١٩٥٠م البعثة الاثرية المشتركة من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا.

وترجع أحداث القضية إلي حوالي عام ١٨٥٠ ق.م، حيث قام ثلاثة رجال وهم حلاق وبستاني وشخص ثالث لم تذكر مهنته بقتل أحد موظفي المعابد، ولأسباب غير معروفة أخبر هؤلاء القتلة زوجة القتيل بمقتل زوجها، واحتفظت الزوجة بسر القتلة ولم تبلغ السلطات الرسمية بالأمر، إلا أن أمر الجريمة وصل إلي الملك «أور - ننورتا» وهو في عاصمته في مدينة «ايسين»، فأحال القضية إلي «مجمع المواطنين» للنظر فيها، وهو المجمع الذي كان يمثل المحكمة التي تقوم بالفصل في القضايا.

وفي المجمع قام تسعة رجال، وأدانوا المرأة أيضا في الجريمة ورأوا أنها تنضم للرجال الثلاثة وذلك لسكوتها عن الجريمة رغم علمها بها، ولكن انبري رجلان في المحكمة للدفاع عن المرأة، وتركز دفاعهما بأن المرأة لم تشترك في عملية القتل، ولذلك ينبغي تبرئتها فلا ينالها العقاب.

وبعد المداولات أقر أعضاء المحكمة حجج الدفاع بتبرئه المرأة، وعللوا قرارهم هذا بان تلك المرأة كان لها من المبررات ما حملها علي «السكوت» لان زوجها لم يكن قائما بإعالتها، واختتم أعضاء المحكمة قرارهم بالقول «إن العقوبة ينبغي الا تشمل سوي القتلة الفاعلين»، وبموجب ذلك لم تحكم المحكمة إلا علي الرجال الثلاثة لينفذ فيهم حكم الإعدام.

ولقد اشتهرت هذه القضية في الأوساط القضائية في بلاد سومر لكونها سابقة قضائية مشهورة، وعرفت باسم قضية «الزوجة الساكتة»[1].

ومن مصادر معلوماتنا أيضا عن شرائع وقوانين العراق القديم، بعض الدروس المدرسية، وهي نصوص وضعت لغرض التدريس وتدريب التلاميذ في

---

(١) انظر: صموئيل كرير: من ألواح سومر، ص١٢٣ - ١٢٦.

الكتابة واللغة، ولا سيما اللغة السومرية، ويحتوي الكثير منها علي نصوص ومقتطفات قانونية سومرية وبابلية، ورغم أن ما وصلنا من نسخ من هذه المجموعة يرجع عهده إلي الزمن الاشوري المتأخر، إلا أن محتوياتها ولغتها السومرية والبابلية تشير إلي أن أصلها المنسوخة عنه يرجع إلي العهد البابلي القديم[١].

ويعتم الباحثون أيضا في دراسة القوانين والشرائع العراقية القديمة علي الأحكام الصادرة التي قضت بها المحاكم المختلفة، وبعضها محاضر أو سجلات محاكم، ويرجع معظمها إلي عهد أسرة أور الثالثة، ويتضمن بعضها دعاوي الاملاك والأراضي، وحالات نقص الالتزامات.

وبالاضافة إلي هذه المصادر فهناك أيضا الأوامر الملكية الخاصة بتطبيق القوانين والأنظمة والتي كان يصدرها الملوك، والتي كانت تتضمن في ثناياها تشريعات قانونية يجب الالتزام بها والعمل علي أساسها[٢].

ومن أوائل التشريعات القانونية التي وصلتنا، تشريعات «أوركاجينا» أحد ملوك اسرة لجش (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) الذي يمكن أن نعتبره من أوائل المشرعين في تاريخ البشر حيث وردت بعض الاشارات من عصر فجر الاسرات، ومن العهد الأكدي تشير إلي اصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالته للظلم عن الطبقات الفقيرة، كما وجدت بعض النماذج لوثائقه القانونية.

ويتضح من الاصلاحات التي اتخذها «أوركاجينا» وجود بعض التشريعات القانونية المتصلة بالنواحي الادارية، مثل العفو عن المسجونين بسبب عدم الوفاء بالضرائب، وخفف عن اصحاب المراكب عبودية العمل في مراكبهم لمصلحة المشرفين علي الملاحة، وعن الرعاة عبودية العمل وراء الحمير والأغنام لمصلحة نظار الماشية، كما إستن قانونا لمنع الغبن والظلم عن الفقراء الذين شاء حظهم أن

---

(١) تم نشر العديد من هذه النصوص المدرسية، انظر علي سبيل المثال:
J.J. Finkelstein, "Summerian laws, Y.B.C 2177", in ANET, p. 525 - 526.

(٢) طه باقر: المرجع السابق ص٢٨٣ - ٢٨٦.

تجاور منازلهم منازل الاثرياء، فقرر منع الاغنياء من شراء منازل تجاور أملاكهم الا برضي من أصحابها وبعد دفع الثمن الملائم لها وأن لا يشتري أحدهم جحش دون أن يؤدي ثمنه لصاحبه، كما أعلن مسئوليته عن الارامل واليتامي، وحماية الفقراء من الاغنياء[1].

ووصلتنا من العهد الاكدي نماذج متنوعة من الوثائق القانونية المتصلة بالنواحي الإدارية، كما ظهر خلال هذا العهد القضاة المدنيون، وكانوا ذوي مكانة سامية بالدولة، ومما تجدر الاشارة اليه حقيقة اتخاذ الملك سرجون مؤسس الاسرة لقب «ملك العدل»[2] مما يدل علي وجود اتجاهات قانونية وتشريعية الهدف منها تحقيق العدالة بين افراد المجتمع،.

قانون «اورنمو»

في عام ١٩٥٢م تمكن عالم السومريات صمويل نوح كريمر من التعرف علي لوح مسماري محفوظ في متحف الشرق القديم في تركيا يحتوي علي اجزاء من قوانين تنسب إلي الملك «اور- نمو» مؤسس أسرة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م تقريبا) وكان قد عثر عليها في نيبور بالعراق، واستطاع عالم المسماريات «كورفي» أن يتعرف علي كسرتين لرقيم طين من أور يحوي أجزاء أخري من القوانين[3]، واستطاع أخيرا عالم المسماريات «فنكل شتاين» أن يسلط الضوء علي مجموعة من الكسر التي احتوت نصوص قوانين «أورنمو» وقدم لنا صورة شبة واضحة عن هذا القانون[4]. (شكل ٢٤)

---

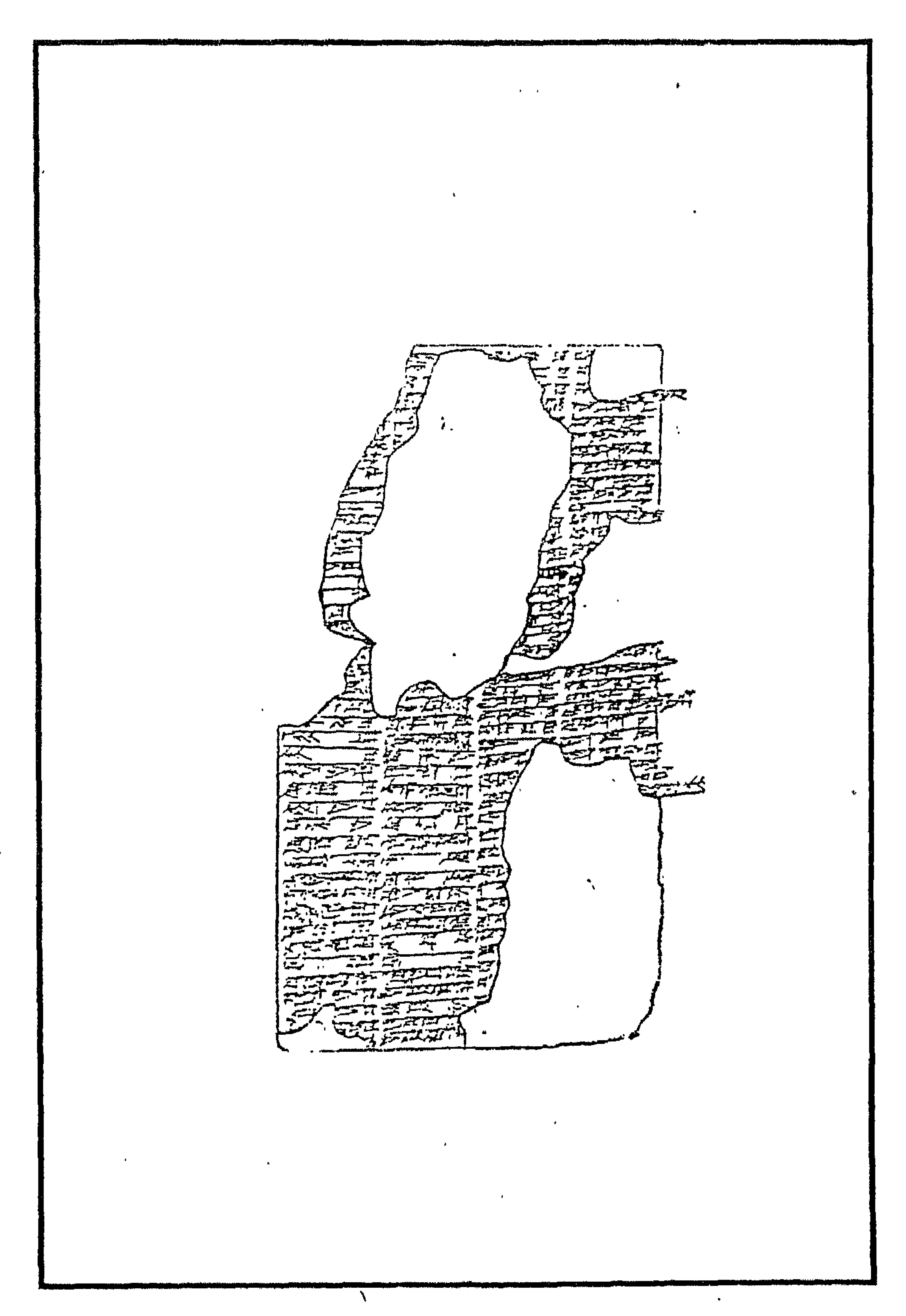
(١) C.J. Gadd, "The Cities of Babylonia", in CAH, vol. I, part, II, pp 141 - 142.

وكذلك: عبد العزيز صالح: الشرق الأدني القديم، جـ١، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٨٠، ص٤٠٦.

(٢) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) S.N. Kramer, in Orientalia, xxiii (1954), pp. 40 ff.,
A. Falkenstein, in Orientalia, xxiii (1954), pp. 49 ff.

(٤) انظر: T.J. Finkelstein "The laws of Ur-Nammu" in ANET, pp. 523 - 525.



(شكل ٢٤) مقدمة قانون أورنمو

وأشار «أور-نمو» في مقدمة قانونه إلي بعض إصلاحاته وانجازاته ولاسيما في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، ولقد اهتم بشكل كبير بتثبيت المكاييل والاوزان في هذه المقدمة. ويتألف قانون «أور - نمو» من ٣١ مادة قانونية. وذلك علي النحو الآتي[1]:

المادة (١) - إذا صدم رجل (عن غير عمد) امرأة، وتسبب في إجهاضها، فعليه أن يدفع عشر شقلات من الفضة.

المادة (٢) - إذا ضرب رجل عامدا متعمدا إمرأة وتسبب في إجهاضها، فعليه أن يدفع ثلث مينة فضة.

المادة (٣) - مفقودة.

المادة (٤) - إذا استعانت زوجة رجل ما بالسحر وأغوت رجلاً آخر بحيث أنه ضاجعها تقوم السلطات بذبح المرأة ولكن يجب إطلاق سراح الرجل الذي غوته تلك المرأة.

المادة (٥) - إذا أزال رجل بكارة أمَة رجل آخر بالإكراه عليه أن يدفع الغرامة خمسة شقلات فضة.

المادة (٦) -إذا طلّق رجل زوجته الأولي عليه أن يدفع لها مينا واحدا من الفضة.

المادة (٧) - إذا طلّق رجل زوجته (التي كانت أرملة قبل زواجها منه) عليه أن يدفع لها نصف مينا من الفضة.

المادة (٨) - إذا كان الرجل قد عاشر الأرملة بدون أن ...... عقد زواج أصولي فلا يحتاج أن يدفع لها شيئاً (في حال طلاقها).

المادة (٩) - مفقودة.

المادة (١٠) - إذا اتهم رجل رجلاً آخر بـ ...... و(المشتكي) جلب (المتهم) إلي النهر ولكن النهر أثبت براءته فالشخص الذي جلبه - أي المشتكي - عليه أن يدفع كغرامة ثلث مينة من الفضة.

---

(١) انظر:
عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص٥٥ - ٥٧.

المادة (١١) - إذا اتهم رجل زوجة رجل آخر بالزنا ولكن النهر أثبت براءتها فعلي من قذفها أن يدفع غرامة ثلث مينة من الفضة.

المادة (١٢) - إذا دخل الخطيب بيت أبي الخطيبة وأتم الخطبة ولكن بعد ذلك أعطي الوالد الخطيبة إلي رجل آخر فعلي الوالد أن يدفع للخطيب ضعف ما جلبه من هدايا.

المادة (١٣) - .... عليه أن يرجع له شقلين من الفضة.

المادة (١٤) - إذا ... أمَة .. عبرت إلي خارج سور المدينة وأرجعها رجل (آخر) فعلي صاحبها أن يدفع للشخص الذي أعادها شقلين من الفضة.

المادة (١٥) - إذا قطع رجل في ... قدم رجل آخر عليه أن يدفع كغرامة عشر شقلات من الفضة.

المادة (١٦) - إذا حطَّم رجل متعمداً طرف (ساق أو يد) رجل آخر بهراوة عليه أن يدفع كغرامة مينة واحدة من الفضة.

المادة (١٧) - إذا قطع رجل بسكين أنف رجل آخر عليه أن يدفع كغرامة ثلثي المينة من الفضة.

المادة (١٨) - إذا قطع (رجل) ..... ب .... لكل ... عليه أن يدفع كغرامة شقلاً من الفضة.

المادة (١٩) - إذا كسر رجل (سن) (رجل آخر) عليه أن يدفع كغرامة شقلين من الفضة (لكل سن).

المادة (٢٠) - سطورها مفقودة.

المادة (٢١) - .... سوف يجلب وإذا لا يمتلك أمَة عليه أن يدفع لهُ عشرة شقلات من الفضة وإذا لم تكن عنده فضة يجوز أن يدفع له أية مادة يمتلكها.

المادة (٢٢) - إذا تكبرت أمَة رجل ما وأقسمت لسيدتها علي مساواة نفسها بها - أي بالسيدة - فعلي السيدة أن تدعك فاها - أي فم الأمَة - بلتر من الملح.

المادة (٢٣) - إذا تكبرت أمَة رجل كما وساوت نفسها بسيدتها وضربتها ....

المادة (٢٤) - مفقودة.

المادة (٢٥) - إذا حضر رجل كشاهد في قضية قانونية ونوي قبل حضوره المحكمة أن يكذب في شهادته عليه أن يدفع كغرامة خمسة عشر شقلاً من الفضة.

المادة (٢٦) - إذا حضر رجل كشاهد في قضية قانونية ورفض أن يقسم وأن يُدلي بشهادته عليه أن يُعوض بقدر ما تفرضه عليه القضية من غرامة.

المادة (٢٧) - إذا تسلَّط رجل وزرع حقلاً يعود إلي شخص آخر فإذا أقام صاحب الحقل دعوي قانونية ضده لكن المغتصب - أي الذي زرع الحقل - تجاهله فإنه - أي المغتصب - سوف يخسر حق المصروفات التي دفعها علي الحقل.

المادة (٢٨) - إذا تسبب رجل في إغراق حقل مزروع يعود لرجل آخر عليه أن يدفع لصاحب الحقل ثلاثة كور من الشعير لكل آكو من الحقل.

المادة (٢٩) إذا أجَّر رجل أرضاً زراعية تعود لرجل من أجل زراعتها ولكنه لم يزرعها وحوَّلها - بسبب الإهمال - إلي أرض جرداء عليه - أي المؤجر - أن يبيع لصاحب الأرض ثلاث كور من الشعير لكل آكو من الحقل.

المادة (٣٠) - إذا ... رجل ضد رجل آخر ...

المادة (٣١) - ..... يجب أن يدفع له.

ويلاحظ في قانون «أور-نمو» اهتمامه بالمرأة وشئون الأسرة، وكذلك استظهار نية الشاهد قبل حضوره المحكمة في قضية قانونية (المادة ٢٥) ، ووجود نظام التجربة أو الامتحان أو الاختبار، ويقوم هذا النظام علي أساس امتحان المتهم الذي تعوزه الأدلة سلبا أو إيجابا، عن طريق إحضاره إلي مكان مقدس يعتقدون تدخل القوي الالهية فيه، كأن يجلب إلي النهر، وهو مكان مقدس، ومن ثم يطلب من المتهم أن يرمي بنفسه فيه، وغالبا ما تنهار معنويات المتهم إذا ما كان مذنبا، أمام رهبة النهر وخشية غضب الآلهة، إذا ما ادعي

الكذب أمامها، فيعترف بذنبه، وقد يرمي بنفسه بين أمواج المياه، فإذا خرج سليما اعتبر بريئا، وإذا غلبه النهر يثبت جرمه، وجاء ذلك في المادتين ١٠، ١١[١].

كما اخذت قوانين «أور - نمو» بمبدأ التعويض وليس القصاص، الذي قد يتجاوز الانتقام إلي المواجهة الجماعية والحروب.

قانون مملكة أشنونا[٢]:

عثرت البعثة العراقية للآثار في منطقة تل حرمل (قرب بغداد) علي آلاف الرقم الطينية، كان منها اثنان يتصلان بتشريعات قانونية وقد كتبا بالخط المسماري وباللغة البابلية القديمة، وهما يوجدان حاليا في المتحف العراقي تحت رقم ٥١٠٥٩ و ٥٢٦١٤، ولقد قام العديد من العلماء بترجمة هذه النصوص القانونية[٣]، وينسب بعض الباحثين هذه القوانين إلي أحد ملوك مملكة أشنونا البارزين، وهو الملك «بلالاما»[٤].

ولقد بقيت من قانون «اشنونا» إحدي وستون مادة، ويبدأ القانون بمقدمة قصيرة، غير واضحة، ويرجح أنها كانت تحتوي اسم الملك الذي أصدر هذه التشريعات وتاريخ إصدارها، وبعد المقدمة تأتي مواد القانون، وتبدأ بتحديد الأسعار والأجور، وتناول القانون هذه الأمور في ١٢ مادة.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٦١.

(٢) شملت اشنونا تل اسمر الحالية علي أرض تقع ضمن محافظتي بغداد وديالي وكان يتبعها عدة مدن، يمثلها الآن «تل حرمل» شرق بغداد بحوالي ٩كم. انظر:
محمد بيومي مهران: حضارات الشرق الأدني القديم، جـ١، الحياة السياسية.

(٣) انظر:

T. Baqir, in Sumer, IV (1948) pp. 52 ff., 153 - 173.,
A. Goetze, in Sumer, IV (1948), pp 54, 63- 102.,
A. Pohi, in Orientalia NS, 18 (1949), pp. 124 - 128, plates x-xx.,
J. Miles and, O. Gurney, Archiv Orientalni, 17/2 (1949), pp. 174 - 188..
R. Hasse,Die riftlichen Rechtssamm-lungen in deutscher Ubersetzung, 1963, 9- 16.

(٤) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٨٨.

ومن المسائل التي تناولتها هذه التشريعات تحديد أجور العربات والقوارب ومن يعملون عليها، وأجور العمال الزراعيين، وأجرة الدواب التي تستخدم في الحمل مثل الحمير والجمال.

وجمعت العقوبات في قانون أشنونا بين القصاص والدية، فأقرت القتل عقابا للقاتل، ولكنها أقرت مبدأ الدية علي الجروح التي لا تؤدي إلي الموت، كما اهتمت هذه القوانين بتنظيم العقوبات الأسرية وعقود الزواج والمهور والطلاق وغيرها، ومن الأمور الجديرة بالاعتبار في هذه القوانين أنها أقرت مبدأ الشفعة، فقررت حق الأخوة في شراء نصيب أخيهم من الميراث إذا رغب في بيعه، وكذلك أحقية من باع داره، أن يشتريها مرة ثانية، إذا أراد من أشتراها بيعها.

ومن ناحية أخري فلقد حرصت هذه التشريعات علي تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والسادة فيما يمتلكون من العبيد والجواري والعقارات ، فحرمت علي الرقيق والإماء الموسومين بأسماء سادتهم أن يجتازوا بوابة أشنونا، دون إذن من سادتهم، وأكدت كذلك حقوق السادة في امتلاك أبناء جواريهم، ولو رباهم غيرهم، وحرمت علي العبد أو الجارية أن يعمل بالتجارة لحسابه، وتوعدت من يتعامل معه، أي أنها اعتبرت العبد لا يملك شيئا وبالتالي فلا يحق له أن يعمل بالتجارة، وأن من يتعامل معه يعلم مقدما بأن هذه التجارة التي يتاجر بها لا حق له فيها، ومن ثم فإنه يستحق العقاب، لأن العبد وما يملكه ملك لسيده[1].

وسنورد فيما يلي مواد قانون أشنونه[2]:

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٢٨ - ٤٣١.

(٢) انظر:

A. Goetze, "The laws of Eshnunna", in ANET, pp. 161 - 163,

وكذلك: طه باقر: المرجع السابق ص٢٨٨ - ٢٩٠ وكذلك:

نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدني القديم، جـ٦، الاسكندرية، ١٩٦٦، ص٤٥ - ٤٩ وكذلك.

البريشت جوتز وآخرون: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة اسامة سراس، دمشق، ١٩٩٣، ص١٤٨ - ١٥٦.

مادة (١): (يُسَعَّر) الكور الواحد من الشعير بشيكل واحد من الفضة وتسعر كل/٣/قا qa من الزيت - نخب أول - بشيكل واحد من الفضة ويسعر السيه Seah مع اثنين قا qa من زيت السمسم بشيكل واحد من الفضة، ويسعر كل Seah (مع) قا qa من الشحم بشيكل واحد من الفضة، ويسعر كل أربعة سيه Seah من «زيت النهر» بشيكل واحد من الفضة، وتسعر كل ستة مينا mina من الصوف بشيكل واحد من الفضة، وتسعر كل ثلاثة مينا من النحاس بشيكل واحد من الفضة ويسعر كل اثني مينا من النحاس الصافي بشيكل واحد من الفضة.

مادة (٢): تساوي كل قا qa من زيت السمسم Sa-nishatim[1] ثلاثة سيه من الشعير، وتساوي كل قا واحدة من الشحم Sa-nishatim اثنان سيه Seah وخمسة qa قا من الشعير، وتساوي كل قا واحدة من «زيت النهر» Sa-nishatim ثمانية قا من الشعير.

مادة (٣): أجرة عربة النقل مع ثيرانها وسائقها بان pan واحد وأربع Seah من الشعير، أما إن دفعت الأجرة فضة فتكون ثلث شيكل علي أن يقودها السائق يوماً كاملاً.

مادة (٤): أجرة قارب اثنان قا علي كل كور qur وأجرة النوتي سيهاً واحداً وقا واحداً. يُديره اليوم بأكمله.

مادة (٥): إذا أهمل المراكبي وتسبب اهماله في غرق القارب، يدفع تعويض كل ما تسبب في غرقه.

مادة (٦): لو استولي رجل[2] ... علي قارب (ليس له) يدفع عشر شيكلات من الفضة.

مادة (٧): أجرة الحصّاد اثنان سيه من الشعير، فإن دفعت فضة تكون اثنتا عشر قمحة.

مادة (٨): أجرة المذرّي سيهاً واحداً من الشعير.

---

(١) هذه الكلمة بالأكادية تعني ضريبة علي بضاعة.
(٢) ربما يقصد (من يجد نفسه) في خطر داهم.

مادة (٩): لو دفع شخص شيكلاً واحداً من الفضة لرجل علي أن يقوم بحصاد زرعه له، لكن (الرجل المُسْتَأجَرَ) لم يضع نفسه تحت تصرف الرجل المستأجر له أو لم يكمل الحصاد له، علي الأجير أن يدفع عشر شيكلات من الفضة للمستأجر. أما إذا كان قد أخذ سيهاً واحداً وخمسة قا من الشعير أجرة له وترك حصص [الشعير] والزيت (و) الكسوة، يُطالبُ بردِّ ما أخذ أيضاً.

مادة (١٠): أجرة الحمار سيهاً Seah واحداً من الشعير وأجرة سائسه سيهاً واحداً من الشعير أيضاً، يسوقه اليوم بأكمله.

مادة (١١): أجرة الأجير لمدة شهر شيكلاً واحداً من الفضة وتكون زوادته باناً Pan واحداً من الشعير.

مادة (١٢): كل من يُقبض عليه في حقل muskenum(١) أثناء الموسم الزراعي وأثناء النهار يدفع عشر شيكلات من الفضة ومن يُمسك في الحقل ليلاً يموت؛ لن ينجو بحياته.

مادة (١٣): كل من يُمسك داخل بيت muskenum أثناء النهار يدفع عشر شيكلات من الفضة، ومن يُمسك داخل البيت أثناء الليل يموت؛ لن يفلت حياً.

مادة (١٤): أجر.. (٢)- إن يَحملَ بما فيه بما قيمته خمسة شيكلات من الفضة - شيكلاً واحداً من الفضة وإن عَمِلَ بما قيمته عشر شيكلات من الفضة - شيكلين من الفضة.

مادة (١٥): لا يحق لـTamkarum(٣) أو Sabitum(٤) أن يأخذ فضة أو شعيراً أو صوفاً أو زيت سمسم من عبد أو أمة بقصد الاستثمار.

مادة (١٦): لا يُعطي العبد أو المشترك في ميراث عقاري - رهناً.

---

(١) الـ muskeum هو عضو في طبقة اجتماعية خاصة بإشنونا وله صلات وثيقة بالقصر أو بالمعبد.

(٢) تدل الكلمة علي نوع من «مقرضي المال أو التجار».

(٣) «موظف المالية» الرسمي الذي يملك حق استثمار أموال الدولة أو عقد صفقات تجارية أخري.

(٤) المرأة التي تملك حصر الاتجار بالكحول.

مادة (١٧): إن قدّم رجل نقود عروس إلي حميه - ثم مات أحدهما - يعود المال إلي مالكه. وان ماتت الفتاة بعد دخولها بيت زوجها، لا يعيد الزوج إلي حميه شيئاً مما قدم له.

مادة (١٨): فائدة كل شيكل (من الفضة) ١/٦ شيكل وستة قمحات، وفائدة كل كور (من الشعير) باناً واحداً وأربعة سيه.

مادة (١٩): علي كل من أخذ قرضاً من رجل بشرط رده أن يرده (للدائن) عند البيدر. (أي وقت الحصاد).

مادة (٢٠): لو أعطي رجل لرجل آخر قرضاً شعيراً بدل الفضة، يستلم عند الحصاد الشعير وفائدته البالغة باناً Pan واحداً وأربعة (؟) سيه Seah علي كل كور.

مادة (٢١): لو أعطي رجلٌ لآخر فضة (كقرض) بقيمة اسمية، يستلم الفضة وفائدتها البالغة (ستة قمحات) وسدس شيكل علي كل شيكل.

مادة (٢٢): لو لم يكن لرجل حقاً عند آخر (ومع ذلك) احتبس أمته، يعلن مالك الأمَة تحت القسم قائلاً «ليس لك عندي حق» فيدفع له المستولي تعويضاً كاملاً فضة مقابل أمته.

مادة (٢٣): لو لم يكن لرجل حقاً عند آخر (ومع ذلك) احتبس أمته في بيته وتسبب في وفاتها، يُعوض المالك بأمتين كبديل.

مادة (٢٤): لو لم يكن لرجل حقاً عنده (ومع ذلك) حجز زوجة الـ muskenum أو ابنته وتسبب في وفاتهما يعد ذلك جريمة كبري ويقتل المحتجز.

مادة (٢٥): لو زار شخص بيت حميـ(ـه) فقبله حميه عبداً لكنه أعطي ابنته لـ (رجل آخر) علي الحمي أن يرد ضعفي المبلغ الذي أخذه من الأول

مادة (٢٦): إذا سلم رجل جهاز العروس إلي ابنة رجل ثم اغتصبها رجل آخر دون أن يكون قد استأذن أباها أو أمها، أو أنه افتض بكارتها، هكذا فانه يكون قد اقترف جريمة كبري عقوبتها الموت.

مادة (٢٧): إذا أخذ رجل ابنة رجل آخر قسرا، دون أن يكون قد حصل علي إذن مسبق من أبيها وأمها، ولم يكن هناك عقد زواج بذلك مع أبيها وأمها، فإن هذه الإبنه ليست زوجة، حتي ولو عاشت عنده عاما كاملا في بيته.

مادة (٢٨): أما، من الناحية الأخري، إن عقد عقداً رسمياً مع أبيها. وأمها وساكنها فتعد زوجة له؛ وإن قبض عليها مع رجل (آخر) تموت ولا منجاة لها.

مادة (٢٩): إذا أسر رجلٌ خلال غارة أو غزوة (أو) حُملَ أسيراً إلي بلد أجنبي [وأقام] فيها لمدة [طويلة]، ثم قام رجل آخر بأخذ زوجته فولدت له ولداً - فإن الزوج الأول يسترد زوجته في حالة عودته.

مادة (٣٠): لو كره رجل بلدته وسيده فهرب فأخذ رجل آخر زوجته، لا حق له في استعادة زوجته إن عاد.

مادة (٣١) لو حرم رجل أمة رجل آخر من عذريتها، يدفع له ثلث مينا من الفضة وتبقي الأمة ملكاً لصاحبها الأول.

مادة (٣٢): لو تخلي رجل عن إبنه لمربية لتقوم بتربيته، لكنه لم يعطها شعيراً وزيتاً وصوفاً طوال ثلاث سنوات، عليه أن يدفع لها عشر مينا من (الفضة) مقابل تربية ابنه ثم يسترده.

مادة (٣٣): لو أعطت أمة طفلها خفية إلي ابنة رجل (آخر) لكن سيدها رآه عندما كبر، يحق له أن ينتزعه من مربيته واسترداده.

مادة (٣٤): لو أعطت أمة من إماء القصر ابنها أو ابنتها إلي muskenum بهدف تربيته أو تربيتها، يحق للقصر أن يسترد الصبي أو البنت الذي أو التي تخلت عنها الأمة.

مادة (٣٥): كما أنه علي متبني طفل أمة القصر أن يعوض القصر بما يساوي الطفل.

مادة (٣٦): لو أودع شخص مالاً وديعة عند ... ثم اختفي (المال الذي) أودعه دون أن يُسْرَق البيت أو يُكسر الـ sippu أو يخلع النافذة علي المودع لديه أن يرد المال المودع للمودع.

مادة (٣٧): لكن إن انهار بيت المودع لديه أو سرق وحدثت خسارة لجانب المودع والمودع لديه فعلي مالك البيت أن يُقسم عند بوابة معبد تشباك قائلاً «أقسم أنني فقدت أموالي مع أموالك، وأنني لم أقترف ذنباً ولا دبرت خديعة». إن أقسم المودع لديه كما ذكر فلا حق للمودع عنده.

مادة (٣٨): لو أراد أخ له عدة أخوة أن يبيع حصته في (عقار مشاع بينهم) وأراد أحد أشقائه أن يشتري حصته يدفع له .....

مادة (٣٩): لو مَرَّ إنسان بضائقة مالية فأراد أن يبيع بيته، يحق للبائع الأصلي أن يسترد بيته إن أراد مشتريه أن يبيعه في يوم من الأيام.

مادة (٤٠): لو اشتري شخص عبداً أو أمة، ثوراً أو بضاعة ما ذات قيمة لكنه لم يستطع أن يحدد البائع الاصلي فهو لص.

مادة (٤١): إن رغب أحد الـ Ubarum أو الـ hnaptarum أو الـ Sabitum أن يبيع جعته، لا يحق له ذلك بل تقوم الـ sabitum بهذه المهمة بالسعر الجاري.

مادة (٤٢): لو عض رجل أنف رجل (آخر) فقطعه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن عض عينه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن كسر سنة يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلي الأذن يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلي صفعة الخد يدفع له عشر شيكلات من الفضة.

مادة (٤٣): لو قطع رجل اصبع رجل آخر يدفع له ثلثي مائة (مينا) من الفضة.

مادة (٤٤): لو طرح رجل رجلاً آخر أرضاً أثناء شجار فكسر يده يدفع له نصف مينا من الفضة.

مادة (٤٥): ولو كسر قدمه يدفع له نصف مينا من الفضة.

مادة (٤٦): لو تعدي رجل علي آخر وكسر.... يدفع له ثلثي مينا من الفضة.

مادة (٤٧): لو ضرب رجلٌ رجلاً (آخر) عرضاً يدفع له عشر شيكلات من الفضة.

مادة (٤٨): وبالاضافة إلي ذلك (وفي الحالات التي تستوجب العقاب) يدفع له من ثلثي إلي مينا واحدة من الفضة ويحاكم الرجل رسمياً وتثار الدعوي أمام الملك باعتبارها تهمة من الدرجة الأولي.

مادة (٤٩): لو ألقي القبض علي رجل ومعه عبد أو أمة مسروقة يُسَلِّم عبداً بعبد وأمةً بأمة.

مادة (٥٠): لو أمسك الحاكم أو مدير مصلحة الأنهار أو أي موظف مهما كان عمله عبداً ضائعاً أو ثوراً تائهاً أو حماراً هائماً يخص القصر أو أي muskenum ولم يسلمه لمعبد إشنونا وإنما احتفظ به في بيته، يقاضيه القصر علي ما سرق ولو بعد مرور أسبوع علي ارتكاب جريمته.

مادة (٥١): لا يحق للعبد أو الأمة التابعة لمعبد إشنونا الموسومة بوشم Kanrnum أو maskanum أو abbatum[1] أن تغادر بوابة إشنونا دون إذن سيدها.

مادة (٥٢): يوشم أي عبد أو أمة تدخل بوابة إشنونا بحماية أو رفقة مبعوث (أجنبي) بوشم الـ kannum أو الـ muskanum أو الـ abbatum وتبقي تحت إشراف سيدها.

مادة (٥٣): لو نطح ثور ثوراً آخر وتسبب في موته، يتقاسم صاحبا الثورين ثمن الثور الحي زائد ثمن ثور مشابه للثور الميت بينهما.

مادة (٥٤): لو كان من عادة ثور أن ينطح الآخرين وأعلمت السلطات وصاحبه بهذه الحقيقة ومع ذلك لم ينزع صاحبه قرنيه ثم قام ذلك الثور بنطح رجل آخر حتي الممات، علي مالكه أن يدفع ثلثي مينا من الفضة.

مادة (٥٥): أما إذا نطح ذلك الثور عبداً وتسبب في قتله يدفع صاحبه خمسة عشر شيكلا من الفضة.

مادة (٥٦) لو كان الكلب مسعوراً وأعلمت السلطات صاحبه بذلك ومع ذلك لم يحبسه ضمن فنار البيت، ثم قام ذلك الكلب بعضّ رجل مما تسبب في وفاته، يدفع مالك الكلب للمصاب ثلثي مينا من الفضة.

---

(١) علامات يمكن إزالتها بسهولة.

مادة (٥٧): أما إن عَضّ عبداً وتسبب في موته، دفع خمسة عشر شيكلاً من الفضة.

مادة (٥٨): لو آل حائط للسقوط وأعلمت السلطات صاحبه بذلك ومع ذلك لم يُدَعِّمه فانهار الجدار وتسبب في قتل رجل حر عابر، ذلك جريمة كبرى ومن اختصاص الملك القضاء فيها.

مادة (٥٩): لو طلّق رجل زوجته بعد أن جعلها تحمل منه ثم اتخذ زوجة أخرى، يُطرد من بيته ومن أملاكه وليلحقه من يقبل به زوجاً بعد ذلك.

(٦٠ و ٦١: مشوهة وبالتالي غير مفهومة).

قانون لبت عشتار:

ينسب هذا القانون إلي الملك «لبت عشتار» (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) خامس ملوك أسرة أيسين، وسجل هذا القانون باللغة السومرية، والنسخة الموجودة من هذا القانون مسجلة علي كسر من ألواح الطين وهي غير كاملة، أما النسخة الأصلية فيرجح أنها كانت مدونة علي نصب أو مسلة من الحجر مثل قانون حمورابي[١].

ومواد القانون الموجودة لدينا مسجلة علي كسر من سبعة ألواح، عثر علي ستة منها في نيبور، وهي محفوظة الآن في متحف الجامعة بلندن، أما القطعة السابعة ومصدرها غير معروف، فهي توجد حاليا في متحف اللوفر في باريس.

ولقد قام فرانسيس . د. ستيل بنشر مواد هذا القانون عام ١٩٤٨[٢]، ثم أعاد نشرها بعد ذلك صموئيل نوح كريمر[٣]، وقام طه باقر بترجمته في مجله سومر[٤].

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٩٠.

(٢) F.R. Steele, in AJA, vol. LII (1948), pp. 425 - 450.

(٣) S.N. Kramer, "Lipit - Ishtar Lawcode", in ANET, pp. 159 - 161.

(٤) طه باقر: مجلة سومر، ١٩٤٧.

ويتكون قانون «لبت عشتار» من ثلاثة أجزاء رئيسية: مقدمة، ونصوص قانونية وخاتمة.

ويذكر لبت عشتار في المقدمة أن الآلهة قد منحته حكم بلاد سومر وأكد ليوطد الأمن والرخاء لأهلها، وهو من أجل ذلك قد سن قوانينه التي حررت أبناء سومر وأكد من العبودية التي فرضت عليهم قبله.

أما النصوص القانونية فهي تالفة في معظمها ولم يتمكن العلماء من استعادة سوي ثمانية وثلاثين بنداً من بنودها، وهي تعالج شئون الاراضي الزراعية والحدائق والعبيد، وحالات الاعتداء علي الآخرين، وشئون الضرائب، والأحوال الشخصية.

وقررت مواد القانون مبدأ التعويض، ويظهر ذلك في المادة رقم ١٢ التي قررت مبدأ تعويض الشخص الذي هرب عبده أو أمته إلي شخص آخر، فعلي هذا الشخص أن يعوض من هرب عبده إليه بعبد مثله أو أمة مثلها، أما إذا كان هذا الشخص ليس لديه عبيد، فعليه أن يعوض السيد بمبلغ من المال حدده القانون بخمسة عشر شيكلا من الفضة.

ويمكننا أن نستدل علي مبدأ الثقة في هذا القانون، ويشير إلي ذلك المادة رقم ٣١ حيث تشير إلي معاملة الميراث المبنية علي الثقة، فإذا أهدي والد لولده المفضل أثناء حياته هدية، وختم له عقداً بذلك، فلا يحق للورثة بعد وفاة الأب، احتساب هذه الهدية ضمن ممتلكات مورثهم، ولا يحق لهم بالتالي مشاركته الهدية التي سبق أن منحها والدهم لابنه المفضل، وإنما يحق لهم اقتسام ما تبقي من الميراث سواء أكانت أموالاً منقولة أو غير منقولة[1].

وتأتي بعد المقدمة المواد القانونية وذلك علي النحو الآتي[2]:

---

(١) عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص٨٧ - ٨٩.

(٢) انظر:

S.N. Kramer, op. cit., pp. 159 - 161,

والترجمة العربية في:

البريشت جوتز وآخرون: المرجع السابق، ص١٥٧ - ١٦٢.

النص:

١- ... الذي أنشئ ...

٢- ... مِلكيَّة بيت الأب من ... ـها.

٣- ... ابن موظف عند الدولة، وابن موظف لدي القصر، وابن مُلاحِظ ...

٤- ... قارباً ... سَنَـ ... قارباً..

٥- لو استأجر رجل قارباً (و) بعثه في رحلة ... لصالحه ...

٦- ... الهبة ... سَيَـ ...

٧- لو أعطي رجل بستانه لبستاني ليغرسه ... و ... البستاني لصاحب البستان ...

٨- إنْ أعطي رجلٌ أرضاً بلا زرع ولا غرس لرجل (آخر) لغرسها بستاناً ولم يكمل (الفريق الثاني) غرس تلك الأرض الجرداء، علي صاحب الأرض أن يعطي للفريق الثاني الأرض الجرداء الباقية التي أهمل غرسها حصة له.

٩- لو دخل رجلٌ بستان رجل (آخر) (و) ضُبط هناك متلبساً بسرقة، عليه أن يدفع عشر شيكلات من الفضة.

١٠- لو قطع رجل شجرة من حديقة رجل (آخر)، سيدفع نصف مينا من الفضة.

١١- لو قال مالك بيتٍ مجاور لأرض خالية مهملة تخص رجلاً آخر لصاحب الأرض «بما أن أرضكَ مهملة فقد يتسلل أحدهم داخل بيتي، لذلك إحمِ أرضك». إذا ثبت هذا الاتفاق، علي صاحب الأرض الخالية أن يعوض صاحب البيت عن كل ما يفقده من أملاكه.

١٢- لو أبق عبدٌ أو أمةٌ إلي قلب المدينة مختفياً في أزقتها ثم ثبت أنه أو أنها أقامت في بيت رجل (آخر) لمدة شهر، يعوض عبدا بعبد.

١٣- وإن لم يملك عبداً، يدفع / ١٥ / شيكلاً من الفضة.

١٤- لو عوض عبد سيده مقابل مدة عبوديته وثبت أنه (قد عوض) سيده الضعف، يحرر ذلك العبد.

١٥- لو كان niqtum، هبة من الملك، لا يؤخذ.

١٦- لو ذهب niqtum إلي رجل آخر بمحض ارادته، لا يمسكه، للـ niqtum الحق أن يذهب حيث شاء.

١٧- لو ألزم رجلٌ رجلاً (آخر) بقضية لا علم له بها. لا تثبت القضية ضده؛ وعلي الأول أن يتحمل العقوبة المفروضة علي القضية التي ألزم بها غيره.

١٨- لو أن سيد أو سيدة عقار تكاسل في دفع ضريبة العقارات (و) قام رجل غريب بتحمل دفعها، لا تنزع ملكية العقار منه لمدة ثلاثة سنوات، وبعدها يتملك من تحمل ضريبة العقارِ العقارَ، ولن يحق لمالك العقار (الأسبق) المطالبة بها.

١٩- لو أن سيد عقار ...

٢٠- لو استولي أحد الورثة ...

٢٢- يحق للابنة ، سواء كانت Entu (١) أو Natitu(٢) أو كاهنة غير مكرسة أن تقيم في بيت أبيها، ما دام الأب علي قيد الحياة، كأي وريث.

٢١ - [لو] ... بيت الأب ... التي تزوجها، سينال هدية بيت أبيها التي قدمت لها كوريث لها.

٢٣- لو ... في بيت أبيـ(ـها) الحي.

٢٤- إذا ولدت المرأة الثانية التي أخذها الرجل له أطفالا، هكذا تعود ملكية جهازها الذي أتت به من بيت أبيها لأطفالها، لكن أولاد الزوجة الأولي وأولاد الزوجة الثانية سيتقاسمون أملاك أبيهم بالتساوي.

٢٥- لو عقد رجل علي امرأة وحملت له أطفالاً وهم لا زالوا علي قيد الحياة، ثم حملت إحدي إمائه أيضاً أطفالاً منه ثم أعتق الأب الأمة وأولادها، لا يقتسم أولاد الأمة العقار مع أولاد سيدهم (السابق).

٢٦- لو ماتت زوجته الأولي، فاتخذ بعد وفاتها أمة زوجة، أولاد الزوجة الأولي هم ورثته، وسيكون الاولاد الذين ولدتهم الأمة لسيدها...، وسوف .. بيته.

---

(١) درجات كهنوتية.
(٢) رئيسة الكاهنات.

٢٧- إن لم تلد زوجة رجل له ولداناً وإنما ولدتهم عـاهرة (من) السـاحـة العـامـة، فـعليـه أن يقـدم لتلك العـاهرة حبّاً وزيتـاً وكـسـاءً، وسـيكـون الأولاد الذين ولدتهم العـاهرة ورثتـه، ولنْ تسكن العـاهرة في البيت مع زوجتـه مـا دامت زوجته حية.

٢٨- لو عزف رجل عن زوجته الأولي وتزوج غيرها لكنها لم تترك البيت، تكون المرأة الجديدة زوجة ثانية له؛ وعليه أن يستمر في إعالة زوجته الأولي.

٢٩- إذا أتي خطيب الإبنه إلي مسكن حميه المقبل وقام بمراسيم حفل الخطوبة ثم طرده حموه بعد ذلك واعطي خطيبته لرفيقه، هكذا فإنه تُرد إليه جميع هدايا الخطوبة، كما لا يحق لحميه أن يزوج الفتاة لرفيقه.

٣٠- لو تزوج رجل شـاب موسوماً (من) السـاحة العـامـة، وأمره القـضـاة بأن لا يرتادها، ثم طلق زوجته، ... نقوداً.

٣١- ... الذي أعطاه إياه بعد موت أبيهم، سيـتـقـاسـم الورثة بعد وفـاة والدهم ملْكَ أبيـهم، ولكن ميـراث الأرض لا يُقسم، فإنهم لن «يطبخوا كلمة أبيـهم فيَ الماء.

٣٢- لو أن أباً، في حياته، وضع هدية زواج ابنه الأكبر جانباً، ثم زوج (ابنه) في حياته وحضوره، علي الوريث أن ... بعد (وفاة) الأب.

٣٣- وإن ثبت أن الـ ... لم يقسم التركة، يدفع / ١٠ / شيكلات من الفضة.

٣٤- لو أستأجر رجلٌ ثوراً (فـ) ثلم حطم الثور، يدفع ثلث ثمنـ(ـه).

٣٥- لو استأجر رجلٌ ثوراً (فـ) عطّل عينه، يدفع ربع ثمنـ(ـه).

٣٧- لو استأجر رجلٌ ثوراً (فـ) شوه ذيله، يدفع ربع ثمنـ(ـه).

٣٦- لو استأجر رجلٌ ثوراً (فـ) كسر قرنه، يدفع ربع ثمنـ(ـه).

٣٨- [لو] ... يدفع ...

الخاتمة:

إنني أنا لبت - عـشـتـار بن انليل ونزولاً عن كلمـة أوتو الصـادقـة جـعلت سومر وأكـاد تتـمسك بدرب العدل، كما أنني خضوعاً لإرادة إنليل قـمت بمحق الخصام والشقاق، وتحريم الدموع والندب والعويل، و...؛ وإحقاق الحق وإظهار الحقيقة؛ وجلب السعادة لاهل سومر وأكاد.

أقمت هذا النصب بعد أن وطدت سومر وأكاد. فليهنأ بالحياة المديدة وليرتفع مقامه في إيكور ولينظره جبين إنليل المشرق كل من لا يريد شراً به، وكل من لا يخرب ما صنعت يداي، وكل من لا يطمس حروفه ونقوشه، وكل من لا يضع اسمه عليه، وليحرم انليل كل من سيناله بشرٍ، وكل من سيخرب ما صنعت يداي، وكل من سيدخل مقره ويبدل منصته، وكل من سيطمس حروفه، وكل من سيضع اسمه عليه، وكل من سيدفع شخصاً آخر للقيام بهذه الاعمال لينجو من اللعنة، سواء كان هذا الانسان ... أو ... من .... ألا فلتحل عليه، كائناً من كان، ... في ... ـه؛ وليحرمه أشنان وسوموجان، الريان الموكولان بغني الانسان وفقره، ....، وليمحو ... وليحرم أوتو، حكم السماء والأرض ... ، ... ـه ... أساسها ... كما ... وليستثني من؛ ولتكن أرضه غير راسخة.

قانون حمورابي:

يعتبر قانون حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) هو الاكتشاف الأكبر في ميدان القانون في العراق القديم ولقد عثرت عليه البعثة الفرنسية للآثار برئاسة دي مورجان مع بدايات عام ١٩٠١، ١٩٠٢، في مدينة سوسه، حيث كان قد نقله إلي هذه العاصمة العيلامية علي ما يبدو الملك شوتروك ناهونتي (حوالي ١٢٠٧ - ١١٧١ ق.م) وقامت البعثة الفرنسية بنقله معها إلي متحف اللوفر في باريس.

وتتكون المسلة في الاصل من ٤٤ حقلا من الكتابة المسمارية، فيما عدا بعض الاجزاء التالفة عمدا في أسفل الاعمدة الكتابية، ويرجح أن الملك العيلامي الذي نقله إلي سوسه إنما كان هو وراء هذا المسح.

ولقد خضعت مسلة قوانين حمورابي للعديد من أعمال الترجمة، ومن أوائل الذين قاموا بذلك V. Scheil[1] ثم قام A. Deimel بنشره عام ١٩٣٠[2] وقام

---

(١) V. Scheil, Memoires de la delegation en Perse, IV (1902), pp. 11ff.

(٢) A. Deimel, Codex Hammurabi, 1930.

بنشره عام ١٩٣١[1] Wilhelm Eilers، ثم قام كل من G.R. Driver و John C. Miles بنشره عام ١٩٥٢[2].

ويبلغ ارتفاع المسلة المصنوعة من حجر الديوريت الأسود ثمانية أقدام وقطرها قدمين، وقد نقش في أعلي المسلة صورة بالنحت البارز تمثل الإله الشمس (شمش) وهو إله العدل - وهو علي عرشه، ويقف حمورابي في حضرته وقفة المتعبد الخاشع رمز تفويض الإله له وتسلمه الشرائع المقدسة من ذلك الإله، أو أنه قد يكون هنا يقوم بتقديم شريعته إلي إلهه، ويرجح أن تكون هذه المسلة كانت قد وضعها حمورابي في عاصمته بابل في موضع مقدس منها لعله في معبد الاله مردوخ ليرجع إليها الناس[3]. (شكل ٢٥، ٢٦)

وتتألف شريعة حمورابي من ثلاثة أقسام رئيسية المقدمة والمواد القانونية ثم الخاتمة، ولقد أشار في المقدمة إلي ألقابه وأعماله، وأن ربه مردوك أمرة بأن يرشد الناس إلي الطريق المستقيم وأن يحق الحق والعدالة، وأن يدونها بلغة البلاد. ولقد جاء في هذه المقدمة[4]:

عندما حدد آنو المتعالي، ملك الأنوناكي[5].

وانليل سيد السماء والأرض ومقرر مصير البلاد.

لمردوخ، الابن الأكبر لأيا، الحكم علي جميع الناس.

وجعلاه سيداً علي الأجيمي، وأطلقا اسمه علي بابل.

---

(١) W. Eilers, in Ao, xxxi (1931).

(٢) G.R. Driver, and J.C. Miles, The Babylonian laws, vols I, II, Legal commentary, 1952.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٩١ - ٢٩٢.

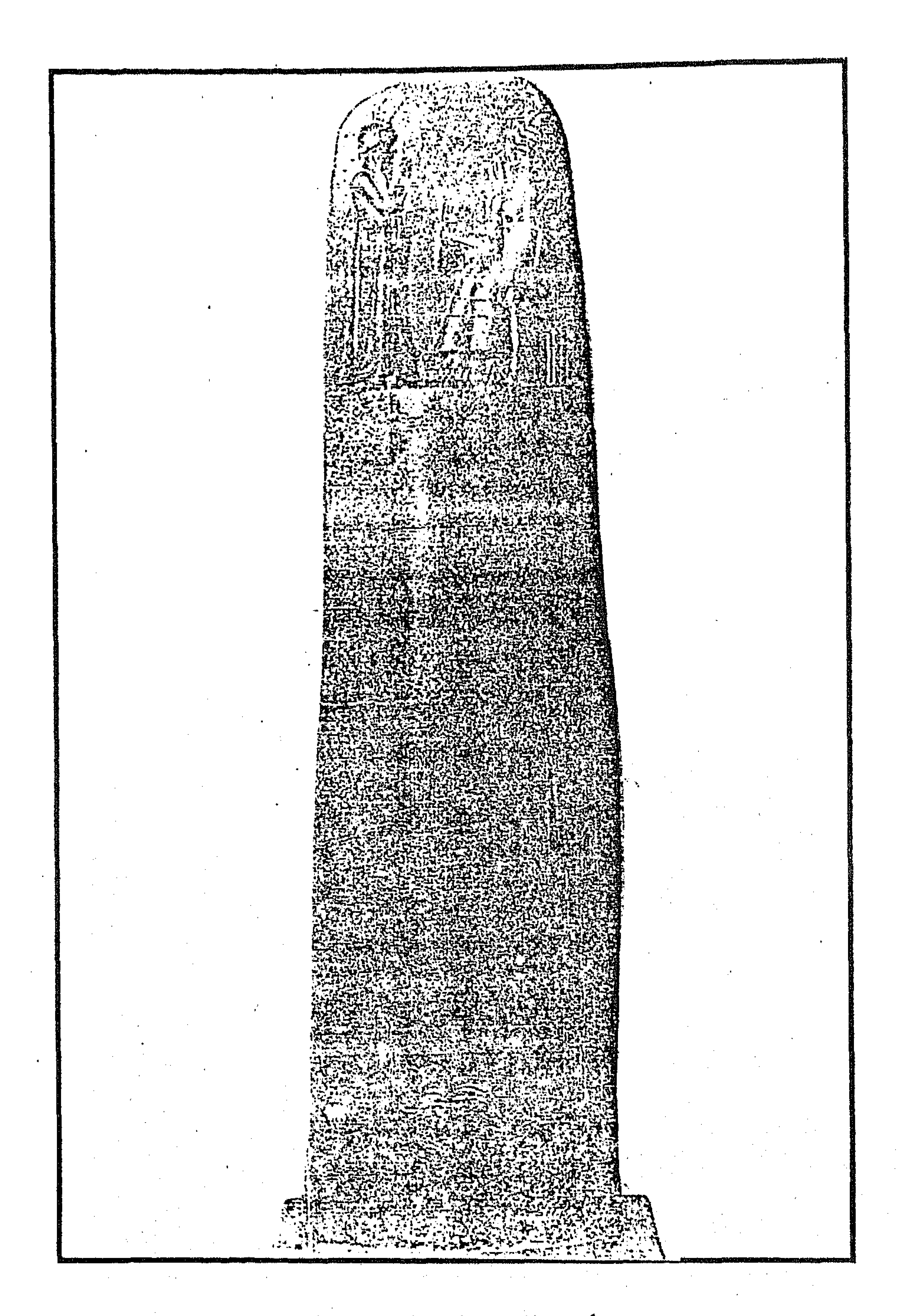
(٤) انظر:

T.J. Meek, The Code of Hammurabi, in ANET, pp. 164 - 165.

والترجمة العربية لها في:

عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص٩٧ - ١٠١.

(٥) ملوك العالم السفلي.



(شكل ٢٥) مسلة قوانين حمورابي



(شكل ٢٦) الجزء العلوي من مسلة قوانين حمورابي

وجعلاه أقوي ما في جهات العالم الأربع.
وأقيمت له في وسطها ملكية خالدة بأسس
راسخة رسوخ السماء والأرض -
في ذلك الوقت جعلاني ... أنا حمورابي ..
الأمير الورع، خادم الآلهة
لأظهر الحق في البلاد،
ولأقضي علي السوء والشر
ولأقف دون طغيان القوي علي الضعيف.
ولأشرق كالشمس علي ذوي الرؤوس السود[١]... وأنير البلاد
عرّف «آنو» و«إنليل» باسمي لإسعادهم
حمورابي الراعي
أنا المسمي من «إنليل»
يكدس الخيرات والأرزاق -
ويأتي بالكثير من كل شئ لنيبور - دورانكي[٢]..
التقي الحامي لأكور
الملك النشيط
الذي أعاد بناء «أريدو»،
مبرز طقوس إيابسو
عاصفة جهات العالم الأربع،
رافع إسم بابل
مفرح قلب سيده مردوخ

---

(١) كانت تطلق هذه التسمية علي الاكاديين خلال هذه الفترة.
(٢) الموقع المقدس الذي تبوأته نيبور.

الذي يقيم يومياً في إيسانحيلا،
أصل الملكية
الذي خلقه «سن»
منعش أور،
التقي، المتواضع،
حامل الخير لاجيسشيرجال،
الملك المدرك
مطيع شمش، القوي
مدعم أسس سيبار
المزين بالخضرة ضريح «آيا»
مخطط (أسس) بيت ابابار نظير المنزل السماوي المحارب
الذي عفا عن لارسه منشئ ابابار حبيب
الشمس مساعده
السيد
محيي أوروك ومزود سكانها بالماء المتدفق
رافع رأس أي - أنّا
مكثر الخير لآنو وعشتار
حامي البلاد،
جامع الناس المشردين من «أي - سن»،
الغامر معبد اجال - ماخ، بالخير،
ثعبان الملوك، الشقيق الحبيب لزاپابا،
مدعم أركان بيت كيش،
المحيط إيميتي - أورساج بالأبهة،

منظم الطقوس العظيمة لعشتار
مدير معبد خورساج - كالاما،
هول الأعداء
الذي يحقق له رفيقه ايّرا رغباته
مدعم «كوتا»
مقدم كل شئ لـ «مشلام» (أحد الآلهة)
الثور القوي، مناطح الحاقد،
حبيب «توتو» (الإله نبو بن مردوخ إله الحكمة)
مسعد بارسيبا الورع،
غير المتراجع أمام آزيدا
إله الملوك المسير بالحكمة،
موسع حقول ديلبات
مالئ مستودعات اوراس الكبير،
السيد الأهل للصولجان والتاج،
الذي خلقته الربة الحكيمة ماما، (إلهه الخصب، الإلهه الام) كاملا
مدعم حدود كيش
صانع الطعام الوفير لنيتو
الواعي، العاقل،
منذر المراعي والمياه لكيش وجيرسو،
مقدم الضحايا الكبيرة لانيتو،
صياد الأعداء، حبيب تيليتوم،
منفذ وصايا حلاب، مفرح قلب عشتار
الأمير الرائع

الذي يعرف حدد حقاً صلواته
ملطف قلب حدد، البطل، في بيت كاركارا،
معيد تأسيس التعيينات في اودجالجال،
الملك
الذي منح الحياة لأذاب،
منظم بيت آماخ،
سيد الملوك، المحارب بلا نظير،
الذي منح الحياة لماشكان شابري
الساقي ميشلام بالفيض،
المفكر العطوف،
الذي بلغ ينابيع الحكمة،
موطن سكان مالكاً في الحصن،
موطد دعائم منازلهم بكثرة من أجل «أيا» ودامجال نوتا.
رافعاً ملكيته،
الذي ضحي دوماً قرابين كثيرة،
الأول بين الملوك
مذل المستوطنات على الفرات،
قوة داجان خالقه،
الذي عفا عن سكان ميرا وتوتول.
الأمير الورع،
مضيئ وجه عشتار،
مقدم الطعام لنينازو،
منقذ رعاياه من البلاء،

مدعم جذورهم للسلام في بابل.
راعي الناس،
الذي أسّرت أعماله عشتار،
الذي أحَل عشتار في اي - اول - ماش في وسط أكاد
مكتشف القانون، قائد القبائل علي الطريق الصواب،
الذي أعاد (المدينة) آشور ربتها الشفيعة الطيبة،
الذي يطفئ نار (العصيان)،
الملك الذي نشر بوضوح وجلاء اسم عشتار
في نينوي واميشميش
التقي، المتواضع أمام الآلهة الكبري،
فرح سومولا - إيلو الابن الوريث القوي
لسن - مبلط
بذرة الملكية الخالدة،
الملك الجبار، شمس بابل، الذي،
يبعث الضوء علي بلاد سومر وأكاد،
الملك، الذي تسمع له جهات العالم الأربع،
أنا حبيب عشتار
عندما أسماني مردوخ لحكم الناس بالعدل
وكقائد للبلاد،
أقمت أسس الحق والعدالة في البلاد
لخير الناس
ذلك الوقت (أمرت) ...

وبعد المقدمة تأتي المواد القانونية في ٢٨٢ مادة وقد تناولت هذه المواد امور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وعقود الزراعة وشروط القروض والاحوال الشخصية بما تتضمنه من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث - والقصاص والتعويضات وأجور أصحاب المهن ومسئولياتهم، وتضمنت في ثناياها احكاما راقية يتقبلها المنطق في كل عصر، واحكاما أخري يصعب علينا قبولها الا بمنطق الحياة في عصرها. هذا ويري الباحثين في ترتيب بنود هذا التشريع ما يسمح بتقسيمها إلي ثلاث مجموعات: مجموعة تتضمن المواد (١-٥) وتتعلق بأمور القضاء، والتقاضي وما يشبه أصول المرافعات، ومجموعة ثانية تتألف من البنود (٦ - ١٢٦) وتتضمن قانون الاموال أو المعاملات، ثم مجموعة ثالثة من البنود أو المواد (١٢٧ - ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة أو الاحوال الشخصية. غير ان هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا في بنود التشريع.

ويقسم الدكتور طه باقر مواد القانون إلي عشرة أقسام علي النحو الآتي:

١- المواد من ١- ٥ وتتصل بالمخالفات والجرائم الخاصة باصول المرافعات.

٢- المواد من ٦ - ٢٥ وتتصل بالجرائم الخاصة بالاموال والسرقات وتسلم مال مسروق واختطاف الأطفال وايواء الأرقاء الآبقين والسطو علي المنازل.

٣- المواد من ٢٦ - ٦٠ وتتصل بالأراضي والعقارات، وواجبات الفلاحين وديونهم والجرائم والمخالفات الخاصة بالري، والأضرار المتسببة عن الماشية وجرائم قطع الأشجار وشؤون العناية ببساتين النخيل.

٤- المواد من ٦١ - ١٢٦ وتتصل بالمعاملات التجارية ووسائل المواصلات والودائع والامانات.

٥- المواد من ١٢٧ - ١٩٤ وتتصل بالأحوال الشخصية.

٦- المواد من ١٩٥ - ٢١٤وتتناول الاعتداء علي الأب وعلي الرجال والاسقاط.

٧- المواد من ٢١٥ - ٢٤٠ وتتناول الاحكام الخاصة بالجراحين والبياطرة والحلاقين والواسمين بالكي والمعماريين وبناني السفن والملاحة.

٨- المواد من ٢٤١ - ٢٧٣ وفيها أحكام متفرقة خاصة بحيوانات المزارع

والعلف وتبديل آلات الزراعة وغشها وتأجير الرعاه وواجباتهم، وتأجير الحيونات والعربات وعمال المزارع.

٩- المواد من ٢٧٤ - ٢٧٧ وتتناول الأجور والأسعار.

١٠- المواد من ٢٧٨ - ٢٨٢ وتتصل بالرق[1].

بينما هناك من يقسمها إلي ثلاث عشرة قسما علي النحو الآتي:

١- المواد من ١ - ٥ وتتلق بالقضاء والشهود.

٢- المواد من ٦ - ٢٥ وتتعلق بالودائع وعقود البيع وجرائم السرقة والنهب.

٣- المواد من ٢٦ - ٤١ وتتعلق بشؤون الجيش وبعض المهن الحرة وحقوق التصرف في العقارات.

٤- المواد من ٤٢ - ٦٠ وتتعلق بالحقول والبساتين والبيوت والتأمين والرهن.

٥- المواد من ٦١ - ١٠٧ وتتعلق بالقروض والفائدة والمكاييل والأوزان وحالات القوة القاهرة.

٦- المواد من ١٠٨ - ١١١ وتتعلق بالنقود وأعمال الغش.

٧- المواد من ١١٢ - ١٢٦ وتتعلق بالائتمان والديون والرحلات التجارية والاستبدال والاشهاد.

٨- المواد من ١٢٧ - ١٩٤ وتتعلق بالأحوال الشخصية والزواج والطلاق والارث والتركة والتبني والتربية وانجاب الأطفال.

٩- المواد من ١٩٥ - ٢١٤ وتتعلق بمبدأ القصاص والديه والغرامات.

١٠- المواد من ٢١٥ - ٢٢٧ وتتعلق بالطب البشري والطب البيطري والحلاقة واجور العمليات.

١١- المواد من ٢٢٨ - ٢٤٠ وتتعلق بالاسعار وتعيين أجور البناء وعمال السفن والملاحين والصناع والرعاة والتصادم البحري.

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، حاشية ١ ص٢٩٤ - ٢٩٦.

١٢- المواد من ٢٤١ - ٢٧٧ وتتعلق بأجرة الحيوانات والاجراء والعمال والمزارعين والاضرار الناجمة عن القوة القاهرة وايجار السفن.
١٣- المواد من ٢٧٨ - ٢٨٢ وتتعلق بشراء العبيد والقسامة[١].

هذا ويلاحظ بصفة عامة ان قانون حمورابي كان قاسيا في توقيع العقوبات علي كل من يخرج علي العرف السائد أو يقترف اثما لا يتفق مع الاخلاق العامة، فمثلا عقوبة الاعدام كانت في: هتك العرض وخطف الأطفال وقطع الطريق علي القوافل،والمرأة التي تتسبب في قتل زوجها لكي تتزوج من غيره[٢]. أما مشاكل الوراثة فحين تعرض القانون لها نراه يخص أبناء الرجل بتركته دون زوجته، وإذا مات الرجل عن زوجته فقط كان لها الحق في مهرها وفي هدية عرسها، وظلت ربة البيت مادامت علي قيد الحياة، ولم يكن حق الارث محصورا في الابن الاكبر فقط بل كان الابناء كلهم سواسية في الميراث، ومن ثم لم تلبث الثروات ان تقسمت وتفتت وامتنع تركزها في افراد قلائل.

ويبدو واضحا ان قانون حمورابي لم يعترف للفرد بأية حقوق قبل الدولة فلم تكن هناك حرية فردية أو حماية سياسية، الا أننا نجد القانون فرضة حماية اقتصادية، ومن امثلة ذلك: إذا ارتكب رجل جريمة السطو وقبض عليه كان علي المعتدي عليه ان يقدم بيانا مفصلا بخسائره مدليا بهذا البيان في مواجهة الاله بالمعبد وعندئذ علي المدينة التي ارتكبت السرقة في داخل حدودها، والحاكم الذي ارتكبت الجريمة في دائرة اختصاصه ان يعوضاه علي ما فقده، أما إذا أدي السطو إلي خسارة في الارواح دفعت المدينة ودفع الحاكم تعويضا كافيا إلي ورثة القتيل.

ويبدو المجتمع البابلي في قانون حمورابي مقسما إلي ثلاث طبقات، فأفراد الطبقة العليا، ويسمي الواحد منهم «اويل» وهم «الاشراف» يتمتعون

---

(١) عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص٩٥ - ٩٦.
(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق ص٤٦٧.

بحرية كاملة وبجميع حقوق الرعوية وامتيازاتها. والطبقة الثانية وتتكون من مواطنين يسمي الواحد منهم «مشكين» ويمكن أن نسميهم العامة، وكانوا احرارا، ولكنهم يخضعون لقيود قانونية معينة ولا سيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة. والطبقة الثالثة هي طبقة العبيد ويسمي الواحد منهم «ورد» وكان المجتمع الاشوري ينقسم أيضا إلي طبقات تقابل اعلاها وادناها مثيلاتهما في المجتمع البابلي، ولكن لا نعرف علي وجه اليقين طبيعة الطبقة الوسطي. وتختلف الطبقات الثلاث بعضها عن بعض في الوضع القانوني، مثال ذلك ان الاساءة إلي العامة عقوبتها أقل قسوة إلي حد كبير من عقوبة الاساءة إلي الاشراف، أو يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف فإذا أفسد شريف عين شريف آخر، فليفسدوا عينه، وإذا كسر عظم شريف آخر، فليكسروا عظمه، وإذا افسد عين رجل من العامة أو كسر عظمه، فليدفع (منا من الفضة). وهنا نجد قانون العين بالعين والسن بالسن مطبقا علي الاشراف وحدهم، أما غيرهم فدية تدفع. ذلك أننا لو رجعنا إلي قانون حمورابي لوجدنا كثيرا من مواده لا تعترف بالمساواة بين الناس وانما تعاملهم علي حسب طبقاتهم، فمثلا (المادة ١٩٦) تنص علي أن «من يتسبب في اتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه»، بينما تنص المادة ١٩٨ علي ان من يفقد رجلا من العامة عينه يدفع مينا من الفضة، والمادة (١٩٩) تنص علي ان من يفقد عبدا عينه أو احدي عظامه يدفع نصف القيمة، وتنص المادة (٢٠٠) علي أن «من يسقط سن رجل من طبقته تكسر سنة» بينما تنص المادة (٢٠١) علي ان من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة، وتنص المادة (٢٠٢) علي أن من يلطم خد آخر أعلي منه مرتبة يجلد ٦٠ جلدة بسوط من جلد الثور علنا، بينما تنص المادة ٢٠٣ علي انه (إذا لطم نبيل خد نبيل من نفس المرتبة يدفع مينا من الفضة) بينما تنص المادة (٢٠٤) علي أنه «إذا لطم رجل من العامة خد آخر يدفع ١٠ شوفل من الفضة». بينما تنص المادة (٢٠٥) علي أنه «إذا لطم عبد خد نبيل تصلم اذنه».

هكذا تظهر التفرقة بين المواطنين في «قانون حمورابي» فالناس فيه غير متساوين بحكم القانون، فالمواد (١٩٦، ١٩٨، ١٩٩)، تبين ان عقاب اتلاف

عين نبيل اتلاف عين بدلا عنها (العين بالعين)، واما اتلاف عين رجل من العامة فدية قدرها مينا من الفضة، أما عين العبد فنصف ذلك، بمعني آخر ان عين النبيل لا تعادلها الا عين نبيل مثلها، وغير النبيل قدر من المال، أما عين العبد فنصف القدر المعين لغير النبيل والامر كذلك في سن من أسنانه. والمواد (٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥)، تحدد مقدارا من المال تعويضا عن لطمة من رجل لآخر من نفس طبقته، ولكن ان كان اللاطم اقل درجة فليجلد بسوط ٦٠ جلدة بشرط ان يكون ذلك علي رؤوس الاشهاد، اما إذا كان اللاطم عبدا تجرأ فلطم النبيل، فعقاب ذلك صلم اذنه لتكون عاهه تلازمه بقية حياته وتذكره بفعلته وهكذا كان قانون حمورابي اعترافا صريحا بنظام الطبقات الذي ساد المجتمع البابلي والذي قسمه إلي طبقة الاحرار ثم الطبقة الوسطي بين الاحرار والعبيد ولهم حق تملك العبيد، ثم طبقة العبيد الذين لم ينظر إليهم كبشر وانما كمتاع يتبع صاحبه.

وهكذا بينما يعترف القانون العراقي بأن الناس غير متساوين وان العقوبة تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الذي وقع منه الجرم، نري مصر الفرعونية تعلن في وثائقها الرسمية وفي توجيهات الفراعين لوزرائهم، الغاء مثل هذه الفوارق، وان الكل، كل الناس يعاملون علي قدم المساواة. وعندما قال افلاطون في مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم» ربما لم يكن يعلم الا قليلا ان مصر كانت قد اتخذت منذ الف وخمسمائة سنة خلت هذا المثل الاعلي، وحاولت ان تجعله حقيقة واقعة، أو أن هذا دليلا اخر علي ان افلاطون كان في مصر، وان ذلك الرأي استحوذ عليه هناك.

ومع ذلك فاننا نستطيع القول بأن قانون حمورابي قد تضمن بين ثناياه احكاما راقية يتقبلها المنطق في كل عصر، وان كانت هناك بعض احكامه التي يصعب علينا قبولها الا بمنطق الحياة في عصرها.

فمن أحكامه الراقية في شئون التقاضي والقضاء، انه ايما مواطن اتهم مواطنا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام، ثم لم يستطع أن يثبتها عليه قتل عوضا عنه. وإذا اتهمه بجريمة يعاقب عليها بالتجريم، ثم لم يستطع أن يثبتها

عليه دفع غرامتها. وانه ايما قاض أصدر حكمه ردون حكمه ووقع عليه ثم زور فيه لغرض ما وثبت ذلك عليه، أقيل من منصبه وحرمت عليه مناصب القضاء ودفع ما يوازي اثني عشر ضعفا من قيمة الشئ الذي الذي زور فيه.

وتضمنت مبادئه الراقية في مسئولية الدولة عن شئون الأمن. أنه إذا سرق مواطن ولم يتيسر القبض علي سارقه واسترجاع المسروقات، عوضته مدينته وحاكم اقليمه عما سرق منه بعد ان يعلنه ويثبت صحة دعواه أمام تمثال معبوده ورجال الادارة في بلدتهم (المادة: ٢٣) وإذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله وللاقتصاص منه، تعاونت المدينة وحاكم الاقليم علي دفع دية إلي أهله مقدارها مينا من الفضة(المادة: ٢٤)[1]. وإذا شبت حريق في دار مواطن وكلف آخر باطفائه فاستغل وجوده في الدار واختلس بعض متاعها، ألقي به في النار(المادة: ٢٥).

ومن مبادئه الراقية كذلك في تقرير حقوق المحاربين ومسئولياتهم، انه إذا افتدي ممول محاربا (ريدوم) أو (بايروم) من الاسر واعانوه علي العودة إلي بلده، رد المحارب فديته من املاكه المنقولة، فان لم يستطع تولاها عنه رب مدينته (اي حصل عليها من أملاك معبده)، فان لم يتيسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه(المادة: ٣٢) حتي لا يضطر إلي التضحية بأملاكه الثابتة التي تقطعها الدولة له في سبيل افتداء نفسه[2] (وكان اقطاع المحاربين يسمي كوك، وقد يتألف من حقل أو بستان أو دار، أو يضم الثلاثة جميعا، ويدفع عنه صاحبه ضريبة ويورث حق الانتفاع به لولده.الأكبر ولكن لا يحق له ان يبيعه أو يرهنه أو يورثه لزوجته أو لابنته ويمكن ان ينزع منه هذا الاقطاع بأمر ملكي ويوهب لشخص آخر.

وإذا استشهد محارب ، آلت املاكه إلي ولده (المادة: ٢٨)، فاذا كان ولده صغيرا تولت أمه ادارتها نيابة عنه ان استطاعت وربته من ريعها نظير انتفاعها

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤٦٢.

(٢) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٤٤٠.

بثلث ايرادها(المادة: ٢٩) فاذا لم يكن له ولد آلت اقتطاعيته إلي شخص آخر، ثم ظهر انه حي وعاد إلي بلده، حق له ان يسترد اقتطاعيته(المادة: ٢٧).

وأخذت تشريعات حمورابي بقوانين اشنونا من حيث حق المحارب الذي يؤسر في ديار الاعداء في ان يسترد زوجته اذا عاد إلي بلده، ولو كانت في فراش زوج آخر(المادة: ١٣٥) وحرم هذا الحق علي من ترك بلده كارها لها(المادة:١٣٦)، وحتمت علي زوجة الاسير ان تلزم داره مادام فيها ما يكفيها، وألا تلجأ إلي فراش آخر والا ألقي بها في النهر(١٣٣)، فاذا لم يكن لديها ما يقيم أودها، فلا بأس عليها فيما فعلت(المادة: ١٣٤).

وجعلت تدوين عقود القروض والمشاركة والامانات، وشهادة الشهود عليها، اساسا لحق التقاضي بشأنها(المواد: ٩٩، ١٢٢، ١٢٣)، وحددت ارباح القروض بالخمس (المادة: ٨٨) واشترطن سدادها بنفس المكاييل والاوزان التي أقرضت بها (المادة: ٩٤).

واحاطت تشريعات حمورابي افراد الاسرة وتقاليدها بضماناتها، وزادت علي ما نصت عليه تشريعات ايسين في حقوق الزوجة الأولي، فأباحت لها أن تسترق جاريتها ذات الولد ان تبينت منها تطلعا إلي مساواة نفسها بها واباحت لها بيعها ان كانت غير ذات ولد، حتي ولو كانت اثيرة عند زوجها. ولقد قرر رجل في عهد سين اوباليط والد حمورابي، في عقد زواجه ان علي زوجته الثانية ان تغسل قدمي زوجته الأولي وان تحمل لها مقعدها حتي ولو شاءت ان تذهب به إلي معبد مردوك) واكدت التشريعات حق الزوجة في استرداد بائنتها (شريقتو) حين طلاقها، ان لم تكن ناشزا، واضافت إلي بائنة المطلقة ذات الأولاد نصف أملاك زوجها لتستغله في تربية ابنائها حتي يبلغوا اشدهم، ثم تجتزيء منه نصيبا تستعين به علي زواج جديد ان استحبت فراقهم (المادة: ١٣٧). واضافت إلي بائنة المطلقة العاقر تعويضا يبلغ مينا من الفضة بالنسبة للطبقات العليا، وثلث مين بالنسبة لاهل الطبقات العادية (المواد: ١٣٨ - ١٤٠)، وردت بائنة الزوجة المتوفاة ذات الأولاد علي أولادها (المادة: ١٦٢)، وجعلت بائنة الزوجه

العاقر المتوفاة من حق أبيها بعد أن يسترد منها زوجة قيمة هدايا، اليها حين عرسها، وجعلت للزوج حق الوصية أو الهبة لزوجته دون اعتراض من ابنائه، وسمحت لها بأن تتنازل عن جزء من هذه الهبة لاولادها، ولكن دون الغرباء (المادة: ١٥٠) وأعترفت بحقها في ان تلزم بيت زوجها المتوفي الا إذا أرادت أن تتركه لتتزوج وحيذاك يكون لها حق الخروج ببائنتها دون هدايا عرسها (المادة: ١٧٢) وقضي المشرع علي من اتهم سيدة بسوء السلوك دون بينه اكيدة بحلق نصف شعره في ساحة القضاء (المادة: ١٢٧) - فإذا اتهمها زوجها ولم يقدم بينه علي فجرها، كفاها ان تقسم علي طهرها أمام معبودها وتعود إلي دار زوجها (المادة: ١٣١).

وفي مقابل هذه الضمانات الواسعة التي كلفتها التشريعات للزوجة، ألزمت الزوجة بواجبات زوجها. وبيتها، وبحيث إذا شكاها زوجها أمام مجلس المدينة وتبين اعضاؤه اهمالها لواجباتها الزوجية حرموها من بائنتها وسمحوا لزوجها بأن يتزوج عليها ويستبقيها في داره أن شاء ويلزمها بخدمته (المادة: ١٤١) فان تبينوا نشوذها واضرارها بزوجها ألقوا بها في النهر (المادة: ١٤٣) فان تثبت عليها الزنا ربطوها هي ومن زني معها وألقوا بهما في النهر، إلا إذا عفا عنها زوجها وعفا الملك عن عشيقها (المادة: ١٢٩)، فإذا تآمرت زوجة علي قتل زوجها من أجل عشيقها أعدمت علي الخازرق (المادة: ١٥٣).

وفصلت التشريعات صلات الأولاد بأبويهم، وحقوقهم في المواريث، فجعلت من حق كل ولد علي ابيه ان يعينه بمهر يتزوج به، فان مات الوالد دون ان يتزوج احد ابنائه أفرد له اخوته قيمة مهر يناسب ثروة ابيه قبل ان يقتسموا ميراثة (المادة: ١٦٦)، وكفلت نفس الامر بالنسبة للابنة وبائنتها... بحيث إذا مات أب دون ان يزوج ابنته ودون ان يخصص لها بائنة مسجلة أفرد لها اخوتها بائنة مناسبة من ميراثه (المواد: ١٧٨ - ١٧٩) وقيدت حق الوالد في حرمان ولده بحكم القضاء في مدي عصيانه، فان أدانوه آنذروه، فان لم يرتدع وافقوا علي حرمانه، وان تبينوا براءته حموه منه (المواد: ١٦٨ - ١٦٩)، وجعلت للابناء الذكور حصصا متساوية في ميراث ابيهم وبائنة أمهم، الا إذا أوصي الاب لولده

البكر وللابنه التي لم تتزوج تتقاسم مع اخوتها بمقدار الثلث من أملاك أبيها ولا يحق لها ان تتصرف فيها (المادة: ١٨١)، واستثنت من ذلك من ترهبت في معبد مردوك في بابل فسمحت لها بأن تستغل حصتها كما تشاء، وتهبها لمن تشاء بشرط الا ترث حقوقا اقطاعية، حتي لا تنتقل إلي أسرة غير أسرتها (المادة: ١٨٢).

ونصت التشريعات علي أنه إذا تزوج عبد بحرة احتفظ أولادها بحريتهم (المادة: ١٧٥) فإذا مات عنها زوجها استردت بائنتها وإذا كانت ذات ولد، قاسمت مولي زوجها المقتنيات التي شاركت زوجها فيها بعد زواجها به. واحتفظت بنصفها من أجل اولادها (المادة: ١٧٦ مكرر) وسمحت التشريعات للاب بحق الاعتراف بأولاده من جاريته، فإذا اعترف بهم شاركوا اولاده الشرعيين الميراث بشرط ان يتركوا لولده الشرعي البكر حق اختيار نصيبه بنفسه (المادة: ١٧٠) وان لم يعترف صراحة ببنوتهم حرموا من ميراثه، مع حرمان اخوتهم الشرعيين من استرقاقهم(المادة: ١٧١).

ونصت علي ان من باع جاريته أم أولاده، أو أجرها لآخر في سبيل سداد الضرائب المستحقة عليه، حق له ان يستردها من شاريها أو مستأجرها بنفس ما أدياه له في مقابلتها (المادة: ١١٩)، ولكنها حفظت مكانة الزوجة الأولي بالنسبة للجارية، بمثل ما قدمنا لها به، وبأن نصت علي انه إذا أهدت زوجة زوجها جارية فأحبها وشجعها ذلك علي ان تشارك الزوجة مكانتها، حق للزوجة ان تعيدها إلي الرق وتبيعها، فان كانت قد حملت منه أو ولدت له دمغتها بميسم المعبودية وأبقتها في دارها من أجل أولادها (المواد: ١٤٦ - ١٤٧).

وأباح المشرع ثلاثة ايام للمشاورة في شراء العبد أو الجارية، وشهرا يستطيع المشتري ان يعيد العبد خلاله إلي بائعه ويسترد ثمنه إذا تبين انه مصاب بصرع، فاذا انقضي الشهر كان مالكا له مسئولا عن الدعاوي التي تقام بشأنه. ونصت علي انه إذا اشتري رجل عبداً أو أمه من بلد غريب ثم عاد إلي بلده وتبين له ان العبد من أهل بلدته وملك لمواطن آخر، وطالبه به سيده، وجب تسليمه اليه

دون تعويض، فإذا كان العبد من بلد آخر دفع فيه سيده ما دفعه فيه مشتريه واسترده، فاذا انكر العبد تبعيته لسيده ثم ثبتت التبعية عليه صلم اذنه (المواد: ٢٧٨ - ٢٨٢).

وتضمنت لوحة من لوحات النخاسة التي اخذت بتشريع حمورابي، ولو أنها متأخرة عن عهده، ما يذكر اسم الجارية واسم بلدتها واسم سيدها واسم مشتريها، وقيمة ثمنها الاصلي وما زاده المشتري عليه، ثم سجل الكاتب اسمه وأشهد خمسة أشخاص علي لوحته.

ونظمت التشريعات امور التبني ، فسمحت للرجل بأن يتبني ولدا له، فان فعل، ثم تنكر له من تبناه وأبي أبوته وكان لقيطا وتطلع إلي اللحاق بأبويه بعد ان عرفهما قطع لسانه أو وفقئت عينه. وحرمت استرجاع المتبني إذا تبناه صانع رباه وعلمه صنعته، ولكنها من ناحية أخري، اجازت رجوع المتبني إلي ابويه إذا عرفهما ولم يكن متبنية قد اعترف به ولدا له، وأجازت ارجاع المتبني إلي ابويه إذا لم يعلمه متبينه الصانع حرفته، واشترطت علي من يتبني طفلا ثم يستغني عنه بعد ان ينجب اولادا من صلبه، الا يرده إلي اهله صفر اليدين، وان يهبه ما يساوي ثلث نصيب ولده من صلبه من ثروته المنقولة (المواد: ١٨٥ - ١٩٣).

وقضت التشريعات علي من ضرب أباه يقطع يده (المادة: ١٩٥)، وعلي من ضاجع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها (المادة: ١٥٧)، وعلي من ضاجع زوجة أبيه الارمل ذات الاولاد باستبعاده من أسرته (المادة: ١٥٨) وقضت بالنفي علي من يضاجع ابنته (المادة: ١٥٤)، وبالهلاك غرقا علي من يضاجع زوجة ابنه بعد دخوله بها (المادة: ١٥٥).

وعنيت التشريعات بأمور المعاملات التجارية، وتوسعت فيما تضمنه تشريع اشنونا وأيسين عن أجور العمال الزراعيين وشروط المشاركة في الزراعة والتجارة وتربية الاغنام والماشية وتعويضاتها، واجور المراكب تبعا لحمولتها وأجور حيوانات النقل والزراعة، واجور النساجين وصانعي الجلود والصناعة والبنائين وامثالهم، وكان خير ما زادته هو تحديد اجور الاطباء، ومراعاة الحالة

الطبقية والاقتصادية في معاملة المرضي، بحيث حدد أجرت العملية في البدن أو في العين بالنسبة للثري بعشرة شواقل، وبالنسبة للشخص العادي بخمسة شواقل، وبالنسبة للعبد بشقلين يتحملهما عنه سيده (المواد: ٢١٥ - ٢١٧). وحددت اجره العلاج العادي وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث بخمسة شواقل وثلاثة وشيقلين علي التوالي (المواد: ٢٢٠ - ٢٢٣)، ولم تنس في ذلك اجور علاج الحيوانات وتعويضاتها (المواد: ٢٢٤ - ٢٢٥).

كانت هذه أهم النواحي الطيبة في تشريعات حمورابي، أما ما يعاب عليها، فهو اعترافها بالتفاوت في الحقوق والعقوبات بين الطبقات، فهي وان استحدثت مبدأ العين بالعين والسن بالسن (المادة: ١٩٦) والولد بالولد، الا أنها أقصرت تطبيقه وامثاله علي افراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة بينما قضت بالتعويض المادي وحده جزاء اعتداء أحد افراد الطبقة العليا علي فرد من طبقة أخري اقل منزلة من طبقته، فجعلت عقوبة فقء عين العامي أو كسر عظمه نصف مين من الفضة، وجزاؤهما بالنسبة للعبد نصف ثمنه وإذا صفع رجل رجلا أرقي منه جلد يتم جلده علنا، واذا صفع رجلا من طبقته دفع مينا من الفضة، وإذا صفع عامي عاميا آخر دفع عشر شواقل من الفضة، وجعلت غرامة اجهاض امرأة من الخاصة عشرة شواقل فاذا ماتت قتلت ابنة قاتلها، وغرامة اجهاض امرأة من العامة خمسة شواقل، فاذا ماتت فديتها نصف مينا من الفضة، وغرامة اجهاض الامة شقلين فاذا ماتت فديتها ثلث مينا من الفضة (المواد: ١٩٦ - ٢١٤). وقضت بتغريم من يختلس شيئا من مقتنيات المعبد أو الحكومة ثلاثين ضعفا لما اختلسه، فان اختلسه من «موشكينوم» دفع عشرة اضعاف، فان كان معدما قتل (المادة: ٨)، اي انها فرقت بين غرامة سارق المعبد والدولة وبين عقوبة سارق المواطن العادي وجعلت الاعدام جزاء المفلس في الحالتين، وألزمت الابناء احيانا بجرائم آبائهم، فإذا أهمل معماري في عمله وانهار المنزل الذي بناه علي ابن صاحبه قتل ابنه، وإذا اجهض رجل سيدة من طبقته فماتت قتلت ابنته (المادة: ٢١٠).

واصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابي بالقسوة في مواجهة الاعتداءات علي النفس والمال والاضرار بمصالح الدولة، وليس من المستبعد ان تكون قد تعمدت ذلك لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها، أو لتقيدها بتعاليم دينية متشددة، أو لشيوع الفساد في مجتمعها وفيما قبل عهدها، فجعلت الاعدام عقوبة للتآمر علي مصالح الدولة وأمنها والوقوف في سبيل تنفيذ اوامرها كايواء ثائر أو مجرم هارب، أو التكتم علي مؤامرات قطاع الطرق (المادة: ١٠٩) أو التهرب من خدمة الجيش ولو عن طريق تقديم بديل، وعقوبة للضابط الذي وافق مثل هذا الابدال أو تكتم امره (المادة: ٢٣). وجعلت عقوبة الاعدام علي من يعتدي علي المعابد واملاك القصر، وعقوبة لمن يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها، وعقوبة لمن يسم فيه او يغير سيم سيده وبدون علمه (المواد: ٢٢٦ - ٣٢٧)، وعقوبة خطف الاطفال، واخفاء العبيد، ونقب الدور (المادة:٢١)، وعقوبة لمن يتجر في المسروقات، ومن يدعي ملكيته لاشياء مسروقة ثم يثبت تدنية (المواد: ١٠-٢١)، وعقوبة للكاهنة التي تفتح حانة أو تتردد عليها لتشرب فيها (المادة: ١١٠)، وعقوبة للمعماري الذي يتسبب اهماله في انهيار منزل علي صاحبه (المادة: ٢٢٦). وجعلت عقوبة للرؤساء الاداريين (ديكوم، ولوبوتوم) اذا حرموا جنديا مما انعم الملك عليه به، أو اغتصبوا متاع داره اثناء غيابه أو أجروها لصالحهم أو تخلوا عنها لصحاب نفوذ في ساحة القضاء (المادة: ٣٤)، وحرمت عليهم شراءها والا خسروا ما اشتروها به (المادة:٣٥).

وتضمنت التشريعات احكاما غريبة يأباها منطقنا الحالي وأن تقبلها عصرها، ومنها انه إذا اتهم مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر فكان علي المدعي عليه ان يلقي بنفسه في النهر، فاذا ابتلعه الماء ورثه الآخر، وإذا نجا أعدم من اتهمه وآلت املاكه اليه، وقضت انه إذا أدت العملية الجراحية إلي وفاة مريض حر أو إلي ذهاب نور عينه قطعت يد الطبيب (وليس ما يعرف ان كان ذلك مشروطا باهمال الطبيب ام لا)، فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده

عن حيـاته بعبـد مثله وعن عـينه بنصف ثمنه من الفضـه (المواد: ٢١٨ - ٢١٩)[١].

وسنورد فيما يلي مواد قانون حمورابي[٢].

مادة (١) إذا اتهم رجل رجلا آخر بجريمة قتل، ولم يقم عليه البينة قتل.

مـادة (٢): إذا اتهم رجل رجلا آخر بالسحر، ولم يقم عليه البينة، فعلي المدعي عليه أن يلقي بنفسه في النهر فإن غلبه النهر علي أمره وغرق، فليأخذ من اتهمه بالسحر ضيعته، أما إذا برأه النهر وخرج سالماً، يقتل من اتهمه بالسحر، ويأخذ هو (أي المدعي عليه) ضيعته.

مـادة (٣): إذا أدلي رجل بشهادة زور في قضية ما، ولم يستطع إثبات صحة كلماته التي نطق بها، فإن كانت تلك الدعوي تتصل بحياة (شخص) قتل.

مادة (٤): أما إن كانت شهادة الزور تتصل بالحبوب أو المال، فإنه سوف يتحمل جزاء شهادته.

مـادة (٥): إذا حكم قاض حكمـاً وأصدر قراراً، وحدث التصديق علي رقيم مختوم، ثم عدل في حكمه بعد ذلك، فعليهم أن يثبتوا أن ذلك القاضي قد غير الحكم الذي أصدره، وعليه أن يدفع اثنا عشر مرة قيمة الشكوي التي رفعت في تلك القضية، فضلا عن أن يطردوه أمام

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٣٩.

(٢) انظر:

T.J. Meek, "The Code of Hammurabi", in ANET, pp. 166 - 177.

ولقد قام بترجمة مواد القانون أو بعضها إلي اللغة العربية العديد من الباحثين والعلماء. انظر:

طه باقر: المرجع السابق، ص٢٩٤ وما بعدها.

عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص١٠٢ - ص١٣٤

محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٤١ - ص٦٦٤.

نجيب ميخائيل ابراهيم: المرجع السابق، ص٥٣ - ٨١.

البريشت جوتز (وآخرون): المرجع السابق، ص٩٥ - ١٣٢.

الجميع من فوق كرسيه للقضاء، وسوف لا يجلس ثانية أبداً مع القضاة في دعوي.

مادة (٦): إذا سرق رجل متاع إله أو متاع الدولة، فإنه يقتل، كما أن كل من وضع يده علي متاع مسروق يقتل.

مادة (٧): لو اشتري رجل، أو استلم كأمانة ذهباً أو عبداً أو جارية أو ثوراً أو نعجة أو جحشاً أو أي شئ آخر من يد رجل آخر أو عبده، بغير شهود أو عقود، فهو لص ويقتل.

مادة (٨) إذا سرق رجل ثوراً أو نعجة أو جحشاً أو خنزيراً أو قارباً... إن كانت للمعبد أو الدولة يدفع ثلاثين مرة قيمة الشئ المسروق، وإن كانت لمواطن قروي يدفع عشر أمثال قيمتها، وإن لم يكن ما يكفي لدفع التعويض يقتل.

مادة (٩): إذا عثر علي بضاعة مسروقة من رجل في حيازة آخر، وأقسم هذا الأخير «أن بائعاً باعني إياها واشتريتها في حضرة شهود»، وأعلن صاحب المسروقات «سأقدم الشهود علي أنها بضاعتي المسروقة» فإن المشتري مادام قد قدم البائع والشهود الذين تمت الصفقة أمامهم، وأن صاحب البضاعة قد قدم الشهود أيضاً علي ملكيته لها، فإن القضاة هم الذين يفصلون في النزاع، وعلي الشهود الذين تم الشراء بحضورهم، والشهود الآخرين الذين يشهدون بملكيتها لصاحبها، فليشهدوا بذلك في حضرة الإله، فإذا ثبت أن البائع لص يقتل، ويسترد صاحب البضاعة بضاعته، ويأخذ المشتري من إملاك البائع المال الذي دفعه.

مادة (١٠): إذا لم يرشد المشتري عن البائع الذي شراه البضاعة وعن الشهود الذين تم الشراء أمامهم، بينما قدم صاحب البضاعة شهوده، فالمشتري لص ويقتل، ويسترد صاحب المتاع متاعه.

مادة (١١): إذا لم يقدم صاحب المتاع المسروق شهوده علي ملكيته للبضاعة المسروقة، فهو مخادع غشاش ويقتل.

مادة (١٢): إذا مات البائع، فللمشتري الحق في أن يأخذ من أملاكه خمسة أمثال قيمة الدعوي في القضية.

مادة (١٣): إذا لم يستطع رجل تقديم شهوده، فللقاضي الحق في منحه أجلا لمدة ستة شهور، فإذا لم يحضر شهوده خلال الشهور الستة، فهو مخادع، وسوف ينال العقاب المحدد لهذه الحالة.

مادة (١٤): إذا سرق رجل ابناً صغيراً لسيد آخر يقتل.

مادة (١٥): إذا عاون رجل عبداً للدولة أو أمة للدولة، أو عبداً أو أمة لمواطن علي الهرب من بوابات المدينة فيقتل.

مادة (١٦): لو أوي في بيته عبداً أبقاً أو أمة هاربة، تابعاً للدولة أو ملكاً لمواطن، ولم يقدمهم حين نادي المنادي عليهم، فإن صاحب البيت يقتل.

مادة (١٧): إذا أمسك رجل بعبد آبق أو أمة هاربة خارج المدينة، ثم دفع به أو بها إلي المالك فإن صاحب العبد يدفع له شيقلين من الفضة.

مادة (١٨): إذا لم يعين العبد اسم صاحبه يأخذه إلي القصر حتي يتم التعرف عليه، ثم يرد إلي صاحبه.

مادة (١٩): أما إذا احتفظ بهذا العبد في بيته، ثم وجد فيما بعد أن العبد بقي في حوزته، قتل ذلك السيد.

مادة (٢٠): إذا هرب العبد من يد أسرة يؤكد السيد ذلك بقسم أمام رب صاحب العبد، ويطلق سراحه.

مادة (٢١): إذا أحدث رجل صدعاً في منزل يقتل أمام الصدع ويحشر بداخله ويسد عليه.

مادة (٢٢): أما إذا سرق وقبض عليه متلبساً، يقتل.

مادة (٢٣): إذا لم يضبط السارق، يقدم صاحب المسروقات تفصيلات بها في حضرة الإله، وعندئذ تعوضه المدينة التي وقعت السرقة فيها، وحاكمها، عن متاعه المسروق.

مادة (٢٤): إذا ما كان المسروق «حياة» (بمعني شخصا قتل) تدفع المدينة والحاكم مينا من الفضة لأهله.

مادة (٢٥): إذا شب نار في بيت رجل وجاء آخر لإطفائها، ثم رنا بعينيه إلي أموال صاحب البيت، وأخذ شيئا منها، فإن هذا الرجل يلقي به في هذه النار.

مادة (٢٦): إذا طلب ريدوم أو بايروم للإشتراك في حرب ملكية، ولم يذهب وإنما استأجر بديلاً عنه، فعقوبة الريدوم أو البايروم الاعدام، اما البديل عنه فإنه يحتجز في بيته ويحتفظ به.

مادة (٢٧): إذا أسر ريدوم أو بايروم، وهو في الخدمة المسلحة للملك، وسلمت أرضه وبساتينه إلي آخر، ارتبط بالتزاماته الإقطاعية فله حق استرجاعها عند عودته إلي المدينة ليرعي بنفسه التزاماته الإقطاعية.

مادة (٢٨): إذا أسر ريدوم أو بايروم في أثناء الخدمة المسلحة للملك وكان له ابن يستطيع أن يرعي التزاماته الإقطاعية، فإ الحقل والبساتين يعطيان له، وليرعي الالتزامات الإقطاعية لوالده.

مادة (٢٩): إذا كان الابن صغيراً جدا بحيث لا يستطيع التزامات أبيه الإقطاعية، تولت أمه إدارتها نيابة عنه، إن استطاعت، وربته من ريعها نظير إنتفاعها بثلث إيرادها.

مادة (٣٠): إذا أهمل الريدوم أو البايزوم حقله وحديقته وبيته بسبب الالتزام الإقطاعي ثم غاب، وبعد رحيله أخذ آخر حقله وبستانه وبيته، وأدي الالتزامات الإقطاعية مدي سنوات ثلاث، ثم عاد وطالب بحقله وحديقته وبيته، فلا يعطي له، إنها تصبح من حق أخذها ورعي التزاماتها الإقطاعية.

مادة (٣١): أما إذا غاب لمدة عام واحد فقط، ثم عاد يرد له بيته وحديقته ويرعي التزاماته الإقطاعية.

مادة (٣٢): لو أخذ ريدوم أو بايروم أثناء حرب ملكية فقام تاجر بدفع فديته، وبذلك مكنه من العودة إلي مدينته، فإن كان لديه في بيته ما يفدي نفسه به يفعل، وإن لم يكن يملك ما يفدي نفسه به يُفدي من أموال

المعبد في المدينة، وان عجز المعبد عن ذلك يفديه القصر، أما حقله وحديقته وبيته فلا يسلم مقابل الفدية.

مادة (٣٣): لو أن «ديكوم» أو «لوبوتوم» ساق رجالا معفيين من الخدمة الالزامية أو قبل وساق بديلا مستأجرا في حرب ملكية، فعقوبة هذا الديكوم أو اللوبتوم الاعدام.

مادة (٣٤): إذا اغتصب جاويش أو ضابط متاع جندي، أو أساء أحدهما إلي جندي أو استأجر أحدهما جندياً، أو أصدر حكماً ضده ظلماً لمصلحة من هو أعلي منه رتبة، أو اغتصاباً منحة منحها إياه الملك، فإن من فعل ذلك (الشاويش أو الضابط) يقتل.

مادة (٣٥): إذا اشتري رجل من يد جندي ماشية أو غنماً، كان الملك قد أعطاها للجندي فإنه يفقد نقوده.

مادة (٣٦): إن حقل الجندي أو حديقة أو متعلقات بيته - هو الريديوم والبايروم وتابع الإقطاعي - لا تباع.

مادة (٣٧) إذا اشتري رجل حقلا أو حديقة أو شيئاً من متعلقات بيت ريدوم أو بايروم أو تابع إقطاعي، فإن لوحة التعاقد تكسر، ثم يدفع ماله غرامة، مع إعادة الحقوق والحديقة والبيت إلي صاحبها.

مادة (٣٨): ليس من حق الريدوم أو بايروم أو تابع إقطاعي أن يتخلي عن حقله أو حديقته أو بيت إقطاعيته لزوجته أو ابنته، كما أنه ليس من حقه - بأي حال من الأحوال - أن يتنازل عنها مقابل التزام عليه.

مادة (٣٩): يجوز له أن يتنازل لزوجته أو ابنته من أي حقل أو حديقة أو بيت اشتراه ثم تملكه كنتيجة لذلك، كما يستطيع أن يعينهم لالتزام خاص به.

مادة (٤٠): يستطيع النادتيوم Naditum (طبقة من الكهنة) أو التاجر أو الإقطاعي الخاص أن يبيع حقله أو بستانه أو بيته. علي أن يتقبل الشاري التزام ما اشتراه.

مادة (٤١): إذا تملك رجل، عن طريق المقايضة، حقلا أو بستاناً أو بيتاً يخص ريدوم أو بايروم أو تابعا إقطاعياً، ثم دفع ثمناً إضافياً، فإن الريدوم أو البايروم أو تابع الإقطاعي يستطيع أن يستعيد ملكية حقله أو حديقته أو بيته، وأن يحتفظ بما دفع إضافياً.

مادة (٤٢): إذا استأجر رجل حقلا للزراعة، ولم ينتج منه حبوباً، فإن هذا يدل علي أنه لم يقم بعمل في الحقل، ومن ثم فعليه أن يعطي ملك الحقل حبوباً تقدر علي أساس إنتاج الأرض المجاورة.

مادة (٤٣): إذا أهمل الحقل ولم يقم بزراعته فعليه أن يدفع لمالك الحقل حبوباً تقدر علي أساس إنتاج الحقل المجاور، وأن يقوم بحراثة الحقل الذي أهمله، وأن يعيده إلي صاحبه.

مادة (٤٤): إذا استأجر رجل حقلاً بوراً لتحسينه - علي مدي سنوات ثلاث - غير أن كسله أدي إلي عدم تحسينه، فعليه في السنة الرابعة، أن يحرث أرضه، ويكسر كتله، ثم يعيده إلي صاحبه، بل وعليه أن يكيل له عشرة «كور» Kur من الحبوب، لكل ١٨ «إيكو» (Iku).

مثال (٤٥): إذا أجر مالك حقه لمستأجر وتسلم إيجار حقله، ثم أغرق «أدد» (إله الأمطار والرعد والفيضان) فيما بعد الحقل أو اجتاحه فيضان، فإن الخسارة إنما تقع علي المستأجر.

مادة (٤٦): أما إذا لم يكن قد تسلم الإيجار - سواء كان الإيجار في مقابل نصف أو ثلث المحصول - فإن المستأجر والمالك يقتسمان محصول الحقل من الحبوب.

مادة (٤٧): إذا طلب المستأجر من رجل آخر أن يزرع الحقل، لأنه لم يستطع استغلاله في العام الماضي، فليس لمالك الأرض أن يعترض، وعلي المستأجر الجديد أن يزرع حقله، وفي موسم الحصاد يأخذ الحبوب بما يتفق والعقود المبرمة.

مادة (٤٨): إذا كان علي شخص دين، ثم أغرق الإله أدد حقله أو اجتاحه فيضان، أو أن الحقل لم ينتج غلة لنفاذ الماء فسوف يعفي ذلك الشخص المدين في تلك السنة من تسديد الحبوب لدائنه، بل وتلغي لوحة العقد، ولا يدفع الفائدة عن تلك السنة.

مادة (٤٩): إذا اقترض رجل مالا من تاجر، ورهن له حقلا معداً للحبوب أو السمسم، وقال له: ازرع الحقل ثم اجمع المحصول وخذ الحبوب أو السمسم الذي تنتجه، وإذا كان المستأجر قد أنتج حبوباً أو سمسماً في الحقل، فإن صاحب الحقل نفسه يأخذ في موسم الحصاد الحبوب أو السمسم التي أنتجها الحقل، ويعطي للتاجر الحبوب في مقابل ماله الذي استدانه منه مع الفوائد، وما يقابل تكاليف الزراعة.

مادة (٥٠): إذا رهن حقلاً مزروعاً بالحبوب أو حقلا استنبت به السمسم، فإن صاحب الحقل يأخذ الحبوب أو السمسم الذي أنتجه الحقل، ثم يرد المال والفائدة إلي التاجر.

مادة (٥١): إذا لم يكن لديه المال، فإنه يعطي التاجر مقابل ماله حبوباً أو سمسماً، بسعر السوق الذي يحدده المالك، ذلك المال الذي استدانه التاجر مع فائدته.

مادة (٥٢): إذا كان المستأجر لم ينتج حبوباً أو سمسماً في الحقل، فليس من حقه أن يغير العقد.

مادة (٥٣): إذا لم يقم سيد سداً بسبب تقاعس منه، وأدي ذلك إلي انهيار السد وإغراق أرض مزروعة، فإن الرجل الذي اتصدع السد في أرضه يعوض عن الحبوب التي أصابها الدمار.

مادة (٥٤): إذا لم يكن قادراً علي التعويض، يباع هو ومتاعه، ويقتسم الفلاحون الذين أتلف الماء محصولهم ماله.

مـادة (٥٥): إذا أهمل رجل عند فتح قناته للري، واجتاح الماء حقلاً مجاوراً لحقله، فإنه يكيل تعويضاً بمقدار ما أصابه التلف.

مادة (٥٦): إذا فتح رجل الماء ثم تركه فأتلف ما تم من عمل في حقل مجاور، فعليه أن يدفع ١٠ «كوراً» في مقابل كل ١٨ «إيكو».

مـادة (٥٧): إذا لم يتفق راع مع صاحب حق لترعي أغنامه في الحشائش ثم تركها ترعي في الحقل دون موافقة صاحبه، فعندما يجمع صاحب الحقل المحصول، فعلي الراعي الذي رعي غنمه في الحقل دون موافقة صاحب الحقل، أن يدفع له ٢٠ «كوراً» من الحبوب، لكل ١٨ «إيكو».

مـادة (٥٨): إذا ساق الراعي الأغنام - بعد أن تركت المرعي، واحتجز القطيع كله داخل بوابة المدينة - إلي حقل ثم رعت فيه، فعليه أن يرعي الحقل الذي رعت فيه الأغنام، وأن يدفع في موسم الحصاد لصاحب الحقل، ٦٠ «كورا» لكل ١٨ «إيكو».

مادة (٥٩): إذا قطع رجل شجرة من بستان سيد آخر، دون موافقته يدفع نصف مينا من الفضة.

مـادة (٦٠): إذا سلم رجل بستاناً لبستاني لينشئ له بستاناً، فإن من حق البستاني أن يرعاه لمدة سنوات أربع، وفي السنة الخامسة يتقاسمه مناصفة مع صاحب الأرض، ومن حق صاحب البستان أن يحصل علي النصيب الأفضل.

مادة (٦١): إذا لم يقم البستاني برعاية الحقل كله، وترك جزءاً بوراً، يكون هذا الجزء البور من نصيبه.

مادة (٦٢): إذا كانت الأرض مزروعة، ولم يقم البستاني بتحويلها جميعاً إلي بستان، فعليه أن يدفع لصاحب الأرض إيجار الحقل عن السنوات التي أهمل فيها، علي أساس إنتاج الأرض المجاورة، كما يقوم بالعمل اللازم في الحقل وإعادته إلي صاحبه.

مادة (٦٣): إذا كانت الأرض بوراً، فإنه يقوم بالعمل اللازم في الحقل، ويعيده إلي صاحبه، ثم يكيل ١٠ «كورا» من الحبوب، لكل ١٨ «إيكور» من الأرض.

مادة (٦٤): إذا أعطي رجل بستاناً لبستاني لكي يلقحه، فإن البستاني يعطي لصاحب البستان ثلثي محصول البستان كإيجار طيلة استئجاره له، ويأخذ هو الثلث.

مادة (٦٥): إذا لم يقم البستاني بتلقيح البستان فتدهور المحصول، فإن البستاني يدفع إيجار البستان بما يعادل إيجار البستان المجاور.

مادة (٦٦): إذا اقترض رجل من تاجر، ولم يكن علي ميسرة ليدفع ما عليه حين يأتي وقت رد المبلغ فإذا أعطاه بستانه بعد التلقيح وقال له، خذ مالك تمراً بقدر ما أنتج البستان، فلا يسمح للتاجر بذلك، لأن لصاحب البستان أن يأخذ ما أنتج البستان من ثمر، ويدفع للتاجر مقابل ماله وفائدته، طبقاً لنص اللوحة (العقد)، كما لصاحب البستان بدوره أن يأخذ بقية التمر الذي أنتجه البستان.

مادة (٦٧)، (٦٨)، (٦٩)، (٧٠) تالفة.

مادة (٧١): لو قدم رجل حبوباً أو مالا أو بضائع لإقطاعية ولاية مجاورة يريد شراءها، فإنه يدفع غرامة ما سبق أن دفعه، وتعود الضيعة إلي صاحبها، وإذا لم يكن للضيعة التزامات إقطاعية، فله أن يشتريها مادام يدفع لمثل هذه الضيعة حبوباً أو مالا أو بضائع.

مادة (٧٢) إلي مادة (٧٧) تالفة.

مادة (٧٨): إذا أجر رجل بيتاً لرجل لمدة عام، ودفع المستأجر الأجر لصاحب البيت، ثم قال المالك للمستأجر - وعقده مايزال قائماً - اترك المنزل، فإن صاحب المنزل يدفع المال الذي دفعه المستأجر، لأنه طلب إليه ترك المنزل، وعقده مازال نافذ المفعول.

مادة (٧٩) إلي مادة (٨٧) تالفة.

مادة (٨٨): إذا أقرض تاجر حبوباً بفائدة، فيأخذ (٦٠) قو من الحبوب لكل «كور» كفائدة، ويأخذ سدس شاقل، ٦ سيات، لكل شاقل من الفضة، كفائدة.

مادة (٨٩): إذا لم يجد رجل ما يسدد به الدين، وعنده حبوب، يأخذ التاجر حبوباً، مقابل ماله مع فائدة تتفق وما يحدده الملك من سعر.

مادة (٩٠): إذا زاد تاجر ربح كور الغلة عن ٦٠ قو، وفائدة شيقل الفضة عن سدس شيقل وست سيات، فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه.

مادة (٩١): إذا أقرض تاجر حبوب بفائدة، ثم أخذ ماله بفائده كاملة من الحبوب، فإن الحبوب مع المال قد لا تسجل في دفتر حسابه.

مادة (٩٢) تالفة.

مادة (٩٣): إذا كان التاجر... أو لم يستنزل القدر الكافي من الحبوب الذي تسلفه، ولم يكتب عقداً جديداً، أو كان قد أضاف الفائدة إلي رأس المال، فإن التاجر يرد ضعف القدر الذي تسلمه من الحبوب.

مادة (٩٤): إذا أقرض تاجر بفائدة حبوباً أو مالا، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والحبوب بالمكيال الصغير، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير، فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه.

مادة (٩٥): إذا أقرض تاجر بفائدة حبوباً أو مالاً، وأعطي .... فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه.

مادة (٩٦): إذا استدان رجل حبوباً أو مالا من تاجر، ولم يكن لديه حبوباً أو مالاً ليرده، ولكن لديه بضائع أخري فإنه يعطي لتاجر ما يملكه أمام شهود، وعلي التاجر أن يقبل ذلك دون اعتراض.

مادة (٩٧) تالفة.

مادة (٩٨): إذا سلم سيد مالا لآخر لعمل شركة بينهما، فإنهما يقتسمان مناصفة الربح والخسارة أمام الإله.

مادة (٩٩): إذا أقرض تاجر مالا بفائدة لتاجر متجول بقصد التجارة، وأرسله إلي الطريق، فإن التاجر المتجول ... علي الطريق ... المال الذي عهد به إليه.

مادة (١٠٠): لو أعطي تاجر فضة لوكيل له بهدف التجارة وارسله في رحلة فصرف الوكيل الفضة التي أؤتمن عليها أثناء الرحلة، فإن ادرك (ربحا حيث) ذهب يضيف المبلغ الاجمالي الذي اقترضه ويحسبون ايام سفره ثم يرد للتاجر علي هذه الاسس.

مادة (١٠١): عندما لا يحقق التاجر المتجول Schamallum ربحاً، بصرف

النظر عن المكان الذي ذهب إليه، فإنه يدفع للتاجر ضعف ما اقترضه من مال.

مادة (١٠٢): إذا أقرض تاجر تاجراً متجولا قرض مجاملة وتحققت خسارته، حيث سافر، فإنه يعيد رأس المال للتاجر.

مادة (١٠٣): إذا هاجمه عدو في الطريق جعله يسلم له كل ما يحمل. فإن التاجر المتجول يقسم بالإله، ويطلق سراحه.

مادة (١٠٤): إذا أقرض تاجر غلة أو صوفاً أو زيتاً أو بضاعة ما إلي تاجر متجول، فعلي التاجر المتجول أن يسجل الثمن، وأن يدفعه للتاجر، وأن يستلم التاجر (أو البائع) المتجول، وصلاً مختوماً بالدراهم التي دفعها للتاجر.

مادة (١٠٥): إذا كان البائع المتجول مهملاً، ولم يحصل علي وصل مختوم بالمال الذي دفعه للتاجر، فإن المال الذي لم يحرر به وصل مختوم لا يمكن اعتباره عند اعتماد الحساب.

مادة (١٠٦): إذا استدان بائع متجول مبلغاً من تاجر ثم حدث نزاع، فإن التاجر عليه أن يثبت في حضرة الإله والشهود أن البائع المتجول استدان المبلغ، وعندئذ يدفع البائع المتجول إلي التاجر ثلاثة أمثال المبلغ موضوع الدين.

مادة (١٠٧): إذا عهد تاجر بشئ أو بائع متجول، ثم أعاد هذا إليه ما أعطاه، فإنه في حالة نزاع بينهما، وأنكر التاجر المتجول أنه تسلم شيئاً، فإنه علي التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالقسم ضد التاجر في حضرة الإله والشهود، وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشئ موضوع هذا النزاع.

مادة (١٠٨): إذا لم تستلم صاحبة حانة الحبوب ثمناً للشراب، وقبلت نقوداً بالوزن الكبير، وبذا جعلت سعر الشراب أقل من قيمة الحبوب، فإنهم يثبتون ذلك ضدها، ويلقون بها في ماء النهر.

مادة (١٠٩): إذا تجمع بعض المحتالون (المجرمون) في حانة، ولم تقبض عليهم صاحبة الحانة، ولم تأخذهم إلي القصر فإنها تقتل.

مادة (١١٠): إذا كانت «ناديتوم» (من طبقة الكاهنات أو «أنتيوم» Entum من (طبقة الراهبات) ممن لا يعيشون في دير، يفتتحون حانة أو يدخلون حانة لشراب، فالعقوبة الحرق.

مادة (١١١): إذا أعطت بائعة خمر قنينه من شراب «بيخوم» Pihum بالدين، فإنها تأخذ ٥٠ قو من الحبوب عند جمع المحصول.

مادة (١١٢): إذا كان رجل في رحلة تجارية، وأعطي فضة وذهباً وأحجاراً كريمة أو أية بضائع من متعلقاته إلي رجل آخر، وعهد إليه بنقلها، فإن هذا الرجل إذا لم يسلم ما كان يجب نقله إلي حيث كان يجب أن ينقل، بل أخذه لنفسه، فإن صاحب البضائع التي كان مفروضاً أن تنقل يجب أن يثبت الاتهام ضد الرجل الأخير، وعندئذ يدفع الرجل إلي صاحب البضاعة، التي كان يجب أن تنقل خمسة أمثال ما سلم إليه.

مادة (١١٣): إذا كان لرجل دين من حبوب أو مال علي آخر، ثم أخذ حبوباً من الشونة أو ساحة التذرية بغير موافقة صاحب الحبوب، فعليه أن يعيد كمية الحبوب التي أخذها، ثم يدفع كذلك غرامة كل شئ آخر كان قد اقترضه.

مادة (١١٤): إذا لم يكن لرجل حبوب أو مال لدي آخر، ثم احتجزه كرهينة، فإنه يدفع ثلث مينا من الفضة عن كل احتجاز.

مادة (١١٥): إذا كان لرجل دين حبوب أو مال لدي آخر ثم احتجز شخصاً كرهينة، ثم مات الرهينة ميتة طبيعية في بيت المحتجز، فليس هناك وجه لإقامة الدعوي.

مادة (١١٦): إذا كان موت الرهينة بسبب ضرب أو إساءة في بيت المحتجز، فإن صاحب الرهن عليه أن يثبت ذلك ضد تاجره، فإن كان ابناً للرجل قتل الابن، وإن كان عبداً دفع ثلث مينا من الفضة، وغرامة عن كل ما اقترضه.

مادة (١١٧): إذا حان وقت استحقاق دين علي رجل وكان قد باع (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط (هو نفسه) بالخدمة، فيجب عليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو المدينين له مدة ثلاث سنوات، ثم تعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة.

مادة (١١٨): إذا سخر عبد أو أمة للخدمة، ثم أراد التاجر إشهار البيع، فله أن يبيع، دون وجه لإقامة الدعوي ضده.

مادة (١١٩): إذا قام التزام علي سيد أدي إلي أن يبيع خدمات أمته التي ولدت أطفالا، فإن صاحب الأمة يستطيع أن يسترد أمته بعد أن يدفع ما كان التاجر قد دفعه.

مادة (١٢٠): إذا أودع رجل حبوبه في بيت رجل آخر، فخزنها وحدث تلف في الشونة، أو أن صاحب البيت فتح المخزن وأخذ حبوباً، أو أنكر تماماً أن تسلم حبوباً لتخزينها في بيته، فعلي صاحبها أن يبين تفصيلات حبوبه في حضرة الإله، وعندئذ يدفع صاحب البيت إلي مالك الحبوب ضعف ما أخذ من حبوب.

مادة (١٢١): إذا أودع رجل حبوباً في بيت أخر، فعليه أن يدفع ٥ قو من الحبوب لكل كور، مقابل تخزينها لمدة عام.

مادة (١٢٢): إذا أودع رجل لدي آخر فضة أو ذهباً أو أي شئ آخر لحفظه كأمانة، فيجب أن يبين بالشهود، مقدار ما أودعه، ثم يحرر عقداً، وعندئذ تتم عملية الحفظ (الإيداع).

مادة (١٢٣): إذا أودع شيئاً لحفظه بغير شهود أو عقد، ثم أنكر من تسلمها، فلا تقام الدعوي.

مادة (١٢٤): إذا أعطي رجل رجلاً آخر فضة أو ذهباً أو شيئاً آخر، كأمانة في حضرة شهود، ثم أنكر الواقعة فيجب إثباتها ضده، وعندئذ يدفع ضعف ما أنكر.

مادة (١٢٥): إذا أودع رجل متاعه كأمانة ثم اختفي المتاع حيث أودعه، كما اختفي متاع صاحب البيت بسبب دخول اللصوص أو عن طريق نقب الحائط، فإن صاحب البيت الذي كان إهماله سبباً في تبديد الأمانة، يجب أن يعوض صاحب البضائع، وعليه أن يبحث جدياً بحثاً كاملاً عن متاعه الضائع، ويأخذه من اللص الذي سرقه.

مادة (١٢٦): إذا لم يكن متاع الرجل قد سرق ولكنه أعلن «أن متاعي قد سرق» وبذا يحاول خديعة مجلس مدينته، فإن مجلس المدينة يستعرض الحقائق في حضرة الإله، وأن متاعه لم يسرق، وعندئذ يدفع لمجلس مدينته ضعف ما ادعي به.

مادة (١٢٧): إذا أشار رجل إلي كاهنة معبد أو إلي زوجة رجل آخر بسوء، ولكنه لم يستطيع إثبات شئ ضدها، فإن هذا الرجل يؤخذ إلي حضرة القضاة، ويقصون أيضاً نصف شعره.

مادة (١٢٨): إذا اتخذ رجل زوجة، ولكنه لم يحرر معها عقداً، فإن هذه المرأة ليست زوجته.

مادة (١٢٩): إذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل آخر، فيجب عليهم أن يوثقوا الاثنين ويلقونهما في ماء النهر، وإذا أراد الزوج الإبقاء علي حياة زوجته، ففي هذه الحالة يستطيع الملك أن يبقي علي حياة أحد رعاياه.

مادة (١٣٠): إذا اتصل رجل بخطيبة آخر، ولم يكن قد واقعها رجل من قبل، وكانت لا تزال في بيت أبيها، فإنه يقتل، أما المرأة فتطلق حرة.

مادة (١٣١): إذا اتهم رجل زوجته (بالزنا) ولم تضبط متلبسة مع آخر، عليها أن تقسم علي براءتها أمام الإله، وحينئذ تعود إلي بيتها.

مادة (١٣٢): إذا شهر رجل بزوجة رجل آخر، ولكنها لم تضبط متلبسة في حالة اضطجاع مع رجل آخر، فإنها تلقي بنفسها في النهر بمعرفة زوجها.

مادة (١٣٣): إذا أسر رجل وكان في بيته ما يكفي، فيتحتم علي زوجته ألا تترك منزله، وعليها أن تصون نفسها، وذلك بإن لا تدخل منزل شخص آخر، أما إذا لم تصن هذه المرأة نفسها ودخلت منزل شخص آخر، فإنهم يثبتون ذلك علي هذه المرأة، ويلقونها في الماء.

مادة (١٣٤): إذا أسر رجل، ولم يكن هنا في بيته ما يحفظ عليهم الحياة، فلزوجته أن تدخل بيت رجل آخر، ولا لوم عليها.

مادة (١٣٥): إذا لم يكن في بيت الأسير ما يكفي للإنفاق علي أسرته، ثم دخلت زوجته إلي بيت رجل آخر قبل عودته، وولدت له أطفالا، ثم عاد زوجها ووصل إلي مدينته، فإن هذه المرأة تعاد إلي زوجها الأول، ويبقي الأولاد مع أبيهم.

مادة (١٣٦): إذا هجر رجل مدينته وهرب ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله، فإذا عاد ورغب في استعادة زوجته، فلا تعود الزوجة إلي زوجها الهارب، لأنه احتقر مدينته وفر هارباً.

مادة (١٣٧): إذا قرر رجل أن يطلق كاهنة غير مكرسة (نوع من الكاهنات في مراحلهن الأولي) رزقت منه بأطفال، أو «أمة معبد» جاءته بأطفال، ترد إلي هذه المرأة مهرها، كما تعطي نصف حصة من مزروعات أو انتاج النول ويسمح لها أن تربي أولادها، ثم تعطي، بعد تربية أولادها، نصيباً مماثلاً لأي وريث مما يوزع علي أولادها، وهي بعد ذلك حرة في الزواج ممن تشاء حسب رغبتها.

مادة (١٣٨): إذا أراد رجل أن يطلق زوجته الأولي التي لم تنجب منه أطفالا، فعليه أن يدفع لها مالا بقيمة هدية زواجها، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التي جاءت بها من بيت أبيها، ثم بعد ذلك يطلقها.

مادة (١٣٩): إذا لم يكن هناك هدية زواج (مهر) فعليه أن يعطيها مينا من الفضة، ثم يطلقها.

مادة (١٤٠): إذا كان رجل مزارعاً يعطيها ثلث مينا من الفضة.

مادة (١٤١): إذا كانت زوجة رجل تعيش في بيته، ثم أرادت أن تترك البيت لتعمل، وبالتالي تهمل بيتها، ويستشعر زوجها المهانة، فيجب إثبات ذلك ضدها، وإن أراد زوجها أن يطلقها من أجل ذلك، فإنه يطلقها دون اعطائها أي شئ لإتمام الطلاق عند رحيلها، وإذا لم يرد أن يطلقها، فله أن يتزوج من غيرها، وتبقي الزوجة الأولي في بيت زوجها كخادمة.

مادة (١٤٢): إذا كرهت امرأة زوجها، حتي قالت له: لا تقربني فيجب دراسة قضيتها في مجلس مدينتها، فإذا كانت امرأة حريصة ولم ترتكب خطأ، رغم أن زوجها يخرج ويحط من قدرها كثيراً، فليس لهذه المرأة ذنب، ويجب أن تأخذ حقها المتأخر، وتذهب إلي بيت أبيها.

مادة (١٤٣): إذا لم تكن حريصة، وانما اعتادت علي أن تذهب خارج بيتها، وأن تحط من قدر زوجها، يلقي بها في ماء النهر.

مادة (١٤٤): إذا تزوج رجل من «أمة معبد» ثم قذفت جاريتها لزوجها ثم رزق

منها بأطفال، ثم قرر الرجل فيما بعد الزواج من كاهنة، فإنه لا يحق له الزواج منها.

مادة (١٤٥): إذا تزوج رجل من «ناديتوم» ولم يرزق منها بأطفال، فله الحق، إن أراد، أن يتزوج من كاهنة، ويأتي بها إلي بيته، ولكن هذه الكاهنة لا ترتفع إلي مرتبة الزوجة الأولي.

مادة (١٤٦): إذا تزوج رجل من «كاهنة» وأعطته جارية لها فحملت منه وجاءته بأطفال، فإذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها أنجبت أطفالا، فليس لسيدتها أن تبيعها، ولكن لها أن تدمغها بميسم الإماء، وأن تعدها من بين عبيدها.

مادة (١٤٧): أما إذا لم تكن ولودا، فمن حق سيدتها أن تبيعها.

مادة (١٤٨): إذا تزوج رجل بامرأة، ثم أصابتها الحمي، وأراد أن يتزوج مرة ثانية، فمن حقه أن يتزوج، ولكن لا يطلق زوجته التي أصيبت بالمرض، أنها تسكن في البيت الذي بناه، وعليه أن يقوم بإعالتها طالما كانت علي قيد الحياة.

مادة (١٤٩): أو إذا رفضت هذه الزوجة المريضة أن تعيش في بيت زوجها فإنه يعوضها عن مهرها الذي جاءت بها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تترك البيت.

مادة (١٥٠): إذا حرر رجل عقداً مختوماً عند اهدائه زوجته حقلاً أو بستاناً أو بيتاً أو متاعاً، فإن أولادها لا يستطيعون الدخول في دعوي ضدها بعد وفاة زوجها، ما دامت الأم تستطيع أن تمنح إرثها ابنها الذي تحبه، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه لغريب.

مادة (١٥١): إذا نصت امرأة في عقد زواجها أن دائني زوجها لا يستطيعون ارتهانها بمقتضي إبراز وثيقة مكتوبة، ثم حدث أن كان الرجل مديناً قبل الزواج من تلك المرأة فإن دائنيه لا يستطيعون احتجازها، كما أنها، إن كانت هي مدينة قبل دخولها إلي بيت زوجها، فإن دائنيها لا يستطيعون كذلك احتجاز زوجها.

مادة (١٥٢): إذا حدث الدين بعد دخول المرأة بيت زوجها، فعلي الاثنين تكون المساءلة أمام التاجر (يعني الدائن).

مادة (١٥٣): إذا تسببت امرأة في موت زوجها بسبب رجل آخر، توضع علي الخازوق حتي الموت

مادة (١٥٤): إذا زنا رجل بابنته فعليه أن يترك المدينة.

مادة (١٥٥): إذا اختار الرجل عروساً لابنه ودخل الإبن عليها ثم ضبط هو بعد ذلك متلبساً معها يربط ويلقي به في النهر.

مادة (١٥٦): إذا اختار رجل عروساً لولده، ولم يدخل عليها الابن، لكن الأب ضاجعها، فإنه يدفع لها نصف مينا من الفضة، ثم يرد لها كل ما جاءت به من بيت أبيها، حتي يستطيع الرجل الذي تختاره أن يتزوجها.

مادة (١٥٧): إذا ضاجع رجل أمه بعد موت أبيه يحرق كلاهما.

مادة (١٥٨): إذا ضبط رجل بعد موت أبيه متلبساً بمضاجعة مرضعته التي كانت حاملة أطفال، فإنه يقطع من بيت أبيه.

مادة (١٥٩): إذا جاء خاطب البنت إلي بيت حميه المقبل بهدية الخطبة، ودفع المهر، ثم أحب امرأة أخري وقال لحميه المقبل، سوف لا أتزوج من ابنتك، فإن والد الفتاة يحتفظ بكل ما جئ به له.

مادة (١٦٠): إذا جاء خاطب البنت إلي بيت حميه المقبل بهدية الخطبة، ودفع المهر، ثم قال له والد الفتاة: سوف لا أزوجك من ابنتي، فإنه يرد ضعف ما جئ له به.

مادة (١٦١): إذا جاء خطيب الإبنه إلي بيت حميه المقبل بهدية الخطبة، ودفع المهر، ولكن رجل بمنزلته وشي به، وقال والد الإبنة للخطيب سوف لا تتزوج من ابنتي، فإنه يرد ضعف ما جئ له به، أما الرجل الآخر الذي بمنزلته فلا يستطيع أن يتزوج من الفتاة.

مادة (١٦٢): إذا تزوج رجل من امرأة، ورزق منها بأطفال، ثم ماتت، فليس لأبيها أن يسترد بائنتها لأن هذه البائنة أصبحت ملكاً لأولادها.

مادة (١٦٣): إذا تزوج رجل من امرأة، ولم يرزق منها بأطفال، وأعاد له حموه المهر الذي كان قدمه إلي بيت حميه، فليس لزوجها أن يدعي حقاً في بائنتها، لأن هذه البائنة أصبحت من حق بيت أبيها.

مادة (١٦٤): إذا لم يرد حموه المهر، فإن المهر يستنزل بأكمله من بائنتها، وترد بقية البائنة إلي بيت أبيها.

مادة (١٦٥): إذا أهدي رجل إلي ابنه الوريث المحبوب في عينه حقلا أو بستاناً أو بيتاً وكتب له بذلك وثيقة مختومة، ثم جاء أخوته للتقسيم بعد وفاه أبيهم، فإنه يحتفظ بالهدية التي أعطاه إياها أبوه، ثم تقسم باقي تركة الأب بينهم بالتساوي.

مادة (١٦٦): إذا مات رجل دون أن يتزوج أصغر أبنائه، أفرد له أخوته قيمة مهر يناسب مهر الزواج من تركة أبيهم، قبل أن يقسموا تركته بعد موته، حتي يمكنوا الأخ الأصغر من الحصول علي زوجة.

مادة (١٦٧): إذا تزوج رجل من امرأة ورزق منها بأطفال ثم ماتت، فتزوج من بعدها بامرأة أخري، ورزق منها بأطفال كذلك، فعند موته لا يقتسم الأطفال التركة تبعاً لأمهاتهم، وإنما يأخذ كل فريق مهر أمهم، ثم تقسم تركة والدهم بعد ذلك بينهم بالتساوي.

مادة (١٦٨): إذا أراد رجل حرمان أحد أبنائه من تركته، وقال للقضاة: أريد حرمان ابني من الإرث، فإنهم يتحرون حالته، فإذا لم يكن الابن قد ارتكب ذنباً عظيماً يحرمه حقه في البنوة، فليس للأب الحق في أن يحرمه حقه في البنوة.

مادة (١٦٩): إذا كان قد ارتكب إثماً عظيماً يكفي لحرمانه من البنوة، فيجب العفو عن ذنبه الأول، فإن عاد فارتكب ذنباً عظيماً مرة ثانية، فللأب أن يحرمه.

مادة (١٧٠): إذا رزق رجل من زوجته الأولي بأطفال، ثم جاءته أمته أيضاً بأطفال، واعترف الزوج بهم في حياته، وقال «أطفالي» فعدهم كأطفال

الزوجة الأولي، فإن تركته تقسم بعد موته بالتساوي بين أطفال الزوجة الأولي وأطفال الجارية، علي أن يكون لولده البكر من الزوجة الأولي نصيب مفضل.

مادة (١٧١): إذا لم يعترف الأب في حياته بهم ويقول: أطفالي، لمن جاءت بهم الجارية، فإن أبناء الجارية لا يشاركون أبناء الزوجة الأولي في متاع الأب بعد وفاته، ولكن تحرر الجارية أولادها، وليس لأبناء الزوجة الأولي عليهم حق الخدمة، وتأخذ الزوجة الأولي بائنتها وهدية الزواج التي كتبها زوجها لها علي لوحة، وتعيش في بيت زوجها طيلة حياتها، دون أن يكون لها حق بيعه، لأنه ميراث يخص أولادها.

مادة (١٧٢): إذا لم يكن زوجها قد أعطاها هدية زواج، فترد لها بائنتها، وتأخذ من تركة زوجها ميراثاً يعادل أحد الأنصبة، وأن ضايقها أولادها لتترك الدار يتحري القضاة الأمر، ثم يلقون باللائمة علي أولادها، ولا تترك المرأة البيت، وأما إن أرادت ترك البيت، فعندئذ تتنازل لأولادها عن هدية زواجها التي اعطاها إياها زوجها، ولكن تأخذ بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها، حتي يتزوجها الرجل الذي تختاره.

مادة (١٧٣): إذا انجبت المرأة التي سبق لها الزواج والانجاب من زوجها الثاني. فعند وفاتها تقسم بائنتها بين أطفالها من زوجيها الأول والثاني.

مادة (١٧٤): إذا لم ترزق بأطفال من زوجها الثاني فإن بائنتها تقسم بين أطفالها من زوجها الأول فقط.

مادة (١٧٥): أما إذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنه رجل حر، ورزقت منه بأطفال. فليس لسيد العبد أن يطالب بأبناء السيدة عبيدا له.

مادة (١٧٦): إذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر، ثم دخلت إلي بيت زوجها - عبد القصر أو عبد لمواطن - ببائنتها وارتبطا ببعضهما ثم أسسا بيتاً، وجعلا فيه أثاثاً، ثم مات العبد، فإن ابنه السيد تأخذ بائنتها، وأما ما اشتركت في شرائه مع زوجها، بعد ارتباطهما، فيقسم

إلي قسمين، يأخذ صاحب العبد النصف، وتأخذ هي لابنها النصف الآخر لاطفالها.

مادة (١٧٦) مكرر: أما إذا لم يكن لابنه السيد بائنة، فإن ما اشتركت في شرائه مع زوجها - بعد ارتباطهما - إلي قسمين، يأخذ صاحب العبد نصفاً، وتأخذ هي لأولادها النصف الثاني.

مادة (١٧٧): إذا كان لأرملة أطفال قصر، وأرادت دخول بيت رجل، فليس لها ذلك إلا بموافقة القضاة ثم يتحررون تركة زوجها السابق، ثم يعهدون إلي زوجها الثاني برعاية تركة زوجها السابق، وتحرر وثيقة بينهم وبين المرأة بهدف رعاية التركة وتربية الأطفال القصر، وعدم بيع متاع البيت، ذلك لأن من يشتري متاع بيت أطفال أرملة يخسر ماله، ويعاد المتاع إلي أصحابه.

مادة (١٧٨): في حالة الراهبة أو الـ «ناديتوم» أو المنذورة (زيكروم = - ZI IK - RU - UM التي كتب لها أبوها وثيقة عند تقديمه لبائنتها، فإذا لم يكن الأب قد سمح لها بتوريثها لمن تشاء، ولم يعطها مطلق التصرف بعد موته، فإن أخوتها يأخذون حقلها وبستانها، ولكن عليهم إطعامها، وكذا أعطائها زيتاً وملابس مناسبة تعدل قيمة نصيبها، بحيث تبدو راضية، فإذا لم يفعلوا، فلها أن تعطي حقلها وبستانها إلي أي مستأجر تختاره، وعلي المستأجر أن يرعاها، ما دامت تستولي علي ثمار الحقل والبستان أو ما منحها أبوها طيلة حياتها، دون حق التصرف ببيع أو التوصية للغير، لأن نصيبها يخص أخوتها من بعدها.

مادة (١٧٩): في حالة الراهبة أو «ناديتوم» أو المنذورة، التي كتب لها أبوها عند تقديم البائنة صكاً مختوماً، وسجل في اللوحة التي كتبها موافقتها علي أن تتصرف في ميراثها كما تشاء، فلها - بعد وفاته - أن تسلم ميراثها لمن تشاء، وليس لأخوتها حق الدعوي ضدها.

مادة (١٨٠): إذا لم يقدم لابنته «ناديتوم» في دير أو منذورة، فمن حقها بعد وفاته أن تأخذ من متاعه نصيباً مماثلاً لأي وريث، علي أن تستمتع

باستثماره طيلة حياتها فقط، لأن نصيبها في الميراث إنما ملك لأخوتها بعد وفاتها.

مادة (١٨١): إذا كرّس الأب ابنته علي أن تكون «ناديتوم» أو «عاهرة مقدسة» أو «كولما شيتوم» (متعبدة) ولم يقدم لها بائنة، فبعد موته تأخذ نصيباً من تركته، بمقدار الثلث، علي أن تستثمره طوال حياتها فقط، لأنه يخص أخوتها.

مادة (١٨٢): إذا كان الأب لم يقدم بائنة لابنته التي تعمل «ناديتوم» في معبد مردوك في بابل، ولم يسجل لها وثيقة مختومة، فلها بعد وفاة أبيها ثلث تركته، علي أن لا ترث أية حقوق اقطاعية ولكن لها حق منح ميراثها لمن تشاء.

مادة (١٨٣): إذا حرر الأب وثيقة مختومة لابنته الكاهنة عند تقديم بائنتها، فمن حقها بعد موت أبيها أن تأخذ نصيبها في تركته.

مادة (١٨٤): إذا لم يعط أب لابنته الكاهنة غير المكرسة مهرا لانه لم يعطها لزوج، فعلي أخوتها - بعد موت الأب - أن يقدموا لها مهراً مناسبا يتناسب مع قيمة التركة التي خلفها الأب، وأن يزوجوها الرجل الذي ترغب (ويريدها).

مادة (١٨٥): إذا تبني رجل ولداً واعطاه اسمه ورباه، فإن الطفل المتبني لا يسترجع اطلاقاً.

مادة (١٨٦): إذا تبني رجل ولداً ثم اصر الولد بعد ذلك أن يبحث عن أبويه الحقيقيين، فللطفل أن يعود إلي بيت أبيه.

مادة (١٨٧): الابن المتبني لموظف أو خادم في القصر أو منذور، لا يرد إطلاقاً.

مادة (١٨٨): إذا اتخذ حرفي ولداً متبني وعلمه حرفته، فمن حقه ألا يرده أبداً.

مادة (١٨٩): إذا لم يكن قد علمه حرفته، فيمكن أن يعود الطفل المتبني إلي بيت أبيه.

مادة (١٩٠): إذا لم يعتبر رجل الطفل الذي تبناه ورباه من بين أولاده، فمن حق الطفل المتبني أن يعود إلي بيت أبيه.

مادة (١٩١): إذا تبني رجل ولداً ثم أقام له بيتا، ثم رزق بأولاد فيما بعد، ورغب في إبعاد المتبني، فلا يرد إلي أهله صفر اليدين، وإنما يهبه ما يساوي ثلث ما يملك من الأموال دون مزروعات الحقل والبيت

مادة (١٩٢): إذا قال متبني موظف القصر أو المنذور لأبيه وأمه بالتبني: لست أبي أو لست أمي، يقطع لسانه.

مادة (١٩٣): إذا وجد متبني القصر أو المنذور أبويه، وكره أباه وأمه بالتبني، ثم ذهب إلي بيت أبويه، تقلع إحدي عيناه.

مادة (١٩٤): إذا أعطي ولده لمربية ثم مات وهو تحت رعايتها، فإنه في حالة تعاقد المربية مع ابن آخر، دون علم الأب والأم، فعليهما أن يثبتا ذلك ضدها، ثم يقطعان ثدييها، لأنها تعاقدت مع ابن آخر دون علم ابيه وأمه.

مادة (١٩٥): إذا ضرب ولد أباه تقطع يده.

مادة (١٩٦): من تسبب في إتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه.

مادة (١٩٧): من كسر عظمة رجل آخر تكسر عظمته.

مادة (١٩٨): إذا فقأ سيد عين رجل من العامة أو كسر إحدي عظامه، يدفع له مينا من الفضة.

مادة (١٩٩): من أفقد عبداً عينه أو إحدي عظامه يدفع نصف مينا من الفضة.

مادة (٢٠٠): من يسقط سن رجل من طبقته تكسر سنه.

مادة (٢٠١): من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة.

مادة (٢٠٢): من يلطم خذ آخر أعلي منه مرتبة يجلد ستين جلده بسوط من جلد الثور علناً.

مادة (٢٠٣): إذا لطم نبيل نبيلاً آخر يدفع مينا من الفضة.

مادة (٢٠٤): إذا لطم رجل من العامة خد آخر من طبقته يدفع ١٠ شواقل من الفضة.

مادة (٢٠٥): إذا لطم عبد خد نبيل تلصم أذنه.

مادة (٢٠٦): إذا ضرب رجل في معركة رجلاً آخر فأصابه، فعليه أن يقسم قائلاً: أنا لم أضربه عمداً، وعليه أيضاً أن يدفع أجر الطبيب.

مادة (٢٠٧): إذا مات بسبب الضربة فيقسم نفس القسم، فإذا كان من النبلاء يدفع نصف مينا من الفضة.

مادة (٢٠٨): إذا كان من العامة يدفع نصف مينا من الفضة.

مادة (٢٠٩): إذا ضرب رجل ابنة رجل آخر وأجهضت يدفع ١٠ شواقل من الفضة بسبب إجهاضها.

مادة (٢١٠): إذا ماتت المرأة قتلت ابنته.

مادة (٢١١): إذا وقعت الإصابة علي ابنة رجل من العامة يدفع ٥ شواقل من الفضة.

مادة (٢١٢): إذا ماتت هذه المرأة يدفع نصف مينا من الفضة.

مادة (٢١٣): إذا ضرب أمة فأجهضها يدفع شاقلين من الفضة.

مادة (٢١٤): إذا ماتت الجارية يدفع ثلث مينا من الفضة.

مادة (٢١٥): إذا باشر طبيب عملية كبيرة لرجل بسلاح من البرونز فأنقذ حياته، ثم فتح خراجاً بعين رجل بسلاح من البرونز فأنقذ العين، فأجره عشرة شواقل من الفضة.

مادة (٢١٦): إذا كان من العامة يأخذ ٥ شواقل.

مادة (٢١٧): إذا كان عبداً فإن صاحب العبد يعطي شاقلين للطبيب.

مادة (٢١٨): إذا أجري طبيب عملية كبيرة لرجل بآلة برونزية وسبب وفاة الرجل، أو فتح خراجاً في عينه فأتلفها، تقطع يده.

مادة (٢١٩): إذا أجري طبيب عملية كبيرة لعبد بآلة برونزية، وسبب وفاته، دفع التعويض عبداً بعبد.

مادة (٢٢٠): إذا أجري العملية علي عين العبد بآة برونزية، فأتلفها، يدفع نصف ثمنه بالفضة.

مادة (٢٢١): إذا أصلح طبيب عظمة مكسورة أو شفي تمزقاً عضلياً، يدفع المريض ٥ شواقل للطبيب.

مادة (٢٢٢): إذا كان ابن شخص من العامة يدفع ثلاثة شواقل من الفضة للطبيب.

مادة (٢٢٣): إذا كان عبداً دفع صاحبه شاقلين من الفضة.

مادة (٢٢٤): إذا قام طبيب بيطري بإجراء عملية كبيرة لثور أو حمار وأنقذ حياته، يدفع صاحبه للطبيب البيطري سدس ثمنه من الفضة.

مادة (٢٢٥): إذا أجري عملية كبيرة لثور أو حمار وتسبب في موته يعطي لصاحب الثور أو الحمار خمس ثمنه.

مادة (٢٢٦): إذا محا رجل ممن يقومون بالوشم علامة عبد لرجل آخر، دون موافقة صاحب العبد، تقطع يده.

مادة (٢٢٧): إذا خادع رجل أحد المختصمين بالوشم بحيث أزال علامة العبد من عبد لرجل آخر، يقتل ذلك الرجل، ويعلق علي باب بيته، ويقسم المختص بالوشم قائلاً: أنا لم أقم بإزالته عن علم، ثم يطلق سراحه.

مادة (٢٢٨): إذا بني بناء لرجل بيتاً وأنجزه له، يعطيه شاقلين من الفضة لكل «سار» Sar من البيت (والسار ٤٢,٢ ياردة مربعة) أجراً له.

مادة (٢٢٩): إذا قام بناء بتشييد البيت، ولكنه لم يقم بعمله جيداً، فانهار البيت الذي بناه وتسبب في وفاة صاحب المنزل، يعدم البناء.

مادة (٢٣٠): إذا تسبب في وفاة ابن صاحب البيت، يعدم ابن البناء.

مادة (٢٣١): إذا تسبب في موت عبده، يعوضه بعبد لصاحب البيت.

مادة (٢٣٢): إذا تسبب في إتلاف متاع فيعوض كل ما أتلف، وإذا لم يقم البيت متيناً فانهار، يعيد البناء البيت الذي انهار علي نفقته.

مادة (٢٣٣): إذا بني بناء بيتاً لرجل، ولم يكن عمله مأموناً بحيث أصبح الحائط خطراً وغير مأمون، يدعم الحائط علي نفقته.

مادة (٢٣٤): إذا صنع مراكبي مركباً لرجل سعتها ٦٠ كوراً، فأجره شاقلان من الفضة.

مادة (٢٣٥): إذا صنع المراكبي المركب ولم يقم بعمله جيداً، بحيث تفكك أحد أقواسه في نفس السنة، ثم ظهر أن هذا العيب من المراكبي، يفك المراكبي القارب ويقويه علي نفقته، ويسلمه لصاحبه.

مادة (٢٣٦): إذا أجر سيد مركبه وأهمل المراكبي بحيث غرق أو غاص، يعوض صاحب المركب بمركب آخر.

مادة (٢٣٧): إذا استأجر سيد مركباً وحملها بالحبوب والصوف والزيت والملح أو أي نوع من الحمولة، ثم أهمل المراكبي حتي قامت المركب وضاعت حمولتها، يعوض المراكبي صاحب الحمولة بمقدار ما غاص وما فقد.

مادة (٢٣٨): إذا أغرق مراكبي مركب رجل آخر، ثم أعاد تعويمها، يدفع نصف قيمتها فضة.

مادة (٢٣٩): إذا أجر سيد مراكبياً، يدفع له ٦ كور من الحبوب في السنة.

مادة (٢٤٠): إذا اصطدم قارب تجديف بمركب شراعي وأغرقها، فعلي صاحب المركبة الغارقة أن يقدم التفصيلات في حضرة الإله بما فقد من المركب، وعلي صاحب قارب التجديف أن يعوض صاحب المركب عن بضاعته المفقودة.

مادة (٢٤١): إذا احتجز سيد ثوراً كرهينة يدفع ثلث مينا من الفضة.

مادة (٢٤٢ - ٢٤٣): إذا استأجره رجل لمدة عام، يعطي ٤ كور من الحبوب كإيجار لثور الجر، ٣ كور من الحبوب كإيجار لثور الشد الصغير.

مادة (٢٤٤): إذا استأجر رجل ثوراً، ثم قتله أسد في الخلاء، فإ الخسارة تعود علي صاحبه.

مادة (٢٤٥): إذا استأجر رجل ثوراً، وتسبب في موته بإهماله إياه أو ضربه، يعوض صاحب الثور بثور آخر.

مادة (٢٤٦): إذا استأجر رجل ثوراً، ثم كسر قدمه أو أحدث قطوعاً في عضلة رقبته، يعوض صاحب الثور بثور آخر.

مادة (٢٤٧): إذا استأجر رجل ثوراً، ثم أتلف عينه، يدفع لصاحب الثور نصف قيمته فضة.

مادة (٢٤٨): إذا استأجر رجل ثوراً، ثم كسر قرنه أو قطع ذيله أو أصاب لحم ظهره، يدفع ربع قيمته فضه.

مادة (٢٤٩): إذا استأجر رجل ثوراً، ثم ضربه الإله فمات، فمستأجر الثور يثبت ذلك عن طريق الإله ثم يطلق حراً.

مادة (٢٥٠): إذا نطح ثور رجلاً أثناء سيره في الشارع، فمات الرجل، فليس الأمر موضوع دعوي.

مادة (٢٥١): إذا كان هناك ثور لرجل معروفاً بالنطح، وأخطره مجلس مدينته بذلك، ولكنه لم يخفف قرنيه أو يربطه، ثم نطح الثور نبيلا فمات، يدفع نصف مينا من الفضة.

مادة (٢٥٢): إذا كان المقتول عبداً، يدفع ثلث مينا من الفضة.

مادة (٢٥٣): إذا استأجر رجل رجلاً ليشرف علي حقوله، وأقرضه حبوباً، وعهد إليه بالشيران، وتعاقد معه علي زراعة الحقل، ثم سرق الرجل الحبوب أو العلف، ثم وجدت مع متعلقاته، تقطع يده.

مادة (٢٥٤): إذا اختلس علف القطيع فجاعت الشيران، يعوض بمقدار ضعف ما أخذه من حبوب.

مادة (٢٥٥): إذا أجر ثيران الرجل أو سرق حبوب البذر، وبالتالي لم يزرع الحقل، يثبت الأمر ضده، وفي موسم الحصاد يكيل ٦ كور من الحبوب لكل ١٨ إيكو.

مادة (٢٥٦): إذا لم يكن قادراً علي الوفاء بالتزاماته، يؤخذ به إلي الحقل، حيث تجره الثيران.

مادة (٢٥٧): إذا استأجر سيد مزارعاً، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام.

مادة (٢٥٨): إذا استأجر راعي غنم، يعطيه ٦ كورا من الحبوب كل عام.

مادة (٢٥٩): إذا سرق رجل محراثاً من حقل، يدفع ٥ شواقل فضة لصاحب المحراث.

مادة (٢٦٠): إذا سرق أداة بذر، أو تقليب أرض، يدفع ٣ شواقل من الفضة.

مادة (٢٦١): إذا استأجر رجل راعياً ليرعي غنمه أو ماعز، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام.

مادة (٢٦٢) تالفة.

مادة (٢٦٣): لو أضاع [الثيران] أو الخراف التي أوكلت إليه رعايتها، يعوض الثور بالثور والماعز بالماعز لصاحبها.

مادة (٢٦٤): إذا كان الراعي الذي عهد إليه بالماشية أو النعاج لترعي قد تسلم أجره كاملا، وفق رضاه، ثم ترك الماشية والنعاج تتناقص، فقلل بذلك النسل، يعطي لصاحبها زيادة وربحاً طبقاً لشروط العقد.

مادة (٢٦٥): إذا كان الراعي الذي عهد إليه بالماشية أو النعاج لترعي قد أصبح غير أمين،، غير علامات الماشية أو باعها، يثبت ذلك ضده، وتعوض الماشية أو النعاج لصاحبها عشرة أمثالها.

مادة (٢٦٦): لو حلت كارثة سماوية، أو قتل أسد بعضه، يبرئ الراعي نفسه في حضرة الإله، ولكن صاحب الماشية يأخذ منه جثة الحيوان الذي ضرب من بين أفراد القطيع.

مادة (٢٦٧): إذا أهمل راع بحيث ترك العرج يدب في القطيع، يعوض صاحبها بمقدار الخسارة عن طريق العرج.

مادة (٢٦٨): إذا استأجر رجل ثوراً للدرس والتذرية يدفع ٢٠ قو من الحبوب.

مادة (٢٦٩): إذا استأجر رجل حماراً للدرس والتذرية بدفع ١٠ قو من الحبوب.

مادة (٢٧٠): إذا استأجر رجل نعجة للدرس والتذرية يدفع ١ قو من الحبوب.

مادة (٢٧١): إذا استأجر ثيراناً أو عربة وسائقاً للعربة يدفع ١٨٠ قو عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٢): إذا استأجر رجل عربة وحدها يدفع ٤٠ قو عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٣): إذا استأجر رجل عاملا ويعطيه ٦ سيات من الفضة عن اليوم الواحد منذ بداية السنة حتي الشهر الخامس، ومن الشهر الخامس إلي نهاية السنة يدفع ٥ سيات عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٤): إذا استأجر رجل صانعاً يدفع له يومياً كأجر لـ ٥ سيات من الفضة، وكأجر لصانع الطوب ٥ سيات من الفضة، وكأجر للنساج .... سيات من الفضة، وكأجر لصانع الأختام ... سيات من الفضة، وكأجر للجوهري ... سيات من الفضة .... (الأجور غير مبينة) ....

مادة (٢٧٥): إذا استأجر رجل زورقاً، يدفع ٣ سيات من الفضة عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٦): إذا استأجر رجل قارب تجديف يدفع ٢٣/١ سيات من الفضة عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٧) إذا استأجر سيد مركباً سعته ٦٠ كورا، يدفع سدس شاقل من الفضة عن اليوم الواحد.

مادة (٢٧٨): إذا اشتري سيد عبداً أو أمة، ولم يمض شهر ثم أصيب بصرع، يعيده إلي بائعه، ويسترد ماله الذي دفعه.

مادة (٢٧٩): إذا اشتري سيداً عبداً أو أمة، ثم تلقي دعوي ضد أحدهما، فالبائع هو المسئول عن الدعوي.

مادة (٢٨٠): إذا اشتري سيد في بلد أجنبي عبداً أو أمة، ثم عاد إلي بلده، فتعرف صاحب العبد أو الأمة علي عبده أو أمته، فإذا كان العبد أو الأمة من أهل البلد، يحرران دون مال.

مادة (٢٨١): إذا كانا من أهل بلد آخر، يقرر المشتري أمام الإله مبلغ ما دفعه، ثم يعطي صاحب العبد أو الأمة للتاجر ما دفعه من مال، وهكذا يشتري حرية عبده أو أمته.

مادة (٢٨٢): إذا قال عبد لسيده: لست سيدي، يثبت سيده أنه عبده، وعندئذ تصلم أذنه.

وأشار حمورابي في خاتمة قوانينه إلي أنها قوانين العدالة التي وضعها «حمورابي» الملك المجتهد وأقام بواسطتها للبلاد قيادة رشيدة وحكومة عادلة[1].

وبالاضافة إلي هذه القوانين فلقد وصلنا أيضا من خلال هذه المرحلة العديد من القوانين، حيث درجت العادة خلال العصر البابلي القديم أن يعلن الملوك في بداية عهدهم عن قانون للعدال والمساواة، وكانت هذه القوانين تتعلق بمواضع

---

(١) انظر: T.J. Meek, op. cit., pp. 177 - 180.

الاعفاء من الديون والالتزامات الاخري بصورة رئيسية. ومن هذه المراسيم التي وصلتنا مرسوم أميصا دوقا Ammisaduqa وهو الحاكم العاشر من أسرة حمورابي في بابل (١٦٤٦ - ١٦٢٦ ق.م) ومما جاء فيه (١).

* يسامح طيه المتأخرون من وكلاء المزارع والرعاة Susikku (وكلاء) المقاطعات وأتباع التاج الآخرين، عن سداد ديونهم الموثقة وكمبيالاتهم. ويمكن أن لا يتقاضي الموظف الجابي إتاوة التاج عن ديونهم.

* علي الموظفين الجباة أن لا يطالبوا [...] «سوق» بابل و«أسواق» الريف وموظف الـ raibnum الـ ... في اللوح بدفع ديونهم المستحقة علي الأراضي التي عفا عنها الملك بدءً من (= العام الحادي والعشرين لأميديتانا Ammidi-tana) وحتي شهر نيسان من عام أميصادوقا Ammisaduqa الملك، الذي عظم من شأنه إنليل، والذي نهض بصمود وساد علي بلده وأقام العدل بين الرعية بكافة فئاتها (= السنة الأولي لأميصادوقا) وذلك لأن الملك تعطف بميشاروم للأرض.

* كل من قدم شعيراً أو فضة لأكادي أو عموري كقرض بفائدة أو علي أساس الـ melqetum الضريبة [أو ....] أو قام بتسجيل مستند - يعتبر مستنده لاغياً لن يكون قادراً أن يحصل شعيراً أو فضة علي أساس مستنده، لأن الملك ترأف وأصدر ميشاروم للأرض.

* (النص A) لو قدم شخص لشخص آخر شعيراً أو فضة كقرض بفائدة ونظم وثيقة بذلك محتفظا بالوثيقة في حيازته ثم قال للمدين «إنني بالتأكيد لم أقدم القرض لك كقرض بفائدة أو علي أساس الـ melqetum (الضريبة)، وإنما كان الشعير أو الفضة التي اعطيتك (سلفة) بقصد شراء بضاعة أو غيرها أو بقصد استدرار الربح أو لغايات أخري. في هذه الحالة ما علي الشخص الذي

---

(١) J.J. Finkelstein, "The Edict of Ammisaduqa", in ANET, pp. 526 - 528.

وكذلك: البرلبشت جوتز (وآخرون): المرجع السابق، ص١٤٢ - ١٤٦.

استلم الشعير أو الفضة إلا أن يأتي بشهوده ليثبتوا نص الوثيقة التي أنكرها الدائن ويدلون (بشهادتهم) أمام الاله ولأنه (أي الدائن) قد شوه وثيقته وأنكر حقيقة (الموضوع) عليه أن يدفع للمدين ستة أضعاف (المبلغ الذي أقرضه إيّاه) وإن لم يستطيع الدائن أن يؤدي التزاماته يجب أن يموت.

* كل من أعطي شعيراً أو فضة أو سلعة (أخري) لأكادي أو عموري إما كسلعة بهدف شراء بضاعة أو كبضاعة لرحلة تجارية أو لمشروع متضامن بقصد الربح ونظم وثيقة بذلك، لكنه اشترط في الوثيقة المنظمة كتابة بند ينص علي أن نقوده تكسب فائدة عند انتهاء مدة (العقد)، يحق للمدين أن يوفيه فقط حين الالتزام بالوثيقة الأساسية وليس رضقاً للشروط (الملحقة)، أي يسامح الأكادي أو العموري بالتزامات الشروط الملحقة.

* لو نظم تاجر وسيط يصرف عادة بضائع القصر وثيقة لصالح القصر بحق الديون الواجبة السداد لصالح بيت مال القصر وكأنه استلم فعلاً بضاعة من القصر، واستلم بدوره وثيقة خراج القصر المدفوعة - في حين أنه لم يستلم أية بضاعة من القصر كما جاء في وثيقته، ولا هو استلم أموالا من خراج القصر - بما أن الملك قد أعفي الديون المتأخرة السداد، فما علي هذا التاجر إلا أن يعلن تحت القسم المقدس قائلاً «أقسم أنني لم أستلم مالاً ثمناً أو دفعة من بيت مال القصر طبقاً لما هو وارد في هذه الوثيقة»، بعد أن يقسم هذا القسم يتقدم بوثيقة خراج القصر فتقوم السلطات والقائمين علي الأمر بتسوية الحساب بالتعاون معه فيحولون لصالح التاجر نفس المبلغ المشروط من قبل الوثيقة الصادرة عن خراج القصر لصالح التاجر (كومسيون) من أصل البضاعة المشروطة في الوثيقة المنظمة من قبل التاجر لصالح القصر[1].

* لن يقول وكيل الأراضي الذي يستلم عادة (تحت القسم المقدس) العجول والخراف المذبوحة من رعاة القصر ومربي الأغنام والأبقار والماعز (و) الذي يسلم

---

(١) يبدو أن لدينا هنا حيلة قانونية لاستغلال العفو عن الديون المستحقة للتاج - المترجم - .

القصر عادة مع كل بقرة ذبيحة (كمية) من الأمعاء مع الجلد، ومع كل نعجة ذبيحة سدس... (شعير) مع الجلد إضافة إلي ١و٤/٣ مينا من الصوف ومع كل معزة ذبيحة سدس [شيكل] من الفضة بالاضافة إلي ٣/٢ مينا من صوف الماعز - بجباية الديون المستحقة عليهم لأن الملك سن ميشاروم الأرض. وكيل الأراضي لن يستوفي (الحصص).

* سيموت التاجر أو صاحبة الحانة التي [...] تسئ الكيل.

القوانين الاشورية:

لقد جاءتنا نماذج من القوانين التي كانت تنظم احوال المجتمع الاشوري، ومما يقال عن هذه القوانين انها مجموعة مواد اي اجزاء لعلها تعود إلي قانون كامل لم يأتنا بعد وبوسعنا أن نقسم هذه النماذج من حيث زمنها إلي مجموعتين تشمل المجموعة الأولي علي ما يسمي «بالقوانين الاشورية القديمة» وهي اجزاء غير كاملة وترجع إلي العهد الاشوري القديم من اواخر الالف الثالث ق.م وقد رأي الباحثين في هذه القوانين الاشورية القديمة انها لم تكن خاصة ببلاد اشور وانما تعود إلي مستعمرة تجارية اشورية تكونت في آسيا الصغري في وسط الاناضول هي «كول تبه» وان الاشوريين الذين عاشوا هناك ظلوا مرتبطين بموطنهم الاصلي من الوجهه الثقافية فقد استعملوا طريقة التقويم الاشوري والطريقة العشرية في العدد واستعملوا الموازين والمكاييل الاشورية ومن الصعب تحليل المواد القليلة التي جاءتنا لانها غير كاملة فلم يستقر الرأي علي ترجمتها ترجمة اكيدة، ويظهر ان أكثر ما جاء فيها يتعلق بنظام المحاكم واصول المرافعات ولاسيما في تنظيم الشئون التجارية(١).

اما المجموعة الثانية فهي تعرف عند الباحثين باسم«القوانين الاشورية المتوسطة»، وقد عثر عليها مدونة في جملة الواح من الطين في الحفائر التي اجراها الالمان في اشور (١٩٠٣ - ١٩١٤) وقد امكن تأريخها بوجه التقريب بين

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٩٩ - ٣٠٠.

١٤٥٠ و١٢٥٠ ق.م فهي بذلك تعود إلي العهد الاشوري الوسيط، وقد جاءتنا مصادر أخري عن القانون الاشوري من الوثائق والمستندات القانونية التي وجدت كذلك في آشور. وتشبه لغة القوانين الاشورية المتوسطة لغة السجلات الملكية التاريخية، ولكنها غفل من اي إشارة أو دلالة إلي معرفة مقننها أو مشرعها وانما يستنتج منها ان احكامها كانت سارية في مدينة اشور وما يجاورها من المدن. ومما يقال فيها بوجه العموم انها لا تؤلف في الحال الذي جاءتنا فيه قانونا كاملا أو وحدة قانونية مثل قانون حمورابي، والمواد التي فيها لا يتمم بعضها بعضا، ولقد خصص جزء كبير من المواد للاحكام الخاصة بالمرأة والاحوال الشخصية، ويتعلق قسم كبير منها بالجنايات والعقوبات الخاصة في هذا الموضوع، ويري بعض الباحثين ان مواد القانون الاشوري في اصلها لم تكن سوي قرارات أو أقضية سابقة صدرت بخصوص قضايا معينة فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية. ويذهب البعض إلي ان مواد القانون الاشوري ما هي إلا تفسيرات لمواد قانون آخر لم يصلنا بعد، وهو اما ان يكون قانونا اشوريا مستقلا أو أنه قانون حمورابي بالذات.

ومع التشابه بين القوانين الاشورية والبابلية في بعض النواحي فان الأولي تختلف عن الثانية في احكامها ولعل ابرز ما تمتاز به القوانين الاشورية القسوة والشدة بالنسبة إلي العقوبات، وان الاشوريين بوجه عام لم يعنو به عناية البابليين بأمور الشرائع والقوانين المدونة، ومما لاشك فيه أنه كان في المجتمع الاشوري عرف قانوني يسار عليه كان بمثابة القوانين المدونة، ولكن الاشوريين لم يهتموا بالناحية الفقهية ولم يعنوا بالبحث في الشرائع وتدوينها كما فعل البابليون.

وقام العديد من الباحثين بترجمة هذه القوانين الاشورية، ومن أوائل الذين قاموا بذلك Otto Schroeder و Ernst F. Weidner[1] وكذلك G.R. Driver ، و John C. Miles[2]

---

(١) Ernst. F. Weidner, in AFO, XII (1937), pp. 50 ff.
(٢) G.R. Driver, and J.C. Miles, The Assyrian laws, Edited with translation and commentary, 1935.

ولقد بلغت مواد المجموعة الأولي ٥٩ مادة، بينما بلغت مواد المجموعة الثانية، (اللوح) (B) ٢٠ مادة والألواح من (C) إلي (G) احدي عشرة مادة، واللوح (E) أربع مواد واللوح (F) مادتين، واللوح (K) ثلاثة مواد، واللوح (L) خمسة مواد، واللوح (M) ثلاثة مواد(١).

وسنشير فيما يلي إلي بعض المواد التي جاءت في هذه الألواح.(٢)

اللوحة (أ):

المادة (٣) - إذا كان رجل مريضاً وسرقت امرأته شيئاً من بيته وأعطته إلي رجل أو إلي امرأة أو لأي شخص آخر، هكذا تقتل امرأة الرجل هذه وأولئك الذين تسلموا (الشئ) من يدها. وإذا سرقت امرأة (شيئاً) من بيت زوجها وهو (الرجل) في صحة وعافية وأعطته لرجل أو لإمرأة أو لأي (انسان) آخر، فعلي رجل المرأة أن يثبت (ذلك)، وأن يحدد لها عقوبتها، وعلي الذي تسلمه من يد المرأة أن يعيده (الحاجة المسروقة)، وعلي المرء أن يحدد أيضاً عقوبة متسلم الشئ، هي نفس (العقوبة) التي حددها الرجل لإمرأته.

المادة (٤) - إذا تسلم عبد أو أمَة من يد امرأة رجل شيئا ما، فعلي المرء أن يجذع أنف العبد أو الأمَة وأن يقطع أذنيهما، كما يجب تعويض المسروق، وعلي الرجل أن يقطع أذني زوجته. وإذا عفا عن زوجته ولم يقطع أذنيها، هكذا لا يجذع أنف العبد أو الأمَة ولا تُقطع أذنيهما، كما لا يعوّض المسروق.

المادة (٢٤) - إذا تركت امرأة رجلها ولجأت إلي بيت (رجل) آشوري، وليكن بنفس النزل (المنطقة) أو في جواره، وسكنت مع سيدة هذا البيت، وباتت ثلاث أو أربع ليال هنا، ولم يعرف صاحب البيت بذلك، أن امرأة رجل تسكن في بيته، ثم ألقي القبض علي هذه المرأة، فعلي صاحب البيت الذي تركته امرأته أن يقطع أذني زوجته وأن يستردها، ويجب كذلك أن تقطع أذنا المرأة، التي سكنت عندها امرأته، وإذا أراد رجلها فيمكنه أن يفتديها بـ «٣ وزنة» و «٣٠ مينة» من الرصاص، أو تؤخذ امرأته منه.

---

(١) T.J. Meek, "The Middle Assyrian laws", in ANET., pp. 180 - 188.

(٢) عبد الحكيم الذنون: المرجع السابق، ص١٨٠ - ١٨٩.

ولكن إذا كـان صـاحب البـيت يعرف أن امـرأة رجل تسكن عند امـرأته في بيته، فعليه أن يدفع ثلاث أضعاف.

أما إذا أنكر الرجل وقال: «لا علم لي بذلك» فعليه أن يذهب لإله النهر، وإذا عاد الرجل من النهر، فعليه أن يدفع ثلاثة أضعاف ويكون حراً إذا سدد جميع الالتزامات المتعلقة بالنهر، إذا عاد الرجل الذي تركته امرأته من النهر.

ولكن إذا لم يقطع الرجل الذي تركته امرأته أذنيها، وإنما استعادها فيجب عدم فرض أية عقوبة.

المادة (٣٤) - إذا سكن رجل مع أرملة ولكنه لم يبرم معها عقد زواج، ثم سكنت سنتين في بيته، فإنها تكون بذلك زوجة شرعية له، ولا يسمح لها بتركه.

المادة (٣٩) - إذا أعطي رجل (امرأة) ليست ابنته إلي رجل آخر وكان والدها مدينا (بشئ) ووضعت كرهينة وأتي الدائن الأول، هكذا ينبغي أن يرضيه، بالنسبة لسعر المرأة، الرجل الذي تزوج المرأة، وإذا لم يكن لديه ما يعطيه، فيستطيع الرجل (أي الدائن)، أن يأخذه (يسترده مقابل ذلك). ولكن إذا أنقذت من (وضع صعب)، فإنها تكون تحت تصرف الذي أنقذ حياتها. وإذا أخذ رجل هذه المرأة زوجة له، وليكن إنه - أي الذي أعطاه إياها - كتب له وثيقة، تعهد بموجبها تحمل مسؤولية أي ادعاء قبلها ودفع سعر المرأة، هكذا يكون الذي زوجها - غير ملزم بالتعهدات -.

المادة (٤٧) - إذا قام رجل أو امرأة بأعمال السحر وعثر علي ذلك في يديهما وثبت ذلك ضدهما، هكذا يقتل الذي قام بأعمال السحر. الرجل الذي رأي قيامهما بأعمال السحر أو سمع من انسان رآهما يمارسان السحر، إذا قال له: «لقد رأيت (ذلك)»، فعلي السامع أن يذهب إلي الملك ويشكو إليه المسألة. إذا أنكر شاهد العيان ما نقله (شاهد السمع) إلي الملك، فعليه أن يقول أمام إله الثور ابن شمش: «لتحل عليّ اللعنة» إذا لم يكن قد قال لي (ذلك)»، إذ لا يتحمل (أية مسؤولية). أما شاهد العيان الذي تكلم حول الأمر ونقض أقواله أمام الملك، فيقوم الملك بإجراء التحقيق معه، ويري ماذا وراءه. وعلي كاهن

القسم، إذا سمح (الملك) له بالانصراف، أن يدع ذلك الرجل يتحدث وعندها قال: «لن تتحرر من القسم الذي أقسمت به عند العاهل ولابنه تماماً كما جاء في نص الوثيقة، الذي أقسمته للملك ولابنه، أقسمت به»؟.

اللوحة (ب):

المادة (١) - إذا أقتسم إخوة بيت أبيهم، يجوز لأكبرهم سنا أن يختار أولاً حصتين اثنتين من البيوت والحدائق والآبار علي الأرض غير المستغلة كنصيبه من الإرث (و) يأخذهما لنفسه، وعندها يجوز لإخوته الاختيار دورياً الواحد بعد الآخر، أما أصغر الأبناء سناً، فيقسم كل حقل سيلوخي وكل (نتاجات) أعمالهم، ويجوز للابن الأكبر سناً أن يختار حصته أولاً ويأخذها، أما بصدد الحصة الثانية فيتم الاختيار بالقرعة.

المادة (٢) - إذا أقدم رجل بين إخوته، الذين لم يقتسموا تركة أبيهم بعد علي قتل شخص، فيجب أن يسلم إلي سيد الضحية، ويحق لسيد الضحية أن يقتله أو يعفو عنه إذا رغب بذلك ويأخذ نصيبه من التركة.

المادة (٣) - إذا نطق رجل بين إخوته، الذين (لم) يقتسموا التركة بعد، بكلمة الخيانة، أو هرب فيستطيع العاهل أن يفعل ما يرتأيه بحصته من الإرث.

المادة (٨) - إذا اغتصب رجل حقلاً كبيراً ملكاً لجاره وثبت عليه ذلك بأداء اليمين وكانت الشهادة ضده، فعليه أن يعيد ثلث المساحة التي اغتصبها زيادة علي ما اغتصبه، ويجب أن تبتر إحدي أصابعه ويجلد مائة جلدة بالعصا، وأن يعمل شهراً كاملاً لحساب العاهل.

المادة (٩): إذا اغتصب رجل حقلاً صغيراً من الاقتسام بالقرعة وثبت عليه ذلك بقسم اليمين وكانت الشهادة ضده، فعليه أن يدفع وزنة واحدة من الرصاص، وأن يعيد ثلث المساحة التي اغتصبها زيادة علي ما اغتصبه، ويجب أيضا أن يجلد ٥٠ جلدة بالعصا، وأن يعمل شهراً كاملاً لحساب العاهل.

المادة (١٠) - إذا حفر رجل بئراً في حقل ليس ملكاً له أو أقام سداً فيه،

فإنه يفقد بئره وسده ويجلد ٣٠ جلدة بالعصا، ويعمل عشرين يوماً لحساب العاهل.

المادة (١٢) - إذا أقام رجل حديقة في حقل جاره أو حفر فيه فيه بئراً أو غرس أشجاراً ورأي صاحب الحقل ذلك ولم يعارض، فتكون الحديقة ملكاً للذي أقامها، ولكن عليه أن يعطي صاحب الحقل حقلاً بديلاً.

المادة (١٣) - إذا أقام رجل في أرض بور ليست ملكه، حديقة أو حفر فيها بئراً أو غرس أشجاراً أو زرع خضاراً وشهد أحد ضده باليمين، فان صاحب الحقل يستطيع، إذا أتي أن يأخذ الحديقة وجميع إنتاج العمل.

المادة (١٤) - إذا ثبت رجل حدود أرض بور ليست ملكاً له وبني هناك آجراً وشهد أحد ضده باليمين، فيجب أن يعطي ثلث مساحة أرض بور زيادة علي ما ثبته، ويؤخذ منه الآجر، ثم يجلد خمسين جلدة بالعصا. وعليه أن يعمل شهراً كاملاً لحساب العاهل.

المادة (١٧) - إذا كان لابد من جلب المياه من بئر إلي أرض مستغلة، فيجب أن يتعاون أصحاب الحقول بهذا الصدد، علي كل منهم أن يقوم بالأعمال الخاصة به علي أرضه ويسقي أرضه، وإذا لم يتم الاتفاق فيما بينهم، فعلي الموافق للقيام بالأعمال من بينهم، أن يوصل القضية إلي القضاة، وأن يحصل علي وثيقة من القضاة وينفذ العمل وأنه يستطيع أن يأخذ المياه لنفسه ويروي حقله، ولا يحق لأي شخص آخر أن يروي (حقله).

المحاكم والقضاة:

اعتبر الملك في العراق القديم أصل العدالة والتشريع وكان باستطاعة الملك أن يعالج شئون المجرمين ويصدر العقاب بشأنهم، ولكن كان المعتاد ان يحيل الملوك القضايا إلي ولاتهم في الاقاليم أو إلي محكمة خاصة، وكانت قرارات الملك، ومن ينيبهم عنه نهائية، ومع ذلك فقد كان بامكان الناس تقديم التماس للملك للنظر في شكاويهم ورفض المحاكمة في حالة عدم قبول الحكم، وكانت

توجد محاكم الاستئناف ولكنها ليست بصورة منتظمة، ولكن كان يأمر الملك بتشكيلها في بعض القضايا الخاصة.

وكان القاضي أقرب ما يكون إلي المحترف أو المتهن اكثر منه ان يكون موظفا، وكان هناك عدة أنواع من القضاة فكان هناك «قضاة معبد الاله شمش»، وقضاة الاديرة الخاصة بالكهان والكاهنات، وكان هناك قضاة مدنيون، وهؤلاء كانوا أما قضاة محليون فيسمون بأسماء المدن الموجودين فيها، أو قضاة خاصين بالملك.

واعتبر المعبد من اماكن المحاكمة التي يجلس فيها القضاة الكهنة وغير الكهنة، وذلك لملاءمة بناء المعبد من جهة، ولأن جزءا من أصول المرافعات يتعلق بالقسم داخل المعبد، وبجانب المعبد كانت هناك محاكات تجري في قصر الملك أو قصور حكام الولايات، وبجانب القضاة كان هناك عدد كبير من الموظفين ومنهم المبلغون والحلاق والجراح وحافظ السجلات والكاتب ومسئول التنفيذ المختص باحضار المجرمين.

ولم نجد في الوثائق ما يستدل منه علي وجود المحامين في بابل، وكان المدعي يترافع في قضيته بنفسه دون أن يستعين بالألفاظ المنمقة التي تحتمها الاصطلاحات القانونية، ولم يكن الناس يشجعون علي التقاضي، ولعل ذلك راجعا إلي تشديد العقوبة علي من يتهم شخصا ولا يستطيع ان يثبت ادانته، ولقد جاء في قانون حمورابي أنه «إذا اتهم رجل شخصا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام ثم عجز عن اثباتها حكم علي المدعي نفسه بالاعدام»(١).

---

(١) G.R. Driver, and J.C. Miles, The Babylonian laws, vol. I, 1952, pp. 490 ff.

وكذلك:
طه باقر: المرجع السابق، ص٣٠١ - ٣٠٦.

الفصل السابع

الفكر الدينى

عند دراسة الفكر الديني المبكر في العراق القديم يتضح لنا تداخله المباشر مع الفكر الديني السامي في بلاد الرافدين مما أدي إلي ضرورة الرجوع إلي المصادر السامية لتتبع بعض الجوانب الاساسية في الفكر الديني السومري: ومن ناحية أخري ينبغي الرجوع إلي مراحل عصور ما قبل التاريخ لدراسة الجذور الأولي للفكر الديني الانساني.

وعبر الانسان العراقي عن فكره الديني في عصور ما قبل التاريخ بصنع تماثيل طينية صغيرة لإلهة الامومة وربما كان ذلك راجعا بشكل رئيسي إلي تقديسهم للخصوبة وكل ما يؤدي إلي وفرة الانتاج في الحياة ولقد عثر في تل الصوان علي بقايا اثرية ترجع إلي مرحلة العصر الحجري الحديث، ومنها تماثيل صغيرة مصنوعة من الطين لإلهة الأمومة[1]، ويلاحظ كذلك في البقايا التي كشف عنها في موقع تل حسونة وجود بقايا جثث أطفال دفنوا في أوان فخارية، وكانت رؤوسهم متجهة نحو الشمال، ويري بعض الباحثين أن ظاهرة مقابر الأطفال بالذات تتصل بموضوع التضحيات البشرية استرضاء للقوي الالهية، وعلي رأسها إلهة الأمومة التي عبر عنها في شكل تماثيل صغيرة[2].

وتأثر الفكر الديني في العراق القديم بالمقومات البيئية والبشرية الخاصة بهذه المنطقة[3]، ومن أبرزها البيئة العراقية، التي تتميز أحوالها بعدم الانتظام ووجود نوع من العنف في بعض مظاهرها، فنهرا دجلة والفرات وان كانا قد حققا للإنسان العراقي القديم قدرا كبيرا من الاستقرار المعيشي مكنه من صنع حضارته

---

(1) T. Melleart, "The Earliest Settlements in Western Esia from the Ninth to the End of Eifth Milleneum B.C", in CAH, vol 1, part I, p. 271.

(٢) أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الاسرات، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٥٤.

(٣) أحمد أمين سليم: القيم الاخلاقية والسلوكية في العراق القديم، بيروت، ١٩٨٤، ص٩-١٢.

في عصور مبكرة لا تبعد كثيرا عن العصور التي نضجت فيها الحضارة المصرية الأولي، الا انهما في الوقت ذاته قد يفيضان علي غير انتظار أو انتظام، فيحطمان السدود ويغرقان الارض وقد يفيضان في غير أوقات الحاجة الملحة اليهما.

وإذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا علي تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم، الا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائماً، وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما في أجزائهما العليا، وبطء جريانهما وكثرة مستنقعاتهما في أجزائهما الدنيا.

وبالاضافة إلي فيضانات دجلة والفرات ، فالامطار عاتية تحول الأرض إلي بحر من الطين يسلب الانسان حرية الحركة، وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادي واسعة فقيرة في مواردها الطبيعية من المعادن والاحجار وسببت هذه الصحراوات والبوادي للانسان العراقي القديم الكثير من المتاعب والمشاكل، الا أنها في الوقت ذاته لم تكن شرا كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل في قيام أسواق تجارية علي أطرافها، كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت في ضم شملهم وتوسيع حدودهم كما فعل الاكديون الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

وإذا كانت المرتفعات الشمالية، والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الاولية وبخاصة الاحجار، الا أنها في الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لاهل العراق، اذ كثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة، وحدث ذلك علي امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم، وأدت هذه الظواهر البيئية التي يغلب عليها المتاعب والمشاكل إزاء المنافع إلي التحكم في إرادة الانسان

ودفعته إلي الشعور بضآلته تجاهها، كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر، وكان لذلك تأثيره علي الناحية النفسية والدينية للانسان العراقي القديم(١).

ولقد نبع الفكر الديني السومري من مجموعة من التجارب التي واجهها الانسان السومري في جنوب العراق القديم، فالانسان السومري بدأ حياته في تلك المنطقة بانشاء القري واقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها، وسرعان ما واجه منذ البداية بيئة أرضية وجوية ومائية نهرية وبحرية متغيرة لا تنعم بالاستقرار ولا تنعم بالطمأنينة بل تتصف بالتقلب والتغير المستمر إلي حد تهديد حياة ذلك الانسان السومري بالافناء والحاق مختلف الصعاب بحياته ومصيره(٢).

وتعرض الجانب الاقتصادي في حياته أيضا للاضرار البالغة، وقد أدي ذلك كله إلي البحث والتعمق من جانب الانسان السومري في دوافع تلك الأمور البيئية ووسيلة التحكم فيها واحلال المنفعة العامة والطمأنينة مكان الجوانب الشريرة الضارة بحاضر الانسان ومستقبله، ونتج عن ذلك مزيج من الفكر الديني الذي يبدو فيه بعض التناقض أحيانا، علي الأقل بالنسبة إلي الفهم المعاصر الآن، كذلك فان تعدد تجارب الانسان السومري قد أدي إلي عدم توافر وحدة فكرية دينية بل مجموعات من الافكار الدينية المترابطة في بعض الأحيان وغير المتكاملة أحيانا أخري، وقد اتجه الانسان السومري إلي البحث عن القوي الخفية الخيرة والشريرة التي اعتقد بتحكمها في عالمه الدنيوي والاخروي، وبدأ في محاولة تحديد مفهومها وتجهيز ما يلزم نحو اكتساب رضاها.

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٩-١١.

(٢) S. Lloyd, The Art of the Ancient Near East, London, 1963, p. 19ff.

وقد اعتقد السومريون في وجود تنظيم جماعي لكافة القوي الإلهية وذلك في جمعية عمومية إلهية يسودها الحق والصدق، ويتجه بعضها إلي الظلم، وكان السومري يعتقد أنها - أي الآلهة - كانت تأكل وتتزوج وتشرب وتنجب وتحارب وتقتل وغير ذلك من مختلف الظواهر والتصرفات الانسانية البحته. والواقع أن الانسان السومري كان يهدف من وراء ذلك تقريب الصورة الالهية من وجهة النظر الانسانية حتي يستطيع الانسان العادي الاعتقاد فيها دون صعوبة[1].

ومن المظاهر المميزة للفكر الديني في العراق القديم صفة الاستمرار التاريخي، فانه عندما بلغت طور النضج في العصور التاريخية في الالف الثالث ق.م. لم يطرأ عليها من حيث القديم حتي زوال البابلين السياسي فالمعبودات التي قدسها سكان العراق في العصور التاريخية المتأخرة هي بوجه التقريب المعبودات القديمة نفسها التي قدسوها في الادوار القديمة، ونفس الأمر ينطبق في الطقوس والشعائر والتراتيل الدينية الأساسية. أما التغيرات التي نجدها فهي في علاقة الآلهة بعضها ببعض، وذلك في حالة ما إذا كانت تلك العلاقة وكذلك مكانة الالهة وأهميتها تتغير تبعا للتغيرات السياسية، فعندما تبلغ مدينة قوة سياسية وتبسط سلطانها علي المدن الأخري يعظم عند ذلك شأن إلهها، فيعمل الكهنة علي تحديد علاقة هذا الإله بغيره من الآلهة. وكثيرا ما يعمد الكهنة إلي تحوير المعتقدات الدينية لتتفق مع التغيير الحاصل في مكانة الآلهة. كما أن المدن المختلفة قد تنفرد بعبادة إله أو عدة آلهه حيث تخصها بالتعظيم، ولكنها لا تترك تقديس الآلهة الاخري أو علي الأقل لا تنكر وجودها وهذا ما يعرف «بمبدأ التفريد» أي خص اله أو جملة آلهة بالتعظيم والعبادة دون ترك الآهة الأخري.

وتجدر الاشارة قبل تناول المظاهر الفكرية المتعددة الخاصة بالناحية الدينية

---

(١) رشيد الناضوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٧٦، ص٥٥ - ٥٦.

إلي تعدد المصادر الخاصة بالفكر الديني والتي تشمل فنون العمارة الدينية كالمعابد، وفنون النحت، المخصصة للأغراض الدينية كتماثيل الالهة والمشاهد الدينية المنحوتة كمناظر الصلوات وتقديم القرابين والأختام الاسطوانية التي تمثل كثيرا من المشاهد الدينية وصور الالهة والأساطير المتعلقة بها.

والنوع الثاني من هذه المصادر يتضمن الكتابات الدينية وهي متنوعة ومتعددة ومنها: الأساطير والقصص وكان منها ما يتصل باقامة الشعائر والطقوس الدينية، ومنها ما كان ذا غرض ديني بحت ومن أمثلة هذا النوع الأخير أسطورة الخليفة وقصة جلجامش.

ومن هذه الكتابات الدينية كذلك بعض المجموعات من الإرشادات في كيفية إقامة الشعائر الدينية المختلفة كالصلوات وكيفية بناء المعابد وتطهيرها وما يجب أن يقام من الشعائر في حالات بعض الظواهر الطبيعية وكذلك مجموعات من الصلوات والتراتيل الدينية المخصصة إلي الآلهة المختلفة.

ويضاف إلي هذه الكتابات الدينية التعاويذ والرقي ونصوص الفأل والتنبؤ وطرق الكهانة والعراقة والنصوص الخاصة بالتنجيم، وكذلك النصوص المتصلة بعلاقات الآلهة بعضها ببعض، والوثائق الادارية الخاصة بالمعابد وأملاكها وموظفيها وطبقات كهنتها، وذلك بجانب المصادر الادبية الأخري التي تساعدنا بصورة غير مباشرة علي تفهم النواحي الدينية كالشرائع والرسائل واسماء الأشخاص والعقود وغيرها[1].

وسنتناول فيما يلي بعض مظاهر الفكر الديني في العراق القديم ومنها المعبودات والكهنة والكاهنات وطقوس الجنس المقدس والمعابد وعالم ما بعد الموت.

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٢٥ - ٢٢٦.

أولا : المعبودات

كان للبيئة العراقية التي استعرضنا مظاهرها الرئيسية، والتي تميزت بالتقلب وعدم الاستقرار والتغير المستمر إلي درجة الحاق الضرر والاذي بالانسان السومري وتعريض حياته الاقتصادية للخطر والضرر، وقد دفعت هذه الاحوال البيئية الإنسان السومري إلي محاولة البحث والتعمق في دوافع تلك الأشكالات البيئية، والوسائل التي تمكنه من التحكم فيها، واحلال الخير والمنفعة العامة والطمأنينة الاقتصادية والنفسية مكان الجوانب الضارة والشريرة بحاضر الانسان ومستقبله.

ولقد اتجه الانسان السومري إلي البحث عن القوي الخفية الخيرة والشريرة التي اعتقد بتحكمها في عالمه الدنيوي والاخروي، وبدا في محاولة تحديد مفهومها واعداد ما يلزم نحو اكتساب رضاها، وقد تحقق هذا الامر بالفعل في الفكر الديني السومري الذي تميز بمستواه الانساني في التصوير والتعبير.

ونسب السومريون إلي معبوداتهم فضائل وعواطف انسانية وأصبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوها عن الجنس البشري بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم، ولم يكن هناك إله شرير، بل ان الشر كانت تسببه في العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمي من البشر ولكنها دون الآلهة، ولم يكن يقام لها عبادة دينية بل كان الناس يحاولون مقاومتها واتقاء شرها عن طريق ممارسة السحر.

وتمثل الآلهه السومرية العوامل الجوية المختلفة، وقد أشارت الملا حم والأساطير السومرية والبابلية إلي هذه المعبودات وعظمتها، الا أنه تجدر الاشارة إلي أن هذه الملاحم والاساطير لم تشر إلي نوعية القوة التي قامت بخلق الالهة الرئيسية بل اعتبروا وجودها من الأمور الازلية التي لا تحتاج إلي نقاش وأن هذه الالهة هي التي قامت بخلق الكون والانسان.

واعتقد السومريون والاكاديون أنه لم يكن هناك شئ كائن عند نشأة العالم، وأن في هذه اللاشئ كان يمكن تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين يتكونان من ذكر وانثي، أما الذكر فهو أبسو Apsou وأما الانثي فهي تيامات Tiamat وكان ابسو يمثل لديهم المياه العذبة، وذلك علي نقيض تيامات التي تمثل المياه المالحة وشكل ابسو مع زوجته تيامات المياه الأولي، المادة الاساسية التي انبثقت عنها جميع الالهة(١)، وهو ما تدل عليه قصيدة الخليقة البابلية المعروفة باسم «انوما ايليش» وقد جاء في مطلعها(٢):

«حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد
ولم يكن للأرض من تحتها اسم
اختلطت الامواه من ابسو الأولى أبيهم
ومن تيامات الصاخبة أم الجميع فصارت واحدا
ولم تكن الأجام والاغصان مثبته
ولم تكن غياض القصب مرئية
حين لم يكن هناك اله له إسم
حين لم يكن هناك قدر مرسوم
خلق الآلهة».

وتذهب بعض الاساطير إلي أن الإله «مردوخ» قد فصل جسم «تيامات» وكون من نصف منه السماء ومن نصفه الثاني الارض ثم خلق الكواكب والنجوم وخلق بالاشتراك مع ابيه الاله «ايا» الانسان من دم أحد الآلهة.

---

(١) T. Jacobsen, "The Cosmos as State" in, Before Philosophy, Chicago, 1949, P. 184.

(٢) تتكون هذه القصيدة من سبعة ألواح، وتعرف في الأكدية باسم Enuma Eliy انظر:
E.A. Speiser "The Creation Epic" in ANET, pp. 60 - 61.

وفي روايات أخرى عن الخليقة أن الانسان خلق من دم إله ومن تراب الارض والظاهر أن خلق الانسان قد جاء بعد خلق الكون والحيوانات والنبات، ثم خلقت الاشياء الأخري الخاصة بالعمران البشري من زراعة وعمارة وصناعة[1].

وعلي ذلك فان أصل الاشياء طبقا لأسطورة الخلق البابلية قد تمت في عمليتين متداخلتين من الخلق، تم في الأولي مجئ الالهة والاشياء الأساسية في الكون، والثانية كيفية ظهور نظام المجتمع والحضارة.

ويمكن القول اعتمادا علي الاساطير السومرية أن القوم قد اعتقدوا انه في البدء كان عنصر الماء أزليا والها في نفس الوقت، وتولد من الماء عنصر آخر هو عنصر السماء والأرض متحدين وكانت الأرض والسماء الهين كذلك، وتولد من السماء والارض المتحدين عنصر غازي هو الهواء الممتد الذي فصل بتمدده السماء عن الارض، وجسموا الهواء الها هو الاله «انليل» وتولد من الهواء القمر، ومن القمر ولدت الشمس، وجسموا كلا من القمر والشمس، وعدوهما الهين، وبعد انفصال الارض عن السماء نشأت أنواع الحياة الاخري من نبات وحيوان وانسان علي الأرض. وقد تصوروا أن أصل الحياة والاشياء من اتحاد الهواء والتراب «الارض» والماء بمساعدة الشمس، وهذه هي نظرية العناصر الاربعة.

وسنتناول فيما يلي أبرز المعبودات التي آمن بها سكان بلاد الرافدين متبعين خصائصها وعبادتها وأهميتها ونبدأ بالالهة الكونية ويأتي في مقدمتها المعبود آنو.

---

(١) سبيفاني.م. دالي: اساطير من بلاد ما بين النهرين، نقلها إلي العربية، نجوي نصر، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٣ - ٢٤.

(١) آنو

الاله آنو هو اله السماء، ويقع ترتيبه من حيث الاهمية في قمة الالهة السومرية الرئيسية وكذلك البابلية وقد نعت بأبي الالهه وملك الالهه، وتمثل السماء هذه الاله كما يدل علي ذلك اسمه بالسومرية «آن» واعتقد ان مقره في السماء في أعلي نقطة فيها. ولقد كتب اسمه بالعلامة المسمارية التي كانت في الاصل صورة تشبه صورة النجمة ذات الثمانية رؤوس وبواسطة هذه العلامة كتبت كلمة سماء وكلمة اله أيضا ولذلك استخدمت علامة النجمة ذات الثمانية رؤوس كعلامة دالة تسبق اسماء جميع الالهة العراقية القديمة. (شكل ٢٧)

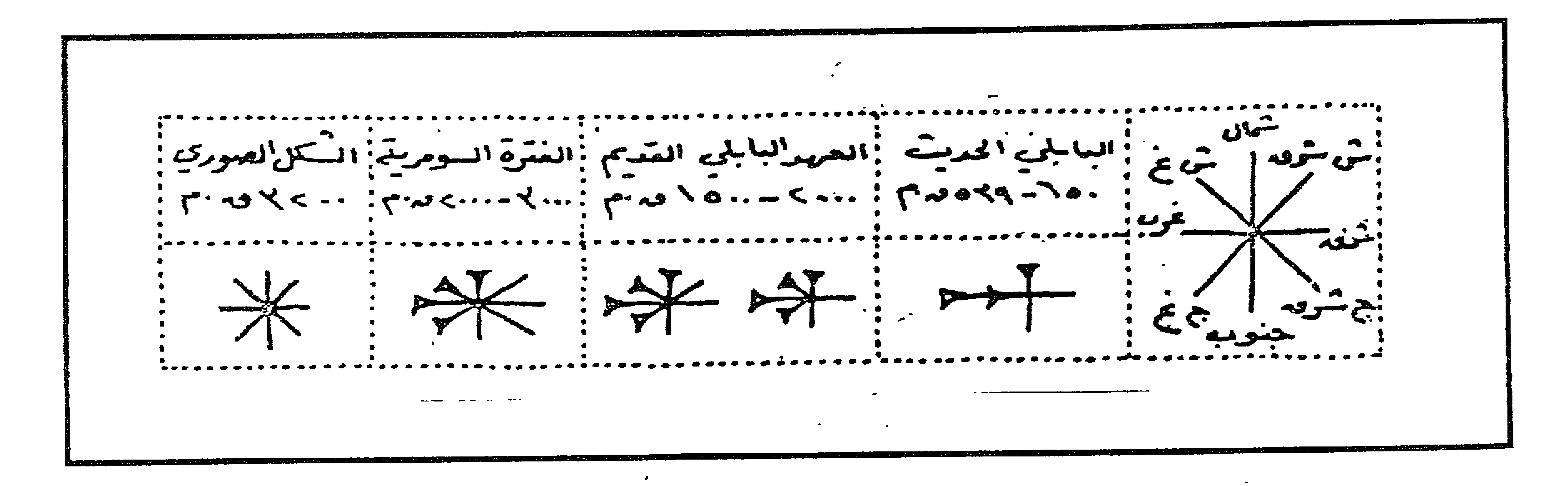
ويري بعض الباحثين ان سبب كتابة اسم الاله «آنو» وكلمة «اله» المطلقة بنجمة ذات ثمانية رؤوس، بأن هذه الرؤوس الثمانية ما هي في حقيقتها الا مؤشرات إلي جميع جهات الكون الجغرافية وهذا يعني أن هذه الرؤوس كانت تعبر عن الشمول وتهدف أيضا إلي التأكيد علي ان الاله موجود في كل مكان من الكون.

ومما يؤكد أن هذه الرؤوس الثمانية لا علاقة لها بالنجمة، بل انها تشير إلي جميع جهات الكون هو أن العلامة لم تستخدم اطلاقا للدلالة علي النجمة، ولكن شبهها للنجمة هو الذي دفع العراقيين القدامي إلي أن يكتبوا كلمة نجمة بتكرار العلامة المذكورة ثلاث مرات وذلك حتي يفرقوا بين كلمة «آنو» اله وبين كلمة نجمة[١].

واعتبرت النصوص المسمارية الاله «انو» والدا للعديد من الآلهة مثل اله الهواء انليل واله الجو أدد وإلهة الحب والحياة أنانا وغيرها من الآلهة وذلك بالاضافة إلي أبوته للالهة السبعة الشريرة.

---

(١) فوزي رشيد: «المعتقدات الدينية» مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٩ - ١٥٢.



(شكل ٢٧) مراحل تطور علامة الإله «آنو» بالمسمارية

وتبدأ الأسطورة المعنونة بـ «الماشية والغلة» التي تصف الالهين الموكلين بالماشية والغلة اللذين أرسلا من السماء لتحل البركة والرفاهية بين البشر بالسطرين الآتين:

،في جبل السماء والأرض،

،ولد الإله آن آلهه الانوناكى،(١).

ونظرا لابوته للعديد من الالهة الطيبة والشريرة فلقد أعتقد العراقيون القدامي أنه هو السبب في معظم ما كان يصيبهم من خير أو شر، ومن أبرز أعماله السلبية تجاه البشر ما جاء في ملحمة جلجامش التي ذكرت أن الاله آنو هو الذي خلق ثور السماء بناء علي طلب الإلهة أنانا (= عشتار) وأنزله إلي الأرض ينشر بواسطته الرعب بين البشر، وأن جلجامش ورفيقه أنكيدو هما اللذان انقذا البشرية من شرور هذا الثور(٢).

ومما لاشك فيه أن السبب الذي جعل الاله آنو يبدو في نظر سكان بلاد وادي الرافدين علي أنه مصدر الخير والشر في آن واحد يعود إلي أن السماء هي التي تحتضن العوامل الجوية التي تؤثر سلبا أو ايجابا علي الانسان وعلي موارده الغذائية ومصدر حياته. ولقد مثل آنو شخصية السماء الطاغية، وفي حالة ذكر السماء دون آنو فهي حينئذ مجرد «شئ» انها مسكن الاله.

ومثلت السماء مصدر ومركز كل جلال، فحيثما وجد الانسان جلالا وسلطانا أدرك انهما قوة - السماء - أي آنو - وكان الانسان يري الجلال والسلطان في مواضع عديدة، ومن أهمها السلطة التي تمثل القوة التي تؤدي إلي وجود الطاعة وهي العنصر الاساسي في كل مجتمع بشري منظم فلولا الطاعة

---

(١) «الانانوكي» اسم عام أو اسم جنس يطلق علي جميع الآلهة، ويوجه خاص ألهة اسماء، ولكن سبعة منهم صاروا قضاه في العالم الاسفل. انظر: صموئيل كريمر: من الواح سومر، ص١٦١.

(٢) S.N. Kramr "Sumerian Myth and Epic Tales" ANET, pp. 42 ff.

للعرف والقوانين ولذوي «السلطة» لتفكك المجتمع واعترته الفوضي، وهكذا كان البابلي يري في الاشخاص الذين تتمثل بهم السلطة، كالأب في العائلة، والحاكم في الدولة، شيئا من آنو وجوهر آنو. ولما كان آنو آبا للآلهه، فهو النموذج الأول لكل الآباء ولما كان أيضا «الملك والحاكم الأقدم» فهو النموذج الأول لكل الحكام. والشارات التي ترمز إلي جوهر الملك، كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي، هي شاراته ولا تستمد الا منه، فقد اعتقد العراقيون القدامي أن هذه الشارات قد وجدت قبل أن يظهر أي ملك بين البشر وقد كانت كلها في السماء بين يدي آنو، ومن هناك هبطت إلي الأرض، واعتقدوا أيضا أن قوة الملك تستمد من آنو ولا يسري أمره بين الناس الا بقدرته.

ومثل آنو مصدر كل سلطة في كلا المجتمعين البشري والكوني، فهو الطاقة التي تنقذ المجتمع من الفوضي وتجعل منه كلا منظم التركيب، وهو الطاقة التي تضمن طاعة الناس التلقائية للاوامر والقوانين والعادات في المجتمع أي النظام الدنيوي.

وعبرت الاساطير العراقية القديمة عن سلطة آنو وقوته فجاء في أحدها علي لسان كبار الآلهه وهم يخاطبون آنو بقولهم(١):

«ما تأمر به يتحقق
وما قول السيد والامير الا
ما تأمر أنت به، وما توافق أنت عليه
يا آنو! كلمتك هى العليا،
من يستطيع أن يقول لها كلا؟
يا أبا الالهه، ان أمرت

(١) T. Jacobsen, op. cit., p. 153.

فأمرك أساس السماء والأرض
أى اله يستطيع لامرك ردا؟

ويوصف المعبود آنو بصفته سيد الدنيا المطلق والقوة العليا في الكون في أحد الاساطير بهذه الكلمات:

«يا صاحب الصولجان، والخاتم،
يا من تدعو إلى الملكية،
يا سيد الآلهه، يا من كلمتك هى الغالبة
فى مجمع الآلهة الكبار المقرر،
يا رب التاج المجيد، يا مدهشا
بقوة فتنتك،
يا غالب الزوابع العاتية، ومرتقى منصه الألوهية
بجلالك وأبهتك
الفاظ فمك المقدس
تصغى اليها الاجيجى،
والانوناكى كى تسير امامك خائفة
وكالأقصاب فى مهب الريح
تنحنى لاوامرك الآلهه.

ولقد خصصت لعبادة آنو مدن شيدت فيها معابد من أهمها مدينة نفر وأور والوركاء وقد سمي معبده في هذه المدينة باسم «اي - أنا» ويعني ذلك بيت السماء أو بيت «آنو» وهو أفخم معبد في المدينة، وقد شيد له معبد ثان في مدينة «دير» القريبة من مدينة بدره الآن وشيد الملوك الاشوريون لآنو معبدا في مدينة آشور خصصوه لعبادته ولعبادة اله آخر هو «أدد».

(٢) أنليل

يمثل انليل الهواء، ويأتي في المرتبة الثانية بعد المعبود آنو اله السماء ويعني اسمه «ان - ليل» «السيد العاصفة» سيد ما بين السماء والأرض بلا منازع ولقد تلقب انليل بالعديد من الألقاب، فقد تلقب مثل آنو بأبي الآلهه وقد أطلق عليه هذا اللقب في نص من عهد «انتمينا» حاكم لجش وكذلك في قصيدة «ايا» و«اتارها سيبس» ولقبته النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان وبأبي جميع الآلهه وبالجبل الكبير وبالاله الذي يقرر المصائر والإله الذي لا رجعه لقراراته وبصاحب العينيين البراقتين وبالاله الذي يمتلك بين يديه الواح القدر، وأكدت الملاخم الخاصة بخلق الكون علي أن الإله انليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس أداة العمل وقد صار اسمه يعني «الرب» أو «السيد» حتي انهم اشتقوا من اسمه صفة الربوبية والالوهية.

واعتقد القوم أن انليل قد فرض شريعته علي جميع سكان العالم، وله شبكة مقدسة يحبس فيها كل من يحلف زورا أو يحنث بقسمه وكانت اقضيته واحكامه لا مرد لها وهو الذي يعاقب الملوك علي آثامهم وظلمهم، وقد ورد ذكره في شريعة حمورابي من بين الآلهة المعظمة التي دعا الملك حمورابي اسماءها لتوقع العقاب علي من يبدل شريعته.

وللإله انليل مواقف سلبية تجاه البشر والآلهة ففيما يخص البشر، فهو الذي قرر الفيضان علي الأرض الذي أباد كل البشر باستثناء من أنقذهم «اوتونابشتم» في سفينته وذلك حسبما ورد في قصة الطوفان، وكان لذلك اثره في العقائد العراقية حيث اعتقد بأن المعبودة عشتار نظراً لموقفه هذا أرادت ان تمنعه من أن يكون له نصيب في تضحية «اوتانابشتم» فصرخت قائلة: «دعوا الالهة يأتون للتضحية ولكن لا تدعوا انليل يأتي لانه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومي وقد أنبه «إيا» كذلك من أجل نفس العمل فقال «انت أعقل الرجال! أيها البطل! لِمَ لم تمعن الفكر وأحدثت الطوفان؟

ونظرا لإنه اله العاصفة، فانه يمثل كل ما فيها من عنف وبطش، وقد أرجع الانسان البابلي الاحداث التاريخية السيئة التي لحقت ببلادهم الي هذا الاله، فالتدمير الذي أصاب أور من جراء هجمات العيلاميين لم يكن في نظرهم الا تنفيذا لحكم انليل اله العاصفة، ولذا توصف هجمة العدو بأنها تلك العاصفة[١]:

دعا انليل العاصفة
والشعب ينوح
وأخذ من الارض رياحا منعشه
والشعب ينوح
وأخذ رياحا طيبة من سومر
والشعب ينوح
ودعا رياحا شريره
والشعب ينوح
وعهد بها إلى كنجالودا Kingaluda
راعى العواصف
ودعا العاصفة التى ستفنى الأرض
والشعب ينوح
ودعا رياحا مدمرات
والشعب ينوح
واختار انليل جيبيل Gibil معاونا له
ودعا زوبعه السماء
والشعب ينوح
الزوبعة المعمية الزاعقة عبر السموات

(١) S.N. Kramer, AS, XII, 34 and 36, II. 173 - 89.

والشعب ينوح
والاعصار الظالم المنقض كالطوفان
على مراكب المدينة لالتهامها
هذه كلها حشدها عند قاعدة السماء
والشعب ينوح
وأشعل نيرانا عظيمة كانت رسول العاصفة
والشعب ينوح
وأشعل على الميمنة والميسرة من الرياح العاتية
هجير الصحراء اللاهب
وكان حريق هذه النار مثل لهيب الظهيرة
وهذه العاصفة هى السبب الحقيقى فى سقوط المدينة
والعاصفة التى أمر بها انليل فى حقده
العاصفة التى تأكل من الارض
كست أور كالثوب، وغلفتها كالدثار
وهى سبب الدمار
فى ذلك اليوم تركت العاصفة المدينة
وكانت المدينة خرابا
نانا، يا أبتاه، خلفت المدينة خرابا
والشعب ينوح
ومداخل المدينة اكتست
لا بشظايا الخزف، بل بالموتى من الرجال،
وفغرت الجدران
وامتلأت البوابات والطرق
وفى الشوارع الفسيحة حيث كانت

تجتمع الجماهير فى الاعياد
تبعثرت الجثث
فى الطرقات كلها والازقة تبعثرت الجثث
وفى الحقول التى كانت تموج يوما بالراقصين
تراكمت الاجساد
وثقوب الارض امتلأت بدمائها
كالمعدن المصهور فى قالب،
وذابت الاجساد - كالدهن فى الشمس.

وعلي ذلك فان انليل كان يمثل القوة او البطش وكل ارادة تعارضه تسحق وتكره علي الخضوع، كما أنه في مجمع الالهة كان هو الذي ينفذ أحكام المجمع ويقود الآلهة في الحرب، وحيث ان انليل يمثل البطش فقد كان لطبيعته صفة غريبة، حين كان يمثل ثقة الانسان وخوفه في آن واحد، انه البطش كقوة مشروعه، سند الدولة، الدعامة التي يرتكز عليها حتي الآلهة، فيخاطبه الانسان علي هذا النحو:

يا من تحيط بالسماء والارض، ايها الاله السريع
يا معلما حكيما للشعب،
يا من ترى أقاليم الدنيا كلها من عليائك
ايها الامير، الناصح، مسموعة كلمتك
وكل ما تفوه به ... تعجز الآلهه عن تبديله
وألفاظ شفتيك لا يوجد إله يزدرى بها،
رياه، يا حاكم الآلهه فى السماء
وناصح الالهة فى الأرض، أيها الامير العادل ....(١)

---

(١) E. Ebeling, Keilschrifttexte aus Assur religiosen Inhalts, 25 III, pp. 21- 29.

ونظرا لعنف العاصفة وأثارها المدمرة علي الانسان فلقد كان في الانسان خوف كامن منه وهو ما ظهر في العديد من التراتيل التي وصلتنا من هذا العهد وجاء فيها:

ما الذى اختطه ؟
ما الذى فى قلب أبى ؟
ما الذى فى ذهن انليل المقدس ؟
شبكه نشر: تلك شبكه العدو.
فخاً نصب: ذلك فخ العدو
لقد أهاج المياه، باغيا صيد السمك
لقد رمى الشبكة، باغيا اسقاط الطيور(١)

ويبرز هذا الخوف أيضا في أوصاف أخري لانليل، وهو الذي قد يسمح لشعبه بالهلاك في زوابع لا ترحم، ان غضبه يكاد يكون مَرَضْيا، كأنه هياج في النفس يفقده الحس ويصم أذنيه عن الرجاء:

انليل يا أبتاه، يا من عيناك تقدحان هياجا،
متى، متى تستقران سلاما ثانية ؟
يا من كسوت رأسك بثوب - إلى اى مدى ؟
يا من أسندت رأسك إلى ركبتيك - إلى أى مدى ؟
يا من أغلقت قلبك كصندوق من خزف - إلى أى مدى ؟
يا جبارا سددت باصبعيك أذنيك - إلى أى مدى ؟
انليل يا أبتاه، أنهم لهالكون الان(٢)

---

(١) T. Jacobsen, op. cit., p. 157.
(٢) Ibid., 157.

وسجلت العديد من الترانيم الكثير من التسبيح والابتهال إلي الاله انليل، وبما جاء في احدي هذه الترنيمات:

بدون انليل، الجبل العظيم
لا المدائن شيدت، ولا المقار أسست
لا الاصطبلات شيدت، ولا حظائر الغنم أقيمت
ولا الانهار مياهها العالية جلبت الفيض
ولا البحر أعطانا مختارا كنوزه الوفيره
ولا سمك البحر وضع بيضه فى الاحواض
ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الارض الرحيبه،
لا الغيوم المحملة بالغيث فى السماء فتحت أفواهها
ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير،
ولا الاعشاب والحشائش فى السهول نبتت
ولا أشجار «الجبل» الكبيرة فى البستان حملت ثمارها
ولا البقرة وضعت عجلها فى الاصطبل،
ولا الغنمة ولدت حملها فى الحظيرة،
ولا الجموع الغفيرة من بنى البشر أضطجعت آمنه..
ولا البهيمة من ذوات الاربع ولدت صغارها
ولا رغبت فى التناسل(١)

وفي ترنيمة أخري يشار إلي عظمة انليل وقوته وفيما يلي ما جاء فيها:

تقارب السماء - فيكون الفيض
من السماء ينزل الفيض إلى الأرض

---

(١) صمرئيل كريمر: إينانا ودموزي، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطه، لبنان، ١٩٨٧، ص٨٠.

تلامس الأرض - فتكون الوفرة
من الأرض تصدر براعم الخصب
حكمتك هى الزرع، كلمتك هى الحبوب
كلمتك - هى الماء الغامر، حياة جميع البلاد(١)

وجاء في ترنيمة غنائية موجهة إلي ننورتا الذي وان كان في الاصل متكفلا بالريح الجنوبية العاصفة، اله الحرب الذي يدمر البلاد المتمردة، الا أنه كان معروفا أيضا بوصفه «فلاح انليل»، ومما جاء في هذه الترنيمة ويتصل بإنليل:

المنى الذى يهب الحياة، البذرة التى تهب الحياة
ملك نطق باسمه انليل
المنى الذى يهب الحياة، البذرة التى تهب الحياة
ننورتا، الذى نطق باسمه انليل
يا مليكى، سوف انطق باسمك مرة بعد مرة
ننورتا، انا رجلك، رجلك
سوف انطق باسمك مرة بعد مرة،
يا مليكى، النعجة ولدت الحمل،
النعجة ولدت الحمل، النعجة ولدت الشاه الحسنة
سوف انطق باسمك مرة بعد مرة .....
ما دام ملكا ....،
فى النهر يتدفق الماء العذب
فى الحقل ينبت الحب الوفير،
البحر يمتلئ بالشبوط والسمك....،

(١) نفس المرجع السابق، ص٨١.

وفى الدغل ينمو القصب القديم، والقصب الجديد
والغابات تحفل بالايائل والماعز البرى
وشجر ينبت فى القفار
والكروم تمتلئ بالعسل والنبيذ،
وفى البلاط تنبت «الحياة الطويلة»(١)

ويرتبط بانليل كإله العاصفة التي لا تبقي ولا تذر ولا يقف امامها شئ، موقفه من زوجته ننليل، فقد كان هو الاله الوحيد بين الآلهه الذي اغتصب زوجته. وحول هذا الاغتصاب ، هناك ملحمة ملخصها أن والدة الالهة ننليل قد نصحت ابنتها بالاستحمام في قناة تسمي «نوبيرا» وقالت لها بأن الاله انليل سيغازلك وعليك أن لا تمانعي وجاء في ذلك:

فى الجدول الصافى
يا امرأة، اغتسلى فى الجدول الصافى
ننليل، سيرى على ضفة جدول نوبيرا
وسوف يراك صافى العينين، السيد صافى العينين
الجبل الباذخ، الاب أنليل، صافى العينين
الراعى ... الذى يقرر المصائر، صافى العينين
سوف يراك
وسرعان ما سوف يحتضنك (؟) ويقبلك

وفعلت الالهة ننليل ما أوصتها به والدتها وهي مسرورة ولكنها مع ذلك لم تستجب لغزل الإله انليل عندما رآها، وفي ذلك تذكر الملحمة:

فى الجدول الصافى تغتسل المرأة، فى الجدول الصافى

---

(١) نفس المرجع السابق ص٨٤.

وتمشى ننليل على ضفة جدول نوبيرا
ورآها صافى العينين، السيد صافى العينين
،الجبل البارع، الاب انليل، صافى العينين
رآها الراعى... الذى يقرر المصائر، صافى العينين
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهى عازفة
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهى عازفة

وازاء هذا العزوف من ننليل يستدعي انليل وزيره ويحدثه برغبتنه في ننليل الجذابة، ويحضر الوزير سفينته حيث يغتصبها انليل وهم مبحرين في الجدول ونتيجة لهذه العلاقة الاثمة تحمل ننليل باله القمر سين.

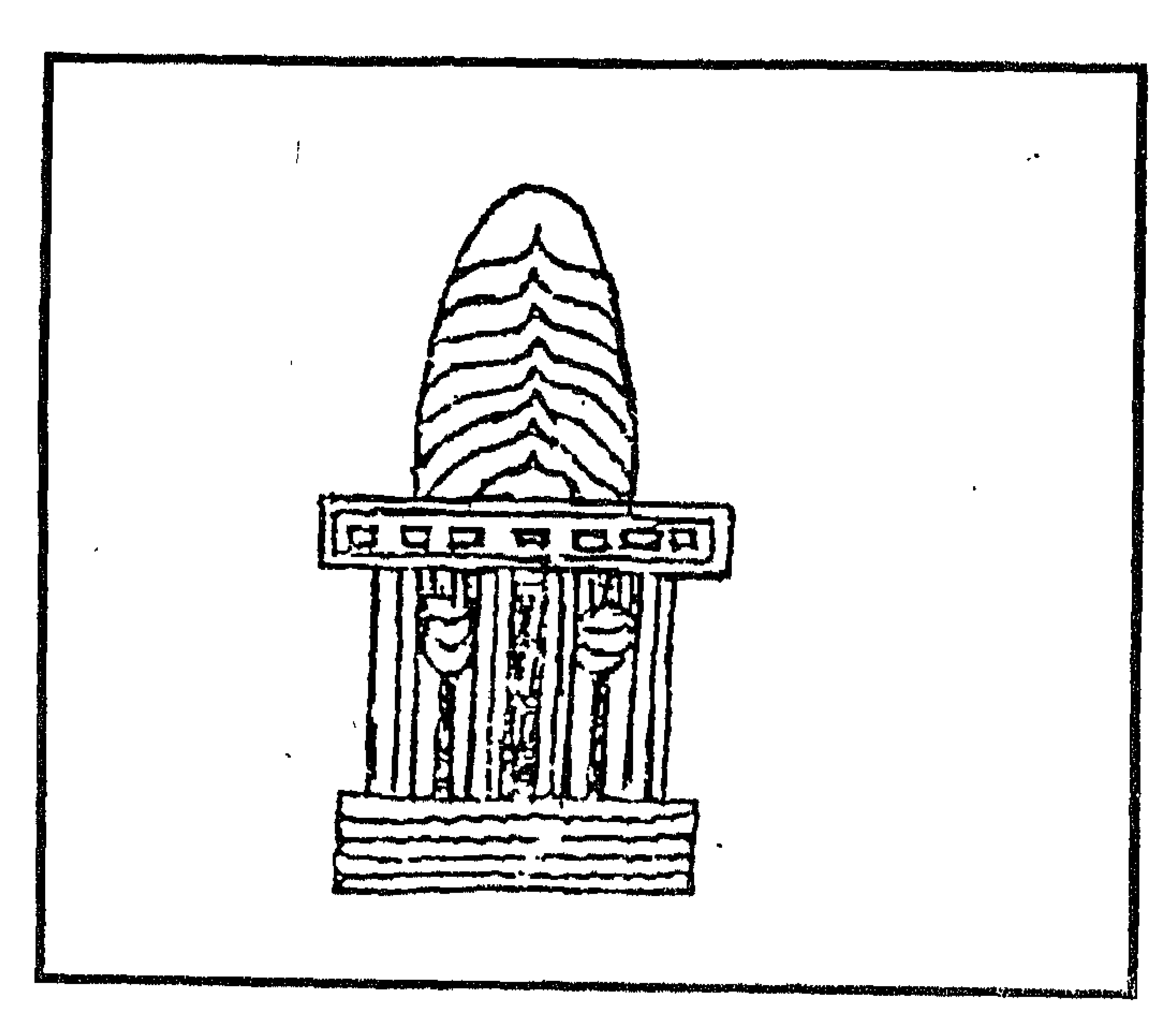
وارتاع الآلهه من هذا الفعل الاثيم، وعلي الرغم من ان انليل ملكهم فقد قبضوا عليه ونفوه من المدينة إلي العالم السفلي، وتبين الفكرة المتصلة بذلك بعض الضوء علي نظام مجمع الآلهه واسلوب عمله، وقد جاء فيها:

يتحول انليل فى كيور (محراب انليل الخاص)
وعندما كان انليل يتحول فى كيور
اذا بالآلهه العظام الخمسون
والآلهه الذين يقررون المصائر هؤلاء السبعة
يقبضون على انليل فى الكيور (قائلين)
انليل أيها الاثم، اخرج من المدينة

وكذلك خرج انليل وفق المصير الذي قررته الالهه متجها إلي العالم السومري السفلي، علي أن ننليل، وقد كانت يومئذ حبلي، ترفض البقاء من بعده فتتبعه في الرحلة التي فرضت عليه إلي العالم السفلي فيضايق ذلك انليل، اذ معني ذلك ان علي ابنه سين وكان مقدرا له أصلا أن يكون قيما علي أكبر جرم مضئ وهو القمر، أن يقيم في العالم السفلي المظلم المعتم بدلا من السماء، وعلي

ذلك فقد دبر انليل حيلة للنجاة من هذا الموقف اصبح سين بموجبها حرا في الصعود إلي السماء.

وبناء علي ما سبق، فقد اعتبر العراقيون القدامي الاله انليل، الاله الذي لا يرد له طلب، وكانوا يرون أن القمر متولد من علاقة غير شرعية، وتفسير هاتين الظاهرتين يعود إلي ما يحدثه الهواء من عواصف وأعاصير وغير ذلك من حالاته المتعددة التي لا يستطيع الانسان التحكم فيها، ومعني ذلك انه يفعل ما يشاء ولا يستطيع أحد أن يقف في طريقه، وفيما يختص بنظرة سكان بلاد الرافدين إلي القمر، فتعود أيضا إلي أنه الجرم الوحيد في السماء الذي يماثل تقريبا الشمس في حجمه الظاهري ولكنه متلون ويضئ مرة ويختفي في المرة الثانية ليس له ثبات سواء في شكله أو ضوئه مثلما هو الحال مع ثبات شكل الشمس وضوئها تقريبا، ولذلك شبهوا سلوكيات القمر بسلوكيات الابناء غير الشرعيين، أما رمزه ضمن المنحوتات وأحجار الحدود فهو التاج المقرن الموضوع فوق منصه، وهو بذلك يشبه تماما رمز والده الاله آنو. (شكل ٢٨)



(شكل ٢٨) رمز الإله انليل

وفيما يتصل بمكان عبادته، فقد كانت مدينة نفر هي مقر عبادة هذا الإله، وهي تقع في محافظة القادسية، ولقد أوضحت النصوص المسمارية أهمية الاله انليل وأهميته مدينة نفر وذلك من خلال التقليد الذي كان يفرض علي بقية الآلهه ان تذهب سنويا لزيارة الاله انليل في مقر عبادته وتطلب منه الرحمة والبركة لحكام المدن التي تعبد فيها تلك الآلهه، وكان معبده في مدينة نفر يسمي «ايكور» ويعني «بيت الجبل» وينسجم هذا المعني مع اللقب «الجبل العظيم» الذي هو أحد ألقابه، ويشير أيضا إلي أن لقب الجبل العظيم كان من أبرز القاب الاله انليل والا لما سُمي معبده «ببيت الجبل» والسبب في نشأة هذا اللقب ربما يرجع إلي قدرة الهواء علي جلب العواصف الترابية الكبيرة أو الغيوم الكثيفة التي تشبه الجبال العالية في أشكالها[١].

(٣) انكى:

تأتي مرتبته بين الالهه العراقية القديمة بعد الاله انليل، وأطلق عليه الساميون «ايا» ومعناه «بيت الماء» وأطلق عليه السومريون «انكي» التي تعني «سيد الأرض» وبالاضافة إلي كونه الها للارض وسيدا للمياه الجوفية فقد اعتبرته النصوص المسمارية علي انه اله الحكمة أيضا، ولذلك كانت الالهه تستشيره في المواقف الصعبة وتطلب منه النصح والمساعدة[٢].

ولكونه اله الحكمة فقد اعتقد الانسان العراقي القديم بأنه قد خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة بنسمته الالهية وهو الذي كشف عن صناعات مختلفة للانسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة علي تأديه وظائفهم المقدسة وخاصة في طقوس السحر التي كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ابسو في معبد أريدو

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٥٣.

(٢) T. Jacobsen., op. cit., p. 161.

وتعبر الوظيفة التي يمثلها انكي في الدولة العالمية عن مدي قوته والمكانة التي يتبوأها في الكون المنظم، فإنه يمثل نبيلا من كبار نبلاء البلد المتميزين بالحكمة وخبرة الحياة، ولكنه ليس ملكا، ولا حاكما بذاته لان الموضع الذي يحتله من دولة الدنيا انما هو قد عين فيه تعيينا وسلطته مستمدة من آنو وانليل، فهو بمثابة وزير لهما. فيمكن تسميته بمصطلحنا الحديث، وزير الزراعة في الكون. وقد عهد اليه الاشراف علي الانهار والقنوات والري وتنظيم قوي البلد الانتاجية. ويتغلب علي ما يجابهه من مصاعب بالنصح والتحكيم والمصالحه.

وأوضح أحد الاناشيد السومرية وظائف انكي التي اعتقد الانسان العراقي القديم انه يمارسها، ومما جاء في هذا النشيد:

أيها الرب، يا من بعينيك السحريتين،
حتى ولو كنت ساكنا غارقا فى الفكر،
تنفذ إلى القلب من كل شئ،
يا انكى، يا من وعيك لاحد له، يا ناصح
الانوناكى الاعظم،
يا عميق العلم، يا من قطاع عندما تعمل فطنتك،
للمهادنة والتقرير
والفصل فى منازعات القانون، يا ناصحا
من الشروق إلى الغروب،
يا انكى، يا سيد اللفظ الحكيم،
اياك أحمد،
لقد خولك أبوك آنو، أول ملك وحاكم
على عالم لم يكن قد اكتمل،
خولك فى السماء والارض أن تصنع وترشد،
ورفعك سيدا عليهما،

واليك قد عهد بأن تنقى الفمين الطاهرين
من دجلة والفرات
وأن تكثر اليانع من الخضرة، وتكثف الغيوم
وتغرق الماء على الارض المحروثة
وتنبت الغسائل فى المزارع والحدائق
الملتفة النبت كالغاب
هذه كلها عهد اليك بها آنو، ملك الالهه
وانليل وهبك اسمه الجبار الرهيب....
فأنت، لانك تحكم كل ميلاد،
انليل الأصغر،
أخوه الاصغر أنت، وهو الاله الاوحد
فى السماء والأرض.
أو لم يمنحك القدرة على تقرير
مصائر الشمال والجنوب مثله؟
وعندما تجعل أقوالك وقراراتك الخيره
المدن المهجورة تأهل من جديد
وعندما ، يا صبارا تتوطن آلاف من الناس
فى طول البلاد وعرضها،
أنت الذى تعنى بقوتهم،
انك فى الحق أب لهم
وانهم ليسبحون لجلال الرب الههم.

وتشير احدي الاساطير التي أصابها التلف بشكل كبير إلي كيفية تنظيم الاقتصاد الطبيعي في أرض الرافدين ولقد فقدت بداية الاسطورة التي ربما كانت تتصل بكيفية تعيين انكي في منصبه، وبداية النص المتبقي يشير إلي قيام انكي

بجولة تفتيشيه في أقاليمه، وهي تشمل معظم العالم المعروف عندئذ، حيث يقوم بزيارة الوحدات الادارية الكبري فيها.

ويتريث انكي في كل قطر يزوره ليباركه، وببركته هذه يعم علي البلد الرخاء ويثبته في وظائفه الخاصة ثم ينظم شئون الماء، فيملأ دجلة والفرات بماء عذب نقي ويعين الها للاشراف عليهما، ثم يملؤهما سمكا ويحدد مواقع الاقصاب فيهما، ويعين مشرفا الهيا آخر عليهما. ثم ينظم البحر ويعين إلها لتصريف اموره، وبعد ذلك ينصرف انكي إلي الرياح جالبة الامطار، ثم إلي شئون الزراعة، فيعني بالمحراث، ويشق خطه في الارض، وينمي الحب في الحقل.

ومن الحقول يولي وجهه شطر المدن والقري ويعين اله الآجر للعناية بصنع الآجر، ويحفر الاسس، ويبني الجدران، ويعين البناء الاكبر، مشرفا علي أعمال البناء وفي النهاية ينظم الحياة البرية في الفلاه، ويضعها بامرة الاله سوموكان، بينما يقيم الزرائب والحظائر للحيوانات الاليفة، واضعا هذه الحيوانات في عهده الاله الراعي دموزي أو تموز.

فانكي اذن هو الذي قد انشأ كل وظيفة ذات شأن في حياة ارض الرافدين الاقتصادية وعين الها يشرف علي عملها المستمر. وهكذا فان البابلي كان يري النظام في الطبيعة فيفسره كأنما الكون مزرعة شاسعة يدبر أمورها ويحسن تنظيمها مدير قدير.

ويتصل بوظائف انكي الخاصة بالاخصاب والتنمية ما ورد في احدي القطع الادبية، ومما جاء فيها[1]:

عندما جاس الاب انكى خلال الأرض المبذورة
طلع الزرع خصيبا،
عندما قدم إلى نعجتى المنجبة، ولدت حملها،

---

(١) صمويل كريمر: اينانا ودموزي، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ص٨١ - ٨٤.

عندما قدم إلى بقرتى «المبذورة» ، وضعت عجلها للمنتج ،
عندها قدم إلى عنزتى المنجية ، وضعت جديها المنتج ،
وانت عندما تذهب إلى الحقل ، إلى الحقل المحروث
تكرس اكواما وتلالا (من الحبوب) فوق السهوب العالية

وجاء في نفس هذه القطعة افتخار الاله انكي بأعماله ومما جاء فيها علي لسان انكي:

«أنا الرب ، من اذا أمر لا يسأل عن أمره ،
أنا الأول من بين جميع الأشياء ،
بأمرى ، الاصطبلات شيدت ، وحظائر الغنم سورت ،
عندما قاربت الارض ، فاضت ينابيع ،
وعندما قاربت مروجها الخضر ،
تكدست (الحبوب) اكواما وتلالا بكلمتى»

ونذكر نفس هذه القطعة الادبية ، أنه مع وفرة المياه التي جاء بها انكي اصبح بامكان الحقول أن تعطي الخير الوفير ، واصبحت قطعان الماشية قادرة علي انتاج اللبن والقشدة ، ومما جاء فيها ويتصل بذلك:

هو (انكى) الذى يدير المحراث والنير
الامير الكبير انكى يضع الثيران القرناء
فى الـ ....
يشق الأخاديد المباركة ،
ينبت الحب فى الحقل المحروث
والشديد البنية ، فلاح انليل
انكيمدو ، رجل القناة والسد ،
انكى عهد اليه برعاية كل ذلك

جاء الرب إلى الحقل المحروث، وضع
فيه الحب الكثير
وكدس الحب، الحب الكثير، الحب .... اكداسا
انكى كثر الاكوام والتلال
(من الحبوب)
والسيدة ذات الرأس والاطراف المنقطة،
ذات الوجه المطلى بالعسل،
السيدة، المكثرة، قوة الأرض، حياة الشباب
آشنان، الخبز المغذى، خبز الجميع،
انكى عهد اليها برعايته ....
لقد بنى اصطبلات، وأمر بتنظيفها.
أقام حظائر الغنم، وأحل فيها أطيب السمن واللبن
أدخل السرور إلى قاعات طعام الالهه،
اشاع الازدهار فى القفار الخامله،
خادم ايانا الامين، صديق آن،
الصهر المحبوب لـ «سن» الشجاع، زوج اينانا المقدسة،
السيدة، ملكة كل الناموس
التى تأمر مرة بعد أخرى أن يتكاثر أهل كُلاب،
دموزى، «اوشوم جال السماء» الالهى، صديق أن،
انكى عهد اليهم برعاية كل ذلك.....»

ولقد نسبت النصوص العراقية القديمة العديد من الاساطير للاله انكي(١)، ونذكر في هذا المحال صلته ببعض الاساطير التي تتصل بدوره في عملية تنظيم الكون وتبدأ الأسطورة بأنشودة مدح موجهه إلي انكي تصف دوره في خصوبة

---

(١) انظرك صمويل كريمر: اساطير العالم القديم، ص٧٩ وما بعدها.

الأرض وقطعان الأغنام والماشية، ويلي ذلك بعض الابيات التي يفخر فيها انكي بنفسه، ويبدأها بفخره بقرابته لكبار آلهة المجمع الالهي آن وانليل ونينتو والالهه الصغري المعروفة عامة باسم «انوناكي» ويلي ذلك فقرة من خمسة أسطر تتحدث عن انوناكي وهم يؤدون التبجلة الي انكي، ويلي ذلك اهزوجه فخر ثانية علي لسان انكي، يبدأها بتمجيد قوة كلمته وأمره في إمداد الارض بالرفاهية والرخاء، ويصف روعة محرابه، ويختتم هذه الاهزوجة بتقرير عن رحلته السارة في المستنقعات.

وتصف الاسطورة بعد ذلك انكي وهو في سفينته يستعذ لتقرير المصائب، ويبدأ بسومر نفسها فيمجد أولا أرضها المختارة المقدسة التي اتخذ الالهه مساكنهم فيها ثم يبارك قطعانها من الاغنام والماشية ومعابدها ومحاريبها وبعد سومر يتقدم إلي أور التي يعظمها بلغة رفيعة ويباركها بالرفاهية، ومن أور يذهب إلي ميلوخا فيباركها بسخاء الأشجار والبوص وبالثيران والطيور والذهب والقصدير والبرونز، ويلي ذلك ما يقدمه لامداد ودلمون وعيلام ومرهاش ومارتو ببعض ما يلزمها.

وبعد ذلك يقوم انكي بمجموعة من الاعمال الحيوية الخاصة بخصوبة الأرض وقدرتها علي الانتاج، فيبدأ بملأ دجله بالمياه العذبة المانحة للحياة، وحتي يتأكد من حسن أداء دجله والفرات فانه يعين الاله انبيلولو مفتش القناة ليشرف عليهما، وبعد ذلك يزود انكي المستنقعات واحراج القصب بالاسماك والبوص، وعين معبودا للاشراف عليها، ثم تحول بعد ذلك إلي البحر حيث شيد محرابه المقدس حيث عين الالهه نانش مشرفه عليه، ثم دعا آخر الامر المطر المانح للحياة فانزله علي الأرض وأقام رب العواصف مشرفا علي المطر.

ويهتم انكي بحاجات الارض الزراعية فباشر المحراث والنير والحرث ويعين فلاح الليل «انكميدو» مشرفا عليها، ثم يدعو بعد ذلك الحقول المزروعة فينبت مختلف حبوبها وخضرها، ويجعل ربه الحب «أشنان» مسئولة عنها ثم يعتني بقالب الاجر ويقيم رب الاجر مشرفا عليه، ثم يرسي الاسس ويخطط الاجر ويبني «البيوت» ويعين موشداما «بناء انليل العظيم» مشرفا عليها.

ويوجه انكي عنايته كذلك إلي السهل العالي فيغطيه بالنبت الاخضر ويكثر ماشيته ويجعل سوموجان «ملك الجبال» مسئولا عنها - ثم ينشئ بعد ذلك حظائر ويمدها بأحسن الدهن واللبن ويعين الاله الراعي «دموزي» أن يباشر رعايتها، وهو يثبت «الحدود» التي يفترض انها للمدن والولايات ويقيم نصب الحدود ويعين اله الشمس أوتو «مشرفا علي الكون بأسره» ثم يباشر انكي آخر الأمر «الاعمال الخاصة بالمرآة» وبخاصة نسج الثياب ، ويضع اتو الهه الكساء مشرفة عليه.

ومن الاساطير التي تنسب إلي انكي ايضا اسطورة الطوفان أو الفيضان الكبير، وهي توضح أن الاله انكي كان دائما حسن النية والشعور تجاه البشر، ورغم عدم العثور علي اللوحات الطينية المسجلة عليها تلك الاسطورة كاملة، فان ما عثر عليه منها يتحدث عن أحداث الفيضان الكبير المحلي الذي تعرض له العراق القديم قرب بداية العصر التاريخي.

وتبدأ اسطورة الفيضان بالاشارة إلي موضوع خلق الانسان وبداية الملكية وتكون المدن الأولي، وتتحدث الاسطورة عن خلق الانسان والحيوان، ثم تتحدث عن قرار الجمعية الالهية العمومية باحداث الفيضان، ولم تتقبل جميع الالهه السومرية لهذا القرار لخطورته، وكيف أن أنكي قام باخبار اوتو نابشتم بقرار الالهه وطلب منه ان يهدم بيته ويبني له سفينة ويضع فيها من كل زوجين اثنين. وسوف نتناول احداث هذه الاسطورة بالتفصيل وذلك في الجزء الخاص بالاساطير الدينية.

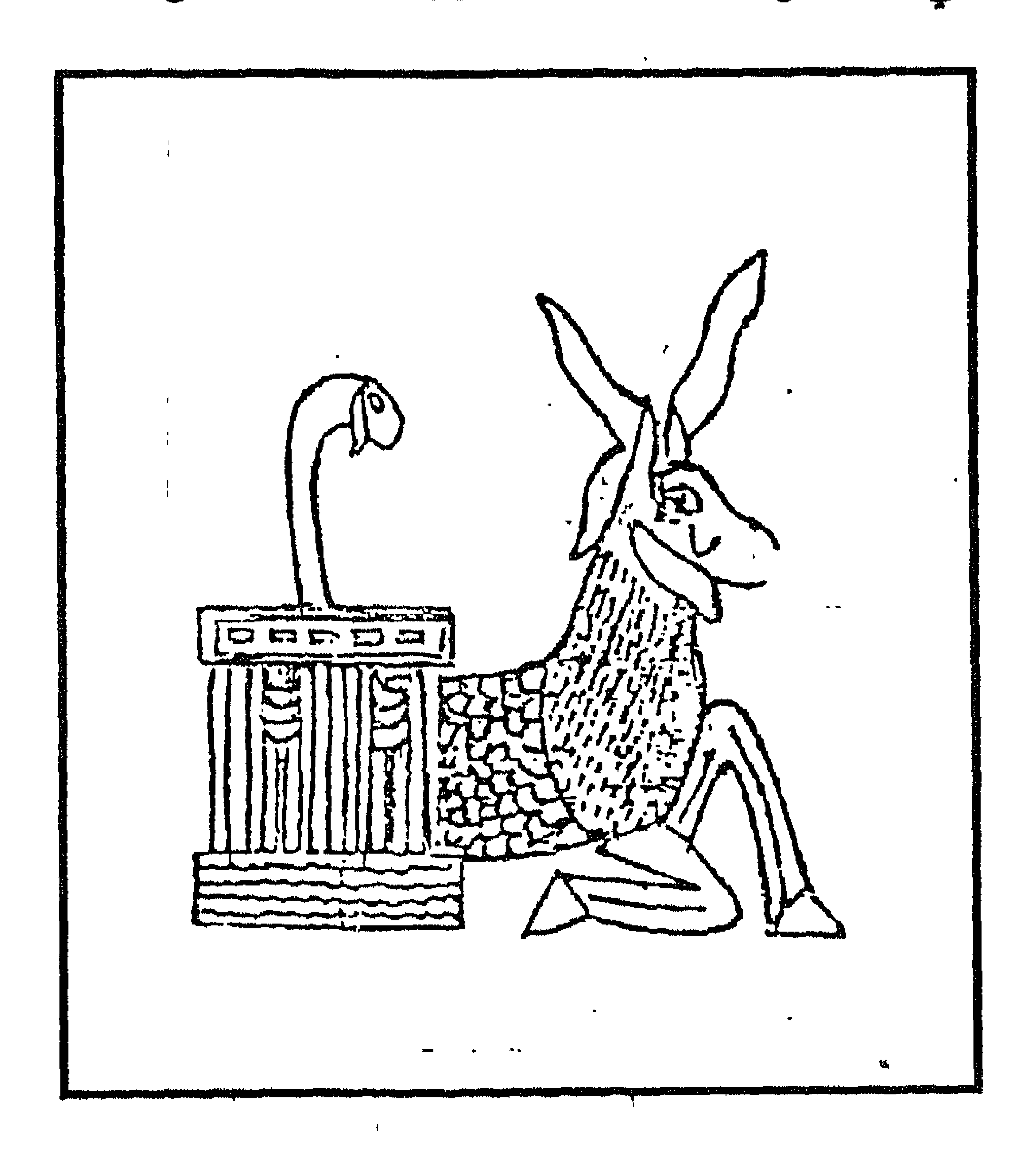
وفيما يتصل بموضع عبادة الاله انكي[1]، فلقد كانت مدينة أريدو (ابو شهرين الان) من أقدم المدن السومرية التي عبد فيها هذا الاله، وسمي معبده فيها «اي - ابسو» أو «اي - اينكورا» اي «بيت الغمر» أو «المياه» وذلك اشارة إلي انه قد ابتني بيته في الحياة الأولي التي جسموها بالاله «ابسو»

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٤٩.

ونسب البابليون إلي هذا الاله زوجه اشتقوا اسمها مثل اسمه وسموها «نن كي» اي سيدة الارض، حيث ان اسمه «انكي» سيد الأرض، وسميت ايضا باسم «دم - كينا» وقدس الاله انكي أو ايا في جميع انحاء العراق القديم وبخاصة في مدن «أور» و«لارسا» و«الوركاء» وقدسه الملوك الاشوريون. وفي ذلك ما ترويه نصوص الملك سنحريب في حملته الحربية علي عيلام، انه عندما بلغ شواطئ الخليج قرب مدينة البصرة، الحالية قدم إلي الاله «ايا» قاربا وسمكه من الذهب رماهما في الماء، وذلك حيث يوجد معبد الاله الاصلي.

ورمز الاله انكي عبارة عن كائن مركب يمثل الجزء الأمامي من حيوان والجزء الخلفي عبارة عن سمكة وهما متصلان بدكه المعبد (شكل ٢٩).



(شكل ٢٩) رمز الإله إنكي

(٤) سين

يمثل الاله سين القمر وهو يأتي علي قمة الثالوث الثاني الذي وضعه البابليون لآلهتهم وهو يضم معه اله الشمس (شمش) و«أدد».

ولقد أطلق السومريون علي اله القمر «ننار» أو «ننا» Nanna عليه الاكديون التسميه «سين» التي تفيد معني «رجل السماء» بينما أطلق عرب الجنوب علي القمر التسمية «ود» أما الآراميين فقد سموه شهر[1].

ويرمز للإله سين بهلال وحده، أو بهلال مع صورته علي هيئة البشر، واشتهر الاله القمر بالحكمة وهو يشترك مع اله الشمس «شمش» في شئون العدالة. وكان سين يقيس الزمن وهو الذي ينهي الايام والشهور والسنين للملوك المذنبين. وكان خوف القمر من الحوادث المهمة التي تطير منها البابليون. ولقد جاء في بعض الكتب السحرية أن خسوف القمر يحدث بهجوم سبعة شياطين أو أرواح شريرة علي القمر، وكانوا يصلون عند الخسوف للاله ويقربون القرابين حتي يظهر مضيئا مرة أخري بعد أن يقهر الشياطين والظلام[2].

وفيما يتصل بمكان عبادته، فقد عبد في مدينة أور منذ أقدم الأزمنة، وكان له معبد فيها، حيث توجد بقايا معبده المدرج المعروف باسم الزاقورة، ولقد انتقلت عبادته إلي أماكن أخري حيث شيد له معبد في حران، وقد بلغت قدسيته في أور درجة كبيرة حتي أن كثيرا من الملوك قد عينوا أبناءهم وبناتهم ليكونوا كهنة له، وكذلك فعل الملوك الاشوريون في معبد في حران، وقد انتشرت عبادته من حران إلي فينقيا وكذلك مناطق الآراميين[3].

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٢) M. Baigent, From the Omens of Balylon Astrology and Ancient Mesopotaimia. London, 1994, pp, 95 ff.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٥١.

ولقد أشرنا فيما سبق عند حديثنا عن الاله انليل عن الاسطورة الخاصة بمولد الاله سين وكيفية مجيئه.

(٥) الاله الشمس (شمش)

يلي الاله القمر في المنزلة، وحسب العقائد البابلية فقد ولدت الشمس عن القمر حيث اعتقد أنه كان للقمر سين العديد من الأطفال، وكان من بينهم الاخوان شمش وعشتار[١]، وقد سماه السومريون باسم «أوتو» ومعناه الضوء والنور واليوم، والعلامة المسمارية التي كتب بها اسم هذا الإله كتب بها أيضا كلمة «يوم» وكذلك الصفة «ناصع». وأطلق عليه السومريون كذلك «يبار» أي النير، ويلفظ اسمه بالاكدية «شمش»، وأطلق عليه العبرانيون التسمية «شمش»، والعرب «شمس» والفينيقيون في رأس الشمرة «شفش»[٢].

وكان رمزه عبارة عن قرص مزين بنجم ذي أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الاشعة المموجة كما مثل أيضا بهيئة آدمية كما صور في أعلي مسلة حمورابي حيث مثل بهيئة ملك جالس علي عرشه ويحمل في يده اليمني الصولجان والحلقة، وهي من شارات السلطان وتاجه مزين بأربعة أزواج من القرون، وهو زي لباس الرأس عند الالهة، وله لحية طويلة مثل الاله القمر وتنبعث من كتفيه حزم الاشعة (شكل ٣٠، ٣١).

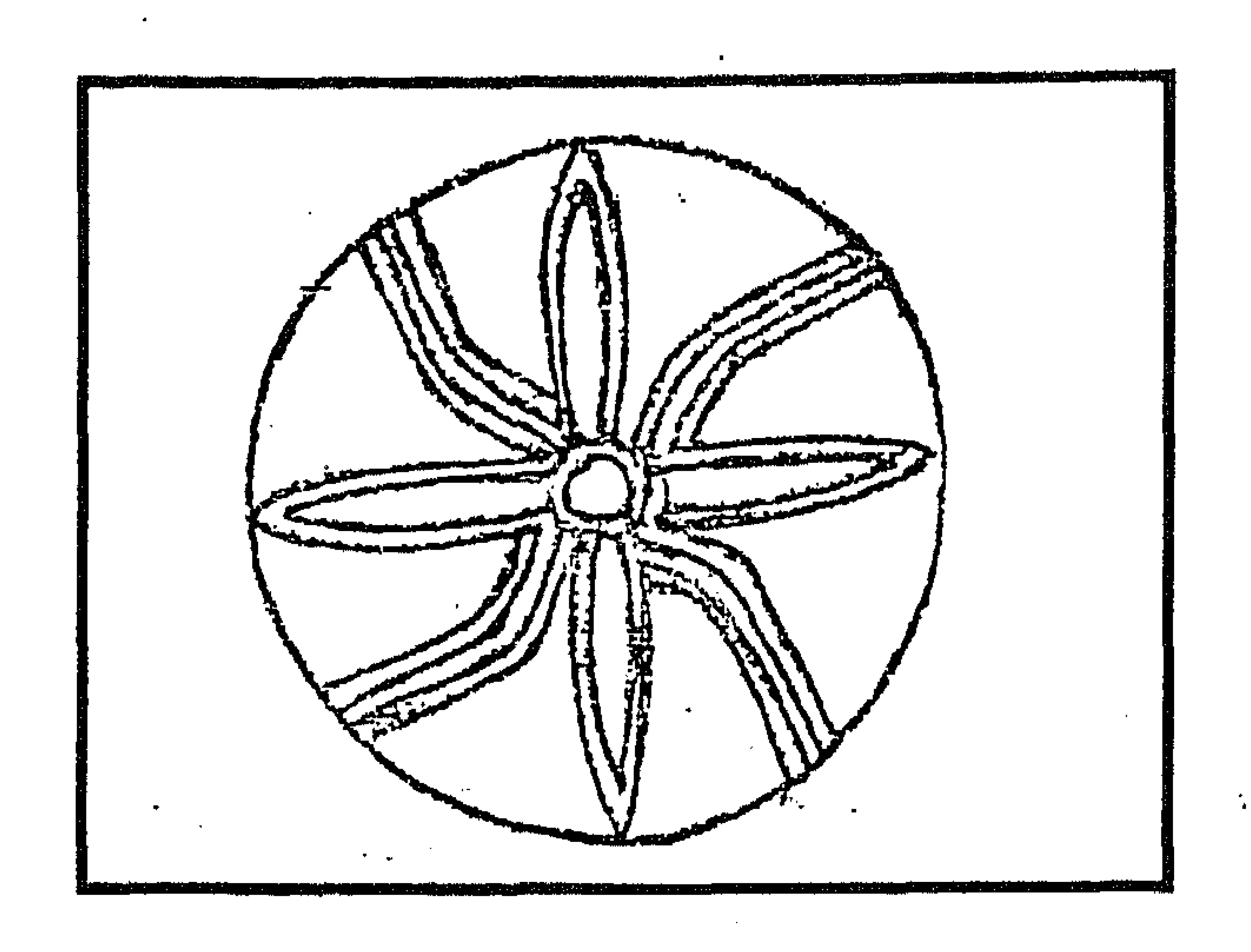
ويوصف شمش بأنه ضوء العالم والاعماق وأنه هو الذي يولد النهار والليل ويهب الحياة ويحيي الموتي وهو اله العدل والحق والشرائع وهو الذي أملي علي حمورابي قوانينه[٣] وهو القاضي الاعظم وسيد الكهانة والعرافة، وحسب

---

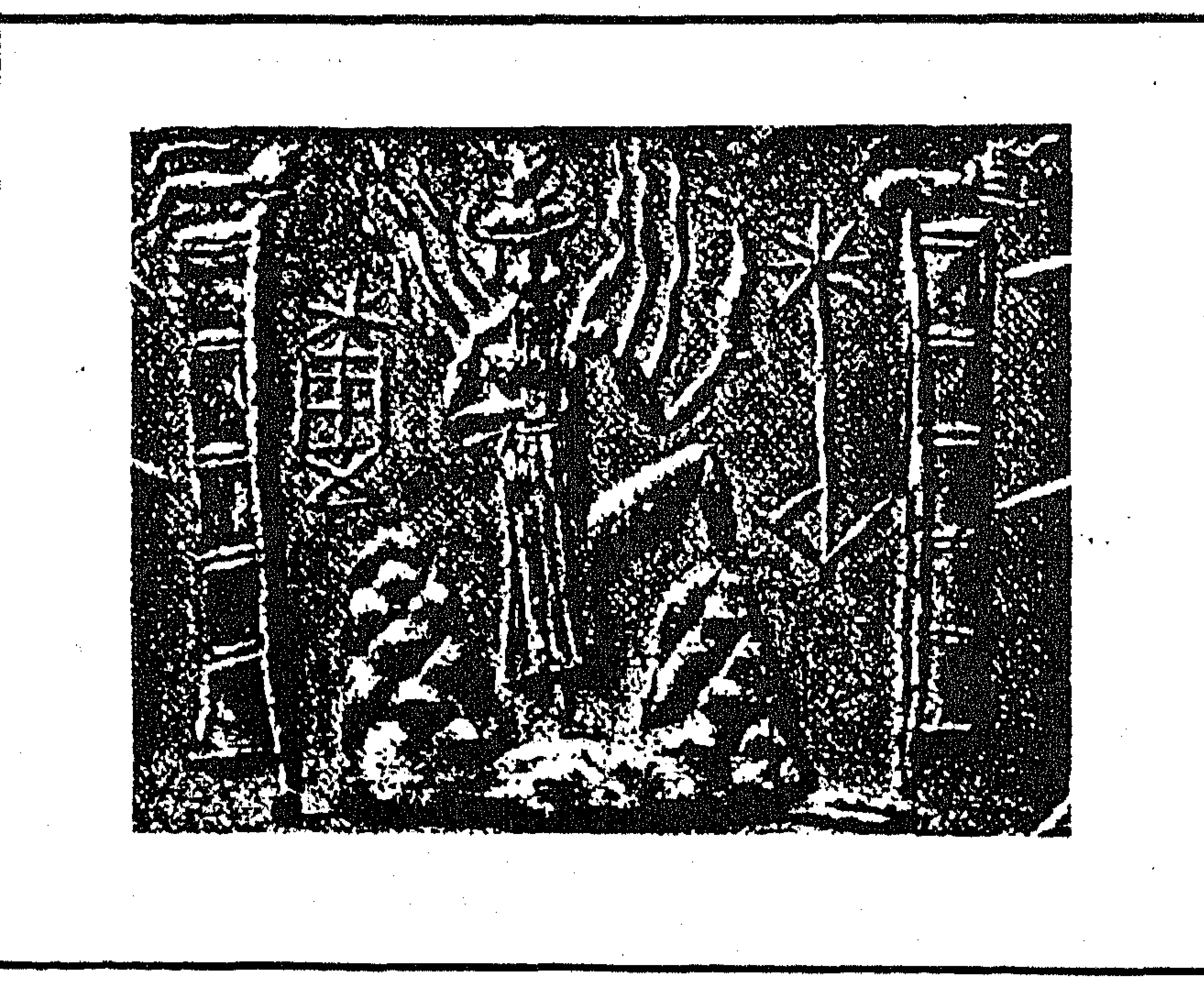
(١) M. Baigent, op. cit., p. 108.

(٢) طه باقر المرجع السابق، ص٢٥١.

(٣) T. J. Meek, "The Code of Hammurabi", in ANET., pp. 163 ff.



(شكل ٣٠) رمز الإله شمس



(شكل ٣١) الإله شمس

المعتقدات السومرية فانه كان يغور أثناء الليل في البحر ويطلع في الصباح من بين الجبال[1].

وقد عبد اله الشمس في مدينتي لارسه وسيبار، ولقد قدسه الاشوريون وشيدو له المعابد، وقد جسم البابليون العدل والحق واعتبروهما ابنين له، كما اعتبر آخا للإلهه انانا (عشتار).

(٦) عشتار

من بين جميع المعبودات العراقية، كانت المعبودة عشتار من أكبر المعبودات إنتشارا[2] واشتهرت عشتار بكونها الهه الحب، وإلهه الحرب وعبدت كمعبود ذكر في الصباح وإلهه أنثي في المساء وكان رمزها الزهرة. واعتبرت في بعض النصوص ابنه أنو وفي البعض الآخر ابنه سين، وهي أخت شمش اله الشمس وفي ذات الوقت اخت «اير شكيجال» معبودة العالم السفلي.

واحتلت عشتار مكانا كبيرا في ديانة سكان بلاد الرافدين (شكل ٣٢) كما انتشرت عبادتها في مناطق أخري من الشرق الادني القديم، وقد سماها السومريون باسم «اينانا» أو «انيني» وهي تفيد معني «سيدة السماء» وسماها الاكديون والاشوريون باسم «عشتار» وفي بلاد الشام عرفت باسم «عشتاروت و عشتوريت»، كما عبدت في بعض المناطق العربية الجنوبية حيث صار اسمها مرادفا لكلمة (الهه) لشهرتها وتقديسها ، وانتقلت عبادتها إلي بلاد اليونان حيث سميت باسم «أفروديت» وعبدها الرومان باسم فينوس[3] (شكل ٣٣)[4].

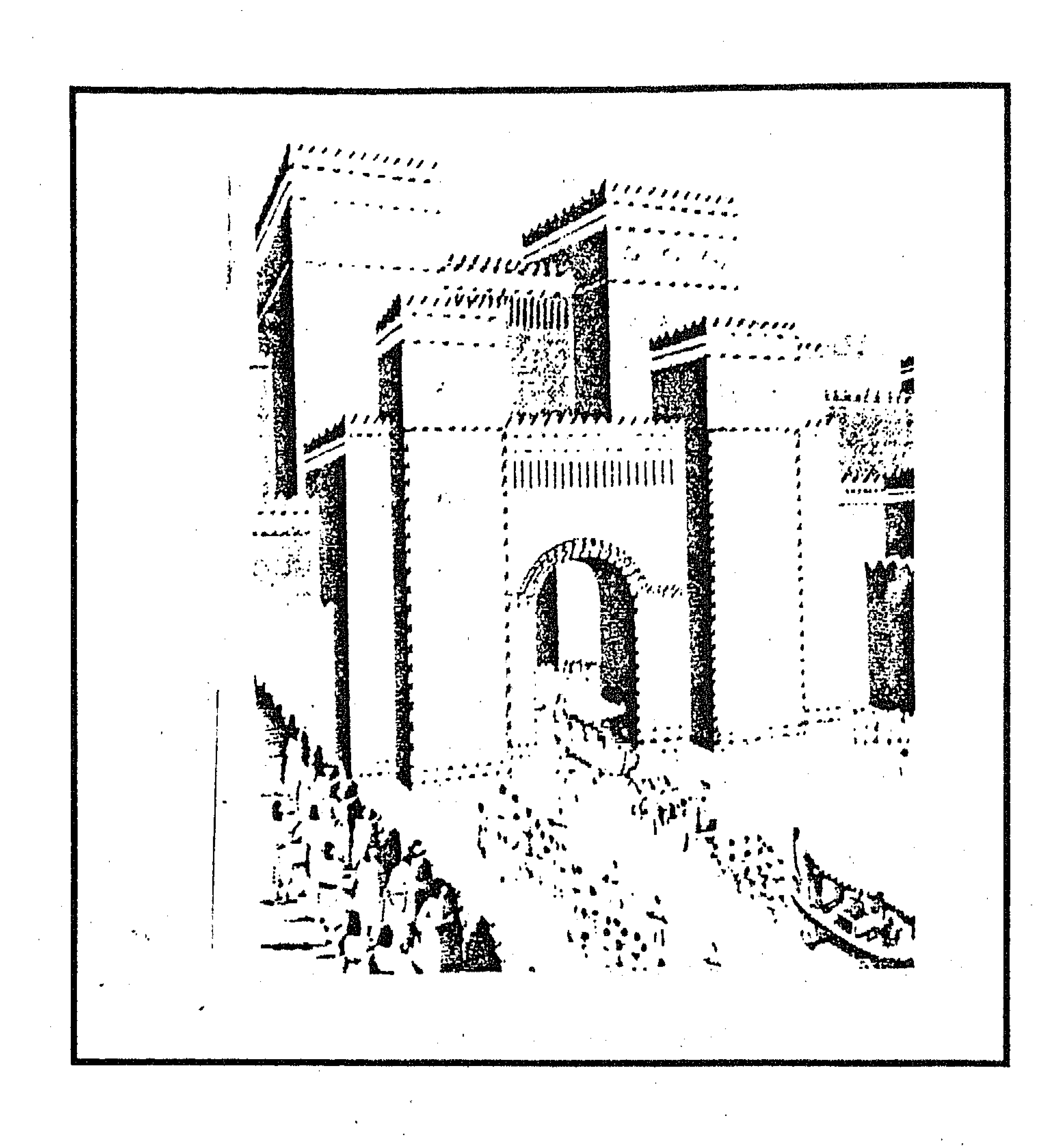
---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٥٩.

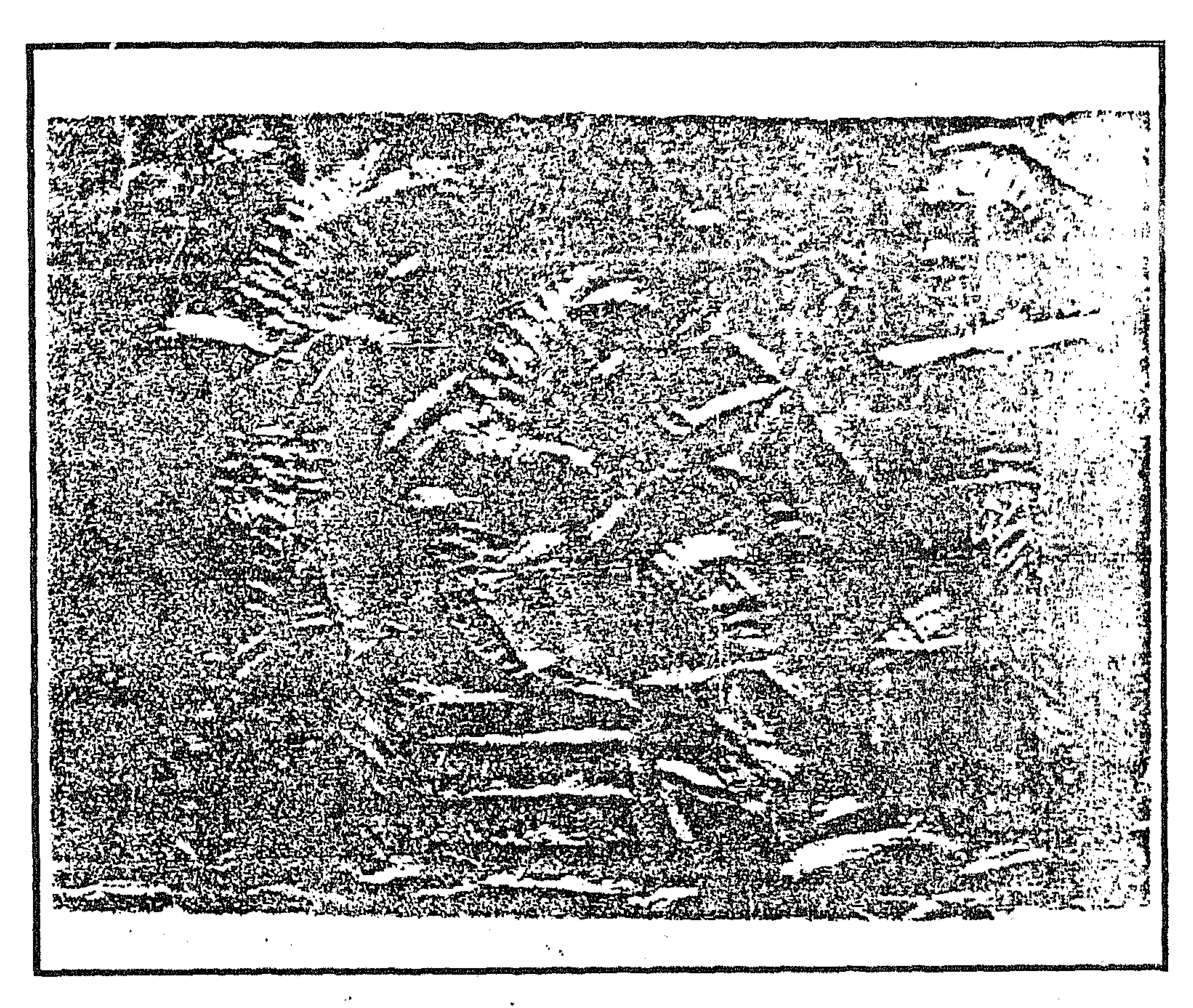
(٢) M. Baigent, op. cit., pp. 117 ff.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٥٢ - ٢٥٣.

(٤) طبعة ختم ترجع إلي العصر الاكدي، وهو يوضح عشتار فوق عرشها. أنظر:
Wolkstein, D., Kramer,S. N., Inanna, Queen of Heaven and Earth, Her Stories and Hymns from sumer, London, 1984, p. 52.



(شكل ٣٢) باب عشتار في بابل

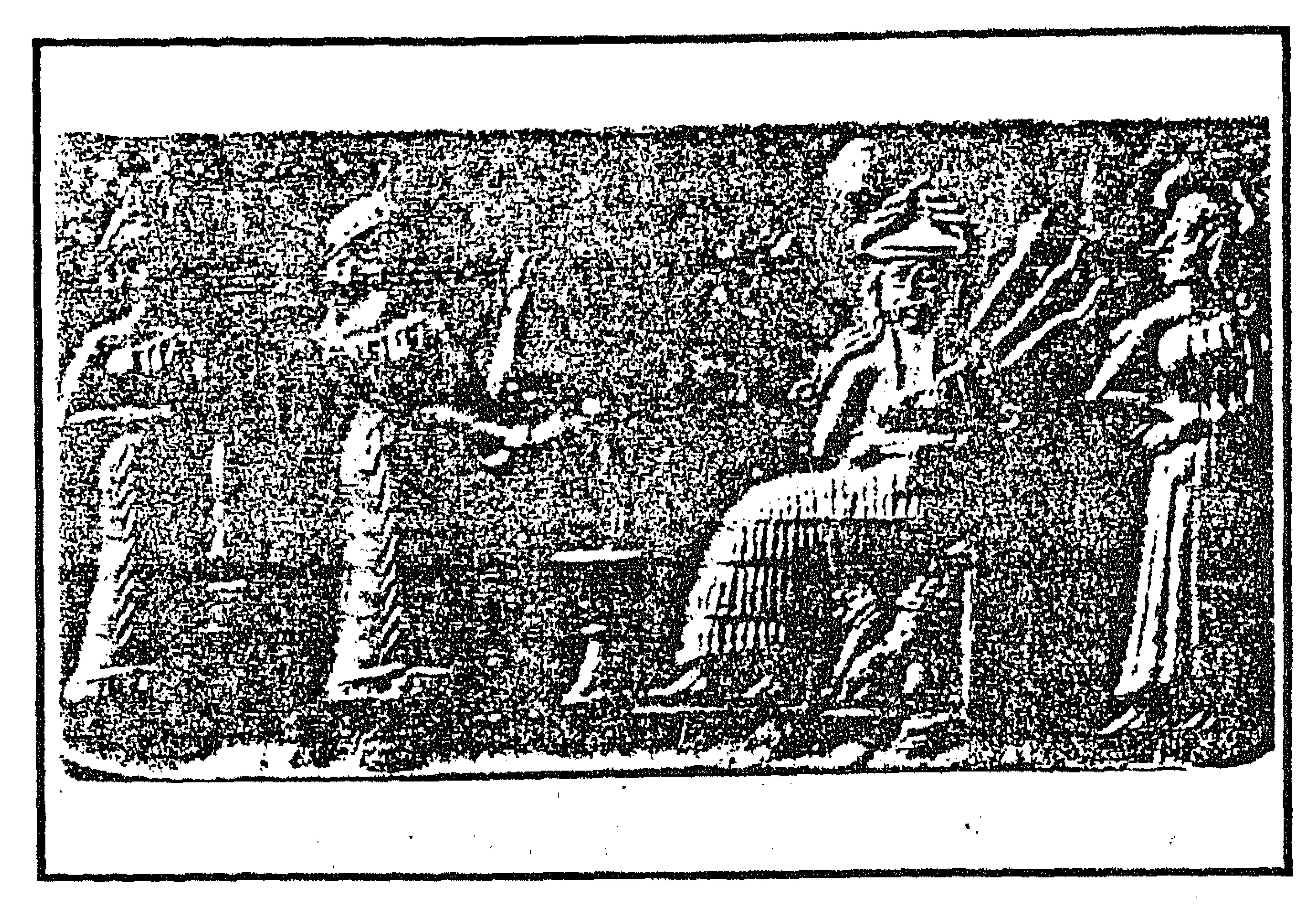


(شكل ٣٣) الإلهه عشتار تحمل اسلحتها

وقد طغت شخصيتها علي الالهات الأخريات، وكان اسمها المفرد يعني اي واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الالهات عامة، وكانت تمثل كالهه للحرب واقفة منتصبه علي أسد أو اثنين وهي تحمل الجعبة وفي أحدي يديها سلاح مقوس وفي الأخري صولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوهما رؤوس اسود.

وقد احتلت عبادتها في أوروك محل عبادة أبيها، حيث كان محبوها من الكثرة بحيث لا يمكن حصرهم، وكانت تسعي لغواية البشر، واعتبرت في هالاب Halab ابنه للاله سين وسيدة المعارك وفي اكد وسيبار فانها مزجت علي ما يبدو

تحت اسم «انو نيتوم» بين الشخصيتين وذلك في عهد نابونيد علي الاقل حيث كان يسميها «سيدة العراك التي تحمل الجعبة والقوس»(شكل ٣٤) (١) وكانت في نفس الوقت تضع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبها(٢).



(شكل ٣٤) الإلهة عشتار فوق عرشها

وخصها الاشوريون بالتقديس وبخاصة في صفتها الحربية وقد ذكر بعض ملوكهم أنها سارت معهم في طليعة جيوشهم وحققت لهم النصر.

واقترنت عشتار مع الاله دموزي (تموز) بوصفه زوجها، ويمثل تموز بوجه عام الخضار والنبات في زمن الربيع، ويمثل اقتران عشتار مع دموزي طقوسا مهمه في حضارة العراق القديم وهي ما تعرف باسم طقس الجنس المقدس أو طقس الزواج المقدس كما اصطلح علي تسميته وكان الزواج المقدس حفلا بهيجا تصحبه

---

(١) Wolkstein, D., Kramer, S.N. op. cit., p. 72.

(٢) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص ١٧٠ - ١٧١.

أناشيد غزلية شبيهه بالاناشيد التي تضمنها سفر «نشيد الاناشيد» المنسوب إلي سليمان عليه السلام، ورغم هذا الحب فقد قضي حب عشتار علي دموزي حيث انتهي نهاية مؤلمة بموته، وتصف ملحمة شعرية نزول عشتار إلي العالم السفلي في بداية الربيع من كل عام لتعيد دموزي من عالم الاموات الذي يذهب إليه في صيف كل عام.

وسنقدم فيما بعد مقتطفات من أسطورة انيانا (عشتار) ودموزي وذلك في مجال الحديث عن طقوس الجنس المقدس أو الزواج المقدس عند السومريين.

وفيما يتصل بالمعبودات الممثلة للسلطة السياسية فى العراق القديم فمن أشهرها الآلهه ننجرسو ومردوخ وآشور، وسنلقي بعض الضوء علي هذه المعبودات فيما يلي:

(١) نجرسو:

اعتبرت النصوص المسمارية الاله ننجرسو صورة ثانية للاله ننورتا وهو أول مولود للاله انليل، واعتبرته اله حرب «خبير في العراك» تستطيع البلاد أن تحتمل وطأته الثقيلة، كما اعتبرته أيضا الها للخصوبة وسيدا للاراضي الزراعية ومنظما لقنوات الري.

وكان يمتزج بسادة بعض المدن وعندئذ كان يطلق عليه اسم اله المكان، ففي لجش في حي جيرسو كان يسمي ننجرسو أي «سيد جرسو»، وكان يمثل فيه آلهه آخرون مثل زابابا في كيش، وأوراش في ولبات، وكان له علي الاقل عشرون سلاحا مختلفا، ففي يمناه كان يمسك بالـ «شار أور»« وهي حزمه من العصي والاسلحة بسنان محدبة تعلوها رأس أسد، ويظهر علي كتفيه غالبا مقدم أسد، كما يظهر نفس الحيوان الرمزي بين قوائم عرشه أو تحت قدميه[١].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص١٧٣.

وللاله ننجرسو عدد من الاخوات والاخوة عبدوا جميعا ضمن منطقة نفوذ سلاله لجش وهم الاله نانشة مفسرة الاحلام، والاله نسابا اله المحبوب، والالهه كاتوم دوك التي توصف بأم جميع الأطفال، والاله ايشوم مقدم المشورة للاله نرجال اله العالم السفلي، أما زوجته فهي الالهه بابا، أخت الاله أنو.

وتصف كتابات الامير جوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م) ثاني حكام أسرة لجش الثانية المعبود ننجرسو بأنه اله العدالة، كما وصفته بأنه كان كبيرا بحجم السماء والارض، وأن رأسه كرأس الاله وان جناحه تشبه جناحي الطائر آنزو، وأن القسم الاسفل من جسمه كان البركان، ومما جاء في ذلك علي لسان الإلهة نانشة مفسرة حلم جوديا:

الرجل العظيم الجرم كالسماء، العظيم الجرم
كالارض،
ورأسه راس إله،
وجناحاه جناحا طائر .. (أنزو)
وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان،
وعن يمينه وشماله أسدان يربضان...»(١)

وجاء في هذه الكتابات علي لسان الاله ننجرسو تعداد لسلطاته ودوره في ادارة حكم المدينة ووعده لأهالي لجش بالثرورة والرفاهية، ومما جاء فيها:

«عندما تضع يدك على بيتى، البيت الأول فى جميع البلاد،
ذراع لجش اليمنى
تلك التى تزأر كطائر أنزو فى كبد السماء
الا نينو، بيتى الملكى،

---

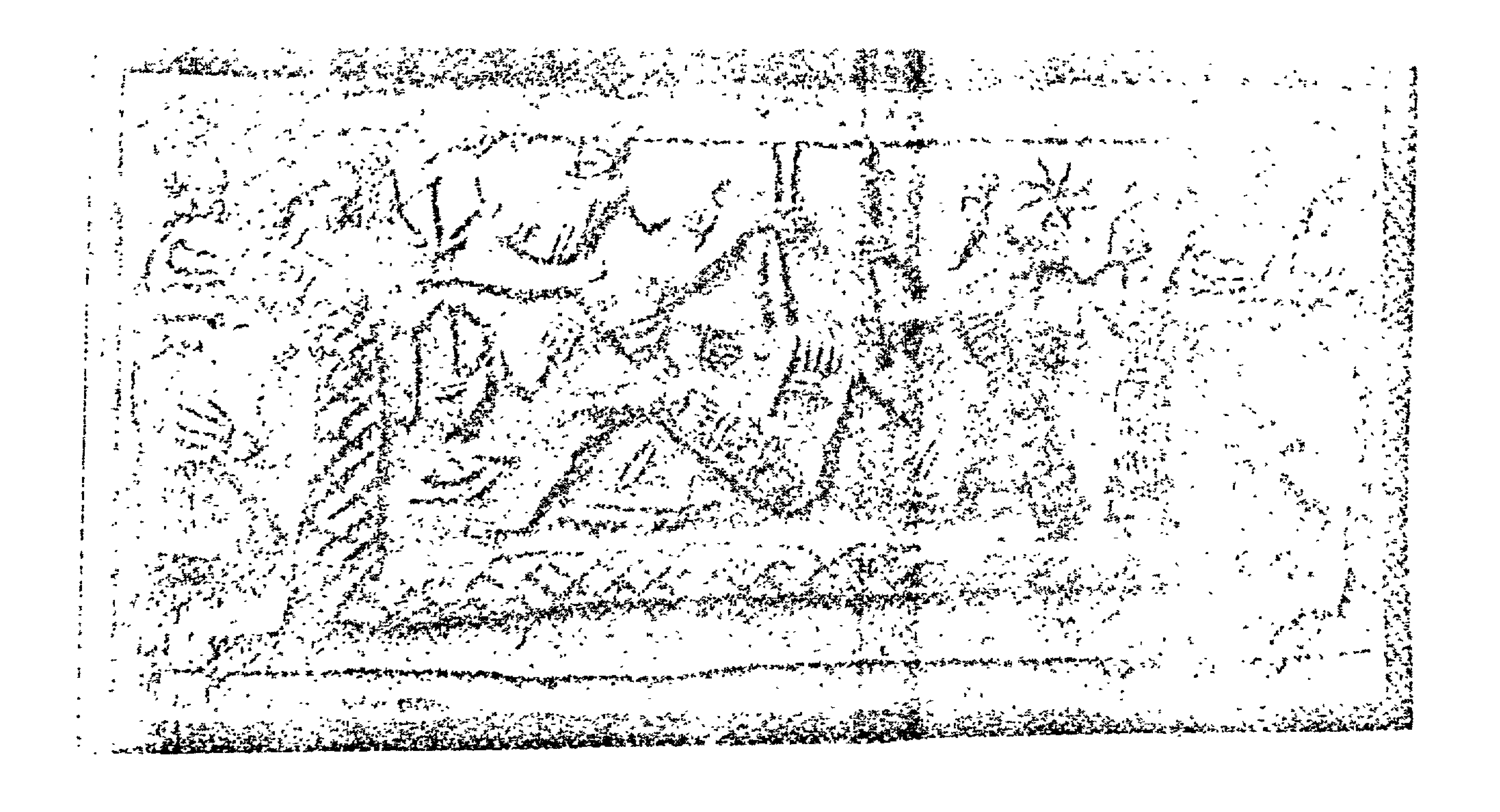
(١) صمويل كريمر: المرجع السابق، ص٤٨.

أيها الراعى الأمين، جوديا، عندما تضع يدك الامينة من أجلى،
عندئذ ادعو السماء لكى تمطر
وينزل الفيض اليك من السماء
وينعم الناس بهذا الفيض....،
،بتأسيس بيتى، سوف يأتى الفيض
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك،
سوف تفيض القنوات عن حوافيها من أجلك،
فى الروابى التى لم يرتفع اليها ماء،
سوف يرتفع الماء من أجلك
وسوف تسكب سومر كثيرا من الزيت من أجلك،
وسوف تزن لك الكثير من الصوف
فى اليوم الذى تملأ فيه مصطبتى،
فى اليوم الذى تضع يدك الامينة على بيتى
سأضع قدمى فى الجبل
حيث تقيم ريح الشمال
وكانسان ذى قوة هائلة، ريح الشمال
من الجبل، المكان الطاهر
سوف تهب رأسا نحوك.
،لأنه بعد أن أكون أعطيت نسمة الحياة للناس سوف يقوم رجل واحد بعمل أكثر من عمل رجلين،(١)

ولقد سمي معبد تنجرسو في مدينة لجش باسم معبد «الايبينو» ومعناه معبد الخمسين، وكان رمزه علي المنحوتات هو صورة الطائر المعروف باسم «انزو».

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٥٢.



(شكل ٣٥) ختم اسطواني آشوري يمثل الإله مردوخ يقضي علي تيامات

(٢) مردوخ

كان الاله مردوخ الها محليا في مدينة بابل، إلي أن رفعه حمورابي إلي المرتبة الأولي واصبح اله مدينة بابل الرئيسي، ومعني اسمه باللغة السومرية «عجل اله الشمس» واسمه في البابلية «مار - دوكو» بمعني ابن الاله «دوكو» اي التل المقدس والذي يعتبر مجلس الآلهة[١].

وجاء أقدم وصف أدبي للاله مردوخ في مقدمة شريعة حمورابي وقد ورد فيها:

«عندما (قضيا) الاله آنو المتسامي، ملك الانوناكي والاله انليل سيد السماء والارض مقرراً مصائر البلاد، قضيا للاله مردوخ الابن البكر للاله انكي (ان يتمتع) بقدسيه الاله انليل علي كل البشر وجعلاه عظيما بين آلهه الايكيكي»[٢].

وعندما عظمت مكانة مدينة بابل في زمن حمورابي وأصبحت عاصمة الامبراطورية البابلية، ارتفع شأن مردوخ وصار مقدسا في جميع البلاد، وقد ظهر هذا التبدل في مركز مردوخ في أسطورة الخليقة البابلية حيث أعطي مردوخ المركز الأول بين الالهه وأصبح بطل الرواية ونقلت سلطات الآلهه اليه، ومما جاء في هذه الاسطورة ويتصل بصفات مردوخ:

كان فاتن القوام، ثاقب النظرات
أجل! كانت مشيته مشية العظماء
جبار منذ البداية
فلما رآه أبوه الاله ايا الذى ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأ قلبه بالسرور[٣]

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٦١ - ١٦٢.
(٢) T.J. Meek, "The Code of Hammurabi", in ANET, p. 164.
(٣) ستيفاني دالي: المرجع السابق، ص٢٨٤.

ولم لا! فقد جاء كامل الاوصاف يوازى إلهين فى العقل
أجل! لقد كان ممجدا بين الالهه وكان الاعظم بينهم
كان كامل الاعضاء والاطراف إلى حد لا يصدقه عقل
فلا أحد يفهمه ولا عقل يدركه،

ويوضح اللوح الرابع من الاسطورة مبايعة الإله مردوخ باعتباره قائدها الاوحد الذي لا نظير له، وقد جاء فيه:

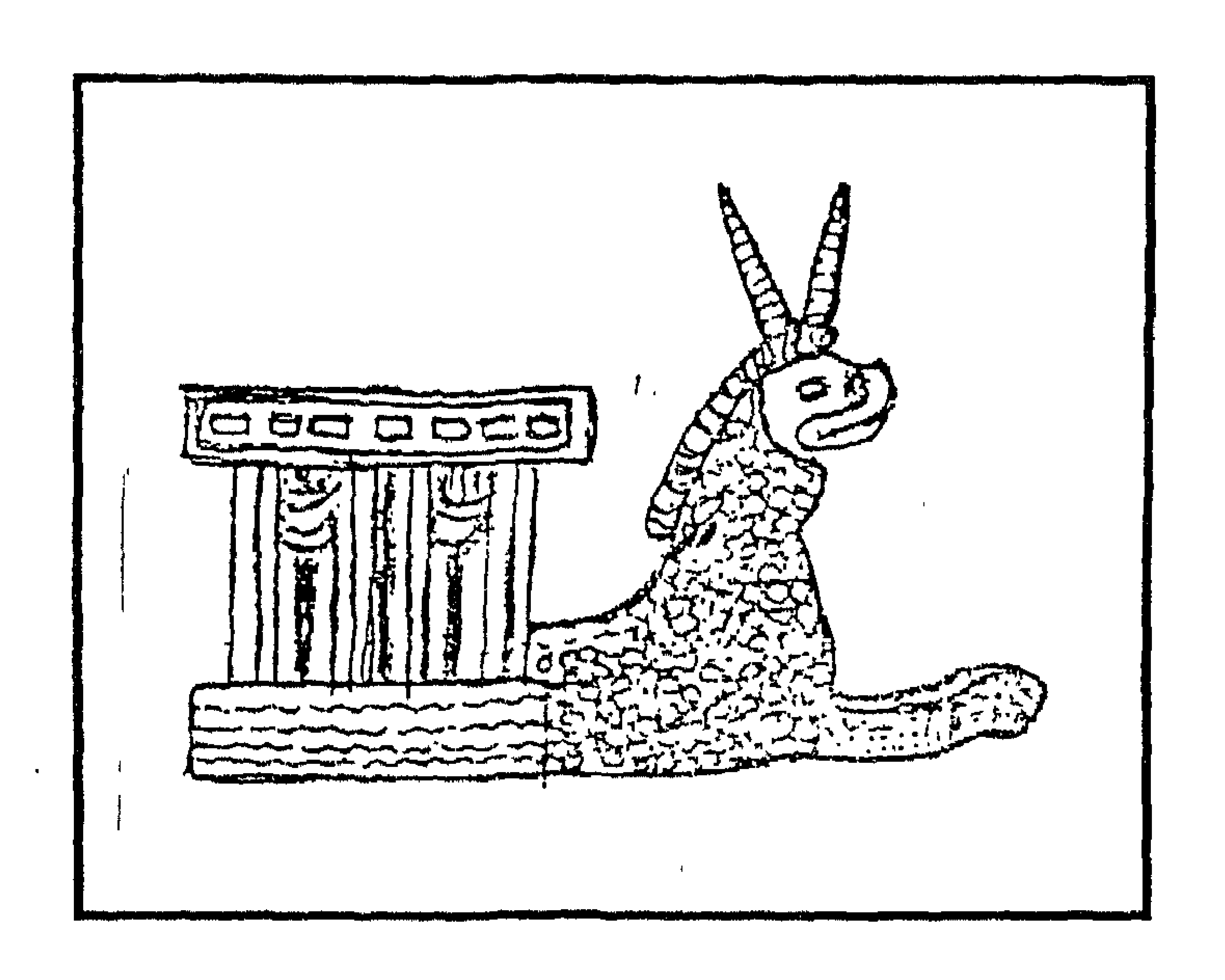
،وأقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قباله آبائه الالهه
وعندئذ بايعوه قائلين: أنت الأعظم اجلالا بين الالهه
فقرارك لا يدانيه شئ وأمرك هو أمر السماء
ومنذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابته لا تتغير
فمن شئت ان ترفع أو تخفض فأمره منوط بيديك
أجل! ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما من الخطأ
ولن يتخط حدودك أى، من الالهه....
يا مردوخ أنت بالحق من يثأر لنا
ها نحن نبايعك على ملوكيه الكون بأجمعه
وعندئذ تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا
وسوف لن تقهر أسلحتك بل أنها ستحطم اعداءك،(١)

ومنذ حوالي عام ١٤٠٠ ق.م انتقلت طقوس الاله مردوخ إلي منطقة أشور، فأصبح منذ ذلك الحين منافسا مؤثرا للاله اشور في منطقة أشور، ومادام الاله مردوخ كان بالدرجة الأولي رمزا للسلطة السياسية البابلية فقد أنيطت به أيضا

(١) E.A. Speiser, op. cit., p. 66.

الكثير من المهام، لذلك أشارت النصوص المسمارية إلي أنه اله الحكمة واله طرد الارواح الشريرة وشافي المرضي وسيد القنوات والحقول والاله الحاكم والمجلب للضياء[1].

ولقد كان للاله مردوخ عدة رموز[2]، الأول هو الرمز المستخدم في مدينة بابل والذي هو عبارة عن حيوان مركب كل عضو فيه مأخوذ من حيوان يختلف عن الحيوان المأخوذ فيه العضو الآخر، ويسمي هذا الحيوان المركب في اللغة البابلية «الموشخوشو»، أما رموزه الاخري فقد ظهرت علي أحجار الحدود حيث يصور أحيانا بدكة معبد مع حيوان الموشخوشو (شكل ٣٥، ٣٦).



(شكل ٣٦) الإله مردوخ

وعرف معبده في بابل اسم «ايساكلا» ومرضعه الان في خرائب بابل في

(١) M. Baigent, op. cit., pp. 140 ff.
(٢) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٦٢ - ١٦٣.

المنطقة المعروفة الآن بعمران وكان ألهه بابل وسيبار يأتون سنويا في يوم عيد السنة الجديدة ليقدموا له ولاءهم، وكان موكبا عظيما ينظم في الطريق المقدس، الذي سمي لهذا السبب بشارع الموكب حيث تمر منه في باب عشتار إلي معبد قريب من النهر (أو عبر النهر) خصص للاحتفال بعيد السنة البابلي وكانت المصائر تحدد أثناء ذلك الاحتفال تحديدا قاطعا للسنة بأكملها، وكانت توقف هذه الاحتفالات في زمن الحرب أو عند حدوث كارثة[1].

(٣) أشور

كان الاله آشور الاله القومي للاشوريين وقد منح اسمه إلي العاصمة وإلي البلاد جميعا، ومثله مثل الاله مردوخ كان في أول الأمر اله غير ذي شأن اقتصرت عبادته علي مدينة آشور، ولكن بعد أن تدرج الاشوريون في نموهم السياسي وأسسوا امبراطوريتهم عظم شأن الاله آشور واصبح علي رأس الالهه البابلية والاشورية، وخصص له دور فعال في شئون الكون وخلق الأشياء والانسان وشيدت له المعابد في أشور وغيرها من المدن الاشورية[2].

ولا يعرف معني اسمه أو أصله، ولذا يرجح ان يكون أصله قديم جدا، ومما قد يؤكد ذلك ظهور اسمه ضمن كتابات ابيلا المسمارية التي تؤرخ في حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م.و وقد استمر ذكره في النصوص حتي القرن الثاني الميلادي حيث ظهر اسمه ضمن الكتابات الآرامية المكتشفة في الحضر.

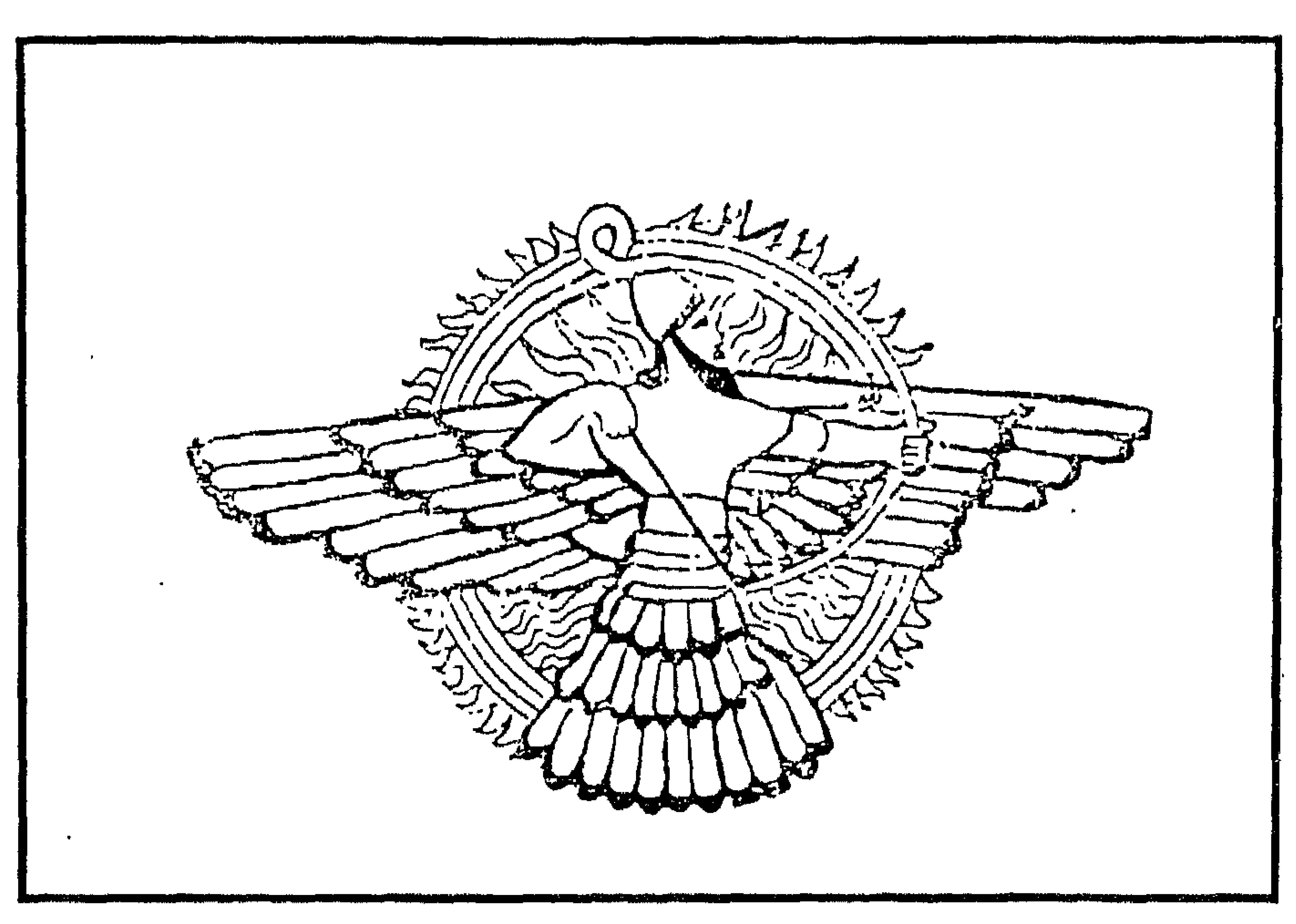
وقد اتخذت الاله آشور العديد من الالقاب ومن بينها ما تلقب بها الإله انليل مثل «الجبل الكبير» و«سيد البلدان» و«أبو الالهه» كما اتخذ كذلك لقب «سيد جبال حمرين» ومثل أشور عادة بانسان يطير بجناحيه وبيده القوس والسهم، وتنبعث الجناحان من قرص الشمس[3] (شكل ٣٧).

---

(١) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص١٤٤.

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٦٣ - ١٦٤.



(شكل ٣٧) الإله أشور

ثانيا: الكهنة

لم يكن هناك فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين في العراق القديم حتي نهاية التاريخ البابلي فقد كان الأمير هو الكاهن الاكبر لاله مدينته، وكان الملك الكاهن الاكبر للإله الوطني، ولقب الملوك أنفسهم بلقب كهنة الآلهه وكثيرا ما تقلد الحكام والامراء والاميرات منصب الكاهن الأعلي لإله معين، وانعكس تطور الحياة الاجتماعية والسياسية علي شئون المعابد فظهرت طبقات من الكهنة لكل منها درجته وعمله الخاص به، وكان علي رأسها الكاهن الاعلي المنوط به ادارة شئون المعبد، ومن هذه الطبقات ما كان يختص بأمور التنظيف والتطهير الديني ومنها ما يختص بادارة شئون المعابد وأملاكها وارداتها ومنها ما اتصل عمله بأعمال السحر والعرافة، كما كان هناك الكهنة المختصون بأعمال الغناء والترتيل والموسيقي ويأتي علي رأس الكهنة الكاهن **الأكبر** الذي أطلق عليه «الإين».

ويمثل أعلي مرتبة في السلم الكهنوتي في العراق القديم، ولذلك كان شاغلها يختار من الاسر الملكية أو الأسر ذات المكانة الاجتماعية الكبيرة، وأطلقت النصوص المسمارية علي هذا الكاهن التسمية «الاين» وهي تفيد معني كاهن أو كاهنة، أما اللغة الاكدية فقد أطلقت عليه «اينوم» ان كان كاهنا و«اينتوم» ان كانت كاهنة.

وتمتع الكاهن الأكبر بسلطات كبيرة فكان في بداية التاريخ العراقي يجلس علي عرش فخم يصنع خصيصا له، ويبدو أن هذا العرش كان لا يختلف عن العرش الذي كان يجلس عليه الحاكم خلال الالف الرابع والنصف الأول من الالف الثالث قبل الميلاد، وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة الدينية حيث تلقب حاكم دولة المدينة بلقب «الاين» كذلك، ومما يؤيد ذلك أن التسمية التي أطلقت علي غطاء رأس كاهن الاينوم كانت تعني التاج[1].

وفي آشور كانت مسئولية إدارة المعبد الكبير في العاصمة الدينية القديمة تناط بموظف لا يملك صفة كهنوتية ويعرف باسم «اباراكو» (مدير) بيت الاله آشور، وكان يدعي في بعض المعابد بلقب «شانفو» الذي غالبا ما يترجم بـ «الكاهن»، وكان كاهن المعبد الكبير شخصا ذا أهمية بارزة وكان له احتكاك مباشر بالملك.

وكان «الشانفو» له نائب يساعده في الشئون المالية للمعبد، ويلي ذلك فئة ثانية من خدم المعابد كان يطلق عليهم الـ «كالو» وهو مصطلح يترجم عادة بـ «كاهن الابتهالات» وكانت مهمتهم الرئيسية الترتيل، وكان يرافقهم عادة موسيقيون وهم ذا مرتبة أدني وكان يطلق عليهم «نارو»[2].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص١٩٠ - ١٩١.
(٢) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ص٢٩٧ وما بعدها.

وكان للسحرة دور كبير في الطقوس الدينية في العراق ومنهم الذين يستعطفون الآلهه ويبعدون الأرواح الشريرة وتعددت مهامهم، فكان منهم من تلقب بلقب «ماشماشي» في السومرية، وفي الاكدية «أشيبو» ومن أبرز مهامهم القيام بطقوس التعزيم التي تهدف بالدرجة الأولي إلي طرد الأرواح الشريرة من أجسام المرضي، ويمارس أيضا طقوس «غسل الفم» وهذه الطقوس في حقيقتها تتمثل بالخطوات الاساسية التي يجب أن تتبع أثناء تقديم الثور كقربان إلي الاله، ومن مهامهم الاخري المساهمة في الطقوس الخاصة بتطهير المعبد.

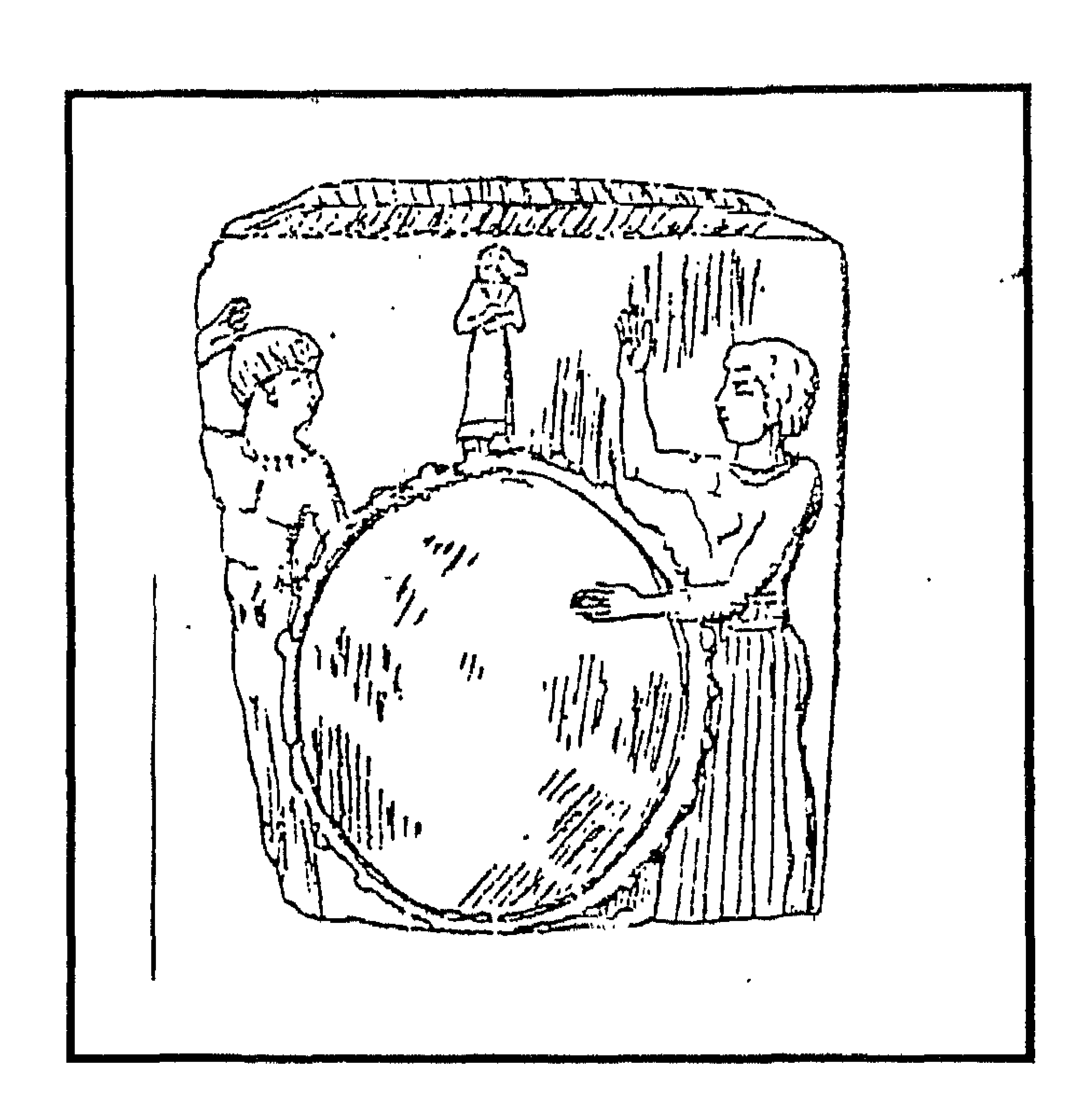
ويقوم الاشيبو بتطهير المرضي والأثمة بواسطة الرقي والطقوس السحرية، وكانت هناك رقي وتعاويذ لكل المناسبات وضد كل الشرور، وكتب في التعاويذ دعوة للآلهه العظيمة لحماية حامل التعويذة، كما احتوت أحيانا صورة للشيطان الذي يراد تخليص المريض منه، ولقد وصلنا العديد من التعاويذ، نعطي فيما يلي مثالا لاحدها وهي ترجع إلي العصر البابلي:

«... إنه ذلك الشيطان الذي اقترب من بيتي، يختفي وأنا في فراشي، أنه يمزقني ويرسل علي الكابوس في الليل فعسي أن يسلموه إلي الاله حارس بوابة العالم السفلي بأمر من ننورتا حاكم العالم السفلي وبأمر من مردوخ الذي يقيم في ايساكيلا في بابل، وعسي أن تعرف الباب والمزلاج التي بحماية هذين السيدين».

ومن الطرق التي اتبعها السحرة لشفاء المريض، أن يتم صنع دمية من الشمع تشبه المريض وتدفن في المقبرة مع دمية أخري تمثل الروح الشريرة التي يعتقد أنها سببت له المرض، وذلك بهدف القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لاعادتها إلي مقر الاموات في العالم السفلي، وكذلك ايهام الروح الشريرة بأن المريض قد مات وانتهي امره.

ومن هؤلاء الكهنة من كان يدعي «كالو» وهو الكاهن الذي يناط به

تخفيف الغضب عن قلوب الالهه الغضبي بغنائه وكان عليه في أيام معينة أن يذهب إلي المعبد ليقدم التضحيات ويرتل المراثي المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب، ومن بينها طبلة ضخمة[1] (شكل ٣٨).



(شكل ٣٨) بالاجو (متحف اللوفر))

وتجدر الاشارة إلي أنه كان هناك نوع آخر من السحر وهو نوع ضار يقصد به احداث الضرر بالناس وقد جرمته القوانين وفرضت علي تعاطيه عقوبات صارمة كما ورد في شريعة حمورابي[2].

---

(١) فاضل عبد الواحد علي: «العرافة والسحر» مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٠١ - ٢٠٥.

(٢) انظر: T.J. Meek, op. cit., pp. 166 ff.

(٣) المنجمون والعرافون(١)

ارتبطت العرافة والتنجيم في العراق القديم بالمعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية، وتهدف العرافة إلي الاتصال بالالهة لاستطلاع ما تقدره من خير وشر للفرد والمجتمع علي السواء. وكان المنجمون والعرافون من رجال الدين، وكانوا ينقسمون إلي فرق عدة تبعا لمختلف أنواع الظواهر التي يمكن ملاحظتها.

ولقد استخدم السومريون عدة تعابير للدلالة علي العراق ومنها «i- zu» بمعني «الذي يعرف» أي «العراف» وعرف في الاكدية باسم «بارو» وسمي كبير العرافين «راب باري». وكانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لان العراف كان كاهنا من كهنة المعبد وتوضح النصوص المسمارية ارتباط العرافة بالقصر فكان الملك يستشير العرافون قبل اتخاذ القرارات الهامة لمعرفة مشيئة الالهة بخصوصها، وذلك مثل ولاية العهد أو القيام بمشروع بناء أو صيانة، كما ارتبطت مهمة العراف ارتباطا شديدا بالجيش والعمليات العسكرية اذ كان العراف يتقدم الجيش في الحروب وكانت مهام المنجم وراثية، وكان لابد أن يكون من نسل كاهن مولود من كاهن سليم ويجب الا يكون فيه عيب جسماني.

واستخدم العرافون طرقا عديدة لاستطلاع الغيب يمكن تقسيمها إلي قسمين رئيسيين وذلك بموجب الطريقة التي تستخدم فيها، ويطلق علي القسم الأول العرافة العلمية ويستخدم فيها العراف وسائل وطرق عملية من أجل الاتصال بالقوي العليا، والقسم الآخر يعرف باسم العرافة غير العملية لانها تعتمد علي قوي وظواهر خفية لا دخل للانسان فيها، وسنتناول فيما يلي هذين القسمين بشئ من التفصيل:

(١) فاضل عبد الواحد علي: المرجع السابق، ص١٩٧ - ١٠٢.

(أ) العرافة العملية

تتضمن العرافة العملية العديد من الطرق مثل ضرب القداح، وسكب الزيت في الماء وتصاعد الدخان، وفحص الكبد:

(١) **ضربالقداح:** وهي عبارة عن سهام صغيرة محرزة كان البابليون يستعملونها لاستطلاع رأي الآلهه في مناسبات أو موضوعات معينة، وهي تشبه الأزلام التي كان يستخدمها العرب في الجاهلية.

(٢) **سكب الزيت في الماء:** وفي هذه الطريقة كان يقوم العراف بسكب قليل من الزيت في اناء فيه ماء، ثم يراقب حركة الزيت وهو يطفو فوق الماء، فاذا ما تكونت حلقة كاملة واتجهت نحو الشرق كان ذلك فألا حسنا، اما إذا انكسرت الحلقة أو انتشر الزيت فوق الماء دون أن يكون حلقات فكان ذلك في اعتقادهم نذير شؤم.

(٣) **تصاعد الدخان:** وفيها كان يتم حرق البخور أو أنواع معينة من الاعشاب، ويتم مراقبة تصاعد الدخان من المبخرة وانتشاره وعلي أساس ذلك كانوا يحددون ما إذا كان نذير فأل حسن أو سيئ.

(٤) **فحص الكبد:**انتشرت هذه الطريقةمن العراق القديم إلي عديد من الامم مثل الحيثيين والاتروسكيين والاغريق والرومان، وتعتمد هذه الطريقة علي اعتقاد البابليين بوجود علاقة بين الإله الذي يقرب إليه الحيوان المضحي والحيوان نفسه، إذ عندما يضحي بالحيوان ويقدم إلي الإله فانه يكون جزءا من الاله كما يكون جزءا من أجسام الناس الذين يأكلونه فتكون روح الاله أو نفسه نفس الذبيحة أو روحها أو أن روح الحيوان تتمثل بروح الاله وعلي ذلك فمن الممكن للبشر أن يتطلعوا إلي روح الاله ومن ثم معرفة ارادته بدرسه روح الذبيحة، واعتقد أن روح الذبيحة يوجد في كبدها، ومن ثم كان يمكن أن

يشاهد في الكبد نوايا الإله الذي تقبل الحيوان المضحي كتقدمه، وكان من الضروري أن يكون الحيوان خاليا من العيوب، وقد استنبط العرافون من شكل الكبد ولونه وتضخمه أو دموره وما فيه من فقاقيع وتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات ما يريدونه من عرافه، وقد نظموا ذلك كله في قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافة المستمدة من الكبد.

(ب) العرافة غير العملية

وهي العرافة غير المقصودة اي المبنية علي ملاحظة حوادث وظواهر لا دخل للعراف بحدوثها، ويتضمن هذا النوع من العرافة العديد من الوسائل مثل التنجيم والظواهر العرضية والاحلام.

(١) **التنجيم**: عرف العراقيون القدامي منذ العصر البابلي رصد الاجرام السماوية وملاحظتها والاستدلال من ذلك عما سيحل بالمملكة أو ما سيحل بالملك أو الحكومة أو المدينة أو غير ذلك من الاشياء العامة، ومن أمثلة ذلك انهم إذا شاهدوا هلال القمر منذ اليوم السابع والعشرين اعتبروا ذلك فألا سيئا وإذا ما شوهد القمر والشمس معا بين اليوم الثاني عشر والعشرين كان ذلك نذيرا بزوال الاسرة الحاكمة وفناء السكان، وكانوا يتطيرون كثيرا من خسوف القمر وكسوف الشمس وعزوا ذلك إلي فعل الشياطين كما لاحظوا الظواهر الجوية المختلفة للفأل والتطير بالزوابع والصواعق والمطر وهبوب الرياح.

(٢) **الظواهر العرضية**: وذلك مثل مراقبة حركة وسلوك الطيور والحيوانات والحشرات، ومن ذلك أن دخول كلب أبيض إلي القصر ينبئ بحصار المدينة، ودخول الجارح من الطير إلي البيت نذير بموت صاحب هذا البيت، والصراصير فأل سئ للبيت الذي توجد فيه ومنها كذلك العرافة المستمدة من الاجنة والولادات المشوهة سواء البشرية منها أو الحيوانية.

(٣) **الاحلام**: وتعتمد هذه الطريقة علي اساس اعتقادهم بأن الالهه تتصل

بالاتقيـاء من الناس وتعلن اليهم ما سوف يحل بهم من احداث عن طريق الاحلام، وحينما كانت تتأزم الامور كان الأمير أو العراف يلتمس هذه المنحة بالتوجه إلي المكان المقدس والنوم فيه وكان يعهد بتفسير الاحلام إلي كاهن خاص هو «الشائيلو».

ثالثا : الكاهنات

شغلت النساء في العراق القديم وظيفة الكهانة، فكان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات، وسنتناول فيما يلي بعض درجات الكهانة التي شغلتها النساء[1].

(١) اينتوم

«كبيرة الكاهنات» أطلق علي كاهنة الاينتوم خلال العصر البابلي القديم «أوكبابتوم» أو «كوبابتوم» وذلك نظرا لانها من نفس الدرجة. وكانت كاهنة الاينتوم خلال العصر السومري القديم أرفع منزلة من كاهن «الإين» اذ تذكر النصوص المسمارية اسمها دائما قبل اسم الكاهن حتي ولو كانت زوجة له، واثناء العصر السومري كان مسموحا لمن تشغل هذه الوظيفة الكهنوتية الزواج وانجاب الاطفال ومنذ عهد الملك حمورابي (حوالي عام ١٧٩٢ ق.م) حرم علي شاغلات هذه الوظيفة الزواج وانطبق هذا الأمر علي كاهن الإين، وكان من يقرب من الجنس منهم يعاقب بالحرق بالنار.

ويتم اختيار كاهنة الاينتوم بطريق استخارة الفأل ويتم تعيينهم بارادة ملكية كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة[2]، ومن أهم واجباتها القيام بدور العروسة في عملية الزواج المقدس.

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٩٢ وما بعدها.

(٢) Francois Thurean- Gangin, les Inscriptions de Sumer et d' Akkad, 1965, p. 329.

(٢) ناديتوم

تأتي بعد كاهنة الاينتوم، وعني اسمها «المرأة التي تحمل نوعا من القوة الالهية» وكان اختيار هذا النوع من الكاهنات يتم عن طريق نذرهن إلي المعبد منذ الولادة، وشغلت هذا المنصب بنات كبار موظفي الدولة، وكان يسمح لهذا النوع من الكاهنات بالزواج مع منعهن من انجاب الاطفال.

(٣) شوكويتم

من اهم واجباتها الدينية المساهمة في مراسيم الزواج المقدس وبخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف، وكانت هذه الكاهنة في بعض الاحيان زوجة ثانية لزوج كاهنة ناديتوم لتقوم بانجاب الاطفال.

(٤) كولما شيتوم

شغل هذه الوظيفة نساء من الاسر الكبيرة، وكان لهذا النوع من الكهانة الحق في الزواج وانجاب الاطفال وكان لا يفرض عليهم السكن في الدير، وكان لهن حرية الاختيار في السكن. وبالاضافة إلي ذلك فقد شغلت النساء وظائف الغناء والعزف، فلقد عملت حفيدة «نارام سين» بالعزف علي القيثارة للإله سين، ويشير ذلك من ناحية أخري إلي أن بنات عظماء النبلاء لم يكن يحتقرن الوظائف الدنيا في العبادة المقدسة.

رابعا: طقوس الجنس المقدس

ترجع فكرة طقوس الجنس المقدس عند السومريين إلي رغبة الانسان العراقي القديم في زيادة خصوبة أرضه وكثرة انتاجيتها وكثرة مواشيه وزيادة نسله، وعلي ذلك فقد كان من واجبات الملك أن يتزوج من إلهه الخصب والانجاب، وفي بداية الالف الثالث قبل الميلاد كان هناك تصور من قبل المفكرين ورجال الدين والشعراء لطقوس الجنس المقدس.

وتدور طقوس الجنس المقدس حوال الإلهه اينانا (عشتار) التي عبدت في مدينة الوركاء في بداية الالف الثالث ق.م والتي اعتبرت إلهه الحب والقوة الجنسية ولقد اعتقد رجال الدين بأن مليكهم قد أصبح عاشقا وزوجا للالهه اينانا وبذلك يشاركها قوتها وقدرتها علي الاخصاب كما يشاركها خلودها.

وارتبط دموزي (تموز) والذي يعتقد انه كان احد حكام الوركاء مع اينانا في طقوس الجنس المقدس وان كان هناك من الأدلة ما يشير إلي أن هذه الطقوس كانت موجودة في الوركاء قبل عدة أجيال من ظهور دموزي. ويدل علي ذلك الرسالة التي أرسلها حاكم ارتا إلي انمركار حاكم الوركاء يهدده فيها بالاعتراف به سيدا عليه، وأن الإلهه اينانا يجب أن يؤتي بها إلي إرتا، ويستدل من هذه الرسالة أن طقوس زواج اينانا كان شائعا علي الاقل منذ هذا العهد وأن ذلك كان قبل ظهور دموزي بجيلين علي الاقل[1]. ومما جاء في هذه الرسالة:

«ليخفض (انمركار) رأسه امامى، وليحمل
السله الى،
عندما يخفض رأسه امامى، يخفض رأسه فعلا أمامى
عندئذ هو وأنا
سوف يسكن مع اينانا قرب حائط
اما أنا فسوف أكون مع اينانا فى بيت حجر
اللازورد فى ارتا ....»

وحسبما يذكر صموئيل نوح كريمر[2] فان الاقرب إلي الحقيقة التاريخية أن دموزي لم يكن من مدينة الوركاء بل من مدينة «كودا» الواقعة بالقرب من

---

(١) S.N. Kramer, History Begins at Sumer, N.Y., 1952, pp. 204 - 207.
(٢) صموئيل كريمر: المرجع السابق، ص٩١.

اريدو، ويذكر الشعراء السومريون ان اينانا هي التي اختارته خصيصا من أجل الوهية البلاد بناء علي رغبة ابويها، ومما جاء في ذلك علي لسانها:

«القيت عينى على جميع الناس
دعوت دموزى (لكى يتقلد) ألوهية البلاد
دموزى المحبوب من انليل،
الغالى أبدا عند أمى
المحبوب أبدا من أبى»

ولا يمكن الاستدلال من الادلة المتاحة علي أول ملك سومري مارس طقوس الجنس المقدس، والادلة المتاحة حاليا تشير إلي أن الملك شولجي الملك الثاني من الاسرة الثالثة في أور قد مارس هذه الطقوس[1] وذلك في منتصف الالف الثالث ق.م. وتذكر هذه النصوص انتقال الملك من عاصمته أور في قارب إلي الوركاء مدينة اينانا ومعه حيوانات القرابين حيث وصل إلي حيث توجد اينانا، ومما جاء في ذلك:

شولجى، الراعى الأمين، انطلق بالقارب
أخذته روعة ناموس الملك، ناموس امارة سومر وأكد
وعلى رصيف كلاب أرسا قاربه،
ومعه ثيران برية ضخمة يقودها بذراعه
ومعه جداء مرقطه وجداء ملتحية مضمومة إلى صدره،
إلى اينانا فى حرم ايانا جاء».

ثم تذكر الرواية ان شولجي عندما وصل إلي هناك ارتدي طيلسانة الطقسي

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٩٤ - ٩٥.

ووضع علي رأسه جمه اشبه بتاج لكي ينال اعجاب الإلهه بمقدمه، وظهر ذلك الاعجاب في الاغنية التي أنشدتها الالهة جاء فيها[١]:

«عندما اكون من أجل الثور البرى،
من أجل الرب،
عندما أكون من أجل الراعى دموزى،
عندما أكون بـ ..... زينت عطفى
عندما أكون بالعنبر ثغرى قد طليت،
عندما أكون بالكحل عينى قد صبغت .....»

وتنتهي الأغنية بتعهد اينانا برعاية جميع بلاد الملك وحمايته والوقوف بجانبه ومما جاء في ذلك:

«فى المعركة أنا قائدك، في الكفاح أنا عونك (؟)
فى المجمع أنا نصيرك
على الطريق أنا حياتك
أنت، الراعى المختار للبيت (؟) المقدس (؟)
أنت، السادن لحرم آن العظيم
فى كل الاحوال انت أهل
لان ترفع رأسك عاليا على المنصه العالية،
وأنت أهل، لان تجلس على عرش حجر اللازورد،
أنت أهل، لان ترتدى الطيالس الطوال على جسدك،
أنت أهل، لان تلف نفسك بطيلسان الملك،
أنت أهل، لان تحمل الصولجان والسلاح

(١) نفس المرجع السابق، ص٩٥ - ٩٦.

أنت أهل، لان تصوب القوس الطويلة والسهام،
أنت أهل، لان تشد عصا الرماية والمقلاع إلى وسطك
أنت أهل، للصولجان المقدس بيدك،
أنت أهل، للخفين المقدسين فى قدمك،
أنت أهل،، ليدم قلبك المحبوب أياما طوالا،
هكذا حدد آن قدرك، عسى ألا يبدله،
انليل صاحب القدر، عسى ألا يتغير
اينانا أنت عزيز عليها، أنت المحبوب من ننجال».

وكان يتم الاحتفال بطقوس الجنس المقدس في ليلة رأس السنة الجديدة، حيث كانت تعد وليمة كبيرة في قاعة الاستقبال الكبيرة في القصر، وجاء وصف ما يحدث في هذه الوليمة في القصيدة الشعرية التالية[1]:

من أجل القرابين المقدسة، من أجل الطقوس الراسخة
من أجل المذبح اللافح النار، من أجل مذبح (؟) السرور،
من أجل قرابين الخبز الوفير، من أجل الزهريات
الواسعة الملأى،
يعانق زوجته الحبيبه،
يعانق اينانا المقدسة،
يسعى بها مثل ضوء النهار إلى العرش على المنصة الكبيرة،
وضع نفسه إلى جانبها مثل الملك أوتو
عرض أمامها الكثرة والفرحة والوفرة
أعد لها وليمة فاخرة،
عرض أمامها ذوى الرؤوس السود، (قائلا)

(١) نفس المرجع السابق، ص٩٨ - ٩٩.

«بالطبل الذى يعلو دويه على العاصفة،
والقيثار ذى الصوت العذب، زينه القصر،
بالقيثار الذى يسكن نفس الانسان
أيها المغنون، لننشد الاناشيد التى تبهج القلب،
«الملك مديده إلى الطعام والشراب....
القصر فى الاهازيج، الملك فى الحبور،
قرب الناس الذين أشبعتهم الوفرة.....
لندم اباحة على العرش المثمر ....»

وفيما يتصل بتفاصيل طقوس الجنس المقدس، فليس لدينا صورة واضحة عنه، نظرا لاختلاف الوثائق التي وصلتنا عنه في ابراز التفاصيل وما يحدث في هذه الطقوس، ويرجع ذلك في المقام الأول إلي أن الكهنة والشعراء قد أطلقوا لخيالهم العنان في اختراع الاجراءات الطقسية المتعلقة بحفلة الزواج المقدس، كما أطلقوا لخيالهم العنان كذلك في وصف التودد الذي يسبق الزواج المقدس، وتظل بعض الاسئلة المتعلقة بهذا الموضوع دون اجابة شافية وهي: هل كانت الحفلة تجري سنويا، ومن كان يشترك في الاحتفال فعلا؟ ومن كان يقوم بدور الإلهه طوال مدة الاحتفال؟

ومع ذلك فانه يمكن القول اعتمادا علي بعض النصوص أن الاحتفال كان يتم في معبد الالهه وحرمها وفي هذه المناسبة كان يتم اعداد سرير فخم مصنوع من الاسل والارز يمد عليه غطاء أو لحاف أعد خصيصا لهذه المناسبة، وترش الارض بزيت الارز المعطر وتعزف الموسيقي في أرجاء المكان.

ومع اعداد الفراش واستعداد الملكة لاستقبال عريسها تقود الآلهه الملك إليها ملتمسه من الآلهه ان تبارك له في أن يكون حكمه سعيدا ومذكورا وأن تكون سلطته السياسية قوية علي بلاد سومر وما جاورها وأن تبارك له في

محاصيله وفي كثره شعبه، ويبدو أن هذا هو الهدف من وراء اجراء هذا الطقس وهو ضمان وفرة المحاصيل وقوة البلاد وأمنها ومما جاء في ذلك(١):

لعل الرب الذى دعوته إلى قلبك
الملك زوجك الحبيب، يستمتع بأيام مديدة على
حصنك الحلو، المقدس،
امنحيه حكما عظيما ومجيدا،
امنحيه عرُش الملك على أساس مكين
امنحيه القدرة على تدبير شئون الناس والصولجان والمحجن،
امنحيه تاجا لا يبلى، وإكليل نور على رأسه
من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب الشمس
من الجنوب إلى الشمال،
من البحر الاعلى إلى البحر الاسفل،
من بلاد شجرة – الـ «حلُوب» إلى بلاد شجرة الارز
على (جميع) بلاد سومر واكاد امنحيه الصولجان والمحجن،
لعله يكون راعيا لذووى الرؤوس السود حيثما أقاموا
كالفلاح، لعله يجد الحقول منتجه
كالراعى، لعله يكثر أعداد حظائر الغنم،
لعله فى حكمه يكثر الزرع ويتوفر الحب،
لعل النهر يفيض
وفى الحقل تكثر الحبوب
وفى السبخه يزقزق العصفور، ويصوت السمك،
وفى الدغل، ينمو عاليا القصب المسن والقصب الفتى،

---

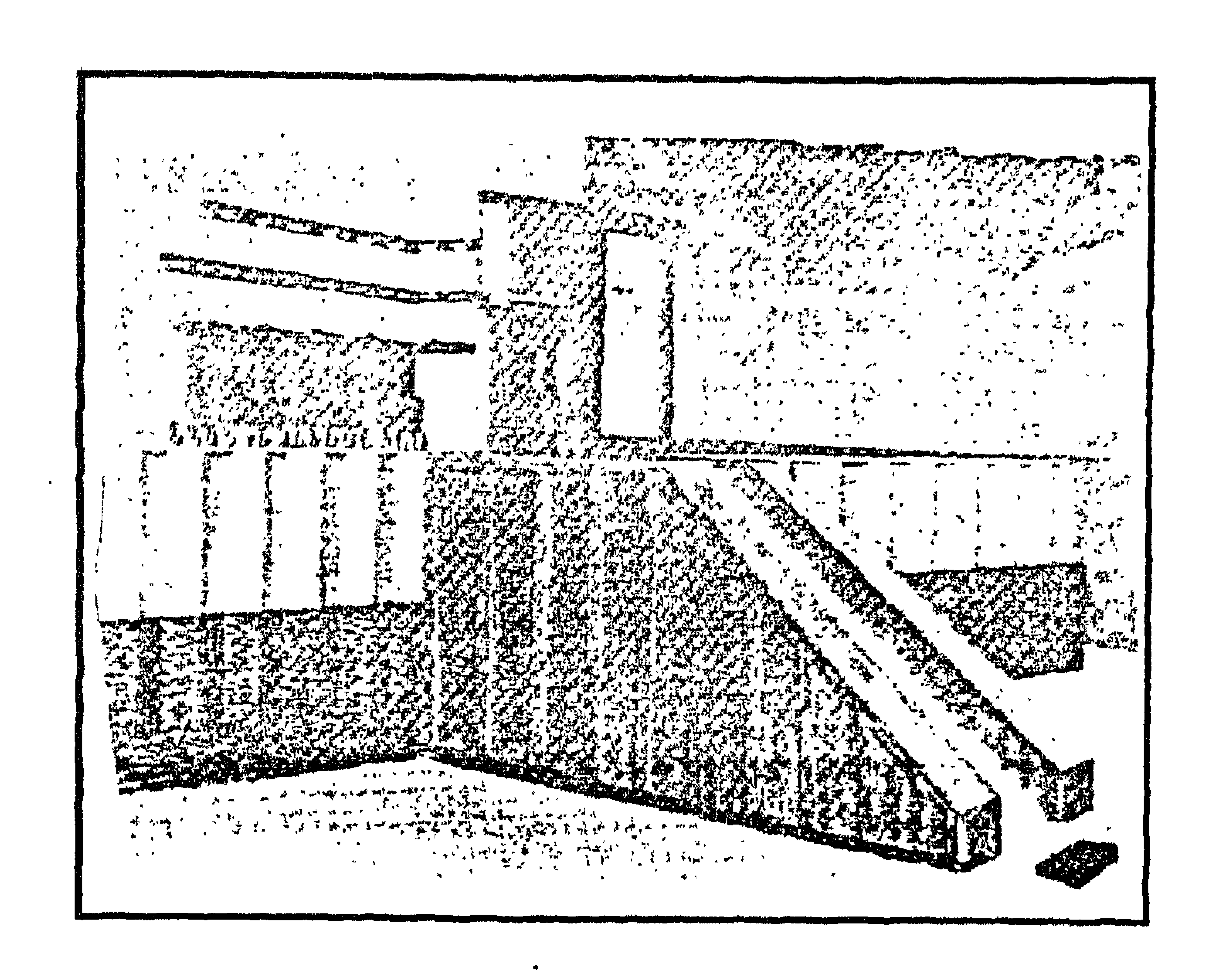
(١) نفس المرجع السابق، ص١٢١ - ١٢٣.

وفى السهب تنمو عاليا شجرة - مشجور،
وفى الغابات يكثر الايل والماعز البرى
لعل الغياض تنتج عسلا ونبيذا،
ومساكب البستان تنبت خسا ورشادا عاليا
وفى القصر تكون حياة مديدة،
وفى دجلة والفرات يكون فيض الماء،
وعلى الضفاف ينبت العشب عاليا، ويملأ المروج،
وملكه الخضرة المقدسة تجمع الحبوب أكواما وتلالا،
اى مليكتى ، ملكة السماء والأرض، الملكه التى تحيط
بالسماء والأرض
لعله يستمتع بأيام عديدة على حضنك المقدس».

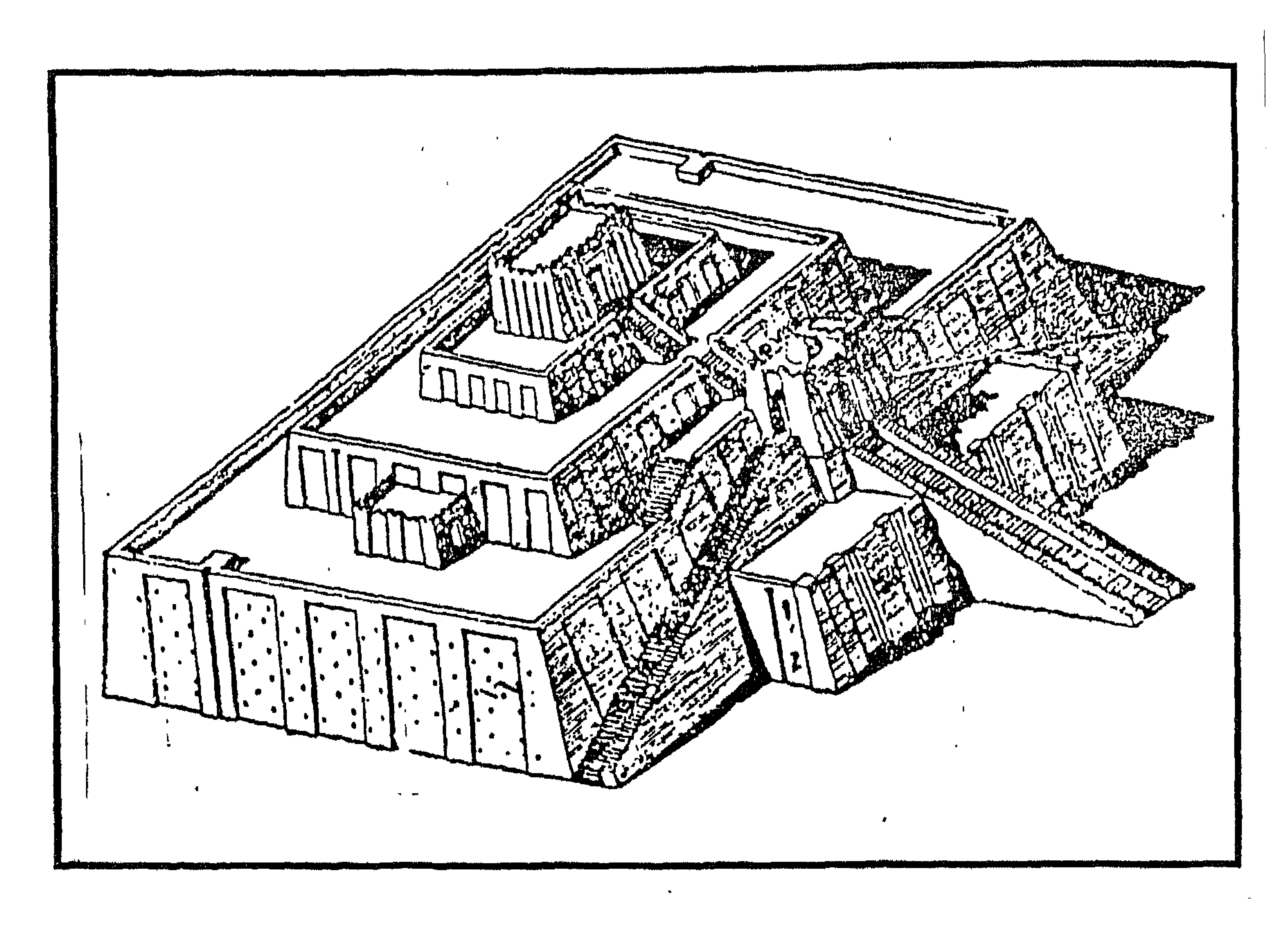
خامسا: المعابد

اتصلت المعابد في العراق القديم بشئون الناس الدينية وكذلك الدنيوية، وكان المعبد في القسم الشمالي من العراق يمثل دائما مركز القرية أو المدينة ومن حوله تبني بقية الابنية الاخري سواء كانت رسمية أو مدنية.

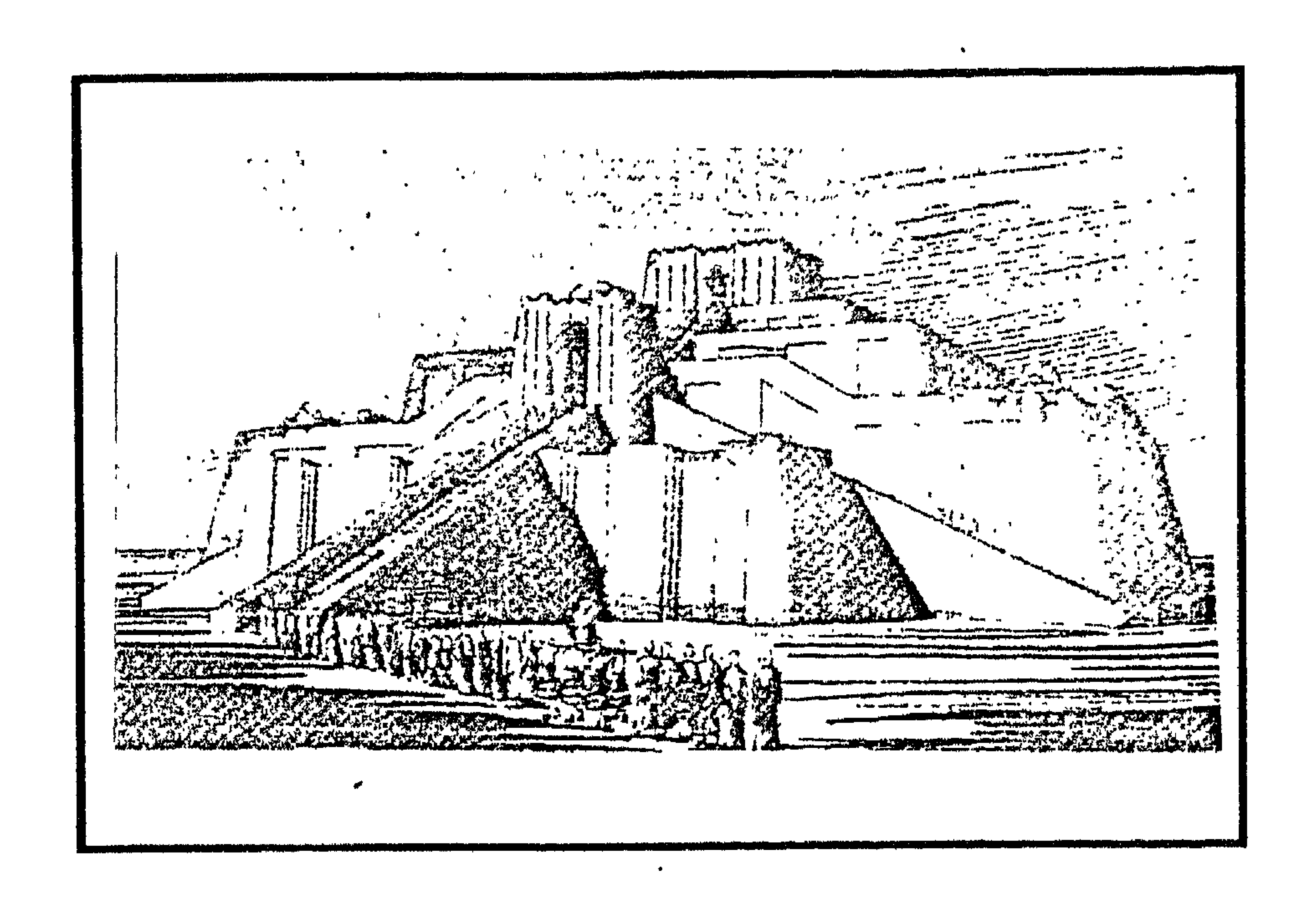
وفيما يتصل بجنوب العراق، فلقد أثرت المياه الجوفية والفيضانات علي مبانيها، فلقد أثرت المياه الجوفية التي توجد أحيانا علي عمق قدم أو قدمين من سطح الأرض علي جدران المعابد وبقية المباني الاخري، أما الفيضانات فكانت تغمر جنوب العراق من حين لآخر. وقد دفعت هذه الاحوال الانسان إلي محاولة التغلب علي هذه المصاعب البيئية التي تهدد مبانيهم وبخاصة ابنيتهم المقدسة، وتوصلوا إلي تشييد معابدهم فوق منصات مرتفعة بعض الشئ عن سطح الأرض وذلك منعا للمياه من التأثير عليها، وبمرور الزمن زاد عدد المصاطب أو المنصات حتي بلغت في اواخر الالف الثالث ق.م ثلاث مصاطب، ووصل عددها في بابل إلي سبع مصاطب. (أشكال ٣٩ - ٤٢)



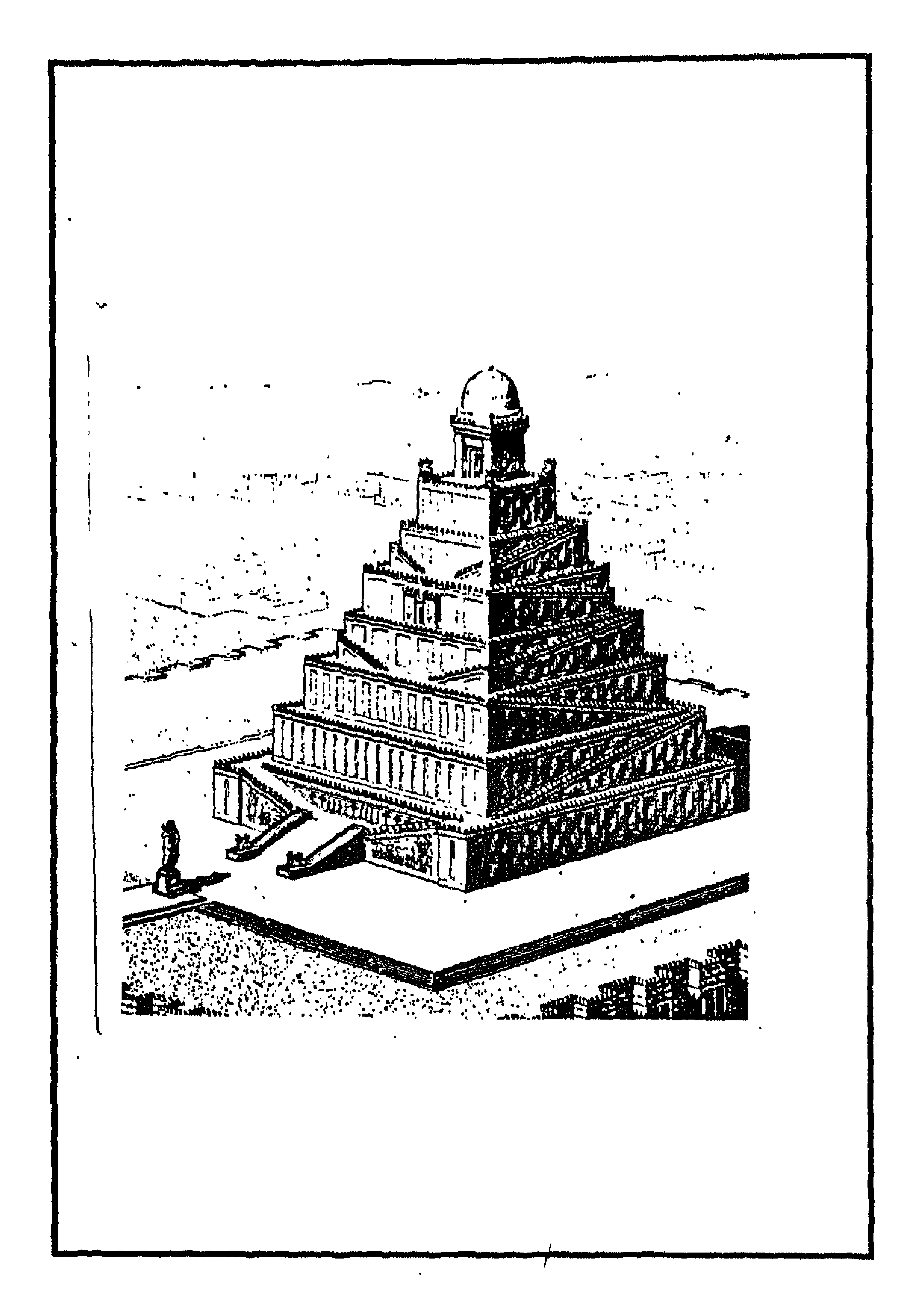
(شكل ٣٩) تصور حديث لواجهة معبد «نين - حور - ساج»
في العبيد (حوالي ٣٠٠٠ ق.م)



(شكل ٤٠) نموذج تخيلي لزاقورة مدينة أور (عهد أورنمو)



(شكل ٤١) تصور حديث لزاقورة أورنمو في أور



(شكل ٤٢) مُعبد كلداني (نموذج تخيلي)

وتباينت أراء الباحثين حول الهدف من زيادة طبقات المعابد وارتفاعها، فهناك من الباحثين من يري أن ذلك يرمز للسمو والعلو ويعتمدون في ذلك علي أن الإسم الذي أطلق علي هذه المباني هي الزاقورة يفيد معني السمو والرفعة(١). علي أن هناك وجها آخر للنظر يري أن السبب في ذلك راجع إلي أن سكان بلاد الرافدين قد استخدموا في حساباتهم للوقت التقويم القمري، ولذلك كانت رؤية الهلال تعتبر ناحية مهمة حيث كانت تعتمد عليها كثير من الامور الدينية والدنيوية، وضرورة رؤية الهلال منذ يومه الأول قد أبرزت الحاجة إلي الاماكن المرتفعة، ولذلك يتجه أصحاب هذا الرأي أن زيادة عدد الطبقات كان لغرض خدمة هذه الحاجة(٢) ويري بعض الباحثين أن هذا الطراز من البناء يتفق مع تطور الفكر الديني السومري فكان هذا البناء المدرج بمثابة رابطة بين السماء والارض، كما انه يكون في ارتفاعه قريبا من مقر الآلهة(٣).

ومنذ أن زاد عدد المصاطب عن مصطبة واحدة ظهرت الحاجة الملحة إلي أن يكون هناك معبد أرضي لممارسة الطقوس اليومية ومعبد آخر فوق الزاقورة للاحتفال بالاعياد الدينية الهامة، ووضع في هذا المعبد تمثال للاله، وكان يتم الوصول إلي الزاقورة بواسطة ثلاثة سلالم يتكون كل سلم منها من مائة درجة، ويوجد قرب القاعدة السفلي من الزاقورة بعض الحجرات والمرافق ويحيط بها سور، ووجدت آثار في انقاض بعض الزقورات يستدل منها إلي احتمال تلوين الطبقات المختلفة بعدة ألوان. ومن أقدم المعابد التي كشف عن بقاياها يرجع إلي عصر حضارة العبيد في أريدو ويطلق عليه «المعبد الأبيض» (شكل ٤٠)(٤).

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٧٧.
(٢) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٨٦.
(٣) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٦٢ - ٦٣.
(٤) M.E.L. Mallowan, Early Mesopotamia and Iran, London, 1965, pp. 40 - 41. fig 30.

وكان أقدس جزء في المعبد الأرضي عبارة عن مشكاة في أقصي المعبد علي هيئة المحراب، حيث كان يوضع تمثال المعبود فوق منصته أو كرسي من الخشب، وتعتبر حجرة الهيكل هذه أهم جزء في المعبد، وقد تكون وحدها معبدا قائما بنفسه. وبالنسبة لتصميم المعبد الأرضي فكان يوجد عند المدخل حجرة تسمي حجرة المدخل أو حجرة الحاجب، وتؤدي هذه الحجرة إلي ساحة مكشوفة، وتؤدي هذه الساحة إلي حجرة أخري تؤدي إلي حجرة الهيكل حيث يوجد المحراب، ودكه المذبح.

وفيما عدا هذه الاجزاء الرئيسية توجد ساحات خارجية وحجرات ومرافق أخري تحيط بالساحة خصص بعضها للكهنة وبعضها للتطهير المقدس، ووجد في اكثر المعابد تماثيل آلهة كثيرة وصنعت في حجرات ثانوية مع تمثال الاله الرئيسي الذي شيده له المعبد.

وتجدر الإشارة إلي أن تصميم المعابد في شمال العراق قد اختلف قليلا عن تصميم المعابد في الجنوب ويتمثل هذا الاختلاف في أن المعابد الجنوبية قد جعلت أقدس مكان في المعبد يقع علي نفس محور المدخل، أي أن الداخل إلي المعبد يواجه مباشرة قدس الأقداس أي المحراب، أما المعابد الشمالية فقد حرفت الداخل عن المحاريب وجعلتها في جهة تضطر الداخل إلي المعبد أن يدور بزاوية قدرها تسعون درجة حتي يواجه المحراب.

ويلاحظ أن جميع المعابد العراقية، وعبر جميع العصور قد بنيت من اللبن ما عدا المرافق التي تتعرض للمياه فقد كانت تبني من الحجر. ويتجه بعض الباحثين في تفسير هذه الظاهرة إلي القول بأن اللبن هو المادة الوحيدة المتوفرة للبناء الصلد في القسم الجنوبي من العراق، ولذلك فقد بنيت أقدم المعابد من اللبن، وسارت المعابد التالية علي نفس هذا المنوال بينما يوجد وجه آخر للنظر يري أن ذلك راجع إلي كون الطين المادة التي خلق منها الانسان، وأعطي ذلك له

نوعـا مـن القـداسـة وعلي ذلك بنيت المعـابد من الطين وبخـاصـة جـدرانهـا الرئيسية[1].

ومثل المعبد في بدايته الأولي في العراق القديم المركز الديني والدنيوي، فكان يقوم مقام المحاكم في فض النزاع بين المتخاصمين، وقدمت النصوص المسمارية الكثير من الادلة علي أن المحاكمات كانت تجري داخل المعابد، كما اهتمت المعابد بالتعليم فوجدت فيها المدارس، واستمر اهتمامها بالتعليم عبر جميع مراحل الحضارة العراقية، كما حفظت بالمعابد سجلات الاداب والعلوم إلي جانب دور السجلات وخزانات الكتب الملكية. وبالاضافة إلي ذلك فقد أوضحت النصوص المسمارية قيام المعابد بممارسة أعمال اقراض الفضة والشعير، ومن أبرز الادلة المادية علي ذلك فائدة الفضة التي كانت تسمي بفائدة الاله شمش، أي بمعني الفائدة التي كان معبد الاله شمش يفرضها علي من يقترض منه الفضة.

سادسا: عالم ما بعد الموت

اعتقد الانسان العراقي القديم في حتمية الموت بالنسبة لجميع البشر، وكان الموت عندهم من طبيعة الانسان وتركيبه إذ أنه خلق ومعه حياته وموته وهو قانون طبيعي قدرته الالهه عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته فانه لم يتصور أن الموت غاية تنتهي عندها الحياة وتنعدم انعداما كليا، وانما يعني الموت عندهم انفصال الروح عن الجسد، وأن الميت لا يعود هو نفسه إلي الحياة بل الذي يعود منه هو الروح التي تحيا الحياة الأخرة في عالم الارواح وهو العالم السفلي حيث تعيش هناك إلي أبد الابدين من غير قيامه ولا رجعه، ومع هذا الانفصال بين الجسم والروح فانه تبقي بعض الصلة بين الاثنين بعد الموت.

واعتمدت راحة الروح في عالم الارواح عندهم علي العناية التي

---

(١) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٨٩ - ١٩٠.

الاحياء في دفن الجسم وفق الطرق والقواعد الدينية وعلي ما يودع في القبر من أثاث وطعام وعلي القرابين التي تقدمه لقبره في المناسبات المختلفة. أما الاشخاص الذين يموتون بشكل غير طبيعي أو أن أجسادهم تترك بلا دفن فأن أرواحهم تتعذب وتتحول إلي قوة شيطانية وتخرج من العالم السفلي وتصعد إلي العالم العلوي وتقلق راحة الاحياء علي سطح الأرض.

واعتقد الانسان العراقي القديم أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول إلي روح شريرة، وهي لا تستريح طالما لم يدفن الجسد «ان من يبقي جسده ملقي في الحقول يظل خياله غير مستقر في الارض. وان من لا يعني أحد بخياله يقتطع ما يصل إلي يده في مطافه السريع من بقايا الاطعمة الملقاة في الشارع ليأكلها[1]. وعلي ذلك فان الحرمان من الدفن كان اقصي عقوبة للمتوفي.

وتسمي روح الانسان بعد مماته في السومرية «كيديم» وفي الاكدية «ايطيمو» واعتقد ان هذه الروح هي التي تتحمل حسنات أو سيئات الشخص المتوفي، ومقر سكني الروح هو العالم السفلي.

ويمثل العالم السفلي عندهم الطبقة الاخيرة من الارض حيث كانت تمتد فوق سقفه المياه الجوفية العميقة وقد وصفوه بأنه عالم مخيف يحيط به سبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها «كيجال» و«الأرض التي لا رجعة منها»، ويسكن فيه ويحكمه آلهه شديدة قاسية يساعدها مجموعة من الشياطين. والكتاب لتسجيل الموتي.

ويري بعض الباحثين[2] أن السبب الذي دعا سكان العراق القديم وبخاصة

---

(١) ل. ديلابورت: المرجع السابق، ص٢٠٥ - ٢٠٦.
(٢) فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٧٩.

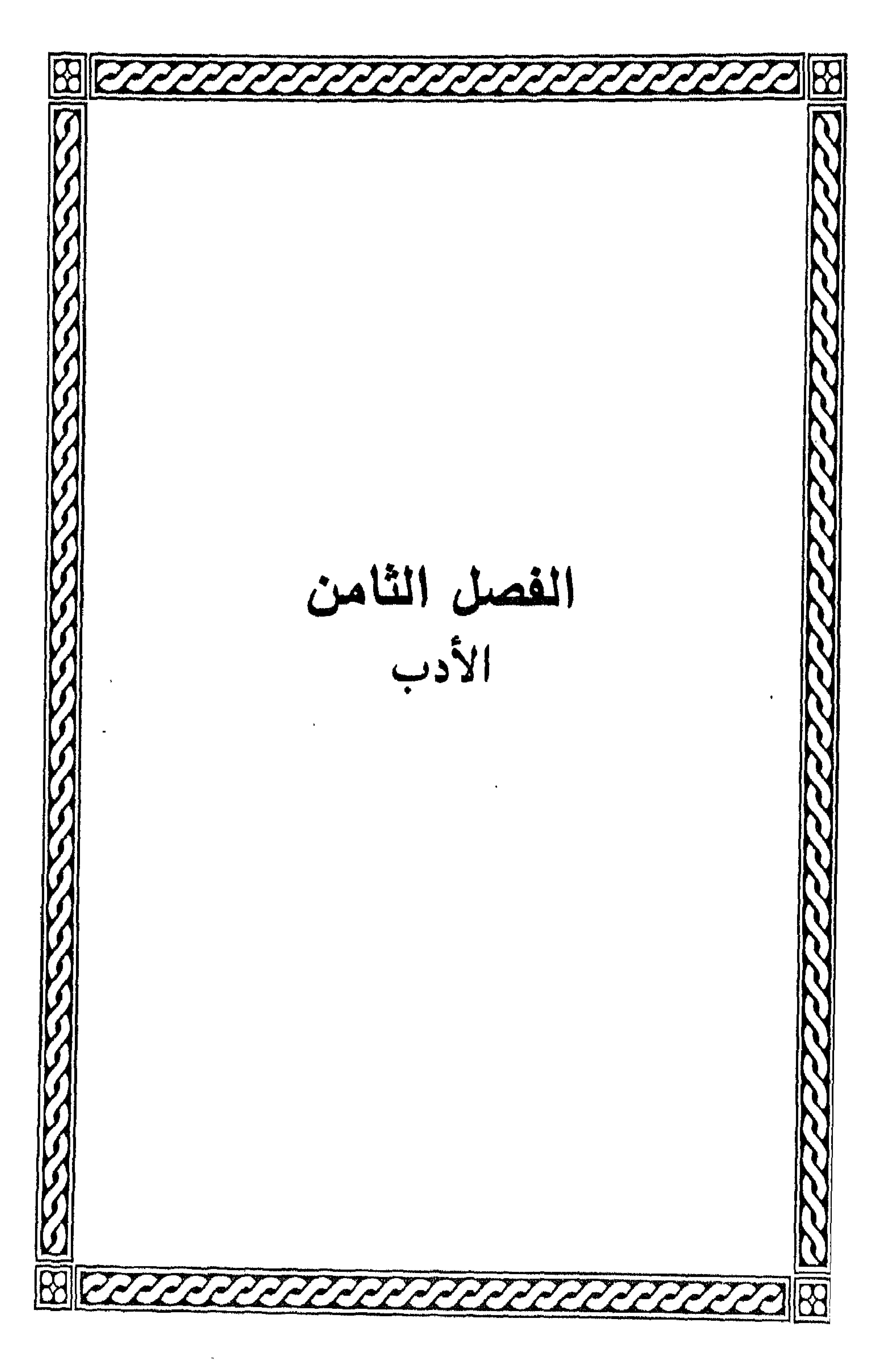
سكان القسم الجنوبي منه لان يجعلوا من باطن الارض مقرا لعالمهم السفلي يعود إلي طبيعة الجو من هذا القسم، حيث أن جو العراق بشكل عام حار ورطب وحرارة جنوبه صيفا شديدة نسبيا، ولذلك صارت الاماكن المبنية في عمق الارض كالسراديب مثلا من أفضل الاماكن التي يقضي الناس فيها اوقاتهم بعيدا عن تلك الحرارة وعن الرطوبة أيضا.

وقد اضطربت أفكارهم حول حالة الموتي في العالم السفلي، ولكنهم اعتقدوا بوجه عام أنه عالم مخيف يكاد يتساوي فيه الموتي، ولا قيامة أو رجعة فيه، أي أنهم لم يعتقدوا بعالم آخر للثواب والعقاب أي لا جنة ولا نار عندهم كما في الاديان الاخري ولكنهم كانوا يلطفون في بعض الاحايين من هذه الصورة الناتجة حيث وردت في بعض مآثرهم ولاسيما في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش أن بعض الموتي ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة أو ممن مات عن أولاد ولاسيما الذكور، أو من قدمت له القرابين علي الدوام يعيش في هذا العالم حياة فيها بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام، كما تشير بعض النصوص كذلك إلي أنهم اعتقدوا بنوع من الحساب عندما تدخل الأرواح في عالم الاموات[1].

وقد عبرت الملاحم والاساطير العراقية القديمة عن أفكار الانسان العراقي القديم ومعتقداته بشأن الموت في العالم الآخر. وسنتناول في الفصل الخاص بالادب بعضا من هذه الاساطير.

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٢٣٣ - ٢٣٤.



الفصل الثامن

الأدب

خلف العراقيون القدماء تركة ضخمة مدونة علي الالواح الطينية تتميز بتنوع الموضوعات المسجلة عليها ما بين الاساطير الدينية، والحكم والامثال والنصائح، والمناظرات الفلسفية التي تدور حول العدالة الإلهية والمفاهيم والقيم الاجتماعية، والتراتيل والصلوات والإدعية، وبعض القصص، وقصائد الغزل، والمرثيات التي تسجل أحداثا تاريخية تتصل بالكوارث التي حلت ببعض المدن العراقية. وتمثل هذه المدونات الادبية نسبة ضئيلة جدا من الكتابات التي وصلتنا اذ تكون غالبية الكتابات من نصوص اقتصادية.

ويعتبر الانتاج الأدبي مرآة صادقة تعكس كثيرا من المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية، ولقد حافظت الآداب في العراق القديم علي اصالتها إلي حد بعيد ويرجع ذلك بشكل رئيسي إلي حرص النساخ القدامي علي نسخ الاعمال الادبية من مصادرها الاصلية القديمة كما حرصوا علي مطابقتها وتدقيقها، ومما قد يدل علي ذلك حرص الكتاب علي تذييل ما يقومون بنسخه بعبارة «كتب ودقق وفق النسخة الاصلية» ثم يذكر اسمه وأحيانا اليوم والشهر الذي أتم فيه النسخ ولامر من قام به.

ومما تجدر ملاحظته في نصوص العراق القديم الادبية انها تعتمد علي أسلوب التكرار والاعادة في بعض الأحيان خاصة عند رواية خبر علي لسان رسول إلي واحد أو أكثر من شخوص الاسطورة، ورغم ما في هذا التكرار من ملل الا أنه لا يخلو من فائدة للباحث اذ يساعد في كثير من الاحيان علي ترميم الاجزاء المفقودة عندما يتعرض النص إلي الكسر.

ومن الأمور الهامة عند دراسة الادب في العراق القديم معرفة اللغة التي دون بها، فقد سادت بلاد الرافدين لغتان مشهورتان هما اللغة السومرية واللغة الاكدية، والاخيرة هي الفرع ألشرقي من عائلة اللغات السامية. أما اللغة الأولي وهي السومرية فكانت هي السائدة منذ معرفة التدوين أي منذ أوائل الالف

الثالث ق.م، وغلبت الثقافة السومرية بلغتها وآدبها ومعارفها المختلفة. ولكن في الربع الأخير من الالف الثالث ق.م بدأ يبرز كيان الساميين السياسي وانطبع ذلك علي الاداب فبرزت لغتهم في الكتابة وتزايد استخدامها حتي طغت علي اللغة السومرية منذ مطلع الالف الثاني قبل الميلاد، ولم يؤد ذلك إلي اندثار اللغة السومرية، بل بقيت الثقافة السومرية حية واستمر التدوين بالسومرية جنبا إلي جنب مع اللغة الاكدية بفرعيها الاساسيين البابلية والاشورية وعلي هذا الاساس فانه لا يمكن فهم النصوص الأدبية ما لم يؤخذ بعين الاعتبار هذا الازدواج اللغوي سواء كان ذلك من ناحية تأثر النتاج الادبي البابلي بأصول سومرية، أم من حيث استعمال الكثير من المصطلحات الكتابية السومرية في القطع الادبية البابلية، وتأثر هذه القطع بالاساليب اللغوية والادبية السومرية.

وتناول الادب في العراق القديم موضوعات متعددة منها أدب الأساطير ويتضمن نشأة الخليقة وأصل الوجود والأشياء وأساطير ما بعد الموت، والملاحم وأعمال البطولة، وأدب القصة وأدب الحكمة، وأدب المفاخرة والمناظرة، وأدب الحب والغزل وأدب الرثاء، وأدب السخرية والفكاهة. وسنقوم فيما يلي بالقاء الضوء علي بعض أنواع هذا الأدب لنتعرف علي طبيعته ومغزاه ونبدأ دراستنا للأدب بالشعر.

(١) الشعر

خضع الشعر السومري والبابلي لبعض القواعد في النظم والتأليف، ومن ذلك أنه كان يتألف من أبيات قوام كل بيت صدر وعجز وهما يتشابهان في المعني والتأليف وكل منهما يتكون من مقاطع - من مقطعين إلي ثلاثة مقاطع طويلة، ويؤلف بيتان من الشعر وحدة في المعني، ويمتاز النظم في كل من الشعر السومري والبابلي أن الشعر موزون ولكنه غير مقفي فيكون، أشبه بالشعر المرسل، وقد تؤلف أربعة أبيات من القصيدة وحدة في المعني فتكون القصيدة

وحدة من الرباعيات وقد يستعمل كتبة الشعر بعض العلامات أو الفواصل بين مصراعي (الصدر والعجز) البيت الواحد، وبين كل بيت وبيت[1].

ويمكن أن ترجع أولي المؤلفات الشعرية السومرية إلي القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، ومن أوضح الامثلة علي ذلك ترتيله طويلة إلي عهد ا... جوديا حاكم لجش وذلك حوالي عام ٢١٠٠ ق.م، وهي مسجلة علي اسطوانتين من الطين قسمتا إلي أربعة وخمسين عمودا، وهي تعرف باسم اسطوانتي جوديا A.B، وتنطوي المادة المسجلة في هاتين الاسطوانتين علي العديد من أوجه الثقافة السومرية في الدين والفن والعمارة والتجارة والأخلاق، وسنورد فيما يلي بعضا مما جاء في الاسطوانة A:[2]

عندما كان القدر يكتب على السماء والأرض
رفع رأس لجش عاليا نحو السماء، وفقا للناموس الاعظم
ونظر بعين المحبة إلى الرب ننجرسو
وأظهر إلى الوجود كل ما يحيى المدينة، وفقا للناموس الاعظم.
القلب فاضت ضفتاه نحوها
قلب انليل فاضت ضفتاه نحوها
مياه الفيضان أشعت بضياء نحوها

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٤٤١ ٤٤٨.

(٢) قام بنشر هذه الاسطوانة كل من L. Heuzed, E., de Sarzec وذلك في مؤلفهما:
Sarzec. E., L. Heuzed, Decouvertes en chaldeed Paris, Paris, 1884, pls. 33- 36.

ثم قام G.A Barton بترجمة أخري عام ١٩٢٩، انظر
Barton, G.A., The Royal Inscriptions of sumer and Akkad, New Haven, 1929, pp. 205 ff.

ولقد اعتمدت في هذه الترجمة علي صموئيل نوح كريمر انظر: صمويل نوح كريمر: المرجع السابق، ص٤٢ وما بعدها.

قلب انليل ذى الجلال، ونهر دجله، جلبا اليها عذب المياه.
قال ننجرسو رب المعبد:
«معبد انينو، سوف يسمو ناموسه على السماء والأرض
وجوديا، الملك الصالح، الفهم الاديب، يعطى أدبا
يقوم بجليل الاعمال
يسوق إلى هناك عجولا وكباشا سليمة،
يرفع رأسه إلى القرميد المبارك
لقد وطن نفسه على تعمير البيت
فى ذلك اليوم، رأى ربه ليلا فى الرؤيا،
أمره ننجرسو أن يعمر البيت،
وأطلعه على ناموس انينو الاعظم الخير»
ولكن مقاصد ننجرسو كانت غامضة

فتمتم جوديا بهذه الكلمات:

«تعال الان، لسوف انبئها، لسوف انبئها
لعلها تقف إلى جانبى فى هذه المسألة
لى، أنا الراعى، صدر أمر ملكى،
لا أعرف معناه،
سأقص منامى على والدتى،
لعل المؤولة، العارفة بصفتها،
العزيزة نانشة، أخت سيبارا - شمتا،
تفسر لى معناه
وضع قدمه فى قاربه الـ «ماجور»
وجذف القارب نحو مدينته نينا الواقعة على قناة نيناجن

أبحر والقناة الجديدة بحمولات الفرح
بعد أن بلغ البجارا، المنزل الذى يمتد والقناة الجديدة
جاء بقرابين الخبز، وسكب الماء البارد
خطا نحو ملك البحار (ننجرسو) وتوجه اليه بالدعاء
«أيها البطل، والاسد الصهور الذى لا يباريه أحد،
ننجرسو، الشديد البأس فى الأيزو،
الذى يوفر الامن إلى نيبور،
أيها البطل، لقد أعطيتنى أمرا،
وسوف انفذه مخلصا،
ننجرسو، سوف أبنى لك بيتك،
سوف انفذ لك الناموس بحذافيره،
فلتتفضل اختك، الابنة المولودة فى اريدو،
التى يعتمد عليها فى صنعتها،
السيدة العارفة بعلوم الالهه،
العزيزة نانشة، اخت سيارا - شمنا،
وتدلنى على طريق الحلم،
اجيب إلى دعائه،
قرابينه وصلواته،
قبلها السيد ننجرسو من جوديا،
وجوديا أقام وليمة «اش اش» فى بيت بجارا،
صعد الرجل الصالح إلى بيت «جتوم دوج» إلى حيث مخدعها،
آتاها قرابين الخبز، وسكب الماء البارد،
صعد إلى «جتوم دوج» وتوجه اليها بالدعاء،
«سيدتى، أيتها الابنة المولودة من «ان»،

التى تعتمد عليها فى صنعتها،
الالهه التى تعيش وراسها مرفوع فى البلاد،
التى تعرف حاجات مدينتها
أنت ،ايتها السيدة، الام التى اسست لجش
عندما وقعت عينك على البلاد، نزل القطر وفاض الماء،
عندما وقعت عينك على الانسان، امتدت له الحياة.

أنا ممن لا أم لهم، فأنت أمى،
أنا ممن لا أب لهم، فأنت أبى،
أنت نقلت بزرتى إلى الرحم، وولدتنى فى الحرم،

،سيدتى جتوم دوج، الحكيمة والصالحة،
اضطجعت بالقرب منى ليلا،
انت سيفى الصمصام، الملتصق بى،
أنت ....
أنت اعطيتنى نسمة الحياة،
أنت يا من انت دثار وسيع،
فلا نعم يظلك،
ولتلق على، أيتها السيدة جنوم دوج، راحة يديك النبيلة الرفيعة الشأن
أنا ذاهب إلى المدينة، ليكن فالك خيرا،
إلى نينا، الرابية الطالعة من الماء،
ليتقدمنى جنبك اللطيف،
وليحمنى من خلف ملاكك الحارس اللطيف،

تعالى الان، سأنبئها بالحلم ، سأنبئها بالحلم،
لعلها تقف إلى جانبى فى هذه المسألة،
سوف أجئ بحلمى إلى أمى،
لعل المؤلهة، العارفة بصنعتها،
عزيزتى نانشيه، اخت سيارا شمتا،
تفسر لى معناه،
أجيب إلى دعائه،
قرابينه وصلواته، سيدته،
جنوم - دوج تقبلتها من جوديا،
انطلق بقاربه الـ «ماجور»،
أرسى قاربه فى مرفأ مدينةنينا،
الرجل الصالح رفع رأسه إلى السماء فى ساحة قصر سيارا - شمتا،
قدم قرابين الخبز، وسكب الماء البارد،
صعد إلى نانشيه، وأنشأ يصلى
«نانشية - ايتها السيدة الجليلة، سيدة الناموس الثمين،
السيدة التى تكتب الاقدار كانليل،
العزيزة نانشيه التى أمرها دائم، أيدى،
أنت، مفسرة الالهه،
انت، سيدة البلاد، أم الرؤى والاحلام،
فى منامى - رجل
كالسماء فى عظم جرمه، كالارض فى عظم جرمه
هو - رأسه رأس اله،
جناحاه جناحا طائر امدوجود،

قائمتاه فائمتا عفريت طوفان،
عن يمينه وشماله أسدان يربضان،
أعطانى الامر بتعمير بيته لا أدرى ماذا يريد،
،الشمس طلعت لى من الافق،
امرأة من هى ليست تكون! من هى تكون،
وضعت... على الرأس،
امسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد،
اسندت لوح نجم على الركبة،
تتشاور معه،
،ثم، بطل،
لوى الذراع، امسك كتلة من حجر اللازورد،
للمنزل، رسم مخططا عليها،

،أمامى سلة مقدسة زرعت،
قالب قرميد مقدس اقيم مستويا،
قرميد القدر وضع فى قالب القرميد من أجلى،
فى عوسجة ،الداج، المزروعة أمامى،
عصافير ،تيبو، ما برحت تغرد طربا،
ومهر حصان نبيل ،اليد اليمنى، لمليكى، كان يضرب الارض بقائمته - نافذ الصبر،

إلى الرجل الصالح، أمه نانشية تعطى الجواب:
،يا راعى انا، منامك سأفسر:
الرجل العظيم الجرم كالسماء، العظيم الجرم كالارض

ورأسه راس اله،
وجناحاه جناحا طائر امد وجود،
وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان،
وعن يمينه وشماله اسدان يربضان،
ان هذا لهو أخى ننجرسو،
آمِرك أن تعمر له معبد انينو،

والشمس التى طلعت لك من الافق، هى الهك،
ننجش زيدا،
مثل الشمس طلع لك من الافق،

العذراء التى وضعت ... على الرأس،
وأمسكت قصبه اللوح الفضية المضيئة باليد،
وأسندت لوح نجم على الركبة،
تتشاور معه،
ان هذه لهى أختى ندابا،
لكى تعمر البيت طبقا للنجوم المقدسة،
دعتك

،ثم – بطل –
لوى الذراع، امسك كتلة من حجر اللازورد،
ان هذا يتذوب برسم مخطط البيت عليها،
،السلة المقدسة التى زرعت أمامك،
قالب القرميد المقدس الذى أقيم مستويا،

قرميد القدر الذى وضع فى قالب القرميد-
ان هذا قرميد اينو الذى يقاوم...
«فى عوسجة الداج المزروعة امامك،
عصافير تيبو ما برحت تغرد طربا،
فى أثناء تعمير البيت، لن يأتى الرقاد الحلو إلى عينيك،

«مهر الحصان النبيل، اليد اليمنى لمليكك، الذى كان يضرب الارض
بقائمته نافذ الصبر،
ان هذا أنت، كمهر الحصان النبيل سوف يضرب الأرض فى انينو.

بعد أن فرغت الالهه من تأويل الحلم، مضت من تلقاء نفسها في اسداء النصح إلي جوديا: عليه أن يأتي بهدايا من السلاح إلي ننجرسو المحب للهدايا، الذي عرف أيضا باله حرب، وعليه ان يأتي بها إلي المعبد ومعه، قيثار «الاله الشهير، اشموجال - جلاما، وبذلك يرق له قلب الاله ويكشف له عن كامل مخطط بيته، ويتحمس من أجله:

«سوف أعلمك، تقيد بتعليمى:
توجه بخطاك إلى جيرسو، جبهة لجاش،
انزع الختم من مخزنك، خذ الخشب،
اصنع عربة لمليكك
اعقل مهر الحصان النبيل اليها،
زين تلك العربة بالفضة المضيئة وحجر اللازورد
كالشمس، أطلق السهام من الكنانة،

ركب باحكام سلاح الانجارا، قوة البطولة
انسج له رايته المحبوبة، طرز اسمك عليها،

امثل أمام البطل الذى سحب الهدايا،
مليكك، السيد ننجرسو،
المصحوب بقيثارة الاثير اشموجال - جلاما
آلته الطنانة الذائعة الصيت، ذات النبوءة
ادخل إلى انينو - امد وجد - بيار.
سوف يتقبل كلمتك المتواضعة كما يتقبل كلمة نبيلة،
الرب، قلبه وسيع كالسماء،
قلب ننجرسو، ابن انليل سوف يرق من أجلك،
سوف يكشف لك كل مخططات بيته،
البطل ذو الناموس الاعظم،
سوف يمد لك يدا،

يقوم جوديا، علي حد رواية شاعرنا، بتنفيذ تعليمات نانشيه بحذافيرها:

الراعى المخلص «جوديا»،
يعرف كثيرا، يصنع كثيرا،
احنى راسه للكلمة التى نطقت بها نانشيه اليه،
نزع الختم عن المخزن، وأخذ الخشب،

من أكثر المقاطع الشعرية في هذه الترتيلة مقطع يتعلق بعلامة أو بشارة يطلبها من ننجرسو، ولأنه لم يزل يشعر انه لم يفهم مراد الاله تماما يبدا هذا المقطع حين يتجه ننجرسو نحو جوديا، وكان اضطجع لينام عله يتلقي بشارة الاله في المنام:

ثم إلى النائم، إلى النائم،
خطأ ننجرسو، وبيده لمس قدميه،
انت يا من سوف تعمره لى يا من سوف تعمره لى،
ايها الرجل الصالح، يا من سوف تعمر البيت لى،
اى جوديا، لاعطك العلامة على تعمير بيتى،
ولانبئك بطقوس طبقا لنجوم السماء المقدسة،

«بيتى، انينو الذى لى، اسسه آن،
الذى ناموسه هو الناموس الاعظم، أعظم من كل ناموس،
البيت الذى ملكه ترى عيناه كل بعيد،
وأمام صرخته، التى كطائر امد وجود، تزلزل السموات،
وعظمته المخيفة تصل إلى السماء،
بيتى، هيبته العظيمة تطغى على كل البلاد،
باسمه جميع البلاد تجتمع من أقطار السماء،
ماجان وملوخا تهبطان اليه من الجبال».

ثم يمضي الاله في تعداد سلطاته الواسعة، وأسمائه الخصوصية التي وهبه أياها الالهان العظيمان آن وانليل ودوره الهام في ادارة حكم المدينة، ثم يختم خطابه بوعد لاهالي لجش بالثروة والرخاء بهذه الكلمات الرنانة:

«عندما تضع يدك على بيتى، البيت الأول فى جميع البلاد،
ذراع لجش اليمنى،
تلك التى تزأر كطائر الامدوجود فى كبد السماء
الانينو، بيتى الملكى،
أيها الراعى الامين، جوديا، عندما تضع يدك الامينة من أجلى،

عندئذ ادعو السماء لكى تمطر،
وينزل الفيض اليك من السماء،
وينعم الناس بهذا الفيض،

«بتأسيس بيتى، سوف يأتى الفيض،
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك،
الافنية سوف تفيض عن حوافيها من أجلك،
فى الروابى التى لم يرتفع اليها ماء،
سوف يرتفع الماء من أجلك،
وسومر سوف تسكب كثيرا من الزيت من أجلك،
وسوف تزن لك الكثير من الصوف،
فى اليوم الذى تضع يدك الامينة على بيتى،
سأضع قدمى فى الجبل،
حيث تقيم ريح الشمال،
وكانسان ذى قوة هائلة، ريح الشمال،
من الجبل، المكان الظاهر
سوف تهب راسا نحوك

(لأنه) بعد أن أكون أعطيت نسمة الحياة للناس،
سوف يقوم رجل واحد بعمل اكثر من عمل رجلين،
فى الليل، نور القمر سوف يضئ من أجلك،
فى النهار، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك،
البيت سوف يبنى من أجلك فى النهار،
وسوف يرتفع عاليا فى الليل،

من تحت ، شجرة «حلوب» ، الـ (....) المنعشة ،
سوف يؤتى بها اليك ،
من فوق شجرة الارز والسرو وشجر الزيلوم ،
سوف يؤتى بها اليك فى يسر،
من بلاد البلوط ،
البلوط سوف يؤتى به اليك ،
فى بلاد حجر «نا» حجر «نا» الجبلى الكبير،
سوف ينحت ألواحا من أجلك .

فى ذلك اليوم ، نار سوف تلقح ذراعك،
فتعرف عندئذ علامتى» ،

يستيقظ جوديا من نومه، ثم يمضي في تطهير المدينة بعد أن حصل علي علامة الاله، من الناحيتين الفيزيائية والروحية، أو كما عبر عن ذلك الشاعر في كلمات تكشف عن الفجوة بين المثل العليا الاخلاقية التي كان يتحدث عنها السومريون وبين ممارساتهم اليومية:

استيقظ جوديا ، كان نوم ،
وارتجف ، كانت رؤيا ،
احنى رأسه للكلمة التى نطق بها ننجرسو،
وراح يتفحص جديا كل البياض ،
الجدى الذى تفحصه - كان فأله حسنا ،
إلى جوديا ، المعنى الذى أراده ننجرسو،
جاء مثل الشمس ،
يعرف الكثير، ينجز الكثير،

الرجل الصالح علم المدينة ان تكون مثل رجل واحد،
ان يكون واحدا قلب لجاش مثل ابناء لام واحدة،
ذرع اشجارا، قلع شوكا،
نزع الاعشاب الضارة، ازال اسباب الشكوى،
وأزال لسان الكرباج والعصا -
وضع فى مكانه الصحيح صوف النعجة - الأم،

الام لم تنطق شيئا بحق ابنها،
الابن لم يعارض أمه،
العبد الذى أساء،
مولاه لم يضربه على رأسه،
الجارية، الاسيرة، التى أوقعت أذى،
مولاتها لم تصفعها على وجهها،

إلى الرجل الصالح الذى يعمر البيت،
إلى جوديا لم يشتك أحد،
الرجل الصالح نظف المدينة طهرها بالنار،
الوسخ، الفاجر، الـ «جايان»، طرد من المدينة،

(٢) الأساطير الدينية:

تدور أساطير السومريين والأكاديين حول الخلق وتنظيم الكون ومولد الالهه وحبهم وكرههم وحول أحقادهم ومؤامراتهم وبركاتهم ولعناتهم وأعمالهم الخلاقة والهدامة وحقيقة الموت المؤكدة، وسنتناول فيما يلي بعضا من هذه الأساطير:

(أ) اسطورة الخليقة البابلية:

تعد هذه الاسطورة من أكمل واطول النماذج المتصلة بموضوع الخليقة وأصل الاشياء، وهي تعرف عند علماء الاشوريات باسم «ألواح الخليقة السبعة»، ولقد سماها البابليون «اينوما ايليش» (حينما كان في العلا) لان أول بيت من الشعر فيها يبدأ بهذه العبارة.

واهتم العلماء بدراسة هذه.الاسطورة منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي وكان من أوائل العلماء الذين قاموا بدراستها جورج سميث عام ١٨٧٦ وذلك في The Ghalden Account of Genesis وجاءت الوثائق الخاصة بهذه الاسطورة من مصادر ثلاث، الأول، حفائر البعثات الانجليزية في نينوي التي نشرت عام ١٩٠١، ثم نشرت مرة أخري عام ١٩٠٢ في:

King's, L.W., The Seven Tablets of Creations, 2 Vols, 1902.

والمصدر الثاني، الحفائر الالمانية في مدينة آشور والتي نشرها:

Edeling, E., Keilschrifttexte aus Assur relingiosen Inhalts, 1915.

والمصدر الثالث الحفائر الانجليزية الامريكية في موقع كيش والتي نشرت في:

Langdon, S., Oxford Editions of Cuneiform Texts, Vol, VI. 1932.

ولقد ترجمت هذه الاسطورة ترجمات عديدة إلي اللغات الاوربية ولايزال البحث فيها مستمرا ورغم أن تاريخ ألواح الخليقة السبعة ترجع إلي القرن السابع قبل الميلاد، الا أنه يستدل مما جاء فيها أن زمن تأليفها يرجع إلي عهد أسرة بابل الأولي وإلي عهد حمورابي علي وجه الخصوص ويتضح ذلك في تمجيد الاله مردوخ معبود بابل وتعظيم شأنه ومن ثم تمجيد بابل وكان ذلك في عهد حمورابي حينما أصبحت بابل عاصمة لامبراطوريته. وعندما غدت آشور في الالف الأول قبل الميلاد القوة الكبري استبدل الكتاب الاشوريون الاله مردوك بالههم أشور، وادخلوا علي القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد.

ويبدو أن استبدال مردوك بأشور كبطل للقصة لم يكن الاستبدال الأول والوحيد فيها، إذ سبق النسخة التي تدور حول مردوك نسخة أخري بطلها المعبود انليل، وهذا يمكن استنتاجه من دلائل عديدة في الاسطورة نفسها، أهمها أن انليل، وان لم يكن علي الاقل الاله الثالث من حيث الأهمية بين آلهه العراق القديم، فانه لا يقوم بأي دور في الاسطورة التي بين أيدينا، بينما تقوم فيها الالهه الكبري الاخري ككل بأدوارها الخاصة بها، ثم ان الدور الذي يقوم به مردوك لا يتفق وشخصيته(١).

وبالنسبة لمحتويات الاسطورة فانها تكاد تكون في جزئين، يعالج الجزء الأول منها أصل معالم الكون الرئيسية ويروي الثاني كيفية تأسيس نظام العالم الحالي، ولكن الموضوعين ليسا بالمنفصلين انفصالا تاما، فالحوادث في قسم الاسطورة الثاني يشار اليها في حوادث القسم الأول، وتتداخل أحيانا فيها.

وتذكر الاسطورة انه في البدء لم يكن هناك شئ يذكر سوي الماء العذب (ابسو) والماء المالح (تيامه) وكانت مياههما مختلطة، ولم يكن قد ولد اي من الالهه ولا ذكرت اسماؤهم، ومما جاء في ذلك:

---

(١) Jacobsen, T., in Before Philosophy, PP. 182 ff.

حينما فى العلى لم يكن للسماء اسم
وفى الدنى لم تكن الارض شيئا مذكورا
ولم يكن فى البدء غير ابسو وتيامه وكانت مياههما مختلطة.
ولم يكن قد ولد أى من الآلهه ولا ذكرت اسماؤهم
عندئذ تكونت الالهه فيهم

وتشير الاسطورة بعد ذلك إلي أنه تولدت من الاله ابسو والالهه تيامه أجيال متعاقبة من الالهه كان منها الاله «آنو» الذي أصبح نظيرا لابائه الآلهه العتيقة ثم بعد حين من الوقت أساءت الالهه الحديثة إلي آبائهم ولاسيما أمهم تيامه وأبيهم أبسو، فأساء هذا العمل أبسو فعزم علي ابادتهم جميعا وارجاع نظام الكون إلي سابق عهده وكاد ان يفتك بهم، وفي اللحظة الحاسمة علم الاله «ايا» الذي كان متحليا بالمعرفة والحكمة والقوة، بالخطة المبيتة فلجأ إلي سحره المقدس، فألف تعزيمه قوية وقرآها علي الماء (ابسو) فأحل فيه السبات فكبله وقتله وابتني في جسمه (أي من الماء) بيته فسكن فيه هو وزوجته، وولد له ابن هو مردوخ الذي كان علي أتم ما يكون من كمال الخلق وكان خارق القدرة فسر به أبوه وفضله علي غيره وعلا قدره علي من سواه من الآلهه، ونذكر فيما يلي ما جاء بالاسطورة حول مردوخ وصفاته:

«كان فاتن القوام وعيناه تشعان بالحياة،
أجل كانت مشيت مشيته العظماء
فلما رآه أبوه الإله إيا الذى ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأ قلبه بالسرور
ولم لا! فقد جاء كامل الاوصاف يوازى الهين فى العقل
أجل! لقد كان ممجدا بين الالهه وكان الاعظم بينهم
كان كامل الاعضاء والاطراف إلى حد لا يصدقه عقل
فلا أحد يفهمه ولا عقل يدركه»

وتذكر الاسطورة أن «تيامه» زوج «أبسو» عزمت علي الانتقام من الالهه الحديثة لمقتل زوجها وأخذت تعد العدة لذلك فخلفت أنواعا كثيرة من الشياطين والافاعي وسلحتها بأسلحة فتاكة وأمرت عليها أحد الألهه القديمة وجعلته زوجها وزودته بالسحر وأودعت عنده الواح القدر وهيأت جمعها للبدء بحرب الالهه.

وعندما سمع الآلهه بمخطط تيامه لشن الحرب ضدهم أصابهم الزعر وراحوا يفتشون عن وسيلة تنقذهم من دمار محقق وعمت الفوضي بينهم، وأخيرا وبعد الاخذ والرد والبحث وقع اختيارهم علي الإله مردوخ ليقود المعركة ضد تيامة وجيشها وفي ذلك تذكر الاسطورة:

،وأقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قباله آبائه الآلهه
وعندئذ بايعوه قائلين: أنت الأعظم إجلالا بين الآلهه
فقرارك لا يواتيه شئ وأمرك هو أمر السماء
ومنذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابتة لا تتغير
فمن شئت ان ترفع أو تخفض فأمره منوط بيديك
اجل ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما من الخطأ
ولن يتخط حدودك أى من الآلهه
يا مردوخ أنت بالحق من يثأر لنا
ها نحن نبايعك على ملك الكون بأجمعه
وعندما تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا
وسوف لن تقهر اسلحتك بل انها ستحطم اعداءك
يا سيدنا أنقذ حياة من وضع ثقته فيك
وعسى ان تزهق حياة كل اله اقترف المعصية،،

وعندئذ قام القائد مردوخ من مجلسه وتناول قوسه وصولجانه ثم علق القوس والجعبة إلي جنبه، وتقدم وخلفه جنوده، وقد حمي جسده بدرع هو «الرعب» ووضع علي رأسه هالة هي «الرهبة» واطبق شفتيه علي تعويذة سحرية وحمل بيده نباتا يقذف السم، واستمر في التقدم إلي أن صار هو وجنده علي مقربة من تيامه »، فخاطبها بلهجة ساخرة أثارت غضبها وجعلتها تفقد رشدها، وفي ذلك تذكر الاسطورة:

«وعندما سمعت تيامه ذلك
صارت كالمجنونة، لقد فقدت صوابها
واطلقت صرخة عالية من شدة الغضب
فارتجفت ساقاها من الاعماق
ثم راحت تقرأ رقية وتلقى بسحرها
فى حين كان آلهه المعركة يشحذون اسلحتهم
ثم التقى الاثنان، تيامه ومردوخ أحكم الالهه
فشد كل منهم علي الاخر فى نزال فردى ثم التحما فى المعركة
وعندئذ أطلق فى وجهها الريح الشريرة التى كانت تتبعه فلما
فتحت تيامه فمها لتبتلعها
أدخل فيه الريح الشريرة لكى لا تستطيع أن تطبق شفتيها
انتفخ جسمها وانتفخ شدقاها
انذاك اطلق مردوخ سهما فرق جسمها
اجل لقد قطع احشاءها وشطر قلبها
ولما تم له قهرها انقض عليها واخمد انفاسها»

ثم تذكر الاسطورة ان مردوخ قسم جسم تيامه إلي شطرين خلق منهما الأرض والسماء، ثم اسر من كان معها من الآلهه وعلي رأسهم كبير قوادها كنكو

بعد ذلك تم خلق الكواكب والاقمار والمياه والاشجار والنباتات، ثم قرر مردوخ خلق الانسان ليقوم بخدمة الالهه ويقدم لهم القرابين لكي تشعر هي بالراحة التامة، فبارك الالهه الفكرة علي ان يخلق الانسان من دم أحد الالهه عندئذ جئ بالاله كنكو قائد قوات تيامه فذبحوه ومزجوا دمه بالطين وخلقوا منه الانسان، وبعد أن كمل خلق الانسان أسست الالهه معبد مردوخ في بابل واجتمعوا فيه بعد تمامه في حفل مقدس حيث منحوا مردوخ أهم ألقابهم واسماءهم المقدسة، فصار يجمع في شخصه اكثر صفاتهم[1].

ملحمة جلجامش

اشتهر اسم جلجامش في أداب العراق القديم وصار موضوعا لعدة ملاحم وقصص سومرية وبابلية، وهي تدور حول وصف أعماله والمغامرات التي قام بها وبطولاته التي تقترن به، ومن أشهر القصص والملاحم التي حيكت حول اسم جلجامش وأعماله الملحمة المشهورة بقصة جلجامش، وهي تتناول موضوعا انسانيا محضا وتتعامل مع أشياء دنيوية مثل الانسان والطبيعة، والحب والمغامرة، والالهه والصداقة، والصراع لتكون منها جميعا فصولا تمهيدية لموضوع الملحمة الرئيسي وهو حقيقة الموت المطلقة.

وقد ورد اسم جلجامش في ثبت ملوك الوركاء، وذلك في عهد أسرة الوركاء الأولي وذلك حوالي عام ٢٦٥٠ ق.م.

وعثر علي ملحمة جلجامش ضمن المؤلفات المحفوظة في مكتبة أشور بانيبال في نينوي، كما عثر في مدن أخري علي بعض الالواح الطينية التي تكون أجزاء منها، ويرجح أن أول تدوين للملحمة البابلية كان في العصر البابلي القديم في حدود ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م، وأنها صارت بشكلها النهائي المعروف حاليا في الفترة من ١٥٠٠ - ١٢٥٠ ق.م.

---

(١) Speiser, E.A., "Akkad Myths and Epics", in ANET, pp 60 ff.

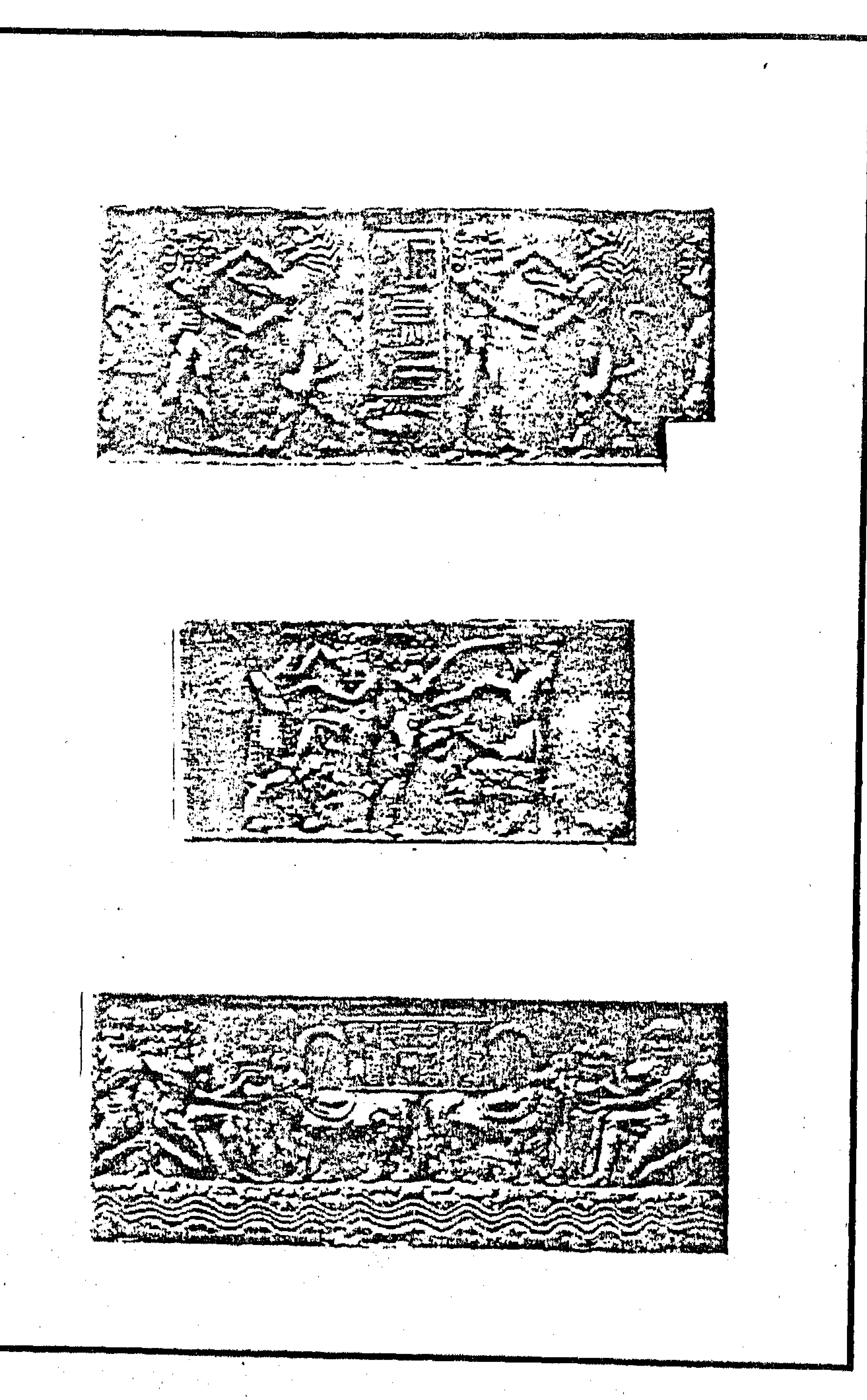
ولقد امكن تجميع ملحمة جلجامش وأرض الاحياء من اربعة عشر لوح وقطعه، كشف منها أحد عشر لوح في نيبور ولوح في كيش واللوحان الاخران لا يعرف المكان الذي جاءا منه ولقد قام صموئيل نوح كريمر بترجمة النصوص الخاصة بهذه الملحمة ونشرها عام ١٩٤٧ وذلك في دوريه Journal of Cuneiform Stadies, vol, I (1947) PP. 3 - 46، كما نشرها كذلك في: Ancient Near Eastern Texts, p.p. 47.[1] ولقد قام أ.د. محمد خليفة حسن بدراسة تحليلية للحمة جلجامش من حيث استخلاص المادة التاريخية من الملحمة والمادة الاسطورية الموجودة فيها[2]، ويتضح من دراسة هذه الملحمة أنها أقرب ما تكون إلي الجمع الاولي المؤلف من عدة قطع مختلفة، ولكنها جمعت جمعا أدبيا فنيا لتكون وحدة علي هيئة ملحمة، ويمكن تقسيمها إلي ثلاثة أجزاء رئيسية يتصل الجزء الأول باعمال جلجامش ومغامراته والجزء الثاني قصة الطوفان أما الجزء الثالث المسجل علي اللوح الثاني عشر فهو يتصل بوصف العالم الاسفل أو عالم الارواح كما رآه انكيدو صديق جلجامش. كما سجلت العديد من مناظر الملحمة علي العديد من الاختام الاسطوانية (شكل ٤٣).

يبدأ اللوح الأول من الملحمة بذكر مآثر جلجامش ومنجزاته العمرانية في مدينة الوركاء، وكيف انه بني أسوارها ومعبدها المقدس «اي - انا»، وتصف الملحمة جلجامش بأنه كان علي أتم ما يكون من الصورة والخلق وكان قوي الجسم هائل الخلقة ثلثاه اله وثلثه الباقي انسان.

---

(١) انظر:
Kramer, S.N., "Sumerian Myths and Epic tales" in ANET. PP 47 ff., Jacobsen, T., op. cit., PP. 223 ff.

(٢) محمد خليفة حسن: الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، القاهرة، ١٩٩٧.



(شكل ٤٣) أختام اسطوانية مسجل عليها ملحمة جلجامش

ولقد اخذ جلجامش أهل الوركاء بالعنف والاضطهاد فلم «يترك ولدا لابيه»، «ولم يترك الزوجة لحبيبها» فاستغاث أهل الوركاء بالالهه لتخلق منافسا له يشغله، فيجد الشعب شيئا من الراحة «نظيرا له في البأس وقوة القلب وعندئذ يكون الاثنان في صراع مستديم لتهنأ المدينة بالسلام والاطمئنان».

واستجابت الآلهه لدعوات أهل الوركاء فخلقت انكيدو القوي وكان مارد الجسم كث الشعر يعيش في البراري يأكل العشب ويعيش مع الظباء وحمر الوحش، وفي أحد الأيام رآه أحد الرعاة فأخبر والده بأمره فقام بدوره باعلام جلجامش به فأشار علي الراعي بحيلة مؤادها أن يذهب إليه ببغي وعندما يأتي هذا الوحش لورد الماء تغويه وتعمل علي ترويضه ومن ثم تستدرجه إلي الوركاء.

ونفذ الراعي الخطة وأخذ البغي وراحا ينتظرن مجئ أنكيدو عند مورد الماء، وعند مجيئة مع الظباء كشفت له الفتاة عن مفاتن جسمها فتعلق انكيدو بها واغراه جمالها وبقي معها «ست أيام وسبع ليالي» وتغير حاله من بعد ذلك وذهبت وحشيته ونفرت عنه الظباء والوحوش التي كانت تألفه ولم يستطيع أن يجري معها ويجاريها بالركض، فرجع إلي الوراء وارتمي عند قدميها، فلما رآته قد استسلم للامر الواقع عرضت عليه الذهاب معها إلي مدينة الوركاء حيث يعيش البطل القوي جلجامش، فقبل انكيدو واعلن تلهفه لرؤية جلجامش ومنازلته.

وعندما وصل انكيدو بصحبه الفتاة إلي الوركاء، تملكه العجب مما رأي فيها من مظاهر الحياة الجديدة التي لم يألفها في البراري مع الحيوانات، وكان عليه أن يتعلم كيف يأكل ويشرب ويدهن جسده بالزيت ويتعطر بالطيب ويرتدي ملابس نظيفة، وعندما سار انكيدو في أسواق الوركاء أعجب الناس به وتروي الملحمة في ذلك:

«سار انكيدو إلى الامام وخلفه البغى
ولما دخل الوركاء ذات الاسواق الواسعة
تجمع الناس حوله

حين وقف فى شارع الوركاء، فى موقع السوق
تجمهر الناس حوله وقالوا عنه:
انه مثيل لجلجامش فى البنية
ولكنه أقصر قامة وأقوى عظما
انه أقوى من فى البرية وذو بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر فى البادية
وفى الوركاء لن تنقطع قعقعة السلاح
فرح الابطال وهللوا قائلين
لقد ظهرت بطل ند وكفوء للبطل الجميل
اجل ظهر لجلجامش الشبيه نظيره ومثيله.

وفي المساء، بينما كان جلجامش يهم بدخول بيت عشتار اعترضه انكيدو وضمه، وعندئذ اشتبك البطلان في سوق المدينة وبمرأي من الناس، واستمرا في صراع عنيف اهتزت له الجدران وتحطمت لعنفه الابواب، وبعد جهد تمكن جلجامش من انكيدو وطرحه علي الارض، وعندها هدأ جلجامش وذهبت سورة غضبه، وأقر انكيدو بتفوق غريمه، وأعجب البطلان كل منهما بالآخر فصارا صديقين حميمي.

وبعد نقص في الملحمة نجد جلجامش يعزم علي القيام بسفر طويل يذهب فيه مع صديقه إلي غابات الأرز في سورية ليحصلا علي الشهرة والمجد، وتروي الاسطورة في ذلك علي لسان جلجامش موجها حديثه إلي صديقه انكيدو.

«انكيدو، القرميد والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المحتومة، إني أرغب في دخول البلاد، إني أرغب في رفع اسمي، في مكانه حيث الاسماء مرفوعه، إني أرغب في رفع اسمي، في مكانه حيث الاسماء غير مرفوعة، بودي رفع اسم الألهه.

وتنتقل الملحمة بعد ذلك إلي الاستعدادات التي اتخذها جلجامش ومنها التسلح بأسلحة ضخمة حملاها معهم إلي غابات الأرز، إلا أنه كان لابد من

الحصول علي موافقة مجلس الشيوخ في المدينة وكذلك مباركة الآلهة لهم، وبعد أن تمت رحلتهم بعد مشاق وعناء عادوا إلي مدينتهم، واثناء الاحتفال بعودتهم رأت عشتار جلجامش وهو في حلله الزاهية وسلاحه المصقول فأعجبت به وعرضت عليه الزواج منها، ولكنه أعرض عنها وآهانها بعبارات أشار فيها إلي ما جلبه حبها من الدمار والهلاك علي عشاقها السابقين ومما قاله لها.

«أنت قصر يتحطم فيه الابطال
انت قار يلوث حامله
وقربه تبلل من يحملها
فأي من عشاقك من أبقيت على حبه
تعال أفش لك قصة عشاقك

فمن أجل «دموزي» زوج صباك قد أمرت بالبكاء والنوح كل عام وقد أحببت طير «الشقراق»[1] الرقش فلطمته وكسرت جناحه وإذا هو يندب في البساتين والاحراش: جناحي! جناحي!».

وحينئذ غضبت عشتار فصعدت إلي السماء حيث آنو وطلبت منه أن يخلق لها ثورا مقدسا تقضي به علي جلجامش، الا أن جلجامش وانكيدو تمكنا من القضاء عليه.

حتي هذا الجزء من الملحمة لم يعن الموت شيئا عند جلجامش، فهو قد قبل مقاييس البطولة المعهودة، ومقاييس حضانته المعهودة، وهي أن الموت لابد منه، ومن العبث التخوف منه، فهو لم يكن يعرف الموت عندئذ الا كأمر مجرد، ولم

---

(١) يكثر طائر الشقراق في جنوب العراق، وهو يخرج في اثناء طيرانه في موسم اللقاح صوتا يشبه اللفظة البابلية «كفي» أي جناحي، ولعل صوته وشكل طيرانه هو الذي أوحي للبابليين بهذا الخيال أنظر:
طه باقر: المرجع السابق، ص٤٦٣ حاشية ٢.

يكن اقتراب الموت مباشرة بحقيقته الرهيبة منه، إلي أن يمرض انكيدو فجأة ويموت، وحينئذ يدرك جلجامش ما لم يدركه من قبل، فبكاه بكاء مرا ورثاه بعبارات تفيض آلما وحسرة:

«اسمعونى أيها الشيوخ واصغوا إلى
من أجل انكيدو خلى وصاحبى أبكى
وانوح نواح الثكلى
انه الفأس التى فى جنبى وقوة ساعدى
والخنجر الذى فى حزامى والمجن الذى يدرأ عنى
وفرحتى وبهجتى وكسوتى
ولقد ظهر شيطان وسرقه منى
يا خلى يا أخى الأصغر الذى اقتنص حمار الوحش فى التلال
والثور فى الصحارى
انكيدو يا صاحبى، وأخى الصغير
الذى اقتنص حمار الوحش فى التلال والنمر فى الصحارى
فأى سنة من النوم هذه التى غلبتك وتمكنت منك
طوال ظلام الليل فلا تسمعنى».
لم يرفع (جلجامش) عينيه عنه
جس قلبه، فلم ينبض
ثم كسا صديقه كأنه عروس الزفاف
وزأر صوته - كأسد ......،
كالبوة أبعدت عن أشبالها،
وراح المرة تلو المرة يتأمل رفيقه،
وهو يشد شعره ويبعثره نتفا،
ويشق ثوبه الفاخر ويمزقه إربا إربا.

لقد كانت خسارته في صديقه فادحة، وكانت أفجع من أن يتحملها، فكان رافضا من داخله أن يعترف بها كأمر واقع، وتعبر الملحمة عن هذا الرفض علي لسان جلجامش:

ذاك الذى شاطرنى فى كل خطر
حتف الانسان المحتوم قد أحاق به
بكيته طيلة النهار وطيلة الليل بكيته
ورفضت الاذن بدفنه
فلعل رفيقى أن ينهض لصراخى،
سبعة أيام وسبع ليال
إلى أن سقطت من أنفه دوده
لا عزاء لى منذ أن راح،
ورحت، انا الصياد أطوف البرارى،

لقد صار شبح الموت يلاحق جلجامش ويفزعه عندما أدرك أن الموت سيقهره آجلا أم عاجلا مثلما قهر صديقه انكيدو، وهنا صار يفكر بوسيلة للتخلص من الموت ونيل الحياة الخالدة، وهنا تذكر قصة جده «أوتو نبشتم» رجل الطوفان الذي يعيش في بقعة نائية في البحار البعيدة والذي كان قد حصل علي الحياة الخالدة، فعزم جلجامش علي شد الرحال إليه مهما كلفه الأمر ليسأله عن سر الحياة الخالدة.

وبعد سفر طويل شاق وصل إلي جبال أطلقت عليها الملحمة «ماشو» يرجح أن تكون جبال لبنان، وتصفها الملحمة بأنها الجبال التي تمر من مدخلها الشمس في سيرها اليومي، ويحرس ذلك المدخل مخلوقات غريبة مركبة من انسان وعقرب، وبعد أن تمكن جلجامش من عبور هذا المدخل سار مسافات طويلة في ظلام دامس إلي أن وصل إلي بستان تحمل أشجارها الجواهر والدر المتألق، وبعد

البستان يصل إلي ساحل البحر حيث يجد «حانة مقدسة» تقيم فيها احدي الإلهات، ويدخل جلجامش الحانة، ويقص قصته علي صاحبتها ويطلب منها أن ترشده إلي الطريق الموصل إلي «أوتو نبشتم» وهنا تقول له:

«إلى أين أنت تسعى يا جلجامش؟
إن الحياة التى تبحث عنها، لن تجدها أبدا
لأن الآلهه، عندما خلقت الانسان، جعلت
الموت نصيبه، وأمسكت
بأيديها عنه الحياة.
جلجامش – املأ بطنك –
أمرح ليلك ونهارك
واملأ أيامك بالمتعه
وارقص واعزف الالحان ليلا ونهارا
والبس القشيب من الثياب،
وأغسل رأسك واستحم،
وانظر إلى الطفل الممسك بيدك
ودع زوجتك تتمتع بعناقك
هذا وحده ما يبتغيه البشر»

ولكن جلجامش لا يستطيع أن ينصرف عن بحثه ويستسلم لما هو نصيب الناس كلهم، إنه ليتحرق شوقا إلي الحياة الدائمة، فألحف في سؤال صاحبه الحانة عن مكان «أوتونبشتم» فلم تجد بدا من أن تدله علي ملاح «أوتوبشتم» الذي صحبه إلي الساحل الذي يعيش فيه «أوتوبشتم».

وعند وصول جلجامش قص علي أوتوبشتم ما حل به والغرض الذي جاء من أجله وهو معرفة سر حصوله علي الخلود، فأجابه:

«قال أوتو - نبشتم لجلجامش ... هل بنينا بيتا يقوم إلي الأبد؟ وهل ختمنا عهدا يقوم إلي الأبد؟ وهل تبقي البغضاء في الأرض أبد الأبدين؟... لم يكن خلوداً منذ القدم، وياما اعظم الشبه بين النائم والميت! ألا تظهر علي وجههما هيئة الموت؟ وهكذا العبد والسيد لما ينتهي أجلهما».

فسأل جلجامش أوتو نبشتم الخالد كيف صار إذا خالدا وهو مثله بشر بل يبدو أضعف منه، وهنا يبدأ أوتو نبشتم يقص عليه قصة الطوفان الذي حصل من بعده علي الحياة الخالدة، وأخبره كيف أنه استطاع انقاذ نسل البشرية من الفناء بسفينته التي رست بعد انتهاء الطوفان علي قمة الجبل، وأنه خرج بعد ذلك من ... نة وقدم القرابين، فتجمعت الآلهة من حوله وقررت أن تكافئه وزوجته بالخلود ...ر في مضاف الآلهة.

ثم تساءل اوتونبشتم وقال مخاطبا جلجامش: «أما أنت يا جلجامش فمنذ الذي سيجمع الآلهة من أجلك حتي تجد الحياة التي تبغي؟» ومن جهة أخري آراد أن يفهم جلجامش أنه يسعي وراء شئ مستحيل، لذلك فإنه إختبره بشئ ليس بمقدور أي انسان أن يفعله وهو عدم النوم ستة أيام وسبع ليال، وقبل جلجامش الاختبار املا في الحصول علي الخلود، ولكنه سرعان ما غط في نوم عميق، وهكذا فشل في اجتياز الاختبار، وعندئذ أمر اوتونبشتم ملاحه أن يرجع جلجامش إلي مدينته الوركاء فلا جدوي في بقائه بعد ذلك.

ويهئ جلجامش نفسه للعودة يائسا كئيبا، وفي تلك اللحظة تحث زوجة اوتونبشتم زوجها علي إعطائه هدية وتشفعت له، وحينئذ رق لحاله وكلمه قائلا:

«سأسر لك يا جلجامش بأمر خفي وهو سر من أسرار الآلهة: يوجد نبات شوك مثل شوك الورد يخز يديك وهو ينبت في أعماق البحر، فان ظفرت بهذا النبات حصلت علي تجديد الشباب والحياة». فربط جلجامش برجله حجارة ثقيلة

وغاص في أعماق البحر ووجد ذلك النبات العجيب وعزم علي أخذه إلي مدينته لينميه ويستفيد منه الناس.

وفي طريقه إلي الوركاء شاهد بركة ماء بارد وكان اليوم قائظا وقد بلغ به التعب من السفر أقصاه، فخلع عنه ثيابه ونزل فيها ليستحم ويزيل عن نفسه وعثاء السفر، وترك علي حافة البركة النبته التي أحضرها معه، وفيما هي ملقاه هناك، تشم رائحتها احدي الافاعي، فتخرج من جحرها وتختطفها، وحصلت بواسطتها علي قدرة تجديد الشباب، إذ كلما أدركها الهرم نزعت عنها جلدها فتجدد شبابها وتولد فتيه من جديد، أما الانسان فتستحيل عليه هذه العودة إلي الشباب لأن نبته جلجامش ضاعت عليه، ويمتلئ قلب جلجامش مرارة، ويتأمل في هذه النهاية لبحثه الطويل:

وعندها قعد جلجامش أرضا ويبكى
وجرت الدموع على خديه
....
«لمن أجهدت عضلاتى، يا أورشنابى؟
لمن سكبت الدم من قلبى؟
لم آت لنفس ببركة واحدة
ولم أحسن الصنيع الا لأفعى الثرى»

وهكذا تعكس هذه الملحمة فكرة الانسان العراقي القديم عن الخلود، وأنه كان مقدرا للآلهة فقط، أما الانسان فانه لم يكن من حقه الحصول عليه.

قصة الطوفان:

كشفت الأدلة النصية التي عثر عليها في العراق القديم عن ثلاث روايات رئيسية تتصل بحادثة الطوفان، وسنذكر فيما يلي قصة الطوفان كما وردت في النصوص السومرية، ثم نتبعها بقصص الطوفان البابلية وسنختار منها القصة

التي وردت في ملحمة جلجامش لاتصالها بالموضوع الذي سبق وأن أشرنا إليه وهو ملحمة جلجامش.

أولا : قصة الطوفان السومرية :

كشفت بعثة الآثار الأمريكية في الفترة ما بين عامي ١٨٨٩ و ١٩٠٠م عن اللوح الطيني الذي يحتوي علي القصة السومرية للطوفان وذلك في مدينة نفر (ينبور)، ثم قام «ارنوبويل» Arno Poebel بنشرها عام ١٩١٤م. وللأسف فإن ما تبقي علي هذا اللوح لا يتعدي ثلثه الأخير وقد فقدت المقدمة والنهاية الخاصة به، ويقدر عدد الاسطر التي يتكون منها النص في جملته بحوالي ثلاثمائة سطر، لم يعثر إلي علي حوالي المائة منها. وسنحاول فيما يلي القاء بعض الضوء عليها.

بعد ٣٧ سطر مفقود نلتقي بمعبود يذكر أنه سوف ينقذ البشر من الهلاك وأن الانسان سوف يبني المدن والمعابد، وبعد عدة أسطر غامضة تتحدث القصة عن خلق الإنسان والحيوان. ويلي ذلك ما يقرب من ٣٧ سطر مفقود ثم تشير القصة إلي هبوط الملكية من السماء وتأسيس خمس مدن، وبعد عدة أسطر أخري ضائعة تتحدث القصة عن عدم رضي بعض الآلهة عن القرار الذي اتخذ بالفيضان، ثم تشير القصة إلي «زيوسدرا» الذي يوصف بالتقوي ومخافة الآلهة، وأنه اثناء اقامته بجوار حائط المعبد استمع إلي صوت معبوده أنك الذي أخبره بالقرار الذي اتخذه مجمع الآلهة بارسال الطوفان لاهلاك بذرة الجنس البشري.

ويل ذلك فجوة كبيرة ربما كانت تتصل بالتعليمات الصادرة إلي زيوسدرا ببناء سفينة كبيرة، والجزء الذي يلي الفجوة يصف موضوع الطوفان وما حدث اثناءه إلي أن انتهي بعد سبعة أيام، ثم توجد فجوة أخري يليها وصف لكيفية بعث الإله لروح الخلود في زيوسدرا واستقراره في أرض دلمون حيث تشرق الشمس.

ويمكن ترجمة ما تبقي من قصة الطوفان السومرية علي النحو الآتي[1]:

بعد الاسطر المهشمة في بداية النص والتي تقدر بحوالي ٣٧ سطرا تذكر القصة:

« .... إن البشر عبادي، وعن الهلاك المحيق بهم سأعمل ... إلي نينتو .. سأعيد مخلوقات سأعيد القوم إلي مواطنهم، أما المدن، فحقا سوف يبنون فيها لأنفسهم أماكن للشرائع الالهية، وسأجعل ظلالها في سلام، وأما عن بيوتنا فحقا سوف يضعون قوالب بنائها في أماكن طاهرة، وهو (أي الاله) قد وجه .... الخاص بالحرم، واكمل الشعائر، والشرائع الالهية المبجلة، وعلي الأرض .... وقد وضع .... هناك، وبعد أن خلق اوتو وانليل وانكي وننحرساج البشر «ذوي الرؤوس السود» وازدهر الزرع في الأرض، وأخرجت الحيوانات ومخلوقات السهول ذوات الأربع إلي الوجود بحكمة ....

(فجوة تقدر بـ ٣٧ سطر) .. وبعد أن أنزلت الملكية من السماء، وبعد أن انزل «تيارا» المعظم ، عرش الملك من السماء ... أكمل الشعائر والشرائع الالهية المبجلة، وأسس المدن الخمس في ..... مواضع مقدسة، وسماها باسمائها وجعلها مراكز للعبادة، وكانت أولي هذه المدن «آريدو» فأعطاها إلي «نوديمو» القائد والثانية «بادتبيرا» وأعطاها إلي ...، وكانت الثالثة «لاراك» وأعطاها إلي اندو

(١) فيما يتصل بقصة الطوفان السومرية: انظر
محمد بيومي مهران: دراسة حول قصة الطوفان بين الأثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٨٥ - ٣٩٤.
وكذا:
محمد عبد القادر محمد: قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين، ص١١٠ - ١١٤.
وكذا:
Pobel, A., in P B S, IV PT, 1. PP. 9- 70., King, L.W., Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrow Tradition, 1914., Kramer, S.N., Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, PP. 97 - 98.

بيلحورساج، وأعطي الرابعة «سيبار» للبطل «اوتو» وأما الخامسة «شورباك» وقد أعطاها إلي «سود» وحين سمي هذه المدن وجعلها مراكز للعبادة، فانه أحضر ... ثم قرر تطهير الانهار الصغيرة ....

(فجوة تقدر بـ ٣٧ سطرا) ... الطوفان ..... هكذا حل بـ .... ثم بكت نينتو مثل ..... وناحت «أنانا» المقدسة من أجل اناسها، ثم قام زيو سدرا، الملك، الكاهن، وبني ... ضخما، مطيعا متواضعا في احترام ... حاضرا كل يوم دائما ... محضرا كل أنواع الاحترام ... ناطقا اسمي السماء والأرض ... الآلهة حائط .... وكان زيو سدرا واقفا إلي جانبه وقد سمع .... قف عند الحائط إلي جانبي الأيسر، وعند الحائط سوف ألقي اليك كلمته .... أصغ إلي تعليمات، بقضائها ... طوفانا سوف يكتسح مراكز العبادة، ويقضي علي بذرة البشر، ذلك قرار، أنها كلمة مجلس الآلهة، بناء علي الكلمة التي أمر بها «آنو» و«انليل» .... وسوف ينتهي ملكها وحكمها (فجوة تقدر بأربعين سطر .... وهبت جميع الزوابع بعنف وضراوة كقوة واحدة، وبعد ذلك ولمدة سبعة أيام وسبع ليال، اكتسح الطوفان الأرض فيها ، وتقاذفت الاعاصير السفينة الضخمة فوق المياه الضخمة وظهر «أوتو» الذي يضيئ السماء والأرض، وفتح زيو سدرا كوة في الفلك العظيم، وأنقذ البطل «اوتو اشعته في الفلك العظيم، وسجد زيو سدرا الملك أمام اوتو العظيم، وفي نفس الوقت اكتسح الطوفان مراكز العبادة، وضحي الملك بشور وشاه (فجوة تقدر بـ ٣٩ سطر) تنطق أنت «نسمة السماء» و«نسمة الأرض» حقا وتبسط نفسها عنه .... ونادي آنو وانليل نسمة السماء ونسمة الأرض بـ ...... فبسطت نفسها .... وازدهر الزرع الذي ينبت من الأرض، وسجد زيو سدرا أمام آنو وانليل ورضي أنو وانليل عن زيوسدرا، الملك، الذي حافظ علي اسم الزرع وبذرة البشر، وفي أرض دلمون، أرض العبور، حيث تشرق الشمس أسكناه هناك.....» . ثم تلي ذلك فجوة تنتهي بنهاية اللوح.

يلاحظ من دراسة قصة الطوفان السومرية أنها تتضمن عدة وقائع هامة تتصل بخلق الانسان والنبات والحيوان وبأصل الحكمة السماوي، والمدن الخمس التي وجدت قبل الطوفان، ثم حادثة الطوفان، التي كانت بلاشك من الأحداث العظيمة التي واجهت الانسان العراقي في جنوب العراق وذلك رغم تعدد الفيضانات في هذا الجزء، ولكن يبدو أن هذا الفيضان الذي تحدثت عنه القصة كان من الضخامة والآثار المدمرة وما صاحبه من عواصف وأمطار بشكل لم يسبق له مثيل ويتجه سير ليونارد وولي Leonard woolley[١] إلي اعتبار هذا الطوفان طوفانا كبيرا لا مثيل له في أي عصر لاحق من تاريخ العراق القديم، ويذكر أنه وجد في أسفل طبقة المباني السومرية طبقة طينية مليئة بأوان مصنوعة من الفخار الملون، ومختلط بها أدوات مصنوعة من الصوان والزجاج البركاني، وكان سمك هذه الطبقة حوالي ١٦ قدما أسفل المباني الطينية التي يمكن تأريخها بحوالي عام ٢٧٠٠ ق.م، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان، ولم تجر حفائر في هذه المنطقة علي نطاق واسع، وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان، وأن الفخار الملون قد اختفي، ويستنتج وولي أن سبب اختفائه مرة واحدة راجع إلي أن الطوفان قد قضي قضاء تاما علي سكان هذه البلاد، وحتي من بقي منهم حيا فقد فقد القدرة علي الانتاج، فجاء شعب جديد هم السومريون الذين أسسوا حضارة جديدة واستعملوا عجلة الفخار والأدوات المعدنية[٢].

هذا ويري وولي أن هذا الطوفان كان مقصورا علي الحوض الأسفل لنهري الدجلة والفرات، وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكن هناك بين الجبال والصحراء، وأن المساحة التي شملها الطوفان ربما كانت ٤٠٠ ميل طولا في ١٠٠ ميل عرضا.

(١) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963, PP 34 - 36.

(٢) محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص٩٦ - ٩٧ وكذا: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٣٩٣ - ٣٩٤.

ثانيا: قصة الطوفان البابلية:

توجد لدينا قصتان بابليتان للطوفان الأولي ما وردت في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش أما الأخري فتعرف باسم قصة بيروسوس، وسنتناول فيما يلي القصة التي وردت في ثنايا ملحمة جلجامش والتي كان بطلها «أوتو - نبشتم»[1] ابن «وبار - توتو».

«... قال اوتو - نبشتم لجلجامش، سأكشف لك يا جلجامش عما خفي من الأمر، سوف أخبرك بسر الآلهة، شورباك مدينة أنت تعرفها علي ضفاف الفرات، وهي مدينة قديمة قدم الآلهة التي بها، عندما انتوت الآلهة احداث الطوفان، كان من بينهم «آنو» أبوهم و«انليل» الشجاع مستشارهم و«نينورتا» مساعدهم و«إينوجي» المشرف علي الترع، وكان حاضرا معهم «نينجيكو - أيا»، وأعاد قولهم إلي كوخ القصب (ربما كان مسكن اوتو - نبشتم): يا كوخ القصب، يا حائط، يا حائط، اصغ يا كوخ القصب، استمع يا حائط، يا رجل شورباك، يا ابن «وبار - توتو».

اهدم هذا البيت، وابن فلكا، دع الأهلاك وانقذ حياتك واهجر المتاع ودع الروح حية، واحمل علي ظهر الفلك بذرة كل شئ حي، والفلك التي ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس، عرضها مثل طولها، وأجعل سقفها كسقف الايسو (العالم السفلي). ففهمت وقلت لمولاي «نعم يا مولاي، ان ما تأمر به يشرفني أن أنفذه، لكن بم أجيب المدينة الناس والشيوخ».

---

(١) وفيما يتصل بترجمة هذه القصة، انظر:
محمد بيومي مهران: نفس المرجع السابق، ص٣٩٨ - ٤٠١ وكذا:
محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص٣٤١ - ٣٥٩ وكذا:
Heidel, A., The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, 1949.,
Thompson, E.C., The Epic of Gilgamesh, 1930.

ففتح «إيا » فاه وأجاب قائلا لخادمه، قل لهم علمت أن انليل يعاديني، ومن ثم فلا أستطيع أن أقيم في مدينتكم أو أضع قدمي في أملاك انليل، ولذا فسوف أنزل إلي الأعماق، واسكن مع مولاي «إيا، وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطرا مدرارا .... خير الطيور وأندر الأسماك، وسوف تمتلئ الأرض بمحاصيل وفيرة، ومع انبثاق الفجر تجمعت الأرض من حوالي ..... (توجد فجوة) وحمل الصغار القار وجاء الراشدون بكل ما احتجنا إليه.

وفي اليوم الخامس أقمت هيكل السفينة، وكانت أرضيتها فدانا كاملا، وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعا، وبنيت هيكل جوانبها وربطها إلي بعضها، وجعلت فيه ستة أسطح، قسمتها إلي سبعة طوابق، وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء ودققت سدادات المياه بها، وجهزتها بما تحتاج إليه من المؤن، وصببت في الفرن ست سار (السار = ٨٠٠ جالون) من القار، كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت، وكذا ثلاثة سار من الزيت نقله حاملوا السلال، كما خزن الملاح سارين من الزيت، وذبحت ثيرانا للناس، ونحرت ماشيه كل يوم، واعطيت العمال عصير فواكه، ونبيذا أحمر وآخر ابيض وكأنه مياه النهر، ليشربوا وكأنهم في يوم عيد رأس السنة وفتحت .... الدهون، لوضعها علي يدي.

واكتمل الفلك في اليوم السابع ، وكان انزاله إلي الماء بالغ المشقة، حتي أنهم اضطروا لدفع ألواح أرضية من أعلي ومن أسفل، حتي أمكن انزال ثلثي هيكله إلي الماء، وحملتها بكل ما عندي، حملتها بكل ما لدي من الفضة حملتها بكل ما لدي من الذهب، حملتها بكل ما أملك من الكائنات الحية وكل عائلتي وذوي قرباي، أركبتهم الفلك وكذا حيوان الحقول ووحوش البرية، وكل الصناع أركبتهم معي.

وقد حدد لي «شمس» وقتا معينا، عندما ينزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا

مهلكا، اصعد إلي الفلك وأوصد بابه وجاء اليوم الموعود، وانزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا، وأخذت أرقب وجه السماء، وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب فصعدت إلي الفلك وأوصدت بابه، وعهدت إلي الشوتي «بوزور - آموري» بقيادة الفلك ويسد جميع منافذه.

ومع انبثاق الفجر، ظهرت في السماء غمامة سوداء، وأرعد «أداد» من داخلها، وتقدمها «شولات» و«هانبش» كنزيرين فوق التل والسهل، ونزع «انرجال» (نرجال اله العالم السفلي) الاعمدة، وجاءت «نينورتا» وجعلت السدود نعيض، وحمل «الانوناكي» المشاعل وجعلوا الارض تشتعل نارا، وواصل الذعر من «أداد» إلي عنان السماء، فأحال النور إلي ظلمه، وانصرعت الارض الواسعة، وكأنها جرة، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتيٰ أخفت الجبال، وحلت بالناس وكأنها حرب، فلا يري الأخ أخاه ولم يعد الناس يعرفون من في السماء، وخشي الالهة الطوفان فأجفلوا وصعدوا إلي سماء «انو» حيث ربضوا كالكلاب علي الاسوار الخارجية، وصرخت عشتار وكأنها امرأة في المخاض، وناحت سيدة الالهة ذات الصوت الشجيٰ بصوت عال: واحسرتاه! لقد تحولت الأيام الخوالي إلي طمي، لأني لعنت الناس في مجمع الالهه، ولكن: كيف ألعن الناس في مجمع الالهه، وأعلن حربا لفناء الناس، بينما أنا التي وهبتهم الحياة، انهم يملأون البحر كبيض السمك ويكي آلهه «الانوناكي» معها وجلس الآلهه جميعا يبكون في ذله، وقد التصقت شفاههم بعضها ببعض، واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وسبع ليال، وعاصفة الجنوب تكتسح الارض.

وفي اليوم السابع، سكنت عاصفة الجنوب عن الحرب التي شنتها وكأنها جيش من الخياله، وهدأ البحر، وسكنت العاصفة وتوقف الفيضان، وتطلعت إلي الجو، فإذا السكون شامل، وإذا الناس وقد تحولوا إلي طين، إذا الأرض قد تشققت وكأنها جرة، ففتحت كوة وسقط الضوء علي وجهي فجلست وبكيت

وسالت دموعي في وجهي، وتطلعت إلي الدنيا في عرض البحر، وفي كل من الاقاليم الاربعة عشر طلع نجم.

واستوت الفلك علي جبل قيصير (بين دجلة والزاب الاسفل) وامسك الجبل بالفلك ولم يتركها تتحرك، ويوم ثم يوم آخر، والجبل يمسك يمسك بالفلك فلا تجد حراكا ويوما ثالثا ورابعا والجبل يمسك بالفلك فلا يجد حراكا ويوم خامس ثم يوم سادس، وجبل فيصير يستمسك بالسفينة فلا تجد حراكا، فلما كان اليوم السابع أطلقت حمامة فذهبت وعادت ولم تجد مكانا ظاهرا تحط عليه، ثم طلقت «سنونو» الا انه عاد، اذ لم يكن ثمة مكان ظاهر يحط عليه، ثم اطلقت غرابا فذهب ورأي الماء يتناقص فأكل وعب ودار ولم يعد، ثم أطلقت الجميع إلي الرياح الاربعة، وضحيت وأرقت سكيبه علي قمة الجبل، ونصبت أربعة قدور، وعلي صحاف توائمها كومت القصب وخشب الارز والاسل، فشمت الالهه الرائحة الذكية، وتكأكأت حول الاضاحي، وعندما وصلت سيدة الالهه (عشتار) نزعت المجوهرات العظيمة التي صاغها لها «أنو» طبقا لرغبتها، وقالت: أيتها الالهه، كما أنني سوف لا أنسي حقا عقد اللازورد الذي في عنقي، فسوف اذكر هذه الايام ولن أنساها، لتتقدم الالهه إلي القربان، ما عدا انليل، فانه لا يتقدم، لانه أحدث الطوفان دون روية، وقاد شعبي إلي التهلكة.

ولما جاء انليل ورأي الفلك عز عليه ذلك، وامتلأ غضبا علي آلهة السماء، وقال: هل نجت روح، ما كان للبشر أن يبقي، فتتح «نينورتا» فاه وقال: من غير (ايا) يفشي، الخطط، فانه يا انليل الباسل، يعلم كل شئ، وفتح «ايا» فاه وقال لانليل البطل: أنت يا احكم الالهه، أيها البطل، كيف تحدث الطوفان دون روية، علي الآثم وزر اثمة، وعلي المعتدي وزر اعتدائه، كن رحيما وإلا قطع ... كن صبورا وإلا اقصي ....

ليت أسدا هب وقلل من بني الانسان ، بدلا من أن تأتي بالطوفان، ليت

ذنبا هب وقلل من بني الانسان ، بدلا من احداث الطوفان، ليت مجاعة هبت وقللت من بني الانسان بدلا من احداث الطوفان، ليت طاعونا هب، وقلل من بني الانسان ، بدلا من احداث الطوفان.

لست أنا الذي افشيت سر الالهه العظام، بل جعلت حكيم الحكماء أوتو - نبشتم يري حلما كشف فيه سر الآلهه، فأقص فيه ما أنت قاص، وحينئذ صعد انليل علي ظهر السفينة وأمسك بيدي وأخذني إلي ظهرها وأخذ زوجتي وجعلها تركع بجانبي ووقف بيننا ليباركنا وقال: لم يعد اوتو نبشتم بشرا، سيكون هو وزوجته أشبه بنا معشر الالهه، وعلي ذلك اخذوني وأسكنوني بعيدا عند مصب الانهار، ولكن أنت يا جلجامش من يجمع لك مجمع الآلهه ليهبوا لك الحياة التي تريد؟..».

(٣) أدب الحكمة

عثر في بلاد الرافدين علي الكثير من اللوحات المتصلة بأدب الحكم والامثال والنصائح، فلقد تم التعرف علي ما يقرب من سبعمائه لوحة وقطعة تتصل بالحكم السومرية، ولم يكن من اليسور تحديد معظمها قبل عام ١٩٥٣.

وضمت هذه اللوحات مجموعات الحكم، وكان بعضها يضم أحيانا حكمة واحدة، وقد رتبت بعض هذه الحكم طبقا لعلامات في بدايتها، وأحيانا تسجل الحكم التي تعالج موضوعا واحدا بجوار بعضها، وقد تم الكشف كذلك عن ما يقرب من عشرين لوحة وقطعة ترجع إلي العصر السومري والأكدي وجدت في مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) في نينوي القديمة، وبالإضافة إلي هذه اللوحات، فقد نشرت لوحتين من الحكم الاكدي التي عثر عليها في بوغاز كوي والتي يرجح أنها ترجع إلي عهد الملك سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) في آشور. هذا وقد وردت احيانا حكم متفردة في نصوص الأدب السومري والاكدي، وفي خطابات ماري وتل العمارنة وبصفة خاصة من عصر الامبراطورية

الآشورية الحديثة . كما يوجد حالياً بالمتحف البريطاني من لوحات الحكم التي ترجع إلي عصر الأمبراطورية الآشورية الحديثة والدولة البابلية الحديثة.

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مزدوجة اللغة، وتراوحت طريقة التعبير ما بين التعبير الواقعي الصرف والرمزية الرفيعة، وتراوحت طريقة كتابتها ما بين الشعر والنثر. ومما يقال عنها بصفة عامة، أنها مثل أقرانها في آداب الشعوب الأخري، يصعب فهم الكثير منها حتي لو كانت مفهومة من الناحية اللغوية، لأنها عبارة عن جمل قصيرة مقتضبة ومركزة المعني وتعبر عن تجارب وحالات خاصة في حياة المجتمع، كما أن الكثير منها نشأ من وقائع أو حوادث قيلت فيها تلك الأمثال والحكم والنصائح.

ولقد أشرت من قبل إلي العديد من أمثلة الحكم والنصائح في ثنايا الفصول السابقة، وسأشير فيما يلي إلي بعض نماذج الحكمة في العراق القديم.

من هذه الحكم ما كان يتطرق إلي مناقشة قضايا فكرية وفلسفية تتعلق بالإنسان وما تقدره الآلهة من ثواب أو عقاب ومن اسباب النجاح أو الفشل، ومن مجموعات الحكم هذه ماكان الهدف منها التشكيك في القيم الاجتماعية والدينية آنذاك (حوالي ١٠٠٠ ق.م) كما أنها من ناحية أخري لا تخلو من مغزي فلسفي مفاده أن الخير والشر مفهومان نسبيان، فليس هناك خير مطلق أو شر مطلق، وقد يبدوا هذا أمرا محيرا لأول وهلة لكنه يحمل في باطنه كل بذور الشر، وفيما يلي إلي بعض ما جاء في هذا الحوار حتي نتعرف علي الاسلوب الذي كتب به والقيم الموجودة فيه والاسلوب الساخر الذي صيغ به:

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل ياسيدي، اني مصغ اليك.

السيد: هئ عربتي احضرها من أجل أن أذهب إلي القصر.

العبد: افعل يا سيدي، افعل. انه سوف ..... من أجلك ويعفو عنك.

السيد: لا أيها العبد، انني لن أذهب إلي القصر.

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل، لأنك إذا ذهبت إلي القصر فانه سير سلك الي ... ويبعثك في طريق لا تعرفه. انه سيسبب لك الشقاء والاحزان.

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل يا سيدي، اني مصغ اليك.

السيد: احضر لي في الحال ماء لاغسل يدي لاني أريد أن آكل.

العبد: كل يا سيدي، كل، فالاكل بانتظام يشرح القلب ... ان الإله شمش يحضر مأدبة كل من يأكل بيدين نظيفتين.

السيد: لا ايها العبد، لن آكل.

العبد: لا تأكل يا سيدي، لا تأكل طالما ان الجوع من بعد الشبع، والعطش من بعد الشرب يأتي لكل انسان.

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل ياسيدي اني مصغ اليك.

السيد: عزمت أن أقوم بعصيان.

العبد: افعل يا سيدي، فإذا لم تقم بعصيان فمن أين تحصل علي ثيابك ومن سيملأ لك كرشك؟

السيد: لا أيها العبد، لن أقوم بعصيان مهما كان الأمر.

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل، ان من يقوم بعصيان إما ان يقتل أو يسلخ جلده أو تسمل عيناه أو يحتجز أو يرمي في السجن.

السيد: أسمعني ايها العبد.

العبد: اجل يا سيدي، اني مصغ اليك.

السيد: اريد أن احب امرأة.

العبد: افعل يا سيدي، افعل. فالرجل الذي يحب امرأة ينسي أحزانه وهمومه.

السيد: لا أيها العبد، لن أحب المرأة.

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل، المرأة بئر، انها حفرة وخندق، المرأة خنجر من حديد صارم يقطع عنق الرجل.

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل يا سيدي، اني مصغ إليك.

السيد: عزمت علي أن أقرض الناس واساعدهم.

العبد: افعل يا سيدي، افعل ان من يقرض الناس تبقي حنطته خالصه ويكون ربحه عظيما.

السيد: لا أيها العبد، لن أقرض الناس.

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل. ان من يقرض الناس كمن يحب امرأة.. فاسترجاعها امر عسير مثل ولادة طفل، ثم انهم سيأكلون حنطتك وينزلون عليك لعناتهم دون هوادة ويحرمونك من الفائدة علي حنطتك.

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل يا سيدي، اني مصغ إليك.

السيد: اريد أن اساعد بلادي.

العبد: افعل يا سيدي ان من يساعد بلاده ... توضع حسناته امام الاإه مردوخ.

السيد: لا أيها العبد، لن أساعد بلادي.

العبد: لا تفعل يا سيدي، لا تفعل، اصعد فوق الاطلال القديمة وتمشي هناك، وانظر إلي جماجم الاسبقين واللاحقين فأيهم الاشرار وأيهم الابرار.

السيد: اسمعني ايها العبد.

العبد: اجل يا سيدي، اني مصغ إليك.

السيد: إذا ما هو الخير في هذه الدنيا؟

العبد: ان يدق عنقي وعنقك ونرمي في النهر، ذلك هو الخير في الدنيا تري من يستطيع أن يطاول السماء.

ومن يستطيع أن يحتوي العالم السفلي.

السيد: ايها العبد، اني سأقتلك، وادعك أولا ....

العبد: ان سيدي لن يستطيع العيش من بعدي حتي لو كان ذلك لثلاثة أيام[1].

ومن الموضوعات التي تناولها أدب الحكمة في العراق القديم موضوع العدالة الإلهية، وهو من الموضوعات التي عني بها الكتاب والمفكرون السومريون والبابليون، ويرجع ذلك إلي اعتقاد الانسان في العراق القديم أن الالهه خلقت البشر ليقوموا بخدمتها، وفي مقابل ذلك كان الإنسان يطمع في أن تمنحه الآلهه مقابل تقواه وسلوكه الحسن العون والحماية والسعادة في الحياة، غير أن قاعدة «طاعة الآلهه» تساوي «حياة سعيدة» لم تكن مضمونه بهذه الدرجة من السهولة، فكان الانسان العراقي القديم مثل غيره من بني البشر نصيبه من الفقر والمرض والحزن وكوارث الطبيعة المختلفة.

ومن النصوص الادبية التي خلفها الانسان العراقي القديم ويتصل بموضوع العدل الالهي، ما اصطلح الباحثون علي تسميته باسم «قصة أيوب البابلي» أو «التقي المعذب» ومعني عنوان هذه القصة في الاصل البابلي «لامجدن رب الحكمة» والمقصود برب الحكمة هو معبود بابل «مردوخ».

ويرجع ان هذه القصة تدور حول احد الامراء البابليين واسمه «شمشي - مشري شكان» وذلك حوالي النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد وكان شخصا صالحا متعبدا وفي ذلك يقول في وصفه لتقواه: «لم أعرف في حياتي سوي العمل الصالح والعبادة وشغلت افكاري بالتضرع إلي الآلهه والتضحية والتقرب اليها، وكانت اوقات عبادة الآلهه سرورا لقلبي، والايام التي أسير فيها في مواكب الآلهه مكسبي ونصري في الحياة، ويبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي والموسيقي التي تعزف له مشار غبطتي وسروري، ألزمت أهلي وأتباعي مراعاة

(١) Lambert, W.G., Babylonian Wisdom Literature, 1960, PP. 139.

شعائر الآلهه وعبادتها، وعلمت الجند طاعة القصر، لان هذه الاعمال تسر الالهه».

الا انه رغم هذا الصلاح حلت به المصائب والنكبات فغضب عليه الملك وتآمرت عليه الحاشيه، واصبح وحيدا منبوذا وفتكت بجسمه الامراض وتخلت عنه الالهه ويصف حاله هذه بقوله:

«..... لقد تمكن مرض «آلو» من جسدي وغطاه كالرداء، أذناي مفتوحتان، ولكنهما لا تسمعان، وأصاب جسدي الضعف والوهن، جسدي يرتعش وقد غل الشلل يدي وحل العجز في ركبتي....، وصار معذبي يطاردني في النهار ويسلبني الراحة في الليل. لقد خذلني الإله ولم يتقدم إله لمساعدتي، ولم تعطف علي آلهتي فتخلصني من مصائبي، حسبني الجميع ميتا كأن القبر مفتوح أمامي فنهبوا أموالي، فرح بي حسادي وشمت بي اعدائي، ولم يستطع السحرة والعرافون مساعدتي»...[1]

ويتناقض حال هذا الرجل الذي وصل إليه رغم تقواه مع العدل الإلهي الذي رسمه الكهنة، وان كل انسان يجزي بعمله. وقد يثير هذا الامر الشكوك حول العدل الالهي، ولكن ناظم هذه القصة قدم حلين لذلك، الحل الأول عقلي ينحصر في تعذر تطبيق مقاييس القيم البشرية علي اعمال الآلهه وتصرفاتها لان الانسان قاصر النظر لا يستطيع ان يدرك حكمة الالهه من وراء اعمالها، فما قد يبدو امرا محببا من وجهة نظر الانسان قد لا يكون كذلك في أعين الالهه اما الحل الآخر فيدور حول ان هذا العذاب الذي يحل بالعبد الصالح لا يظل ملازما له إلي الابد، بل انه اختبار له من الالهه لامتحان صبره وتعلقه بالآلهه والالتزام بأحكامها وقبول اقدارها.

---

(١) انظر: فاضل عبد الواحد علي: الأدب، مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٦٧ - ٣٧٠.

وبالفعل فانه نتيجة لصبره، فقد قررت الالهه اعادته إلي حالته السابقة من الصحة والثروة والجاه، وتنتهي هذه القصة بتقديم المدح والثناء للاله مردوخ وزوجته.

ولقد عثر علي مجموعات من الحكم والنصائح مكتوبة باللغتين السومرية والبابلية. ومما تجدر الاشارة اليه أنه يصعب فهم الكثير من هذه الامثال رغم أنها مفهومه من الناحية اللغوية فمعظمها عبارة عن جمل كثيرة مقتضبة ومركزه المعني وتعبر عن تجارب وحالات خاصة في حياة المجتمع، كما أن الكثير منها نشأ من وقائع أو حوادث قيلت فيها تلك الامثال وسنورد فيما يلي بعضا من هذه الامثال:

«لن يجف مخزن مياهى، ومن ثم فإن ظمأى لن يتجاوز الحد».

وواضح من هذا المثل انه علي الانسان ان يدخر لغده فاننا لن نعرف قيمة المياه الا حينما تجف البئر.

«لقد أرخيت الشباك ولكن القيد شديد».

«لقد حصلت على الرهن»، ولكن الخسارة لم تتوقف»

بمعنى ان الحظ العاثر لا يوجد شئ يستطيع ايقافه.

«إذا لم أذهب انا بنفسى، فمن الذى سيذهب بجوارى».

بمعني إذا أردت لشئ ان يتم فاذهب أنت بنفسك اليه، وإذا لم تكن تريد له ذلك فأرسل اليه. وجاء نص آخر «المساعدون المتازون» اولئك الذين يساعدون انفسهم كل انسان خلق لنفسه».

«طالما لم يسع المرء، فانه لن يجنى شيئا»

بمعنى لاشئ يتم الحصول عليه بدون عمل.

«لقد قدم النذور للمعبد قبل ان يبدأ فى بنائه» .

وورد في هذا المعني في ملوك أول ٢: ١١ «اصطد الدب قبل ان تبيع جلده».

«الفاكهة فى الربيع فاكهة الصباح» .

وذلك بمعني ان الذي ينضج بسرعة يفسد بسرعة، فلابد لكل شئ إذا أردنا له الصلاح ان يتم اعداده علي مهل ورويه».

«تجلب القنوات المياه بغزارة عندما تكون فى اتجاه الريح» .

بمعني ان الظروف عندما تكون مواتيه فانها تحقق أفضل النتائج.

«لا تتعامل فى الأمور بسوء، ومن ثم فان قلبك لن يشعر بالاسى» .

«لا تعمل السوء، حتى لا يتحكم الحزن فيك فى النهاية» .

«لا يوجد حمل بدون اتصال جنسى، وبدون الطعام لا يصبح الشخص ممتلئا» .

ويضرب هذا المثل حول الاسباب التي تؤدي إلي نتائج محددة، وأنه لا يمكن الحصول علي هذه النتائج من غير اسبابها.

وجاء في الاصل السومري المتصل بالمثل السابق:

«بدون معاشرته لك، هل يمكن ان تحمل ؟

«بدون اطعامه لك، هل يمكن ان تكونى ممتلئة ؟

«عندما أعمل يأخذون اجرى، فإذا زدت من جهدى فمنذا الذى يعطينى أى شئ» .

«يحصل الرجل القوى على طعامه من اجر عمله، أما الرجل الضعيف، فانه يحصل على طعامه من عمل اطفاله».

«لقد أصبح سعيدا فى كل شئ، وذلك منذ ان ارتدى حلة فخمة».
ويتصل بهذا المثل الاخير كذلك:

«الريش الفخم يصنع الطيور الجميلة».

«الرداء يصنع الانسان».

ومن الأمثلة التي تضرب للشخص الذي يكره الحرب وينأي عنها:

«لا تستطيع بوابات المدينة غير المحصنة تحصينا قويا دفع الاعداء».

ومن الأمثلة التي تضرب لمن تسول له نفسه الاستيلاء علي املاك الغير:

«انك تذهب وتستولى على حقول الاعداء ويجئ الاعداء ويستولون على حقولك».

وجاء في هذا المعني: **صاعا بصاع أو «واحدة بواحدة».**

ومن الأمثال التي تضرب للانسان المهموم ذو الحظ العاثر، أو ذلك الذي يجلب الحظ السئ للآخرين من خلال عينه الشريرة:

«إذا وضعت فى النهر، اصبحت مياهه كريهة الرائحة على الفور، وإذا وضعت فى حديقة الفاكهة، اصاب الفاكهة الطازجة العطب».

ومن الأمثال التي تعبر عن ان النتائج بمسبباتها:

«إذا لم يكن تيار الماء سليما، فان السيقان لن تنمو، أو تخلق البذور».

،من البذور الشريرة، يأتى حصاد طيب، ولا ينتج خط المحراث العوج سيقانا، ومن ثم فهل يمكن أن ينتج بذورا، .

ومن الأمثال كذلك:

،قد تدوم الصداقة يوما، والعبودية دهرا، .

،حيثما يوجه العبيد يحدث شجار، .

،ثور الغريب يأكل الحشيش، وثور صاحب الحقل هائم من الجوع، .

،المواطن الساذج فى مدينة أخرى يصبح زعيمها، .

،المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع، .

،ان الحقل مثل المرأة التى لا زوج لها فى حاجة للزراعة، .

ويشبه هذين المثلين المرأة بالأرض الخصبة، فكلاهما رمز للانتاج واستمرارية الحياة.

ومن الأمثلة التي تضرب عن ان الانسان مهما ضعف لا يستطيع تقبل الضيم إلي النهاية، فان لكل شئ رد فعل مهما طال ويعد به الزمن:

،عندما يضرب النحل، فانه لن يسكت، ولكنه يلدغ يد الانسان التى تضربه، .

ومن الأمثلة التي تشير إلي أن أمر الزوجة يشمل زوجها:

،عندما تقف المرأة الاثمة على بوابة منزل القاضى، فان امرها يشمل زوجها، .

ومن الحكم التي وصلتنا من العراق القديم، ويرجح انه تكون قد كتبت قبل عام ٧٠٠ ق.م.

،كن حكيما لا تبدأ ببذاءة، لا تعطى ابدا مشورة غير موثوق فيها.

،لا تبحث عن اماكن الشجار

،حيث يجب عليك ان تعطى قرارا

،وستدفع للإدلاء بشهادتك فى قضية لا تخصك

،فعندما ترى مشاجرة اذهب بعيدا دون أن تشاهدها

،وإذا كانت المشاجرة خاصة بك أنت، فأخمد لهيبها، اذ يضيع فى المشاجرة الصواب ....،

،السور المحصن من أجل سور العدو غير المحصن

،افعل العدل مع عدوك

،وبالنسبة لمن ظلمك ...

،دعه يستمتع بظلمك ... فسوف يعود عليه

،لا تدع قلبك يقتنع بعمل الشر

،اعط الطعام للجائع والخمر للعطشان

،كن متعاونا خدوما، وافعل الخير،

،لا تتزوج من الزانية ....

،فهى لن تتركك لهمومك

،إذا تشاجرت معها فسوف تشنع عليك

،التبجيل والخضوع ليس معها

،حقا، فانها إذا اخذت ملكية المنزل فاطردها منه

،نحو الطريق الغريب تدير عقلها

،والبيت الذى تدخله فانها تدمره

،وزوجها لا يفلح ابدا

،لا تفترى على أحد، تحدث بما هو طيب.

،لا تتفوه بسوء، أخبر بما هو حسن

،لا تفتح فمك على شدقيه، احرس شفتيك

،لا تتحدثه بأسرارك لنفسك، حتى ولو كنت وحيدا

،فالذى تتحدث الان بعجلة ، سوف تضطر للاعتذار عنه فيما بعد....

،قدم الولاء لالهك يوميا

،بالقرابين والصلوات وحرق البخور

،نحو الهك يجب ان تشعر بالقلق فى القلب

،فهذا هو الملائم للاله

،الصلاة والابتهال، والانبطاح على الارض

،عندما تقدم العطايا فى الصباح تصبح قوتك كبيرة

،وبمساعدة الإله، تصبح غزيرة، وتصبح موفقا.

«بالنسبة للانسان، فانه طالما لم يعمل، فانه لن يجنى شيئا، ومن ذا الذى سيعطيه شيئا من أجل ....؟

«الشخص الذى ليس له ملك أو ملكة – فمن هو سيده؟ فهو اما ان يكون حيوانا، أو شخصا يستقر أسفل .....

«تناول الطعام، ولكن ليس إلى درجة البدانة، ومن ثم فلن تكون هناك دماء فى برازك

«لا ترتكب اية جريمة، وخاف من الهك، فانك لن تجنى ثمارها

«لا تتحدث بأذى، ومن ثم فان الكآبة لن تصل إلى قلبك»

«لا تفعل الشر، ومن ثم فانك لن تقاسى من سوء الحظ المستمر»

يلدغ العقرب الانسان. فماذا جنى من وراء ذلك»

وقد يتسبب النمام فى وفاة انسان، فما هو الشئ الطيب الذى قام به؟

«أكلت ثوما فى العام الماضى، وفى هذا العام التهبت بطنى»

«مثلما كانت الحياة بالامس، فانها ستكون كذلك كل يوم»

«إذا كنت ذاهبا للموت، فاننى سوف استخدم كل ما أملك ...

«اما إذا كنت ذاهبا لاعيش، فاننى سوف احتفظ بما أملك»

«الشخص غير المتعلم مثل المركبة، والجهل يكون طريقه»

«أيتها العروس، كما تعاملين حماتك، سوف تعاملك زوجة ابنك»

«إذا كانت عجينة البيرة فاسدة، فكيف تكون البيرة جيدة المذاق؟

ومن النصائح العراقية التي وصلتنا كذلك نصائح «شورو باك» التي وجهها إلي ابنه زيوسدرا، وهي تعتبر من أقدم القطع الأدبية في العراق القديم، ومما جاء فيها نقتطف النصائح الآتية:

«... ولدى، نصيحتى اقدمها لك، فتقبل نصيحتى، وكلمة أقولها لك، فأعرها سمعك، لا تهمل وصيتى، ولا تتعد كلمتى ... لا ينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق، ولا ينبغى زراعة حقل على الطريق ......»

ومن النصائح والحكم الاكادية:

«لا تتحدث مع ناقل الاشاعات

لا تتشاور (مع .....) ..... الذى يكون كسلانا

لانك بقدراتك الممتازة سوف تكون مثالا لهم

وحينئذ فانك سوف تهمل فى عملك الخاص من أجل مسلكك

وسوف تترك حكمتك، ويفسد فكرك

اقمع فمك، واحرس كلامك،

فهذا فخر الرجل

اجعل ما تقوله غاليا جدا

دع الصلف والسباب، وبغضهما لنفسك

لا تتحدث بأى سوء، أو أى شئ مجاف للعدالة

ان ناقل الكلام موضع الازدراء ....

«.... أعمل الاشياء الطيبة، وكن كريما طوال ايامك

لا تعامل الخادمة فى منزلك بحفاوة

فانها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجة

...... لا تسلم نفسك للخادمات

فان البيت الذى تحكمه خادمة، تؤدى إلى تمزيقه(١).

---

(١) انظر:
Biggs, R.D., "Akkadian Diadactic and Wisdon Literature, in ANET, 1974, PP. 593 ff.
Gordon, E.I., "Sumerian Proverbs, Glimpses of Everday Life in Ancient Mesopotamia, Philadelphia, 1959.,
Langdon, S., Babylonian Wisdom. London., 1921.

الفهارس

١- قائمة الاختصارات
٢- قائمة المراجع
أولا: المراجع العربية
ثانيا: المراجع المترجمة إلي العربية
ثالثا: المراجع الأجنبية
٣- قائمة الخرائط
٤- قائمة الاشكال
٥- قائمة المحتويات

١- قائمة الاختصارات

AFO = Archiv Für Orientforschung (Berlin, vols. III, ff., 1926 -)

AJA = American Journal of Archaelogy (Concard, N.H., 1885 -)

AJSL = American Journal of Semitic Languages and literatures (Chicago, 1884 - 1941).

ANET = J.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, New Jersey, 1969.

AO = Der alte Orient (Leipzig, 1900 -).

CAH = The Cambridge Ancient History (Cambridge).

JCS = Journal of Cuneiform Studies (New Haven).

JNES = Journal of Near Eastern Studies (Chicago, 1942-).

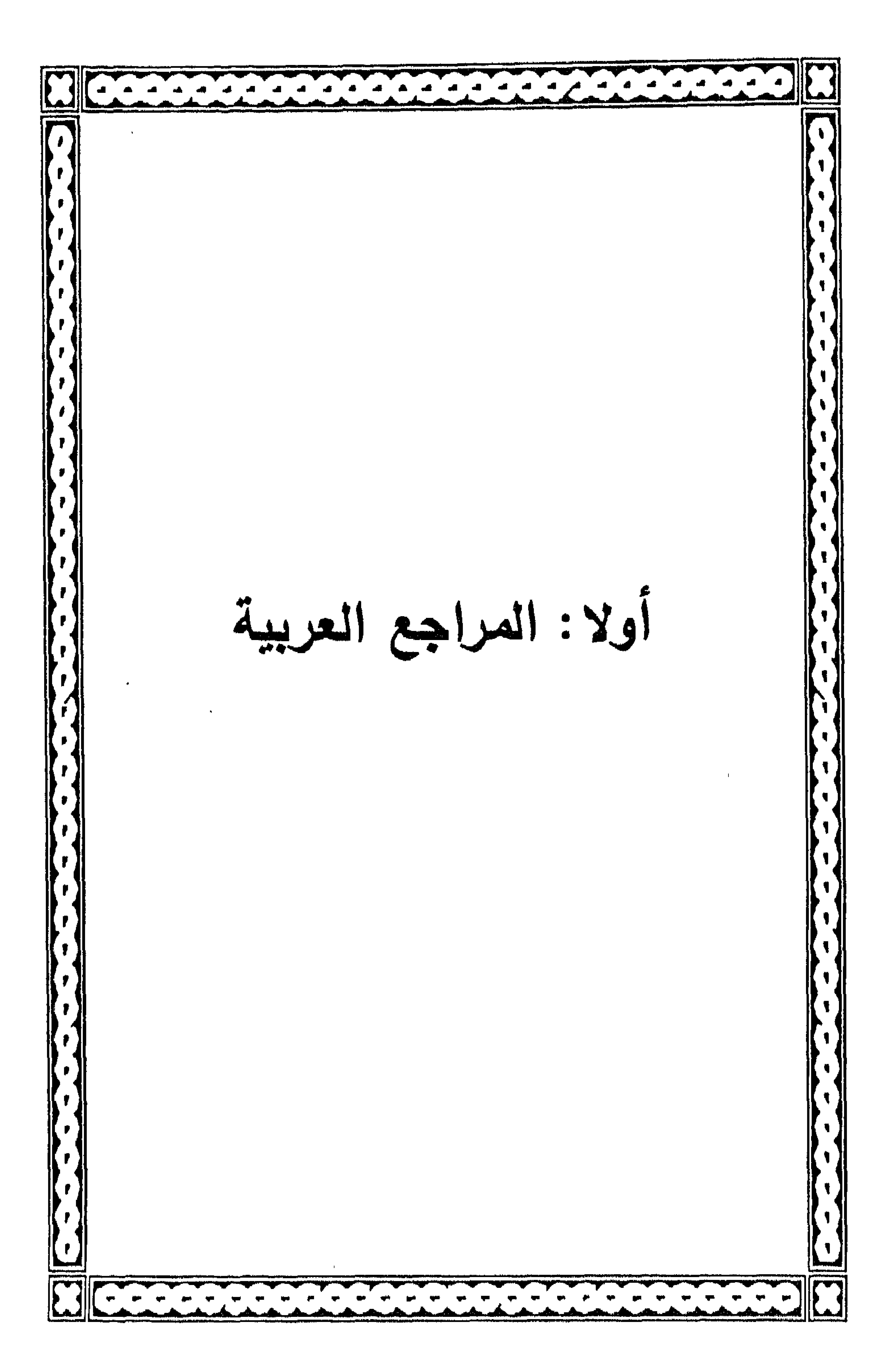
PSBA = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (London, 1878 - 1918).

٢- قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية

ثانيا: المراجع المترجمة إلي العربية

ثالثا: المراجع الأجنبية



أولا : المراجع العربية

(١) الدكتور/ أحمد أمين سليم: القيم الاخلاقية والسلوكية في العراق القديم، بيروت، ١٩٨٤.

(٢) الدكتور/ أحمد أمين سليم: الأسرة في العراق القديم، دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح، بيروت، ١٩٨٥.

(٣) الدكتور/ أحمد أمين سليم: دراسات في حضارة الشرق الأدني القديم، العراق وايران، طبعة أولي، الاسكندرية، ١٩٩٠.

(٤) الدكتور/ أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدني القديم، جـ٥، تاريخ العراق - ايران - آسيا الصغري، الاسكندرية، ١٩٩٧.

(٥) الدكتور/ أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات، الاسكندرية، ٢٠٠٠م.

(٦) دكتور/ السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام، الاسكندرية.

(٧) المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ، تونس، ١٩٩٣.

(٨) المعجم الوجيز، بيروت، ١٩٨٠.

(٩) الدكتور/ باهور لبيب، والدكتور/ دسوقي حسن أبو طالب: تشريع حمورابي، القاهرة، ١٩٧٢.

(١٠) دكتور/ تقي الدباغ: "البيئة الطبيعية والإنسان»، مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥.

(١١) دكتور/ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جـ١، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٩٣.

(١٢) دكتور/ جوده حسنين جوده: جغرافية آسيا الإقليمية، الاسكندرية، ١٩٨٥.

(١٣) الدكتور/ حسن الباشا: الفنون القديمة في بلاد الرافدين، القاهرة، ٢٠٠٠.

(١٤) الدكتور/ رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩.

(١٥) الدكتور/ رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧.

(١٦) دكتور/ رضا الهاشمي: "العرب في ضوء المصادر المسمارية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٢، بشاط ١٩٧٨.

(١٧) دكتور/ رضا جواد الهاشمي: «القانون والأحوال الشخصية»، مجلة حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥.

(١٨) الدكتور/ سامي سعيد الأحمد: «معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والاحلام والشرور» مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، ١٩٧٥.

(١٩) الدكتور/ سامي سعيد الأحمد: «الإدارة ونظام الحكم»، مجلة حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥.

(٢٠) سامي مخيمر، خالد حجازي: أزمة المياه في المنطقة العربية، الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، العدد ٢٠٩، الكويت، ١٩٩٦.

(٢١) الدكتور/ سوزان عباس عبد اللطيف: «العقوبات البدنية في مصر الفرعونية إبان عصر الدولة الحديثة» مجلة كلية التربية – جامعة الاسكندرية، ١٩٩٣.

(٢٢) الدكتور/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥.

(٢٣) طه باقر: مقدمه في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦.

(٢٤) د/ عادل سيد مصطفي: عروبة العرب في النصوص الآشورية وأسفار العهد القديم، مجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية، العدد ٣٠ (أغسطس) ١٩٩٧.

(٢٥) الدكتور/ عبد الحكيم الذنون: تاريخ القانون في العراق، دمشق، ١٩٩٣.

(٢٦) الدكتور/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦.

(٢٧) الدكتور/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدني القديم، جـ١، مصر والعراق، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢٨) دكتور/ عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، ١٩٩٢.

(٢٩) عيد مرعي: تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتي عام ٥٣٩ ق.م، دمشق، ١٩٩١.

(٣٠) الدكتور/ فاروق ناصر الراوي: «جوانب من الحياة اليومية» مجلد حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥.

(٣١) الدكتور/ فاضل عبد الواحد علي: «العرافة والسحر» مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥.

(٣٢) دكتور/ فتحي محمد أبو عيانه: جغرافية العالم العربي، الاسكندرية، ١٩٩٣.

(٣٣) فراس السواح: ملحمة جلجامش، بيروت، ١٩٨٣.

(٣٤) دكتور/ فؤاد سفر: «البيئة الطبيعية القديمة في العراق»، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثلاثون، بغداد، ١٩٧٤.

(٣٥) الدكتور/ فوزي رشيد: «المعتقدات الدينية» مجلد حضارة العراق، جـ١، بغداد، ١٩٨٥.

(٣٦) فوزي رشيد: «الجيش والسلاح» مجلد حضارة العراق، جـ٢، بغداد، ١٩٨٥.

(٣٧) دكتور/ لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة، بيروت، ١٩٧٩.

(٣٨) الدكتور/ محمد أبو المحاسن عصفور: «بين الفنون والبيئة في كل من مصر والعراق»، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، العدد الحادي والعشرون (١٩٦٧).

(٣٩) الدكتور/ محمد الشحات عبد الفتاح شاهين: «طرق الاثبات القانونية في تشريعات بلاد النهرين»، مجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق، ١٩٩٩.

(٤٠) الدكتور/ محمد بيومي مهران: «مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة»، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الأول، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

(٤١) الدكتور/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم، جـ١٠، اسرائيل، الكتاب الرابع، الحضارة، الاسكندرية، ١٩٧٩.

(٤٢) الدكتور/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدني القديم، جـ٥، الحضارة المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٤.

(٤٣) دكتور/ محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، الاسكندرية، ١٩٨٨.

(٤٤) الدكتور/ محمد بيومي مهران: حضارات الشرق الأدني القديم، جـ١، الحياة السياسية، الاسكندرية، ١٩٩٩.

(٤٥) دكتور/ محمد خليفة حسن: الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٤٦) الدكتور/ محمد عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم، الاسكندرية، ١٩٧٧.

(٤٧) لجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدني القديم، جـ٦، حضارة العراق القديمة، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤٨) نصر محمد عارف: الحضارة - الثقافة - المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم»، القاهرة، ١٩٩٤.

ثانيا: المراجع المترجمة
إلى اللغة العربية

(٤٩) البريشت جوتز وآخرون: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، دمشق، ١٩٩٣.

(٥٠) الزه زايبرت: رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة والملكية، ترجمة محمد وحيد خياطه، دمشق، ١٩٨٨.

(٥١) بونفارد ليفين وآخرون: الجديد حول الشرق القديم، ترجمة جابر أبي جابر، الاتحاد السوفيتي، ١٩٨٨.

(٥٢) جان كلود ماركرون: علم آثار بلاد الرافدين، ترجمة وتعليق د. يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٦.

(٥٣) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦.

(٥٤) ديلا بورت (ل): بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، ومراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

(٥٥) سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، تعريب الدكتور/ السيد يعقوب بكر، بيروت، ١٩٨٦.

(٥٦) ستيفاني دالي: اساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة نجوي نصر، أوكسفورد، ١٩٩١.

(٥٧) صموئيل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة الدكتور طه باقر ومراجعة وتقديم الدكتور أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٨.

(٥٨) صموئيل نوح كريمر: الأساطير السومرية، دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١.

(٥٩) صموئيل نوح كريمر: إينانا ودموزي، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطه، بيروت، ١٩٨٧.

(٦٠) مارغريت روتن: تاريخ بابل، ترجمة زينة عازار وميشال أبي فاضل، بيروت، ١٩٨٤.

(٦١) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ترجمة دكتور أحمو يوسف، دمشق، ١٩٩٥.

(٦٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، جـ١، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧١.

(٦٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، جـ٢، ترجمة محمد بدران، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧١.



ثالثا : المراجع الاجنبية

64- Badawy (Alexander), Architecture in Ancient Egypt and the Near East, U.S.A, 1966.

65- Baigent, M., From the Omens of Balylon: Astrology and Ancient Mesopotamia, London, 1994.

66- Baqir, T., in Sumer, IV (1948).

67- Barton, G.A., The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1929.

68- Biggs, R.D., "Akkadian Didactic and Wisdom Literature", in ANET, 1969.

69- Campbell, R., and Others, "The Pritish Museum Excavations at Nineveh 1931 - 1932", in Archaiologika analekta et Athenon (Athenes), 20, 1933.

70- Civil, M., "The Message of Lu-Dingir - Ra to his mother and a group of Akkadio-Hittite Proverbs", in JNES, Vol. XXIII (January) 1964), no. 1.

71- Civil M., et Biggs, R.D., "Notes sur des Texts sumeriens Archaiques" in Revue d'Assyriologie et D'Archeologie Orientale, vol. LX, No.1, Oxford, 1974.

72- Delaport, L., Mesopotamia, The Babylonian and Assyrian Civilization, London, 1925.

73- Driver, G.R., and Miles, J.e., The Assyrian Laws, Edited with translation and commentary, 1935.

74- Driver, G.R., and Miles, J.C., The Babylonian Laws, Vols, I, II, Legal Commentary, 1952.

75- Eilers, W., in AO, XXXI, (1931).

76- Finkelstein, J.J., "Summerian Laws, Y.B.C. 2177", in ANET, 1969.

77- Finkelstein, J.J., "The Laws of Ur-Nammu", in ANET, 1969.

78- Frankfort, H., Kingship and the Go ds, Chicago, 1948.

79- Frankfort, H., "The Last Preynastic Period in Babylonia", in CAH, vol., I, part II, Cambridge, 1971.

80- Gadd, C.J, 'The Cities of Babylonia", in CAH, Vol.I, part, II, Cambridge, 1971.

81- Gadd, C.J., "Babylonia C. 2120-1800 B.C.", i CAH, vol. I, part, II, Cambridge, 1971.

82- Gadd, C.J., "The Dynasty of Agade and the Gutian Invasion",. in CAH., vol. I, part, II Cambridge, 1971.

83- Gadd, C.J., "Hammurabi and the end of his dynasty" in CAH, vol. II, Part I, Cambridge, 1973.

84- Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol.I, Oxford, 1947.

85- Goetzen A., in Sumer, IV (1948).

86- Goetze, A., "Šakkanakkus of the Ur III, Empire", in JCS, vol. 17 (1963).

87- Goetze, A., "The Laws of Eshanunna", in ANET, 1969.

88- Gordon, E.I., "Sumerian Animal Proverbs and Fables" Collection Five, in JCS, vol. xii (1958).

89- Gordon, E.I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Every day Life in ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylavania, Philadelphia, 4, 1959.

90- Gordon, E.I., " A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad" in Bibbietheca Orientalis, vol. xvii No. 3/4, Mei - Juli, 1960.

91- Hallo, W.W., Early Mesopotamia Royal Titles, New Haven, 1957.

92- Hasse, r., Die Keilscher rechtssamm - Lungen in deutscher ub ersctzung, 1963.

93- Heuzed, L., E. de Sarzes, Decauvertes en Chaldeed Paris, Paris, 1884.

94- Jacabsen, T., in Before Philosophy, Pelicuan Books, 1949.

95- Jacobsen, T. "Primitive Democracy in Ancient Mesopotomia", in JNES, vol. II, no. 3.

96- Jacobsen, T. "Early Political Development in Mesopotamia", in ZA, 52, 1957.

97- Jacobsen, T., in Gordon, E.I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday life in Ancient Mesopotamia, 1959.

98- Kramer, S.N., History Begins at Sumer, N.Y. 1952.

99- Kramer, S.N., The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963.

100- Kramer, S.N., "Sumerian Myths and Epic Tales", in ANET, 1969.

101- Kramer, S,N., "Sumerian Hymns" in ANET, 1969.

102- Kramer, S.N., "Lipit - Ishtar Lawcode", in ANET., 1969.

103- Kramer, S.N., "The Sumerian Deluge Myth" in Anatolian Studies, no 33, (1993).

104- Kuhrt, A., The Ancient Near East. C 3000 - 330 B.C., vol. I, London, and New York, 1995.

105- Lambert, W. Bablonian Wisdom Literature, London, 1960.

106- Limet, H., Le travail du metal an pays de Sumer au temps de la III e Dynastie d'Ur, Paris, 1960.

107- Langdon, S., "Babylonia Proverbs", in AJSL, vol. xxviii (July 1912).

108- Langdon, S., "A Tablet of Babylonian Wisdom", in PSBA, vol. xxx viii (1916).

109- Langdon, S., Babylonian Wisdom, London, 1921.

110- Leonard, W., The Letters and Inscriptions of Hammurabi, 1898.

111- Lloyd, S., L'Art du Proche - Orient, Paris, 1964.

112- Mallowan, M.E.L., Early Mesopotamia and Iran, London, 1965.

113- Meek, T.J., "The Code of Hammurabi", in ANET, 1969.

114- Meek, T.J., "The Middle Assyrian Laws", in ANET, 1969.

115- Mellaart, J. "The Earliest Settlements in Western Asia from the Ninth to the End of Fifth Millennium B.C.", in CAH., vol.

I, Part, I, Cambridge, 1976.

116- Miles, J.and. Gurney, Archiv Orientalni, 17/2 (1949).

117- Müller, F.K., "Des assyrishe Ritual", in MVAG, vol. xii, 3, Berlin, 1937.

118- Pfeiffer, E.F., "Akkadian Proverbs and Counsels", in ANET, 1969.

119- Pohi, A.,, in Orientalia NS, 18 (1949).

120- Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern tests Relating to the old Testament, Princeton, 1969.

121- Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia, and the Ancient Near East, New York, Oxford, 1990.

122- Roux, G., Ancient Iraq, Penguin Books, 1980.

123- Saggs, H.F.W., The Greatness that was Babylonian, A Sketch of the Ancient Civilization of the Tigris - Euphrates Valley, London, 1963.

124- Scheil, V., Memoires de la delegation en Perse, IV (1902).

125- Schorr, M., Urkunden de Altbablonischen Zivil - und progess rechts, Leipzig, 1913.

126- Speiser, E.A., "The Legend of Sargon" in ANET, 1969.

127- Speiser, E.A., "The Greation Epic":, in ANET, 1969.

128- Speiser, E.A., "Etana", in ANET, 1969.

129- Steels, F.R., in AJA, vol. LII (1948).

130- Thampson, E.C., The Epic of Gilgamesh, 1930.

131- Thureau, dangien, F., Les Inscriptions de Sumer et d'Akkal, 1905/

132- Walter, a., Das Altbabylonische Gerichtwesen, Leipziger Semitistische Studies, Leipzig, 1915.

133- Webster's Encyclopedi Unabridged Dictionary of the English Language, New Yori 1994.

134- Weidner, E. F., in AFO, xii (1937).

135- Weiss Rosmarien,. Aribi und Arabien in den Babylonishch Assyrischen Quellen, JSOR, 16, 1932.

136- Wilson, J."The Instruction of Ani'", in ANET, 1969.

137- Woolley, L., Excavations at Ur, Lodnon, 1963.

٣- قائمة الخرائط

رقم الخريطة	العنـــــوان	ص
١-	تضاريس العراق	٤٥
٢-	الأقاليم المناخية في العراق	٤٦
٣-	كمية الأمطار السنوية في العراق	٤٧
٤-	المدن الأولي في العراق	٤٨
٥-	المواقع الأثرية في العراق	٤٩

٤- قائمة الاشكال

رقم الشكل	العنـــــوان	ص

١- بيت مركاس الكبير ١٣٢
٢- رسم تخيلي للمنزل العراقي ١٣٣
٣- سرير ذا نهاية واحدة ١٣٤
٤- لوح من حجر كلسي منقوش علي هيئة سجادة ١٣٥
٥- كرسي ظهره مصنوع من القصب المضفور ١٣٦
٦- كرسي عرش الملك تجلان بلاسر الثالث ١٣٧
٧- ظهر كرسي مصنوع من العاج ١٣٨
٨- منظر لمائدة ١٣٩
٩- منظر يوضح ثياب الملك وكبار المسئولين في العصر الآشوري ١٤٣
١٠- الزي العسكري للملك نارم سن ١٤٤
١١- جزء من تمثال من البازلت ١٤٦
١٢- ثياب المرأة في العصر الأشوري ١٤٨
١٣- رأس تمثال للملك حمورابي ويظهر فيه ذقنه المربعه ١٥٠
١٤- ذقن وشعر اشور ناصربال الثاني ١٥١
١٥- غطاء رأس من مقبرة أور السومرية ١٥٣
١٦- قرط الملك سرجون الثاني ١٥٤
١٧- منظر الموسيقيين ١٥٦
١٨- جزء من لوحة العقبان ٢١٤
١٩- اسلحة سومرية ٢١٦
٢٠- شكل العجلة الحربية في أور ٢١٨

٢١- نصب النصر الخاص بالملك «نارام سين» ٢٢٠
٢٢- العجلة الحربية ٢٣٠
٢٣- جنود آشوريون يجرون عربه ٢٣٣
٢٤- شكل لمقدمة قانون آورنمو ٢٤٢
٢٥- سلسلة قوانين حمورابي ٢٦١
٢٦- الجزء العلوي من سلسلة قوانين حمورابي ٢٦٢
٢٧- مراحل تطور علامة الإله «انون المسمارية» ٣٢٨
٢٨- رمز الاله انليل ٣٤١
٢٩- رمز الاله انكي ٣٥٠
٣٠- رمز لااله شمش ٣٥٣
٣١- الاله شمش ٣٥٣
٣٢- باب عشتار في بابل ٣٥٥
٣٣- الاله عشتار تحمل اسلحتها ٣٥٦
٣٤- الاله عشتار فوق عرشها ٣٥٧
٣٥- الاله مردوخ يقضي علي تيامات ٣٦١
٣٦- الاله مردوخ ٣٦٤
٣٧- الاله اشور ٣٦٦
٣٨- بالاجو ٣٦٩
٣٩- تصور حديث لواجهة معبد «سين - حور - ساج» في العبيد
(حوالي ٣٠٠٠ ق.م) ٣٨٢
٤٠- نموذج تخيلي لزاقورة مدينة أور (معبد أورنمو) ٣٨٣
٤١- تصور حديث لزاقورة أورنيمو في اور ٣٨٤
٤٢- نموذج تخيلي لمعبد كلدالي ٣٨٥
٤٣- اختام اسطوانية مسجل عليها ملحمة جلجامش ٤١٥



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الأول	
«البيئة العراقية وأثرها فى طبيعة الانتاج الحضارى فى العراق»	٢٣ - ٤٩
الفصل الثانى	
«الحياة الاجتماعية»	٥١ - ١٥٦
- الزواج	٥٣ - ٦٨
- تعدد الزوجات	٦٩ - ٧٣
- التحذير من الزواج ببعض أنواع النسوه	٧٣ - ٧٧
- حقوق الزوجه	٧٧ - ٨٥
- الزواج من المحارم	٨٥ - ٨٧
- الطلاق	٨٧ - ٩٢
- الأطفال	٩٢ - ١٠٩
- التبني	١٠٩ - ١١٢
- الميراث	١١٢ - ١٢٤
- العلاقات الأسرية	١٢٤ - ١٣٠
- الحياة المنزلية	١٣٠ - ١٥٣
- وسائل التسلية والترفية	١٥٥ - ١٥٦
الفصل الثالث	
«القيم الاخلاقية والسلوكية فى العراق القديم»	١٥٧ - ٢٠٩
- الحافز إلي البروز والشهرة	١٦١ - ١٦٣

الموضـــــــوع	الصفحة

- عمل الخير والحض علي القيام به .... ١٦٣ - ١٦٤
- النهي عن القيام بالأعمال الشريرة .... ١٦٥ - ١٦٨
- الحض علي التمسك بالصدق والأمانة .... ١٦٨ - ١٧٠
- العدالة .... ١٧٠ - ١٧٥
- التمسك بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك .... ١٧٥ - ١٨١
- اتقان العمل .... ١٨١ - ١٨٢

الفصل الرابع

«التنظيم السياسى والإدارى» .... ١٨٣ - ٢٠٩

تطور السلطة الملكية .... ١٩٠ - ١٩٦

الألقاب الملكية .... ١٩٦ - ١٩٨

المهام الملكية .... ١٩٩ - ٢٠٠

ولاية العهد .... ٢٠٠ - ٢٠٢

التتويج .... ٢٠٢ - ٢٠٥

البلاط الملكي .... ٢٠٥ - ٢٠٦

الجهاز الإداري .... ٢٠٦ - ٢٠٩

الفصل الخامس

«الجيش» .... ٢١٣ - ٢٣٤

الفصل السادس

«الشرائع والقوانين» .... ٢٣٥ - ٣١٦

قانون اورنمو .... ٢٤١ - ٢٤٦

قانون مملكة آشنونا .... ٢٤٦ - ٢٥٤

قانون لبت عشتار .... ٢٥٤ - ٢٥٩

الموضـــــوع	الصفحة

قانون حمورابي .... ٢٥٩ - ٣١٠
القوانين الآشورية .... ٣١٠ - ٣١٥
المحاكم والقضاة .... ٣١٥ - ٣١٦

الفصل السابع
«الفكر الدينى» .... ٣١٧ - ٣٩٠
المعبودات .... ٣٢٤ - ٣٦٥
الكهنة .... ٣٦٦ - ٣٧٣
الكاهنات .... ٣٧٣ - ٣٧٤
طقوس الجنس المقدس .... ٣٧٤ - ٣٨١
المعابد .... ٣٨١ - ٣٨٨
عالم ما بعد الموت .... ٣٨٨ - ٣٩٠

الفصل الثامن
«الأدب» .... ٣٩١ - ٤٤٦
الشعر .... ٣٩٤ - ٤٠٨
الاساطير الدينية .... ٤٠٨ - ٤٣٢
أدب الحكمة .... ٤٣٢ - ٤٤٦





Bibliotheca Alexandrina
1165120



دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع
٤٨٧٠١٦٣